قَطْرُ النَّدَى

تَهْذِيبُ كِتَاب

الشِّفَا بِتَعْرِيْفِ حُقُوْقِ المُصْطَفَى ﷺ

تأليف

العَلاّمَةُ القَاضِي أَبِي الفَضل عياضْ بن مُوسَى بن عياض اليَحْصُبِي

(٤٧٦-٥٤٤هـ)

إِعداد

محُمد بِنْ نَاهِض حَنُّونَة

غَزَّة - فِلَسْطِين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المُقَدِّمَة

الحمد لله حمداً يُوافي نعمه، ويكافئ مَزيده، حمداً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، الَّذي بنعمته تَتِمُّ الصالحات، وَتَعُمُّ الخيرات، سبحانك ربي لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله خَيْرُ من اصطفى من خلقه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد؛

فمن عظيم رحمة الله بنا أن أَوْقَفَنَا على كتابٍ جليلٍ ، وَمُؤَلِّفٍ عظيم ، وهو : "**الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ** " ، ثم وَفَّقَنَا لتهذيبه في قطر الندى ، فحذفنا منه وأثبتنا ،وَعَلَّقْنَا عليه ودققنا ،واقتصرنا على الصحيح من الحديث والحسن ، ومن الآراء ما عليه جمهور أهل الحق ، ومن الأقوال أحسنها ، ومن الآثار أقومها .

ولا أقلَّ من أن نؤدي لنبينا ﷺ حقه كما بلغنا رسالته عن ربه ، فأرشدنا إلى طريق الهدى ، وعلمنا سبيل الرشاد ، فصلِّ اللَّهُمَّ عليه صلاةً زكيةً ناميةً كثيرةً طيبةً دائمةً إلى يوم الدين ،وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

وَنَصَّ الأئمة الأعلام على أَنَّ كتاب (**الشفا**) هو أشهرُ كُتُبِ القاضي عياض،وأجلها قدراً ، وأعظمها خطراً، وأكثرها فائدةً، فهو مُصَنَّفٌ بلغ النهاية في بابه ، ولم يُسْبَق إلى مثله، ولا غَرْوَ أن طارت شهرته في الآفاق، وتلقته الأمة بالقبول، وأثنى عليه العَامَّةُ وَالخَاصَّةُ، والدعاة الصالحون ، والمؤرخون الصادقون، فلا يكاد يخلو منه بيت ، أو مكتبة، أو مسجد.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وعُوتِبَ القَاضِي عِيَاض عَلَى كثرة محبته لكتابه الشفا فردَّ عليهم بهذين البيتين:

فقالوا:أراكَ تُحِبُّ الشِّفا   وَتُخبر فيه عن المُصطَفى

فَقُلتُ : لأنِّي عَلِيْلُ الفُؤاد   وكلُّ عليلٍ يُحِـبُّ الشِّـفا

وَرَحِمَ اللهُ القَائِلَ:

كُلُّهُم حَاولَ الدَوَاءَ وَلَكن   ما أتى بالشفاءِ إلا عِيَاضُ

وقال بعض الأدباء يَمْدَحُ كتاب الشفا:

عُوِّضتَ جناتِ عَدنٍ يَا عِيَاضُ   عن الشفاء الذي ألفته عوض

جَمَعْتَ فيه أحاديثاً مُصَحَّحةً   فهو الشفاء لمن في قلبه مرض

وقال آخر:

كتاب الشفاء شفاء القلوب   قد ائتلفت شمس برهانه

إذا طالع المؤمن مضمونه   رَسَا فِي الهُدَى أصل ايمانه

وجال بروض التقى نَاشِقَاً   روائـــح أزهــار أفنانه

اللهم يا واسع الخيرات ، يا رفيع الدرجات ، انفع بكتابنا هذا كل من قرأه ، وكل من سمعه ، وخذ بيد صاحبه إلى أعلا الدرجات ،ورفيع المقامات بجوار خير البريات ،وألحقنا بهم يا مجيب الدعوات ، اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ،وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

الفَقِيْرُ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ

محمد بن ناهض حنونة

ترجمة المؤلف : القَاضِي عياَضْ[1]

(٤٧٦ - ٥٤٤ هـ = ١٠٨٣ - ١١٤٩ م)

يقول الإمام الذهبيُّ عن القاضي عِياض: الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، الحَافِظُ الأَوْحَدُ ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ ، القَاضِي، أَبُو الفَضْلِ عِيَاضُ بنُ مُوْسَى بنِ عِيَاضِ بنِ عَمْرِو بنِ مُوْسَى بنِ عِيَاضٍ اليَحْصَبيُّ، الأَنْدَلُسِيُّ، ثُمَّ السَّبْتِيُّ، المَالِكِيُّ.

وقال ابن العماد: وَلَيَ قَضَاءَ سَبْتَة مُدَّةً، ثُمَّ قَضَاءَ غِرْنَاطَة، وَصَنَّفَ التَصَانِيفَ البديعة، وسَمِعَ مِنْ أَبِي عَلِيٍّ بْنُ سكَّرَةَ وَغَيْرَه، وَمِنْ مُصَنَّفاته (**الشفاء**) الذي لم يُسْبَق إلى مِثْلِهِ، ومنها (**مَشَارِقُ الأَنوَارِ فِي غَرِيبِ الصَحِيحَين وَالمُوَطَّأ**) ، وكان إِمَامَ وقته في علوم شتى، مُفْرِطَاً فِي الذَّكَاءِ، وَلَهُ شِعْرٌ حَسَن.

وَمِنْهُ قوله:

الله يعلـم أنــي منذ لم أركـم ... كَطَائِرٍ خَانَهُ رِيْشُ الجَنَـاحَيْنِ

فَلَو قَدِرْتُ ركبت البحر نحوكم ...فإِنَّ بُعْدَكُم عَنِّي جَنَى حَيْنِي

وقوله:

---

[1] انظر: وسير أعلام النبلاء :٢١٢/٢٠،وتاريخ الإسلام :٨٦٠/١١،وبغية الملتمس في تاريخ الأندلس لأبي جعفر الضبي:١/ ٤٣٧،والأعلام للزَرَكلي:٩٩/٥، والديباج المُذَهب في معرفة أعيان المذهب لبرهان الدين اليعمري:٢٦٦/٢،وإنباه الرواه على أخبار النحاه لجمال الدين القفطي:٢/ ٣٦٣،وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة:٢/ ١٠٥٤،وتهذيب الاسماء واللغات للنووي:٤٣/٢ ،وتاريخ قضاة الأندلس لأبي الحسن الجذامي الأندلسي:١٠١/١،وهدية العارفين لاسماعيل البغدادي: ٨٠٥/١، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي:٢٢٦/٦،والصلة في تاريخ الأندلس لابن بشكوال: ٤٢٩/١ ،وفهرس الفهارس لمحمد عبد الحي الكتاني:٧٩٧/٢،والرسالة المستطرفة لأبي عبد الله الكتاني:١٠٦/١، ومعجم المؤلفين لعمر كَحَّالَة:١٦،٨/، وأزهار الرياض في أخبار القاضي عياض لأبي العباس المقرئ.

http://mohhanoona.blogspot.com/

انظر إلى الزرع وخاماته ... تحكي وقد ماست أمام الرياح
كتيبة خضراءُ مهزومةً ... شقائق النُّعمان فيها جراح

وقال الإمام أبو القاسم بن بشكوال: أخذنا عنه بعض ما عنده ، وسمعته يقول: سمعت القاضي أبا علي حسين بن محمد الصدفي يقول: سمعت الإمام أبا محمد التميمي ببغداد يقول: ما لكم تأخذون العلم عنا، وتستفيدونه منا، ثم لا تترحمون علينا؟! ، فرحم الله جميع من أخذنا عنه من شيوخنا، وغفر لهم.

وقال أبو عبد الله محمد بن أبي الفيض الكتاني: هو كتاب عظيم النفع وكثير الفائدة ، لم يُؤَلَّف مثله في الإسلام ، وقد جربت قراءته لشفاء الأمراض المزمنة وتفريج الكروب ودفع الخطوب ، شكر الله سعي مؤلفه ، وجازاه عليه بأتم جزاء وأعظمه آمين ، وقد أفرد بعضهم الأحاديث المسندة فيه وهي ستون حديثاً في جزء.

ومن تصانيفه:

١- الأجوبة المخبرة عَن الاسئلة المحيرة.
٢- أخبار القرطبين.
٣- الاعلام فِي حُدُود الاحكام.
٤- إكمال الْمعلم شرح صَحِيح مُسلم.
٥- الإلماع فِي ضبط الرِّوَايَة وَتَقْيِيد السماع.
٦- بغية الرائد لما تضمنه حَدِيث ام زرع من الْفَوَائِد.
٧- تَرْتِيب المدارك وتقريب المسالك لمعْرِفَة مَذْهَب الامام مَالك.
٨- التَّنْبِيهَات المستنبطة فِي شرح مشكلات الْمُدَوَّنَة والمختلطة فِي الْفُرُوع.
٩- جَامع التَّارِيخ.
١٠- السَّيْف المسلول على من سبّ اصحاب الرَّسُول ﷺ.

http://mohhanoona.blogspot.com/

١١- الشفا بتعريف حُقُوق الْمُصْطَفى ﷺ.

١٢- الصَّفَا بتحرير الشفا.

١٣- الْعُيُون السِّتَّة فِي اخبار سبتة.

١٤- غَرِيب الشهَاب.

١٥- غنية فِي اسماء الشُّيُوخ.

١٦-غنية الْكَاتِب وبغية الطَّالِب.

١٧-الْقَوَاعِد.

١٨- كتاب العقيدة.

١٩- مَشَارِق الانوار فِي اقتفاء صَحِيح الْآثَار الموطا والصحيحين فِي الحَدِيث.

٢٠- مَشَارِق الانوار فِي تَفْسِير غَرِيب الحَدِيث.

٢١- مطامح الافهام فِي شرح الاحكام.

٢٢- نظم البرهان على صحة جزم الآذان.

رحم الله القاضي عياض،ونفعنا بكتابه هذا ، وسائر المسلمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم،والحمد لله رب العالمين.

http://mohhanoona.blogspot.com/

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْقِسْمُ الأَوَّلُ

(فِي تَعْظِيمِ الْعَلِيِّ الأَعْلَى لِقَدْرِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى ﷺ قَوْلًا وَفِعْلًا)

قَالَ الْفَقِيهُ الْقَاضِي الْإِمَامُ أَبُو الْفَضْلِ رحمه الله : لاخَفَاءَ عَلَى مَنْ مَارَسَ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ، أَوْ خُصَّ بِأَدْنَى لَمْحَةٍ[1] مِنَ الْفَهْمِ: بِتَعْظِيمِ اللَّهِ قَدْرَ نَبِيِّنَا ﷺ ، وخُصُوصِهِ إِيَّاهُ بِفَضَائِلَ وَمَحَاسِنَ وَمَنَاقِبَ لَا تَنْضَبِطُ لِزِمَامٍ[2] ، وَتَنوِيهِهِ[3] مِنْ عَظِيمِ قَدْرِهِ بِمَا تَكِلُّ[4] عَنْهُ الْأَلْسِنَةُ وَالْأَقْلَامُ.

فَمِنْهَا مَا صَرَّحَ بِهِ تَعَالَى في كتابه ، وَنَبَّهَ بِهِ عَلَى جليل نِصَابِهِ[5]، وَأَثْنَى بِهِ عَلَيْهِ مِنْ أَخْلَاقِهِ وَآدَابِهِ، وَحَضَّ الْعِبَادَ عَلَى الْتِزَامِهِ وَتَقَلُّدِ إِيجَابِهِ[6] ؛ فَكَانَ جَلَّ جَلالُهُ هُوَ الَّذِي تَفَضَّلَ وَأَوْلَى ، ثُمَّ طَهَّرَ وَزَكَّى، ثُمَّ مَدَحَ بِذَلِكَ وَأَثْنَى، ثُمَّ أَثَابَ عَلَيْهِ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى، فَلَهُ الفضل بَدأً وَعَوْدًا، وَالْحَمْدُ أُولَى وأُخْرَى .

وَمِنْهَا مَا أَبْرَزَهُ لِلْعَيَانِ مِنْ خَلْقِهِ عَلَى أَتَمِّ وُجُوهِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ ، وَتَخْصِيصِهِ بِالْمَحَاسِنِ الْجَمِيلَةِ ، وَالْأَخلَاقِ الْحمِيدَةِ ، وَالْمَذَاهِبِ الْكَرِيمَةِ ، وَالْفَضَائِلِ الْعَدِيدَةِ ، وَتَأْيِيدِهِ بِالْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَةِ ، وَالْبَرَاهِينِ الْوَاضِحَةِ ، وَالْكَرَامَاتِ الْبَيِّنَةِ الَّتِي شَاهَدَهَا مَنْ عَاصَرَهُ ، وَرَآهَا مَنْ أَدْرَكَهُ ، وَعَلِمَهَا عِلْمَ يَقِينٍ مَنْ

---

[1] **أَدْنَى لَمْحَةٍ**: أقل قدر.

[2] **لِزِمَام**:ما يُزَمُّ به ،والمقصود أنها غير منحصرة في كتاب.

[3] **تَنويهِهِ**:إشادته ومدحه،ومن الخطأ الشائع استعمال (نَوَّه) بمعنى (أشار).

[4] **تَكِلُّ**: تعجز ، وتصاب بالملل والعي.

[5] **جليل نِصَابِهِ**:أي عظيم منصبه وشرفه ورفعته

[6] **تَقَلُّدِ إِيجَابِهِ**:أي طاعته فيما أوجب في كتابه ، و**التقلد** :هو وضع القلادة في العنق ،وتعني الإلتزام والتقيد بأوامره.

جَاءَ بَعْدَهُ ، حَتَى انْتَهَى عِلْمُ حَقِيقَةِ ذَلِكَ إِلَيْنَا، وَفَاضَتْ أَنْوَارُهُ عَلَيْنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا .

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ :(**أَنّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِىَ بالبُرَاقِ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ مُلْجَمًا مُسْرَجًا، فاسْتَصْعَبَ عَلَيْه، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيْلُ: أَبِمُحَمَّدٍ تَفْعَلُ هَذا، فَمَا رَكِبَكَ أَحَدٌ أَكْرَمُ على اللهِ مِنْهُ؟ ، قال: فَارفَضَّ عَرَقًا**)[1] .

الْبَابُ الأَوَّلُ- فِي ثَنَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ وَإِظْهَارِهِ عَظِيمَ قَدْرِهِ لَدَيْهِ.

اعْلَمْ أَنَّ فِي كِتَابِ اللهِ العَزِيْزِ آيَاتٌ كَثِيْرَةٌ مُفْصِحَةٌ بِجَمِيلِ ذِكْرِ الْمُصْطَفَى ﷺ ، وَعَدِّ مَحَاسِنِهِ ، وَتَعْظِيمِ أَمْرِهِ ، وَتَنْوِيهِ قَدْرِهِ ، إعْتَمَدْنَا مِنْهَا عَلَى مَا ظَهَرَ مَعْنَاهُ وَبَانَ فَحْوَاهُ[2]، وَجَمَعْنَا ذَلِكَ فِي عَشَرَةِ فُصُولٍ:

(الْفَصْلُ الأَوَّلُ)

فِيمَا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ مَجِئَ الْمَدْحِ ، وَالثَّنَاءِ ، وَتَعْدَادِ الْمَحَاسِنِ

كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ تَعْرِفُونَهُ ، وَتَتَحَقَّقُونَ مَكَانَهُ ، وَتعْلَمُونَ صِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ ، فَلَا تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ ، وَفِي قِرَاءَةٍ : ﴿مِنْ أَنْفَسِكُمْ﴾ بِفَتْحِ الْفَاءِ ؛ أَي مِنْ أَشْرَفِكُمْ ، وَأَرْفَعِكُمْ ، وَأَفْضَلِكُمْ ، ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ

---

[1] **صحيح**: رواه الترمذي في سننه:١٥٢/٥،برقم: ٣١٣١،وأحمد في مسنده:١٠٧/٢٠،برقم: ١٢٦٧٢،وابن حبان في صحيحه:٢٤٣/١،برقم: ٤٦،(**الْبُرَاقِ**) دَابَّةٌ أَبْيَضُ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ -. (**ملجماً**):موضوع في فمه اللجام، (**مسرجاً**): أي شد عليه السراج، (**استصعب عليه**): أي لما أراد ﷺ ركوبه لم يقر حتى يركبه، (**فارفض عرقاً**):أي سال عرقاً ثم انقاد للنبي ليركبه.

[2] **فحواه**: هو ما يتضمنه الكلام من المعاني.

http://mohhanoona.blogspot.com/

عَلَيْكُمْ﴾ أيْ عَلَى هِدَايَتِكُمْ وَإسْلَامِكُمْ ،﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة:١٢٨]، فأَعْطَاهُ اسْمَيْنِ مِنْ أَسمَائِهِ وَهُمَا : ﴿ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ .

وَرُوِي عَن عَلِيِّ بْنُ أَبِي طَالِب ﷺ، عَنْ النَّبيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالى: ﴿ مِنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ [التوبة:١٢٨]، قَالَ:"**نَسَبًا وَصِهْرًا وَحَسَبًا لَيْسَ فِي آبَائِي مِنْ لَدُنْ آدَمَ سِفَاحٌ ،كُلُّهَا نِكَاحٌ**"[1]

وهو ﷺ مِنَّةُ اللهِ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ ،قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [آل عمران:١٦٤] ،وَجَعَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ طَاعَتَهُ مِنْ طَاعَتِهِ : ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء:٨٠] ، وأَلْبَسَهُ مِنْ نَعْتِهِ الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧] .

فَكَانَتْ حَيَاتُهُ رَحْمَةً وَمماتُهُ رَحْمَةً ؛ كَمَا قَالَ ﷺ : (**إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً بِأُمَّةٍ قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا**)[2] .وهو لِلْمُؤْمِنِ رَحْمَةً بِالْهِدَايَةِ، وَرَحْمَةً لِلْمُنَافِقِ بِالْأَمَانِ مِنَ الْقَتْلِ، وَرَحمةً لِلْكَافِرِ بِتَأْخِيرِ الْعَذَابِ .

---

[1] **حسن**: رواه الطبراني في الأوسط:٨٠/٥،برقم: ٤٧٢٨، والآجري في الشريعة :١٤١٧/٣، برقم: ٩٥٧ ، وأبو محمد الرامهرمزي في المحدث الفاصل:٤٧٠/١، وأبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة:٥٧/١، برقم: ١٤، وحسنه الألباني في صحيح الجامع :٦١٣/١،برقم: ٣٢٢٥، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن جعفر بن محمد بن علي، صحح له الحاكم في المستدرك وقد تكلم فيه، وبقية رجاله ثقات.مجمع الزوائد:٢١٤/٨،برقم: ١٣٨٢٠.

[2] رواه مسلم :٤/ ١٧٩١ ،برقم: ٢٢٨٨،(**فرطاً**): بمعنى الفارط ،وهو المتقدم إلى الماء لِيُهَيِّئَ السقي ، يريد أنه شفيعٌ يتقدم ،(**سلفاً**)هو المُقَدَّم.

وقد سَمَّاهُ اللهُ نُوراً: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ [المائدة:١٥] ، وَجَعَلَهُ دَاعِياً إِلَيْهِ بِإِذْنِهِ ،وَسِرَاجاً مُنِيراً: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا منيرا ﴾ [الأحزاب:٤٥ -٤٦]

وَشَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ بِنُورِ الرِّسَالَةِ ، وَمَلأَهُ عِلْماً وَحِكْمَةً ، فَقَالَ: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ ،وَمَحَا عَنْهُ ذُنُوبَهُ قَبْلَ النُبُوَّةِ : ﴿ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ﴾ ، وَعَصَمَهُ بِالنُبُوَّةِ ،وَخَفَّفَ عَلَيْهِ حِمْلَ الرِّسَالَةِ حَتَى بَلَّغَهَا: ﴿ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴾، وَرَفَعَ لَهُ ذِكْرَهُ : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ بِالنُّبُوَّةِ ، وَقِيلَ: إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ مَعِي ، فَلَيْسَ خَطِيبٌ ، وَلَا مُتَشَهِّدٌ ، وَلَا صَاحِبُ صَلَاةٍ إِلا يَقُولُ: أَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَا الله ، وَأَن مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ.

وَعَلامَةُ مَحَبَّتِهِ ﷺ اتبَاعُ سُنَّتِهِ : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾ [آل عمران:٣١] ، وَهُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ ﷺ: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة:٦] ،وَهُوَ العُرْوَةُ الوُثْقَى ﷺ مَنِ استَمْسَكَ بِهَدْيِهِ ﴿ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بالعروة الوثقى ﴾ [البقرة:٢٥٦] ، وَهُوَ مِنْ نِعَمَ الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَى البَشَرِيَّةِ: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نعمت اللهِ لا تُحْصُوهَا ﴾ [ابراهيم :٣٤] بِمُحَمَّدٍ ﷺ.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الْفَصْلُ الثَّانِي)

فِي وَصْفِهِ تَعَالَى لَهُ بِالشَّهَادَةِ ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنَ الثَّنَاءِ وَالْكَرَامَةِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ يا أيها النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا،وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦] .

جَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ فِي هَذِهِ الآيَةِ أَوصَافاً عَدِيْدَةً ، فَجَعَلَهُ شَاهِدًا عَلَى أُمَّتِهِ لِنَفْسِهِ بِإِبْلاغِهِمُ الرِّسَالَةَ ، وَهِيَ مِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ ، وَمُبَشِّرًا لِأَهْلِ طَاعَتِهِ ، وَنَذِيرًا لِأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ ، وَدَاعِيًا إِلَى تَوْحِيدِهِ وَعِبَادَتِهِ، وَسِرَاجًا مُنِيرًا يُهْتَدَى بِهِ لِلْحَقِّ.

وعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ: أَجَلْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلا غَلِيظٍ ، وَلا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَيَفْتَحَ بِهِ أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا)** [١]

---

[١] رواه البخاري:٦٦/٣،برقم:٢١٢٥، **(أَجَلْ)**: حرف جواب مثل نعم ، **(شَاهِدًا)**: لأمتك بتصديقهم وعلى الكافرين بتكذيبهم ، **(وَمُبَشِّرًا)** للمؤمنين ، **(وَنَذِيرًا)**: للكافرين ، **(حِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ)**: حافظاً للعرب، **(المتوكل)**: المعتمد على الله تعالى ، **(الفَظّ)** سيء الخلق، **(الغَلِيظ)**: شديد في القول ، **(سَخَّاب)**: يرفع صوته على الناس، **(الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ)**: أي ملة العرب ، ووصفها بالعوج لما دخل فيها من الشرك وعبادة الأصنام ، **(عُمْيًا)**: لا تبصر الحق ، **(صُمًّا)**: لا تسمع دعوة الخير،**(غُلْفًا)**: ،جمع أغلف ،وهو الذي عليه غلاف ، وذلك لأن قلوبهم غطتها ظلمة الشرك.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] ،وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران:١٥٩] .

وَلَوْ كَانَ فَظًّا خَشِنًا فِي الْقَوْلِ لَتفرَّقُوا مِنْ حَوْلِهِ، وَلَكِنْ جَعَلَهُ اللهُ تَعَالَى سَمْحًا، سَهْلًا، طَلْقًا، بَرًّا، لَطِيفًا.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ : أَيْ عَدُولًا خِيَارًا ، ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾: لِتَشْهَدُوا لِلأَنْبِيَاءِ عَلَى أُمَمِهِمْ ، ﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣] وَيَشْهَدَ لَكُمُ الرَّسُولُ بِالصِّدْقِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ [يونس: ٢]، قَالَ المفسرون : قَدَمَ صِدْقٍ هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ يَشْفَعُ لَهُمْ.

(الْفَصْلُ الثَّالِثُ)

فِيمَا وَرَدَ مِنْ خِطَابِهِ إِيَّاهُ مَوْرِدَ الْمُلاطَفَةِ وَالْمَبَرَّةِ

وَمِنْ ذَلِكَ: قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ﴾ [التوبة:٤٣] أَي أَصْلَحَكَ اللَّهُ، وَأَعَزَّكَ ،فَأَخْبَرَهُ بِالْعَفْوِ قَبْلَ أَنْ يُخْبِرَهُ بِالذَّنْبِ، وَلَوْ بَدَأَ النَّبِيُّ ﷺ بقوله: ﴿ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ﴾ لَخِيفَ عَلَيْهِ أَنَّ يَنْشَقَّ قَلْبُهُ مِنْ هَيْبَةِ هَذَا الْكَلَامِ ، لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ أَخْبَرَهُ بِالعَفْوِ حَتَّى سَكَنَ قَلْبُهُ ، ثم قال: ﴿ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ﴾ بِالتَّخَلُّفِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الصَّادِقُ فِي عُذْرِهِ مِنَ الْكَاذِبِ.

http://mohhanoona.blogspot.com/

فَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَن يَتَأَدَّبَ بِآدَابِ الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ ، وَفِعْلِهِ ، وَمُعَاطَاتِهِ وَمُحَاوَرَاتِهِ ، وَكَيْفَ ابْتَدَأَ بِالْإِكْرَامِ قَبْلَ الْعَتْبِ ، وَآنَسَ بِالْعَفْوِ قَبْلَ ذِكْرِ الذَّنْبِ إِنْ كَانَ ثَمَّ ذَنْبٌ .

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً ﴾[الإسراء:٧٤] .

فَقَدْ عَاتَبَ اللَّهُ الأَنْبِيَاءَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ بَعْدَ الزَّلاتِ، وَعَاتَبَ نَبِيَّنَا ﷺ قَبْلَ وُقُوعِهِ ؛لِيَكُونَ بِذَلِكَ أَشَدَّ انْتِهَاءً وَمُحَافَظَةً لِشَرَائِطِ المَحَبَّةِ، وَهَذِهِ غَايَةُ الْعِنَايَةِ.

وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى :﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[الأنعام :٣٣] فَفِي هَذِهِ الآيَةِ مَنْزَعٌ لَطِيفُ المَأْخَذِ مِنْ تَسْلِيَتِهِ تَعَالَى لَهُ ﷺ ، وَإِلْطَافِهِ فِي الْقَوْلِ: بِأَنْ قَرَّرَ عِنْدَهُ أَنَّهُ صَادِقٌ عِنْدَهُمْ، وَأَنَّهُمْ غَيْرُ مُكَذِّبِينَ لَهُ، بَلْ هم مُعْتَرِفُونَ بِصِدْقِهِ قَوْلًا وَاعْتِقَادًا، وَقَدْ كَانُوا يُسَمُّونَهُ قَبْلَ النُّبُوَّةِ : الْأَمِينَ ، ثُمَّ جَعَلَ الذَّمَّ لَهُمْ بِتَسْمِيَتِهِمْ جَاحِدِينَ ظَالِمِينَ، ثُمَّ عَزَّاهُ وَآنَسَهُ بِمَا ذَكَرَهُ عَمَّنْ قَبْلَهُ ، وَوَعَدَهُ بِالنَّصرِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾[الأنعام:٣٤]

وَمِمَّا ذُكِرَ مِنْ خَصَائِصِهِ وَبِرِّ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَاطَبَ جَمِيعَ الأَنبِيَاءِ عَلِيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام بِأَسمَائِهِم، فَقَالَ: يَا آدَمُ ، يَا نُوحُ ، يَا إِبْرَاهِيمُ ، يَا مُوسَى يَا دَاوُدُ ، يَا عِيسَى ، يَا زَكَرِيَّا ، يَا يَحْيَى ، وَلَمْ يُخَاطَبْهُ إِلَّا: يَا أَيُّهَا الرَّسُولَ، يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّل، يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ[1] .

---

[1] قال الله تعالى مخاطباً **آدم** عليه السلام : ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾[البقرة:٣٣] ،وخاطب **نوحاً** عليه السلام بقوله: ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [هود:٤٨]، وخاطب **ابراهيم** عليه السلام بقوله: ﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الْفَصْلُ الرَّابِعُ)

فِي قَسَمِهِ تَعَالَى بِعَظِيمِ قَدْرِهِ [1]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر: ٧٢]،وَاتَّفَقَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ فِي هَذَا أَنَّهُ قَسَمٌ مِنَ اللهِ جَلَّ جَلالُهُ بِمُدَّةِ حَيَاةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى ، وَمَا ذَرَأَ، وَمَا بَرَأَ نَفْسًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ [2].

[هود:٧٦] ،وخاطب **موسى** عليه السلام بقوله: ﴿ قَالَ يَامُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي ﴾ [الأعراف:١٤٤] ،وخاطب **داود** عليه السلام بقوله: ﴿ يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى ﴾ [ص:٢٦]،وخاطب **عيسى** عليه السلام بقوله: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [آل عمران:٥٥] ،وخاطب **زكريا** عليه السلام بقوله: ﴿ يَازَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ [مريم:٧]،وخاطب **يحيى** -عليه السلام - بقوله: ﴿ يَايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [مريم:١٢]،وأما خطابه لنبينا **محمد** ﷺ فكان: ﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة:٦٧] ،وقوله: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال:٦٤]،وغيرها الكثير في الكتاب العزيز.

[1] أقسم الله تبارك وتعالى بأشياء كثيرة من مخلوقاته الدالة على كماله وعظمته ليؤكد المعنى في نفوس المخاطبين ، فأقسم بالشمس والقمر والسماء وغير ذلك ، بينما نجده سبحانه وتعالى لم يقسم بحياة أحد من خلقه إلا بالرسول الكريم ﷺ ،وهذا يدلُّ على أمرين:

١- شرف حياته ﷺ وعلوّ مرتبته عند ربه جل وعلا ؛ وذلك لاختصاصه بالقسم دون سائر البشر.

٢- أن البركة في ذات النبي ﷺ وفي عمره وفي دعوته وفي أتباعه.

[2] رواه أبو نعيم في دلائل النبوة: ٦٣/١،برقم: ٢١،وابن أبي اسامة في مسنده: ٨٧١/٢،برقم: ٩٣٤، (ذَرَأَ):خلق وكأنه مختص بالذرية،(بَرَأَ):خلق بمعنى صور.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الْفَصْلُ الْخَامِسُ)

فِي قَسْمِهِ – تَعَالَى جَدُّهُ – لَهُ لِتَحَقُّقِ مَكَانَتَهُ عِنْدَهُ

قال جلّ اسْمُهُ : ﴿ وَالضُّحَى، وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ، وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ، وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ، أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ، وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ، وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ، فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ، وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحر:١-١١]

تَضَمَّنَتْ هَذِهِ السُّورَةُ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ وَتَنْوِيهِهِ بِهِ وَتَعظِيمِهِ إِيَّاهُ **سِتَّةَ وُجُوهٍ**:

الأَوَّلُ : الْقَسَمُ لَهُ عمَّا أَخْبَرَهُ بِهِ مِنْ حَالِهِ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَالضُّحَى، وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾ [الضحى:١-٢] أَيْ وَرَبِّ الضُّحَى،وهذا مِنْ أَعظَمِ درجاتِ المَبَرَّةِ.

الثَّانِي: بَيانُ مَكَانَتِهِ عِنْدَهُ وَحُظْوَتِهِ لَدَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ [الضحى:٣] ، أَيْ مَا تَرَكَكَ وَمَا أَبْغَضَكَ[1] .

الثَّالِثُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: : ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ [الضحى:٤]؛ أي ما ادَّخَرْتُ لَكَ مِنَ الشَّفَاعَةِ وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ خَيْرٌ لَكَ مِمَّا أَعْطَيْتُكَ فِي الدُّنيا.

الرَّابِعُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ [الضحى:٥] يُعْطِيهِ الْحَوْضَ وَالشَّفَاعَةَ، وَلَا يَرْضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِهِ النَّارَ.

---

[1] ومن أحسن ما قيل في قوله تعالى : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ أن الله جل وعلا لم يتركك منذ اختارك ،ولم يبغضك منذ أحبك.

http://mohhanoona.blogspot.com/

الخَامِسُ: مَا عَدَّ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنْ نِعَمِهِ، وَقَرَّرَهُ مِنْ آلائِهِ، بِقَوْلِهِ : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا ﴾ فَآوَاكَ إِلَيْهِ ، ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا ﴾ فَهَدَاكَ ، ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا ﴾ فَأَغْنَاكَ ، فَلَمْ يُهْمِلْهُ فِي حَالِ صِغَرِهِ، وَعَيْلَتِهِ، وَيُتْمِهِ، وَقَبْلَ مَعْرِفَتِهِ بِهِ، وَلَا وَدَّعَهُ وَلَا قَلَاهُ، فَكَيْفَ بَعْدَ اخْتِصَاصِهِ وَاصْطِفَائِهِ؟!.

السَّادِسُ: أَمَرَهُ بِإِظْهَارِ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ، وَشُكْرِ مَا شَرَّفَهُ بِهِ ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[الضحى:١١] .

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى، وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ، عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ، ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ، وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ، ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ، مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ، وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ، إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ، مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ، لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى)[النجم:١-١٧]د

تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الآيَاتُ مِنْ فَضْلِهِ وَشَرَفِهِ ﷺ العِدِّ[1] مَا يَقِفُ دُونَهُ الْعَدُّ ، وَأَقْسَمَ جَلَّ اسْمُهُ على هِدَايَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ ، وَتَنْزِيهِهِ عَنِ الْهَوَى ، وَصِدْقِهِ فِيمَا تَلَا ، وأَنَّهُ وَحْيٌ يُوحَى ، أَوْصَلَهُ إِلَيْهِ عَنِ اللَّهِ جبريلُ ، وَهُوَ الشَّدِيدُ الْقُوَى.
ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ فَضِيلَتِهِ بِقِصَّةِ الْإِسْرَاءِ ، وَانْتِهَائِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، وَتَصْدِيقِ بَصَرِهِ فِيمَا رَأَى ، وَأَنَّهُ رَأى مِنْ آيَاتِ رَبِه الْكُبْرَى ، فانْحَسَرَتِ[2] الأَفْهَامُ عَنْ تَفْصِيلِ مَا أَوْحَى ، وَتَاهَتِ الْأَحلَامُ[3] فِي تَعْيِينِ تِلْكَ الآيَاتِ الْكُبْرَى.

---

[1] **العِدّ**:الكثرةُ في الشئ ،يُقال:ماءٌ عِدٌّ ؛ أي دائمٌ لا انقطاع لمادته وجمعه : أعداد.

[2] **انحسَرَت الأفهامُ**: ضاقت وضعفت.

[3] **الأَحْلَامُ**: العقول والأفهام.

وزَكَّى فُؤَادَهُ ، وَلِسَانَهُ ، وَجوَارِحَهُ : **فَزَكَّى قَلْبَهُ** بِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾، **وَلِسَانَهُ** بِقَوْلِهِ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ ، **وبَصَرَهُ** بِقَوْلِهِ: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ ن ، وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا أَقْسَمَ بِهِ مِنْ عَظِيمِ قَسَمِهِ عَلَى تَنْزِيهِ المُصْطَفَى مِمَّا غَمَصَتْهُ[1] الْكَفَرةُ بِهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ لَهُ ، وَآنَسَهُ وَبَسَطَ أَمَلَهُ بِقَوْلِهِ مُحْسِنًا خِطَابَهُ : ﴿ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ ،ثُمَّ أَعْلَمَهُ بِمَا لَهُ عِنْدَهُ مِنْ نَعِيمٍ دَائِمٍ وَثَوَابٍ غَيْرِ مُنْقَطِعٍ، ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ ، ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا مَنَحَهُ مِنْ هِبَاتِهِ وَهَدَاهُ إِلَيْهِ ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ،ثُمَّ سَلاهُ عَنْ قَوْلِهِمْ بَعْدَ هَذَا بِمَا وَعَدَهُ بِهِ مِنْ عِقَابِهِمْ وَتَوَعَّدَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ، بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ ، ثُمَّ عَطَفَ بَعْدَ مَدْحِهِ عَلَى ذَمِّ عَدُوِّهِ وَذِكْرِ سُوءِ خُلُقِهِ وَعَدَّ مَعَايِبَهُ مُتَوَلِّيًا ذَلِكَ بِفَضْلِهِ ، وَمُنْتَصِرًا لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ،وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ، وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ، هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ، مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ، عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ،أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ، إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ، ثُمَّ خَتَمَ ذَلِكَ بِالْوَعِيدِ الصَّادِقِ بِتَمَامِ شَقَائِهِ وَخَاتِمَةِ بَوَارِهِ[2]، بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾[القلم:١-١٥] ، فَكَانَتْ نُصْرَةُ اللَّهِ تعالى له أَتَمَّ مِنْ نُصْرَتِهِ لِنَفْسِهِ ، وَرَدُّهُ تَعَالَى عَلَى عَدُوِّهِ أَبْلَغُ مِنْ رَدِّهِ ، وَأَثْبَتُ فِي دِيوَانِ مَجْدِهِ.

---

[1] **غَمَصَتْهُ**:أي عابته ،وغمصُ الناس : احتقارهم ،والطعنُ فيهم.

[2] **بَوَارِهِ**: هلاكه ، ودثاره

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الْفَصْلُ السَّادِسُ)

فِيمَا وَرَدَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي جِهَتِهِ ﷺ مَوْرِدَ الشَّفَقَةِ وَالإِكْرَامِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ طه، مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾[طه:١-٢] نَزَلَتِ الآيَةُ فِيمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَكَلَّفُهُ مِنَ السَّهَرِ ، وَالتَّعَبِ ، وَقِيَامِ اللَّيْلِ، وَلَا خَفَاءَ بِمَا فِي هَذَا كُلِّهِ مِنَ الإِكْرَامِ، وَحُسْنِ الْمُعَامَلَةِ.

وَمِثْلُ هَذَا مِنْ نَمَطِ[1] الشَّفَقَةِ وَالْمَبَرَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[الكهف:٦] أَيْ : قَاتِلٌ نَفْسَكَ لِذَلِكَ غَضَبًا ،أَوْ غَيْظًا ،أو جَزَعًا .

وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى أَيْضًا: ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾[الشعراء:٣] ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾[الشعراء:٤] .

(الْفَصْلُ السَّابِعُ)

فِيمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِهِ وَشَرِيفِ مَنْزِلَتِهِ عَلَى الأَنْبِيَاءِ وَحَظْوَةِ رتبته عَلَيْهِم

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾[آل عمران:٨١]

---

[1] **نَمَطِ**: نوع.

http://mohhanoona.blogspot.com/

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أبي طَالِبٍ ﷺ: لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا مِنْ آدَمَ فَمَنْ بَعْدَهُ إِلا أَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ فِي مُحَمَّدٍ ﷺ لَئِنْ بُعِثَ وَهُوَ حَيٌّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرَنَّهُ ، وَيَأْخُذَنَّ الْعَهْدَ بِذَلِكَ عَلَى قَوْمِهِ[1].

(الْفَصْلُ الثَّامِنُ)

إِعلَامِ اللَّهِ تَعَالَى خَلْقَهُ بِصَلاتِهِ عَلَيْهِ وَوِلايَتِهِ لَهُ ، وَرَفْعِهِ الْعَذَابَ بِسَبَبِهِ

قال الله تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الانفال:٣٣] ، أَيْ: مَا كُنْتَ بِمَكَّةَ ، فَلَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ ، وَبَقِيَ فِيهَا مَنْ بَقِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ نَزَلَ : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وهم يستغفرون﴾ [الأنفال:٣٣] ، فَلَمَّا خَلَتْ مَكَّةُ مِنْهُمْ عَذَّبَهُمُ اللَّهُ بِتَسْلِيطِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمُ ، وَغَلَبَتِهِمْ إِيَّاهُمْ ، وَحَكَّمَ فِيهِمْ سُيُوفَهُمْ ، وَأَوْرَثَهُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ ، وَأَمْوَالَهُمْ.

و قَالَ ﷺ: (**أَنَا أَمَانٌ لِأَصْحَابِي**)[2]. قِيلَ : مِنَ الْبِدَعِ ، وَقِيلَ: مِنَ الاخْتِلافِ وَالْفِتَنِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦] أَبَانَ اللَّهُ تَعَالَى فَضْلَ نَبِيِّهِ ﷺ بِصَلَاتِهِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ بِصَلَاةِ مَلَائِكَتِهِ ، وَأَمَرَ عِبَادَهُ بِالصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ.

---

[1] أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره:٥/٥٤٠.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه:٤/١٩٦١،برقم:٢٥٣١ مطولاً ، بلفظ "**وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي**"،وأحمد في مسنده:٣٢/٣٣٥،برقم: ١٩٥٦٦،والبزار في مسنده:٨/١٠٤،برقم:٣١٠٢،وابن حبان في صحيحه:١٦/٢٣٤،برقم: ٧٢٤٩،قال النوويُّ: وَقَوْلُهُ ﷺ : (**وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ**) أَيْ: مِنَ الْفِتَنِ وَالْحُرُوبِ ، وَارْتِدَادِ مَنِ ارْتَدَّ مِنَ الْأَعْرَابِ ، وَاخْتِلَافِ الْقُلُوبِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا أَنْذَرَ بِهِ صَرِيحًا ، وَقَدْ وَقَعَ كُلُّ ذَلِكَ. (شرح النووي على مسلم:١٦/٨٣).

(الْفَصْلُ التَّاسِعُ)

فِيمَا تَضَمَّنَتْهُ سُورَةُ الْفَتْحِ مِنْ كَرَامَاتِهِ ﷺ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ، لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ، وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ، هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ، لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ، وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ، وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ، إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ، إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح:١-١٠]

قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ: جُمِعَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي هَذِهِ السُّورَةِ نِعَمٌ مُخْتَلِفَةٌ ؛ مِنَ الْفَتْحِ الْمُبِينِ ، وَهِيَ مِنْ أَعْلَامِ الإِجَابَةِ ، وَالْمَغْفِرَةِ وَهِيَ مِنْ أَعْلَامِ الْمَحَبَّةِ ، وَتَمَامِ النِّعْمَةِ وَهِيَ مِنْ أَعْلَامِ الاخْتِصَاصِ ، وَالْهِدَايَةِ وَهِيَ مِنْ أَعْلَامِ الْوِلَايَةِ ، فَالْمَغْفِرَةُ تَبْرِئَةٌ مِنَ الْعُيُوبِ ، وَتَمَامُ النِّعْمَةِ إِبْلَاغُ الدَّرَجَةِ الْكَامِلَةِ ، وَالْهِدَايَةُ وَهِيَ الدَّعْوَةُ إِلَى الْمُشَاهَدَةِ.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الْفَصْلُ الْعَاشِرُ)

فِيمَا أَظْهَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ مِنْ كَرَامَتِهِ عَلَيْهِ ، وَمَكَانَتِهِ عِنْدَهُ ، وَمَا خَصَّهُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ سِوَى مَا انْتَظَمَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ قَبْلُ

وَمِنْ ذَلِكَ عِصْمَتِهِ مِنَ النَّاسِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧] وَقَوْلِهِ: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٤٠] ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ، إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر١-٣] ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي والقرآن العظيم﴾ [الحجر:٨٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب:٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ:٢٨] ، كَمَا قَالَ ﷺ: (**بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ**)[1].

الْبَابُ الثَّانِي – فِي تَكْمِيلِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ الْمَحَاسِنَ خَلْقًا وَخُلُقًا ، وَقِرَانِهِ جَمِيعَ الْفَضَائِلِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ فِيهِ نَسَقًا، وَفِيهِ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ فَصْلًا:

[1] **صحيح**،أخرجه أحمد في مسنده:٢٢٤/٣٥،برقم: ٢١٢٩٩،وأبو داود في سننه: ٣٧٩/١،برقم: ٤٧٤،والدارمي في سننه:١٦٠٣/٣،برقم: ٢٥١٠، وابن حبان في صحيحه:٣٧٥/١٤،برقم: ٦٤٦٢،وقال البغويُّ في شرح السنة: (**بُعِثْتُ إِلَى الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ**) يُرِيدُ الْعَرَبَ وَالْعَجَمَ.(شرح السنة :٢١٧/١٤،برقم: ٤٠١٥)

اعْلَمْ أيُّهَا الْمُحِبُّ لِهَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ أَنَّ خِصَالَ الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ فِي البَشَرِ نَوْعَانِ:

١ـ **ضَرُورِيٌّ دُنْيَوِيٌّ** اقْتَضَتْهُ الجِبِلَّةُ[1] وَضَرُورَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

٢ـ **وَمُكْتَسَبٌ دِينِيٌّ** ، وَهُوَ مَا يُحْمَدُ فَاعِلُهُ ، وَيُقَرِّبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى زُلْفَى[2].

ثُمَّ هِيَ عَلَى فَنَّيْنِ أَيْضًا:

مِنْهَا مَا يَتَخَلَّصُ لِأَحَدِ الْوَصْفَيْنِ ، و**مِنْهَا** مَا يَتَمَازجُ ويَتَدَاخَلُ.

فَأَمَّا **الضَّرُورِيُّ الْمَحْضُ** فَمَا لَيْسَ لِلْمَرْءِ فِيهِ اخْتِيَارٌ وَلَا اكْتِسَابٌ.

مِثْلُ: مَا كان في جبلته مِنْ كَمَالِ خِلْقَتِهِ ، وَجَمَالِ صُورَتِهِ ، وَقُوَّةِ عَقْلِهِ ، وَصِحَّةِ فَهْمِهِ ، وَفَصَاحَةِ لِسَانِهِ ، وَقُوَّةِ حَوَاسِّهِ وَأَعضَائِهِ ، وَاعْتِدَالِ حَرَكَاتِهِ ، وَشَرَفِ نَسَبِهِ ، وَعِزَّةِ قَوْمِهِ ، وَكَرَمِ أَرْضِهِ ، وَيلْحَقْ بِهِ مَا تَدْعُوهُ ضَرُورَةُ حَيَاتِهِ إِلَيْهِ مِنْ غِذَائِهِ ، وَنَوْمِهِ ، وَمَلْبَسِهِ ، وَمَسْكَنِهِ ، وَمَنْكَحِهِ ، وَمَالِهِ ، وَجَاهِهِ.

وَأمَّا **الْمُكْتَسَبَةُ الْأُخْرَوِيَّةُ** ؛ فَسَائِرُ الأَخْلَاقِ العَلِيَّةِ ، وَالْآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ: مِنَ الدِّينِ ، وَالْعِلْمِ ، وَالْحِلْمِ ، وَالصَّبْرِ ، والشُّكْرِ ، وَالعَدْلِ ، وَالزُّهْدِ ، وَالتَّوَاضُعِ ، وَالْعَفْوِ ، وَالْعِفَّةِ ، والْجُودِ ، وَالشَّجَاعَةِ ، وَالْحَيَاءِ ، وَالمُرُوءَةِ ، وَالصَّمْتِ ، وَالتُّؤَدَةِ[3] ، وَالْوَقَارِ ، وَالرَّحْمَةِ ، وحُسْنِ الْأَدَبِ ، وَالْمُعَاشَرَةِ ، وَأَخَواتِهَا ، وَهِيَ الَّتِي جِمَاعُهَا: **حُسْنُ الْخُلُقِ**.

---

[1] **الجِبِلَّةُ**:الخِلْقَةُ ،وطبيعة الإنسان.

[2] **الزُّلْفَى**:القربة والمنزلة.

[3] **التُّؤدة**:التأني وترك العجلة.

وَتَكُونُ هَذِهِ الْأَخلَاقُ دُنْيَوِيَّةً إِذَا لَمْ يُرَدْ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ وَلَكِنَّهَا كُلَّهَا مَحَاسِنُ وَفَضَائِلُ بِاتِّفَاقِ أَصْحَابِ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ.

(الفَصْلُ الأَوَّلُ)

فِي اِجْتِمَاعِ خِصَالِ الكَمَالِ وَالجَمَالِ فِي نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ

وَما ظَنُّكَ بِعَظِيمِ قَدْرِ مَنِ اجْتَمَعَتْ فِيهِ كُلُّ هَذِهِ الْخِصَالِ مِنْ فَضِيلَةِ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ ، وَالْخُلَّةِ وَالْمَحَبَّةِ ، وَالاصْطِفَاءِ وَالْإِسْرَاءِ ، وَالرُّؤْيَةِ وَالْقُرْبِ ، وَالدُّنُوِّ وَالْوَحْيِ ، وَالشَّفَاعَةِ ، وَالْوَسِيلَةِ[١] ، وَالْفَضِيلَةِ[٢] ، وَالدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ ، وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ[٣] ، وَالْبُرَاقِ وَالْمِعْرَاجِ ، وَالْبَعْثِ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ ، وَالصَّلَاةِ بِالْأَنْبِيَاءِ ، وَالشَّهَادَةِ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُمَمِ ، وَسِيَادَةِ وَلَدِ آدَمَ ، وَلِوَاءِ الْحَمْدِ ، وَالْبِشَارَةِ وَالنِّذَارَةِ ، وَالْمَكَانَةِ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ وَالطَّاعَةِ ثُمَّ[٤] ، وَالْأَمَانَةِ ، وَالْهِدَايَةِ ، وَرَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، وَإِعْطَاءِ الرِّضَى وَالسُّؤْلِ وَالْكَوْثَرِ ، وَسَمَاعِ الْقَوْلِ ، وَإِتمَامِ النِّعْمَةِ ، وَالْعَفْوِ عَمَّا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَشَرْحِ الصَّدْرِ ، وَوَضْعِ الإِصْرِ[٥] ، وَرَفْعِ الذِّكْرِ، وَعِزَّةِ النَّصْرِ ، وَنُزُولِ السَّكِينَةِ ، وَالتَّأْيِيدِ بِالْمَلَائِكَةِ ، وَإِيتَاءِ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ ، والسَّبْعِ الْمَثَانِي ، وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ، وَتَزْكِيَهِ الْأُمَّةَ ، والدُّعَاءِ إِلَى اللَّهِ ، وَصَلَاةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْمَلَائِكَةِ ، وَالْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاهُ اللَّهُ ، وَوَضْعِ الْإِصْرِ وَالْأَغْلَالِ عَنْهُمْ ، وَالْقَسَمِ بِاسْمِهِ ، وَإِجَابَةِ دَعْوَتِهِ ، وَتَكْلِيمِ الجَمَادَاتِ وَالْعُجْمِ[٦] ، وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى ، وَإِسْمَاعِ الصُّمِّ ، وَنَبْعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنَ

[١] **الْوَسِيلَةِ**:منزلة رفيعة في الجنة .

[٢] **الْفَضِيلَةِ**:المرتبة الزائدة على سائر الأخلاق.

[٣] **الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ**:هي الشفاعة العظمى.

[٤] **ثُمَّ**:هناك.

[٥] **الإِصْرِ**:الثِقَل في التكاليف.

[٦] **الْعُجْمِ**:جمع عجماء ،وهي البهيمة.

أَصَابِعِهِ ، وَتَكْثِيرِ الْقَلِيلِ وَانْشِقَاقِ الْقَمَرِ، وَرَدِّ الشَّمْسِ ، وَقَلْبِ الْأَعْيَانِ ، وَالنَّصْرِ بِالرُّعْبِ ، وَالاطِّلَاعِ عَلَى الْغَيْبِ ، وَظِلِّ الْغَمَامِ ، وَتَسْبِيحِ الْحَصَى ، وَإِبْرَاءِ الآلامِ، وَالعِصْمَةِ مِنَ النَّاسِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَعْلَمُهُ إِلّا اللهُ جَلَّ وَعَزَّ.

(الْفَصْلُ الثَّانِي)

صِفَاتُهُ الْخِلْقِيَّةُ ﷺ

كَانَ ﷺ أَزْهَرَ اللَّوْنِ[١] ، أَدعَجَ[٢] ، أنجلَ[٣]، أَشْكَلَ[٤] ، أَهْدَبَ الْأَشْفَارِ[٥] ، أَبْلَجَ[٦] ، أَزَجَّ[٧] ، أَقْنَى[٨]، أَفْلَجَ[٩] ، مُدَوَّرَ الْوَجْهِ، واسع الْجَبِينِ ، كَثَّ اللِّحْيَةِ تَمْلَأُ صَدْرَهُ سَوَاءَ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ، وَاسِعَ الصَّدْرِ ، عَظِيمَ الْمِنْكَبَيْنِ ، ضَخْمَ الْعِظَامِ ، عَبْلَ العَضُدَيْنِ[١٠] وَالذِّرَاعَيْنِ وَالأَسَافِلِ ، رَحْبَ الْكَفَّيْنِ[١١] وَالْقَدَمَيْنِ ، سَائِلَ الْأَطْرَافِ[١٢] ، أَنْوَرَ الْمُتَجَرَّدِ[١٣] ، دَقِيقَ الْمَسْرُبَةِ[١٤] ، رَبْعَةَ الْقَدِّ[١٥] ، لَيْسَ

[١] **أَزْهَرَ اللَّوْنِ**:مستنير،وهو أحسن الألوان ، والزهرة:البياض النَيِّرُ.

[٢] **أَدعَجَ**:أي شديد سواد العين.

[٣] **أنجلَ**:واسع العين ، مع حسنها.

[٤] **أَشْكَلَ**:في بياض عينيه حُمرَةٌ ،وهومحمود محبوب.

[٥] **أَهْدَبَ الْأَشْفَارِ**:أي شعر أجفانه كثيرةٌ مستطيلة.

[٦] **أَبْلَجَ**:مشرقُ الوجه ،مسفره.

[٧] **أَزَجَّ**: هو تَقَوُّسٍ في الحاجب مع طول في طرفه وامتداد.

[٨] **أَقْنَى**: هو السائل الأنف ، المرتفع وسطه.

[٩] **أَفْلَجَ**: هي الفرجة بين الثنايا ،أو الرباعيات.

[١٠] **عَبْلَ العَضُدَيْنِ**:أي ضخم العضدين،و**العضد**:ما بين المرفق إلى الكتف.

[١١] **رَحْبَ الكَفَّيْنِ**:واسع الكفين.

[١٢] **سَائِلَ الْأَطْرَافِ**:طويل الأصابع.

[١٣] **أَنْوَرَ الْمُتَجَرَّدِ**:مشرق الجسد إذا كشف منه شيئاً.

[١٤] **دَقِيقَ الْمَسْرُبَةِ**:أي كان الشعر النابت على وسط صدره نازلاً إلى سرته كالخيط في دقته.

[١٥] **رَبْعَةَ الْقَدِّ**:معتدل القامة ،بين الطويل والقصير.

http://mohhanoona.blogspot.com/

بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ[1] ، وَلَا الْقَصِيرِ الْمُتَرَدِّدِ[2] ،وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَكُنْ يُمَاشِيهِ أَحَدٌ يُنْسَبُ إلى الطُّولِ إِلَّا طَالَهُ ﷺ ، رَجِلَ الشَّعْرِ[3] ، إِذَا افْتَرَّ ضَاحِكًا افْتَرَّ عَنْ مِثْلِ سَنَا الْبَرْقِ ، وَعَنْ مِثْلِ حَبِّ الْغَمَامِ[4]، إذا تَكَلَّمَ رُئِيَ كَالنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ ثَنَايَاهُ[5] ، أَحْسَنَ النَّاسِ عُنُقًا ، لَيس بِمُطَهَّمٍ[6] ، وَلَا مُكَلْثَمٍ[7] ، مُتَمَاسِكَ الْبَدَنِ ، ضَرْبَ اللَّحْمِ[8].

(الْفَصْلُ الثَّالِثُ)

نَظَافَتُهُ ﷺ ، وَطِيبِ رِيحِهِ وَعَرَقِهِ وَدَمِهِ

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ:(**مَا شَمَمْتُ عَنْبَرًا قَطُّ وَلَا مِسْكًا وَلَا شَيْئًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)**[9] ، وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ﷺ: أَنَّهُ ﷺ مَسَحَ خَدَّهُ ، قَالَ: (**فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا وَرِيحًا ، كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ)**[10]، وَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي

---

[1] **الطَّوِيلِ الْبَائِنِ**:المفرط في الطول.

[2] **الْقَصِيرِ الْمُتَرَدِّدِ**:المتناهي في القِصَر.

[3] **رَجِلَ الشَّعْرِ**:أي لم يكن شديد النعومة ،ولا شديد الخشونة ، بل وسط بينهما.

[4] **حَبِّ الْغَمَامِ**:هو البَرَد ،شبه به أسنانه لشدة بياضها.

[5] **ثَنَايَاهُ**:هي الأسنان الأربعة في مقدمة الفم ،ومفردها ثَنِيَّة.

[6] **الْمُطَهَّم**:المنتفخ الوجه ،وقيل:شديد السمن،وقيل:نحيف الجسم،وهي من الأضداد.

[7] **الْمُكَلْثَم**:المستدير الوجه،ولا يكون إلا مع كثرة اللحم.

[8] **ضَرْبَ اللَّحْمِ**:أي خفيف اللحم.

[9] رواه البخاري:١٨٩/٤،برقم: ٣٥٦١،و مسلم: ١٨١٤/٤،برقم:٢٣٣٠،واللفظ لمسلم.

[10] رواه مسلم:١٨١٤/٤،برقم: ٢٣٢٩،والطبراني في الكبير:٢٢٨/٢،برقم: ١٩٤٤،وابن ابي شيبة في مصنفه:٣٢٣/٦،برقم: ٣١٧٦٥،**قال النووي**: وَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ بَيَانُ طِيبِ رِيحِهِ ﷺ وَهُوَ مِمَّا أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، **قَالَ الْعُلَمَاءُ**: كَانَتْ هَذِهِ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ صِفَتَهُ ﷺ وَإِنْ لَمْ يَمَسَّ طِيبًا وَمَعَ هَذَا فَكَانَ يَسْتَعْمِلُ الطِّيبَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ مُبَالَغَةً فِي طِيبِ رِيحِهِ لِمُلَاقَاةِ الْمَلَائِكَةِ وَأَخْذِ الْوَحْيِ الْكَرِيمِ وَمُجَالَسَةِ الْمُسْلِمِينَ.(شرح النووي على مسلم:٨٥/١٥).

دَارِ أَنَسٍ فَعَرِقَ ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ بِقَارُورَةٍ تَجْمَعُ فِيهَا عَرَقَهُ ، فَسَأَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ: (**نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا ، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ**)[1] ، وقال أبو بكر رضي الله عنه حِيْنَ قَبَّلَ النَبِيَّ ﷺ بَعْدَ مَوْتِهِ: (**طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا**)[2] .

(الفَصْلُ الرَّابِعُ)

وُفُورِ عَقْلِهِ، وَذَكَاءِ لُبِّهِ ، وَفَصَاحَةِ لِسَانِهِ، وَقُوَّةُ حَوَاسِهِ وَاعتِدالِ حركَاتِهِ ﷺ

قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ : قَرَأْتُ فِي أَحَدٍ وَسَبْعِينَ كِتَابًا فَوَجَدْتُ فِي جَمِيعِهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرْجَحُ النَّاسِ عَقْلًا وأَفْضَلُهُمْ رَأْيًا.

وَفِي الْمُوَطَّأِ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : (**إِنِّي لأَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي**)[3].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: (**مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْرَعَ مِنْ رَسُولُ الله ﷺ فِي مَشْيِهِ كَأَنَّمَا الْأَرْضَ تُطْوَى لَهُ، وَإِنَّا لَنُجْهِدُ أَنْفُسَنَا وَهُوَ غَيْرُ مكترث**)[4].

---

[1] رواه مسلم:١٨١٥/٤،برقم: ٢٣٣١،وأبو داود في سننه:٥٥١/٣،برقم: ٢١٩١،وأحمد في مسنده:٣٨٧/١٩،برقم: ١٢٣٩٦ ،والطبراني في الكبير:٢٥/ ١١٩،برقم:٢٨٩،وفي رواية لمسلم: (**فَقَالَ عِنْدَنَا، فَعَرِقَ**) ، قال النوويُّ: (**فَقَالَ عِنْدَنَا فَعَرِقَ**) أَيْ نَامَ لِلْقَيْلُولَةِ ، وكَانَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ من مَحَارِمِه ﷺ ، وفِيهِ الدُّخُولُ عَلَى الْمَحَارِمِ وَالنَّوْمُ عِنْدَهُنَّ وَفِي بُيُوتِهِنَّ.

[2] رواه البخاري:٦/٥،برقم: ٣٦٦٧،والبزار في مسنده:١/ ١٨٢،برقم:١٠٣.

[3] رواه البخاري في صحيحه:٩١/١،برقم: ٤١٨،ومسلم:٣١٩/١،برقم: ٤٢٤،ومالك في موطأه:١٦٧/١،برقم: ٧٠،قال **ابن حجر**: وَالْمُخْتَارُ أَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى ظَاهِرِهِ وَأَنَّ هَذَا الْإِبْصَارَ إِدْرَاكٌ حَقِيقِيٌّ خَاصٌّ بِهِ ﷺ انْخَرَقَتْ لَهُ فِيهِ الْعَادَةُ.(فتح الباري:٥١٤/١)

[4] **صحيح**، رواه أحمد في مسنده:٢٥٨/١٤،برقم: ٨٦٠٤،والترمذي في سننه:٤٢/٦،برقم: ٣٦٤٨،وابن حبان في صحيحه:٢١٥/١٤،برقم: ٦٣٠٩.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وفِي صِفَتِهِ عَلَيه الصَّلاةُ وَالسَّلام: (**أَنَّ ضَحِكَهُ كَانَ تَبَسُّمًا، إِذَا الْتَفَتَ الْتَفَتَ مَعًا، وَإِذَا مَشَى مَشَى تَقَلُّعًا، كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ من صبَبٍ**)[1].

(الفَصْلُ الخَامِسُ)

فَصَاحَةُ لِسَانِهِ وَبَلاغَتَه ﷺ

وَفِي كَلَامِهِ مَالَا يُوَازَى فَصَاحَةً ، وَلَا يُبَارَى بَلاغَةً ؛ كَقَوْلِهِ:(**المرء مَعَ مَنْ أَحَبَّ**)[2] ،وَ(**النَّاسُ مَعَادِنِ**)[3]، و(**المُسْتَشَارُ مُؤتَمَن**)[4] ، وَ(**رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ خَيْرًا فَغَنِمَ ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ**)[5]، وَ(**إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجَالِسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُم أَخْلَاقاً**)[6] ، وَ(**نَهْيِهِ عَنْ قِيْلِ وَقَالَ ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ ،وَمَنْعٍ وَهَاتِ ،وَعُقُوقِ الْأُمَّهَاتِ ،وَوَأْدِ الْبَنَاتِ**)[7]، وَقَوْلُهُ:(**اتَّقِ**

---

[1] **صحيح** ، رواه الترمذي سننه:٥٩٨/٥،برقم: ٣٦٣٧،وفي الشمائل:٣٢/١،برقم: ٧، مطولاً ،وأحمد في مسنده:١٧٩/٢،برقم: ٧٩٦،والبخاري في الأدب المفرد:٤٥٥/١،برقم: ١٣١٥، قال البغوي: (**تقلع**) أَي: كَانَ قوي المشية يرفع رجلَيْهِ مِن الأَرْض رفعا بَائِنا بِقُوَّة، لَا كمن يمشي اختيالاً، وَيُقَارب خطاه تنعماً.(شرح السنة:٣٢٠/١٢،برقم: ٣٣٥٣).

[2] رواه البخاري في صحيحه:٣٩/٨،برقم: ٦١٦٨،ومسلم:٢٠٣٤/٤،برقم: ٢٦٤٠،وأبو داود في سننه:٣٣٣/٤،برقم: ٥١٢٧،والترمذي في سننه:١٧٣/٤،برقم: ٢٣٨٥.

[3] **صحيح**،رواه أبو داود في سننه:٣٣٣/٤،برقم: ٥١٢٨،والترمذي:٤٢٢/٤،برقم: ٢٨٢٢،وابن ماجه:١٢٣٣/٢،برقم: ٣٧٤٥ وأحمد في مسنده:٤٣/٣٧،برقم: ٢٢٣٦٠.

[4] رواه البخاري في صحيحه:١٩٤/٤،برقم: ٣٣٨٣،ومسلم:١٩٥٨/٤،برقم: ٢٥٢٦.

[5] **حسن لغيره**،رواه البيهقي في شعب الإيمان:٩٣/٧،برقم: ٤٧١٧،والقضاعي في مسنده:٣٣٨/١،برقم: ٥٨١،وابن المقرئ في معجمه:٣٩٤/١،برقم: ١٢٨٤.

[6] **صحيح**، رواه أحمد في مسنده:٢٦٧/٢٩،برقم: ١٧٧٣٢،وابن حبان في صحيحه:١٢/ ٣٦٨،برقم: ٥٥٥٧،والبيهقي في شعب الإيمان:٤٠/٧،برقم: ٤٦١٦.

[7] رواه البخاري في صحيحه:١٠٠/٨،برقم: ٦٤٧٣ ،ومسلم:١٣٤١/٣،برقم: ١٧١٥.

http://mohhanoona.blogspot.com/

اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) [1] ،وَقَالَتْ أُمُّ مَعْبَدٍ فِي وَصْفِهَا لَهُ: حُلْوُ الْمَنْطِقِ فَصْلٌ لَا نَزْرٌ وَلَا هَذْرٌ ، كَأَنَّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتٌ نُظِمْنَ ، وَكَانَ جَهِيرَ الصَّوْتِ حَسَنَ النَّغْمَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [2] .

(الْفَصْلُ السَّادِسُ)

شَرَفُ نَسَبِهِ ، وَكَرَمُ بَلَدِهِ وَمَنْشَئِهِ ﷺ

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (**بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ مِنْهُ**)[3]

وَعَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ (**إن اللَّهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**) ، قَالَ التِّرْمِذِيُّ : وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ[4]

---

[1] **صحيح**، رواه الترمذي في سننه:٣٥٥/٤،برقم: ١٩٨٧،وأحمد في مسنده:٤٢٥/٣٥، برقم: ٢١٥٣٦ ،والبيهقي في الشعب:٣٨١/١٠،برقم: ٧٦٦٣.

[2] حديث أم معبد **صحيح** أخرجه الحاكم في المستدرك:١٠/٣،برقم: ٤٢٧٤ ،وقال :هذا حديث صحيح الإسناد ،وقال الذهبيُّ:صحيح ،ورواه الطبرانيُ في الكبير:٤٨/٤،برقم: ٣٦٠٥،قوله: (**فَصْلٌ**) أي: بَيِّنٌ ، (**لا نَزْرٌ وَلا هَذْرٌ**) أي وَسَطٌ ليس بالقليل الكلام ولا بالكثير.

[3] رواه البخاري في صحيحه:١٨٩/٤،برقم: ٣٥٥٧،وأحمد في سمنده:٤٤٦/١٤،برقم: ٨٨٥٧، قوله: (**قرون**): جمع قرن ، وهو الطبقة من الناس المجتمعين في عصر واحد. وقيل: هو مائة سنة ، وقيل غير ذلك.

[4] رواه مسلم في صحيحه:١٧٨٢/٤،برقم: ٢٢٧٦،والترمذي في سننه:٥/٦،برقم: ٣٦٠٥ واللفظ له.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الفَصْلُ السَّابِعُ)

فِيمَا كَانَ التَّمَدُّحُ وَالكَمَالُ بِقِلَّتِهِ

أَمَّا مَا تَدْعُو ضَرُورَةُ الْحَيَاةِ إِلَيْهِ مِمَّا فَصَّلْنَاهُ فَعَلَى ثَلاثَةِ أَضْرُبٍ[١]: ضَرْبٌ الْفَضْلُ فِي قِلَّتِهِ ، وَضَرْبٌ الْفَضْلُ فِي كَثْرَتِهِ ، وَضَرْبٌ تَخْتَلِفُ الْأَحْوَالُ فِيهِ.

فَأَمَّا مَا كان التَّمَدُّحُ وَالْكَمَالُ بِقِلَّتِهِ اتِّفَاقًا وَعَلَى كُلِّ حَالٍ عَادَةً وَشَرِيعَةً ؛ كَالْغِذَاءِ ، وَالنَّوْمِ[٢] ، فَعَنِ المِقْدَامِ بْنُ مَعْدِ يَكْرُب أَنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **(مَا مَلأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ، حَسْبُ ابْنُ آدَمَ أَكُلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ)**[٣]

وَفِي صَحِيحِ الْحَدِيثِ قَوْلُهُ ﷺ : **(أَمَّا أَنَا فَلَا آكُلُ مُتَّكِئًا)**[٤] .

وَالاتِّكَاءُ : هُوَ التَّمَكُّنُ لِلأَكْلِ وَالتَّقَعْدُدِ فِي الْجُلُوسِ لَهُ؛ كَالمُتَرَبِّعِ ، وَشِبْهِهِ مِنْ تَمَكُّنِ الْجِلْسَاتِ الَّتِي يَعْتَمِدُ فِيهَا الْجَالِسُ عَلَى مَا تَحْتَهُ ، وَالْجَالِسُ عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ يَسْتَدْعِي الْأَكْلَ وَيَسْتَكْثِرُ مِنْهُ ، وَلَيْسَ مَعْنَى الْحَدِيثِ فِي الاِتِّكَاءِ الْمَيْلُ عَلَى شِقٍّ عِنْدَ المُحَقِّقِينَ، والنَّبِيُّ ﷺ إِنَّمَا كَانَ جُلُوسُهُ لِلأَكْلِ جُلُوسَ الْمُسْتَوْفِزِ مُقْعِيًا .

وَكَذَلِكَ نَوْمِه ﷺ كَانَ قليلاً شَهِدَت بِذَلِكَ الآثَارُ الصَّحِيحَةُ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَد قَالَ ﷺ : **(إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي)**[١] ، وَكَانَ نَوْمُهُ عَلَى جَانِبِهِ الأَيْمَنِ

---

[١] **أَضْرُبٍ**:أنواع.

[٢] وذلك لأن كثرة الأكل دليل على الإفراط وشدة الشهوة والرغبة فيه والحرص عليه ، وكثرة النوم دليل على الخمول والكسل وقلة النشاط وكلاهما مذمومان.

[٣] **صحيح**،رواه الترمذي في سننه:٥٩٠/٤،برقم: ٢٣٨٠ ،وابن ماجه : ١١١١/٢،برقم: ٣٣٤٩ ،وأحمد في مسنده:٤٢٢/٢٨،برقم: ١٧١٨٦.

[٤] رواه البخاري في صحيحه:٧٢/٧،برقم: ٥٣٩٨ ،وأبو داود في سننه:٣٤٨/٣،برقم: ٣٧٦٩ ،والترمذي :٢٧٣/٤،برقم: ١٨٣٠ ،وأحمد في مسنده:٤٧/٣١،برقم: ١٨٧٥٤ .

اسْتِظْهَارًا عَلَى قِلَّةِ النَّوْمِ ؛ لِأَنَّهُ عَلَى الْجَانِبِ الأيْسَرِ أَهْنَأُ لِهُدُوِّ الْقَلْبِ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنَ الْأَعْضَاءِ الباطنة حِينَئِذٍ لِمَيْلِهَا إِلَى الْجَانِبِ الأَيْسَرِ ، فَيَسْتَدْعِي ذَلِكَ الاسْتِثْقَالَ فِيهِ وَالطَّوْلَ، وَإِذَا نَامَ النَّائِمُ عَلَى الأَيْمَنِ تَعَلَّقَ الْقَلْبُ وَقَلِقَ فَأَسْرَعَ الإِفَاقَةَ وَلَمْ يَغْمرْهُ الاسْتِغْرَاقُ.

(الفَصْلُ الثَّامِنُ)

فِيْما التَّمَدُّحُ بِكَثْرَتِه

وَالضَّرْبُ الثَّانِي: مَا يَتَّفِقُ التَّمَدُّحُ بِكَثْرَتِهِ وَالْفَخْرُ بِوُفُورِهِ كَالنِّكَاحِ ، وَالْجَاهِ ، وَقَد قَال ﷺ :(**تَزَوَّجُوا الْوَلُودَ الْوَدُودَ، فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ**)[2]

وَقَدْ رُوِّينَا عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّهُ ﷺ (**كَانَ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ فِي السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةً**، قَالَ أَنَسٌ: **وَكُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلَاثِينَ رَجُلا**)[3] .

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:٥٣/٢،برقم:١١٤٧،ومسلم:٥٠٩/١،برقم: ٧٣٨،وأبو داود في سننه:٥٢/١،برقم:٢٠٢،والترمذي:٣٠٢/٢،برقم: ٤٣٩،ومالك في موطأه :١٢٠/١، برقم:٩.

[2] **صحيح**، رواه أبو داود في سننه:٢٢٠/٢،برقم: ٢٠٥٠ ،والنسائي:٦٥/٦،برقم: ٣٢٢٧ ،وأحمد في مسنده:٦٣/٢٠،برقم: ١٢٦١٣ ،والحاكم في المستدرك:١٧٦/٢، برقم: ٢٦٨٥، قوله: (**تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ**) أَيِ: الَّتِي تُحِبُّ زَوْجَهَا (**الْوَلُودَ**) أَيِ: الَّتِي تَكْثُرُ وِلَادَتُهَا ، وَقَيَّدَ بِهَذَيْنِ ؛ لِأَنَّ الْوَلُودَ إِذَا لَمْ تَكُنْ وَدُودًا لَمْ يَرْغَبِ الزَّوْجُ فِيهَا ، وَالْوَدُودَ إِذَا لَمْ تَكُنْ وَلُودًا لَمْ يَحْصُلِ الْمَطْلُوبُ ، وَهُوَ تَكْثِيرُ الْأُمَّةِ بِكَثْرَةِ التَّوَالُدِ، وقوله: (**فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ**) أَيْ: مُفَاخِرٌ بِسَبَبِكُمْ سَائِرَ الْأُمَمِ لِكَثْرَةِ أَتْبَاعِي.(عون المعبود، وحاشية ابن القيم:٣٤/٦،٣٣)

[3] رواه البخاري:٦٢/١،برقم: ٢٦٨ ،ومسلم:٢٤٩/١،برقم: ٣٠٩ ،وأبو داود في سننه:٥٦/١، برقم: ٢١٨ ،وأحمد في مسنده:٤٧٢/٢١،برقم: ١٤١٠٩ ،وابن حبان في صحيحه:٨/٤،برقم: ١٢٠٧ ،والنسائي في السنن الكبرى:٢٠٧/٨،برقم: ٨٩٨٤ واللفظ له، (**يَدُورُ**): أي فيجامعهن.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الْفَصْلُ التَّاسِعُ)

فِيمَا تَخْتَلِفُ الْحَالَاتُ فِي التَّمَدُّحِ بِهِ، وَالتَّفَاخُرِ بِسَبَبِهِ

وَأَمَّا الضَّرْبُ الثَّالِثُ: فَهُوَ مَا تَخْتَلِفُ الْحَالَاتُ فِي التَّمَدُّحِ بِهِ، وَالتَّفَاخُرِ بِسَبَبِهِ، وَالتَّفْضِيلِ لِأَجْلِهِ، كَكَثْرَةِ الْمَالِ ، فَصَاحِبُهُ عَلَى الْجُمْلَةِ مُعَظَّمٌ عِنْدَ الْعَامَّةِ ، فإن كان قصده الثَّنَاءُ الحَسَن، وَالمَنْزِلَةِ من الْقُلُوبِ، كَانَ فَضِيلَةً فِي صَاحِبِهِ عِنْدَ أَهْلِ الدُّنْيَا ، وإِذَا صَرَفَهُ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ، وَأَنْفَقَهُ في سُبُلِ الْخَيْرِ، وَقَصَدَ بِذَلِكَ اللَّهَ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ رَبِحَ الدُّنيَا وَالآخِرَةَ.

وَمَتَى كَانَ صَاحِبُهُ مُمْسِكًا لَهُ، غَيْرَ مُوَجِّهِهِ وُجُوهَهُ، كَانَ المالُ مَنْقَصَةً فِي صَاحِبِهِ بَل أَوقَعَهُ فِي هُوَّةِ[1] رَذِيْلَةِ البُخْلِ وَمَذَمَّةِ النَذَالَةِ[2].

فانْظُر سِيرَةَ نَبِيْنا ﷺ وَخُلُقُه فِي المَالِ تَجِدْهُ قَدْ أُوتِيَ خَزَائِنَ الْأَرْضِ ، وَمَفَاتِيحَ الْبِلَادِ ، وَأُحِلَّتْ لَهُ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تُحَلَّ لِنَبِيٍّ قَبْلَهُ ، وَفُتِحَ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ ﷺ بِلَادُ الْحِجَازِ وَالْيَمَنِ وَجَمِيعُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ[3]، وَجُلِبَتْ إِليْهِ مِنْ أَخْمَاسِهَا وَجِزْيَتِهَا وصدقاتها، فَمَا استَأْثَرَ بِشَيءٍ مِنْهُ ، وَلَا أَمْسَكَ مِنْهُ دِرْهَمًا ، بَلْ صَرَفَهُ مَصَارِفَهُ ، وَأَغْنَى بِهِ غَيْرَهُ ، وَقَوَّى بِهِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَالَ: **(مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لي أُحُدًا ذَهَبًا يَبِيتُ عِندِي مِنْهُ دِينَارٌ إِلَّا دِينَارٌ أَرْصُدُهُ لِدَينٍ عَلَيَّ)**[4] ، وَمَاتَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ

---

[1] **الهُوَّة**: الحفرة البعيدة القعر.

[2] **النَذَالَة**: الخِسَّةُ والحَقارة والسفالة.

[3] **جَزِيرَةِ الْعَرَبِ**: هي المنطقة ما بين أقصى عدن في اليمن إلى ريف العراق في الطول، وأما العرض فهي من جُدَّة إلى أطراف الشام.

[4] رواه البخاري في صحيحه:١١٦/٣،برقم: ٢٣٨٩، ومسلم:٦٨٧/٢،برقم: ٩٩١،وأبو داود في مسنده:١٢٦/٤،برقم: ٢٤٩٣،وأحمد في مسنده:٤٥٦/١٢،برقم: ٧٤٨٤،وقوله: **(أَرْصُدُهُ لِدَينٍ)** أي: أحفظه لكي أؤدي به الدَّيْن الذي عليَّ.

http://mohhanoona.blogspot.com/

فِي نَفَقَةِ عِيَالِهِ[1]، وَاقْتَصَرَ مِنْ نَفَقَتِهِ وَمَلْبَسِهِ وَمَسْكَنِهِ عَلَى مَا تَدْعُوهُ ضَرُورَتُهُ إلَيْهِ.

والْمُبَاهَاةُ فِي الْمَلَابِسِ وَالتَّزَيُّنُ بِهَا، لَيْسَتْ مِنْ خِصَالِ الشَّرَفِ وَالْجَلَالَةِ، وَهِيَ مِنْ سِمَاتِ النِّسَاءِ.

وَالْمَحْمُودُ مِنْهَا نَقَاوَةُ الثَّوْبِ وَالتَّوَسُّطُ فِي جِنْسِهِ، غَيْرُ مُسْقِطٍ لِلمُرُوءَةِ،و لَا يُؤَدِّي إِلَى الشُّهْرَةِ.

وَقَدْ ذَمَّ الشَّرْعُ التَّبَاهِي بِجَوْدَةِ الْمَسْكَنِ وَسَعَةِ الْمَنْزِلِ وَتكْثِيرِ آلاتِهِ وَخَدَمِهِ وَمَركوبَاتِهِ.

(الْفَصْلُ الْعَاشِرُ)

الْأَخْلَاقُ الْحَمِيدَةُ

و**حُسْنِ الْخُلُقِ**: هُوَ الِاعْتِدَالُ فِي قُوَى النَّفْسِ، وَأَوْصَافِهَا وَالتَّوَسُّطُ فِيهَا، دُونَ الْمَيْلِ إِلَى مُنْحَرِفِ أَطْرَافِهَا.

فَجَمِيعُهَا قَدْ كَانَتْ خُلُقَ نَبِيِّنَا ﷺ عَلَى الانْتِهَاءِ فِي كَمَالِهَا وَالاعْتِدَالَ إِلَى غَايَتِهَا حَتَّى أَثْنَى اللَّهُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خلق عظيم ﴾[القلم:٤] .

قَالَتْ عَائِشَةُ ﵂ : (**كان خُلُقُهُ الْقُرْآنَ يَرْضَى بِرِضَاهُ وَيَسْخَطُ بِسَخَطِهِ)**[2] ،

وَقَالَ ﷺ: (**بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ)**[1] ، قَالَ أَنَسٌ ﵁ : (**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا)**[2].

---

[1] رواه البخاري:٤١/٤، برقم: ٢٩١٦، ومسلم:١٢٢٦/٣،برقم: ١٦٠٣ بمعناه ،وأحمد في مسنده:١٣٧/٤٣،برقم: ٢٥٩٩٨.

[2] رواه مسلم في صحيحه :٥١٢/١،برقم: ٧٤٦،وأبو داود في سننه:٤٠/٢،برقم: ١٣٤٢،وأحمد في مسنده:١٤٨/٤١،برقم: ٢٤٦٠١.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وكان ﷺ مَجْبُولًا عَلَيْهَا فِي أَصْلِ خِلْقَتِهِ، وَأَوَّلِ فِطْرَتِهِ، لَمْ تَحْصُلْ لَهُ بِاكْتِسَابٍ وَلَا رِيَاضَةٍ، إِلَّا بِجُودٍ إِلَهِيٍّ، وَخُصُوصِيَّةٍ رَبَّانِيَّةٍ، وَهَكَذَا لِسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ.

وَهَذِهِ الْأَخْلَاقُ الْمَحْمُودَةُ وَالْخِصَالُ الْجَمِيلَةُ الشَّرِيفَةُ كَثِيرَةٌ وَلَكِنَّنَا نَذْكُرُ أُصُولَهَا وَنُشِيرُ إِلَى جَمِيعِهَا وَنُحَقِّقُ وَصْفَهُ ﷺ بِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

(الْفَصْلُ الْحَادِيَ عَشَر)

فِي نَبَاهَةِ عَقْلِهِ[3] ﷺ

فَالْعَقْلُ هو الَّذِي مِنْهُ يَنْبَعِثُ الْعِلْمُ وَالْمَعْرِفَةُ ، وَيَتَفَرَّعُ مِنْهُ ثُقُوبُ الرَّأْيِ وَجَوْدَةُ الْفِطْنَةِ وَالْإِصَابَةُ وَصِدْقُ الظَّنِّ ، وَالنَّظَرُ لِلْعَوَاقِبِ ، وَمَصَالِحِ النَّفْسِ ، وَمُجَاهَدَةُ الشَّهْوَةِ ، وَحُسْنُ السِّيَاسَةِ وَالتَّدْبِيرِ ، وَاقْتِنَاءُ الْفَضَائِلِ وَتجَنُّبُ الرَّذَائِلِ.

وكَانَتْ مَعَارِفُهُ ﷺ هِيَ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَطْلَعَهُ عَلَيْهِ مِنْ عِلْمِ مَا يَكُونُ وَمَا كَانَ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء:١١٣] ، حَارَتِ الْعُقُولُ فِي تَقْدِيرِ فَضْلِهِ عَلَيْهِ ،وَخَرِسَتِ الْأَلْسُنُ دُونَ وَصْفٍ يُحِيطُ بِذَلِكَ ، أَوْ ينْتَهِي إِلَيْهِ.

---

[1] **صحيح**، رواه البخاري في الأدب المفرد: ١٠٤/١،برقم: ٢٧٣، ،والحاكم في المستدرك: ٦٧٠/٢، برقم: ٤٢٢١ ،وأحمد في مسنده: ٥١٢/١٤،برقم: ٨٩٥٢ بلفظ :**(صالح الأخلاق)**

[2] رواه البخاري في صحيحه: ٤٥/٨،برقم: ٦٢٠٣ ،ومسلم: ٤٥٧/١،برقم: ٦٥٩ ،وأبود داود في سننه: ٢٤٦/٤،برقم: ٤٧٧٣.

[3] ومن الأدلة على رجاحة عقله وصدق فراسته ﷺ : صحة رأيه ، وصواب تدبيره ، وحسن تألفه ، وأنه ما استغفل في مكيدة ، ولا استعجز في شديدة بل كان يلحظ الإعجاز في المبادىء فيكشف عيوبها ويحل خطوبها ، وهذا لا ينتظم إلّا بأصدق وهم وأوضح جزم . (أعلام النبوة: ٢١٧/١).

(الْفَصْلُ الثَّانِي عَشَر)

فِي الحِلْم ، وَالإحتِمَالِ، وَالْعَفْوُ

وَأَمَّا الْحِلْمُ وَالاحْتِمَالُ وَالْعَفْوُ مَعَ المَقْدِرَةِ وَالصَّبْرُ عَلَى مَا يَكرَه ؛ وبَيْنَ هَذِهِ الْأَلْقَابِ فَرْقٌ فَإِنَّ الْحِلْمَ حَالَةُ تَوَقُّرٍ وَثَبَاتٍ عِنْدَ الْأَسْبَابِ الْمُحرِّكَاتِ، والاحْتِمَالَ حَبْسُ النَّفْسِ عِنْدَ الآلامِ وَالْمُؤْذِيَاتِ ، وَمِثْلُهَا الصَّبْرُ ، وَمَعَانِيهَا مُتَقَارِبَةٌ، وَأَمَّا الْعَفْوُ فَهُوَ تَرْكُ الْمُؤَاخَذَةِ ، وَهَذَا كُلُّهُ مِمَّا أَدَّبَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ .

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[الأعراف:١٩٩] ، وَقَالَ لَهُ : ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[لقمان:١٧] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا العَزْمِ مِن الرسل﴾[الأحقاف:٣٥] ، وَقَالَ: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[النور:٢٢] ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عزم الأمور﴾[الشورى:٢٣].

وَلَا خَفَاءَ بِمَا يُؤْثَرُ مِنْ حِلْمِهِ وَاحْتِمَالِهِ، وَأَنَّ كُلَّ حَلِيمٍ قَدْ عُرِفَتْ مِنْهُ زَلَّةٌ[١] وَحُفِظَتْ عَنْهُ هَفْوَةٌ[٢] ، وَهُوَ ﷺ لَا يَزِيدُ مَعَ كَثْرَةِ الْأَذَى إِلَّا صَبْرًا ، وَعَلَى إِسْرَافِ الْجَاهِلِ إِلَّا حِلْمًا.

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَت: **(مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا ، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ بِهَا)**[٣].

---

[١] **زَلَّةٌ:** سقطة ،وخطيئة.

[٢] **هَفْوَةٌ:**غلطة.

[٣] رواه البخاري في صحيحه:١٦٠/٨،برقم: ٦٧٨٦،ومسلم:١٨١٣/٤،برقم: ٢٣٢٧ بمعناه، وأبو داود في سننه:٢٥٠/٤،برقم: ٤٧٨٥.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ ، وَشُجَّ وَجْهُهُ يَوْمَ أُحُدٍ[1] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِهِ شَقًّا شَدِيدًا ، وَقَالُوا : لَوْ دَعَوْتَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ: **(إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وَلَكِنِّي بُعِثْتُ دَاعِيًا وَرَحْمَةً، اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)**[2]

فانظُر مَا فِي هَذَا الْقَوْلِ مِنْ جِمَاعِ الْفَضْلِ ، وَدَرَجَاتِ الْإِحْسَانِ ، وَحُسْنِ الْخُلُقِ ، وَكَرَمِ النَّفْسِ ، وَغَايَةِ الصَّبْرِ وَالْحِلْمِ، إِذْ لَمْ يَقْتَصِرْ ﷺ عَلَى السُّكُوتِ عَنْهُمْ حَتَّى عَفَا عَنْهُمْ ، ثُمَّ أَشْفَقَ عَلَيْهِمْ وَرَحِمَهُمْ ، وَدَعَا وَشَفَعَ لَهُمْ ، فَقَالَ: **(اللَّهُمَّ اغْفِرْ أَوِ اهْدِ)** ، ثُمَّ أَظْهَرَ سَبَبَ الشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ بِقَوْلِهِ: **(لِقَوْمِي)**، ثُمَّ اعْتَذَرَ عَنْهُمْ بِجَهْلِهِمْ فَقَالَ : **(فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)**.

قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها :**(مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُنْتَصِرًا مِنْ مَظْلَمَةٍ ظُلِمَهَا قَطُّ مَا لَمْ تَكُنْ حُرْمَةً مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ ، وَمَا ضَرَبَ بِيَدِهِ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَمَا ضَرَبَ خَادِمًا وَلَا امْرَأَةً)**[3].

---

[1] **غزوة أحد** (٧/شوال/٣هـ): وسميت بذلك نسبة إلى جبل أحد الذي كان يقف عليه الرماة من المسلمين ، وهو شمال المدينة المنورة ، وكان عدد المسلمين ٧٠٠ مقاتل ،وعدد المشركين ٣ آلاف مقاتل بقيادة أبو سفيان بن حرب ، قُتِلَ في هذه المعركة ٧٠ صحابياً منهم حمزة عمُّ النبي ﷺ.

[2] رواه مسلم:٢٠٠٦/٤،برقم: ٢٥٩٩،والبخاري في الأدب:١١٩/١،برقم: ٣٢١، والطبراني في الكبير:١٩/ ١٨٩،برقم:٤٢٤ بدون (**اللهم اهد قومي..**)إلخ ، وقوله:(**رَبَاعِيَتُهُ**)أي:الأسنان التي تلي الثنيَّة من كلا الجانبين،وللإنسان أربع رباعيات، (**شُجَّ**)أي:جُرِحَ.

[3] **صحيح**،أخرج الفقرة الأولى منه الترمذي في الشمائل :٢٨٨/١،برقم: ٣٤٩ ،والحميدي في مسنده:٢٨٧/١،برقم: ٢٦٠،وأبو يعلى:٣٣٩/٧،برقم: ٤٣٧٥ ،وهي في البخاري: ١٨٩/٤،برقم: ٣٥٦٠، ومسلم:١٨١٣/٤،برقم: ٢٣٢٧ بلفظ:(**وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ**)،وباقي الحديث أخرجه مسلم:١٨/٤،برقم: ٢٣٢٨.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الْفَصْلُ الثَّالِثَ عَشَرَ)

الْجُودُ ، وَالْكَرَمُ ، وَالسَّخَاءُ ، وَالسَّمَاحَةُ

وَمَعَانِيهَا مُتَقَارِبَةٌ ، وَقَدْ فَرَّقَ بَعْضُهُمْ بَيْنَهَا بِفُرُوقٍ ، فَجَعَلُوا الْكَرَمَ الإِنْفَاقَ بِطِيبِ النَّفْسِ فِيمَا يَعْظُمُ خَطَرُهُ وَنَفْعُهُ وَسَمَّوْهُ ، أَيْضًا جُرْأَةً ، وَهُوَ ضِدُّ النَّذَالَةِ ، وَالسَّمَاحَةُ التَّجَافِي عَمَّا يَسْتَحِقُّهُ الْمَرْءُ عِنْدَ غَيْرِهِ بِطِيبِ نَفْسٍ ،وَهُوَ ضِدُّ الشَّكَاسَةِ ، وَالسَّخَاءُ سُهُولَةُ الإِنْفَاقِ ، وَتَجَنُّبُ اكْتِسَابِ مالا يُحْمَدُ ، وَهُوَ الْجُودُ ، وَهُوَ ضِدُّ التَّقْتِيرِ، فَكَانَ ﷺ لَا يُوازَى فِي هَذِهِ الأَخْلَاقِ الْكَرِيمةِ وَلَا يُبَارَى ، بِهَذَا وَصَفَهُ كُلُّ مَنْ عَرَفَهُ.

وَعَنْ جَابِرِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه يَقُولُ: (**مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عن شئ فَقَالَ لا**)[1].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما:(**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ ، وَأَجْوَدُ مَا كَانَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَكَانَ إِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ**)[2]

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:١٣/٨،برقم: ٦٠٣٤،ومسلم:١٨٠٥/٤،برقم: ٢٣١١،وأحمد في مسنده:١٩٨/٢٢،برقم: ١٤٢٩٤،**قال ابن حجر:** وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ يُعْطِي مَا يُطْلَبُ مِنْهُ جَزْمًا ، بَلِ الْمُرَادُ أَنَّهُ لَا يَنْطِقُ بِالرَّدِّ ؛ بَلْ إِنْ كَانَ عِنْدَهُ أَعْطَاهُ إِنْ كَانَ الْإِعْطَاءُ سَائِغًا ، وَإِلَّا سَكَتَ.(فتح الباري:٤٥٧/١٠).

[2] رواه البخاري في صحيحه:٨/١،برقم: ٦،ومسلم:١٨٠٣/٤،برقم: ٢٣٠٨،وأحمد في مسنده:٣٧٥/٤،برقم: ٢٦١٦،**قال ابن حجر:** وَمَعْنَى (**أَجْوَدِ النَّاسِ**):أَكْثَرَ النَّاسِ جُودًا ، وَالْجُودُ: الْكَرَمُ ، وَهُوَ مِنَ الصِّفَاتِ الْمَحْمُودَةِ، وَ(**الْمُرْسَلَةُ**): أَيِ الْمُطْلَقَةُ يَعْنِي أَنَّهُ فِي الْإِسْرَاعِ بِالْجُودِ أَسْرَعُ مِنَ الرِّيحِ، **وَقَالَ النَّوَوِيُّ:** فِي الْحَدِيثِ فَوَائِدُ مِنْهَا: الْحَثُّ عَلَى الْجُودِ فِي كُلِّ وَقْتٍ ، وَمِنْهَا الزِّيَادَةُ فِي رَمَضَانَ وَعِنْدَ الِاجْتِمَاعِ بِأَهْلِ الصَّلَاحِ، وَفِيهِ زِيَارَةُ الصُّلَحَاءِ وَأَهْلِ الْخَيْرِ وَتَكْرَارُ ذَلِكَ إِذَا كَانَ الْمَزُورُ لايكرهه ، وَاسْتِحْبَابُ الْإِكْثَارِ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي رَمَضَانَ وَكَوْنُهَا أَفْضَلَ مِنْ سَائِرِ الْأَذْكَارِ ؛ إِذْ لَوْ كَانَ الذِّكْرُ أَفْضَلَ أَوْ مُسَاوِيًا لَفَعَلَاهُ ،وَأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ رَمَضَانُ مِنْ غَيْرِ إِضَافَةٍ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يَظْهَرُ بِالتَّأَمُّلِ.(فتح الباري:٣٠،٣١/١)

وَعَنْ أَنَسٍ ﷺ :(**أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ وَقَالَ أَسْلِمُوا ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لَا يَخْشَى فَاقَةً)** [1] ، وَالْخَبَرُ بِجُودِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَكَرَمِهِ كَثِيرٌ.

(الْفَصْلُ الرَّابِعَ عَشَرَ)

الشَّجَاعَةُ وَالنَّجْدَةُ

فَالشَّجَاعَةُ فَضِيلَةُ قُوَّةِ الْغَضَبِ وَانْقِيَادِهَا لِلْعَقْلِ ، وَالنَّجْدَةُ ثِقَةُ النَّفْسِ عِنْدَ اسْتِرْسَالِهَا إِلَى الْمَوْتِ حَيْثُ يُحْمَدُ فِعْلُهَا دُونَ خَوْفٍ ، وَكَانَ ﷺ مِنْهُمَا بِالْمَكَانِ الَّذِي لَا يُجْهَلُ، قَدْ حَضَرَ الْمَوَاقِفَ الصَّعْبَةَ ، وَفَرَّ الْكُمَاةُ [2] ، وَالْأَبْطَالُ عَنْهُ مَرَّةٍ ، وَهُوَ ثَابِتٌ لَا يَبْرَحُ ، وَمُقْبِلٌ لَا يُدْبِرُ وَلَا يَتَزَحْزَحُ ، وما شُجَاعٌ إِلَّا وَقَدْ أُحْصِيَتْ لَهُ فَرَّةٌ وَحُفِظَتْ عَنْهُ جَوْلَةٌ سِوَاهُ.

عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِلْبَرَاءِ: أَفَرَرْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ [3] عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: لَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَفِرَّ ، ثُمَّ قَالَ:(**لَقَدْ رَأَيْتُهُ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ وَأَبُو**

---

[1] رواه مسلم في صحيحه:١٨٠٦/٤،برقم: ٢٣١٢،وأحمد في مسنده:١٨٥/٢٠،برقم: ١٢٧٩٠،وابن حبان في صحيحه:٢٨٨/١٤،برقم: ٦٣٧٤، **(رَجُلاً)** هو صفوان بن أمية ، **(فَأعطَاهُ غَنَماً بَيْنَ جَبَلَيْن)** أي: كثيرة كأنها تملأ ما بين جبلين،قال النووي: وَفِي هَذَا مَعَ مَا بَعْدَهُ اعطاء المؤلفة ولاخلاف فِي إِعْطَاءِ مُؤَلَّفَةِ الْمُسْلِمِينَ. (شرح النووي على مسلم:٧٢/١٥).

[2] **الْكُمَاةُ**:الرجال الأشداء الشجعان.

[3] **غزوة حنين** (١٠/شوال/٨هـ) ، وقعت في وادي حنين بين مكة والطائف-جنوب غرب الجزيرة العربية- بعد فتح مكة ،بين قبيلتي هوازن وثقيف من جهة والمسلمون من جهة أخرى،وانتصر المسلمون عليهم بعد قتال شديد.

سُفْيَانَ[1] **آخِذٌ بِلِجَامِهَا والنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ)**، وَزَادَ غَيْرُهُ: **(أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ**، قيل: **فَمَا رُئِىَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْهُ)**[2].

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قال:(**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ لَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً ، فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَاجِعًا قَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ ، وَقَدِ اسْتَبْرَأَ الْخَبَرَ عَلَى فَرَسٍ لأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٌ ، وَالسَّيْفُ فِي عُنُقِهِ وَهُوَ يَقُولُ لَنْ تُرَاعُوا)**[3].

(الْفَصْلُ الْخَامِسَ عَشَرَ)

الْحَيَاءُ، وَالْإِغْضَاءُ

فَالْحَيَاءُ رِقَّةٌ تَعْتَرِي وَجْهَ الْإِنْسَانِ عِنْدَ فِعْلِ مَا يُتَوَقَّعُ كَرَاهِيَتُهُ أَوْ مَا يَكُونُ تَرْكُهُ خَيْرًا مِنْ فِعْلِهِ ، وَالْإِغْضَاءُ التَّغَافُلُ عَمَّا يَكْرَهُ الْإِنْسَانُ بِطَبِيعَتِهِ ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ النَّاسِ حَيَاءً وَأَكْثَرَهُمْ عَنِ الْعَوْرَاتِ إِغْضَاءً.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ [الأحزاب:٥٣] .

[1] **أَبُو سُفْيَانَ**: هو ابن الحارث ،ابن عمِّ رسول الله ﷺ.

[2] رواه البخاري في صحيحه:٣٠/٤،برقم: ٢٨٦٤،ومسلم:١٤٠١/٣،برقم: ١٧٧٦،وأحمد في مسنده:٤٢٥/٣٠،برقم: ١٨٤٧٥.

[3] رواه البخاري في صحيحه:١٣/٨،برقم: ٦٠٣٣،ومسلم:١٨٠٢/٤،برقم: ٢٣٠٧،وابن ماجه في سننه:٩٢٦/٢،برقم: ٢٧٧٢،وأحمد في مسنده:٤٧٧/١٩،برقم:،١٢٤٩٤،**(قبل الصوت)** أي: نحوه. **(استبرأ الخبر)** حققه وتبينه ،**(عُرْي)** أي لا سرج عليه ولا غيره، **(لن تُراعوا)** أي : لا تخافوا .

http://mohhanoona.blogspot.com/

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، قال:(**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ**)[1].

وَرَوى أَنَسٌ ﷺ أَنَّهُ دَخَل عَلَيْهِ رَجُلٌ بِهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ ، فَلَمْ يَقُلْ لَهُ شَيْئًا ،وَكَانَ لَا يُوَاجِهُ أَحَدًا بِمَا يَكْرَهُ ،فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ:(**لَوْ قُلْتُمْ لَهُ يَغْسِلُ هَذَا**)، وَيُرْوَى (**يَنْزِعُهَا**)[2].

(الفَصْلُ السَّادسِ عَشَر)

حُسْنُ العِشْرَةِ ، وَالأَدَبِ ، وبَسْطُ الخُلُقِ

وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُؤَلِّفُ أَصْحَابَهُ ، وَلَا يُنَفِّرُهُمْ ، وَيُكْرِمُ كَرِيمَ كُلِّ قَوْمٍ وَيُوَلِّيهِ عَلَيْهِم، وَيَحْذَرُ النَّاسَ ، وَيَحْتَرِسُ مِنْهُمْ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْوِيَ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ بِشْرَهُ ، وَلَا خُلُقَهُ، يَتَعَهَّدُ أَصْحَابَهُ ، وَيُعْطِي كُلَّ جُلَسَائِهِ نَصِيبَهُ، لَا يَحْسَبُ جَلِيسُهُ أَنَّ أَحَدًا أَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْهُ ، مَنْ جَالَسَهُ أَوْ قَارَبَهُ لِحَاجَةٍ صَابَرَهُ[3] حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُنْصَرِفَ عَنْهُ ، وَمَنْ سَأَلَهُ حَاجَةً لَمْ يَرُدَّهُ إِلَّا بِهَا ، أَوْ بِمَيْسُورٍ مِنَ الْقَوْلِ ، قَدْ وَسِعَ النَّاسَ بَسْطُهُ وَخُلُقُهُ ، فَصَارَ لَهُمْ أَبًا ، وَصَارُوا عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً.

[1] رواه البخاري في صحيحه:١٩٠/٤،برقم: ٣٥٦٢،ومسلم:١٨٠٩/٤،برقم: ٢٣٢٠،واحمد في مسنده:٢١٧/١٨،برقم: ١١٦٨٣.

[2] **حسن لغيره**، أخرجه أحمد :٣٦٦/١٣،برقم: ١٢٣٦٧،والبخاري في الأدب:١٥٦/١،برقم: ٤٣٧ ،وأبو داود في سننه:٨١/٤،برقم: ٤١٨٢ ، (**وبه أثر صفرة**) أي: الطيب المتخذ من الزعفران (**يَغْسِلُ هَذَا**):عن بدنه أو ثوبه، وسبب ذلك لأن الصفرة من أثر طيب النساء ، ويكره للرجل أن يتطيب بما له لون ، بل يتطيب بما له رائحة فقط .

[3] **صَابَرَهُ** :أي حبس نفسه على ما يريده .

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى :﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لا نْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾[آل عمران:١٥٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾[فصّلت:٣٤] .

وَكَانَ يُجِيبُ مَنْ دَعَاهُ، وَيَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَلَوْ كَانَتْ كُرَاعَاً[1] وَيُكَافِئُ عَلَيْهَا.
قَالَ أَنَسٌ ﷺ :(**خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ ، فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ قَطُّ ، وَمَا قال لشئ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَهُ ، ولا لشئ تَرَكْتُهُ لَمْ تَرَكْتَهُ**)[2].

وَقَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الله ﷺ :(**مَا حَجَبَنِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَطُّ مُنْذُ أَسْلَمْتُ ، وَلَا رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ**)[3]

وَكَانَ ﷺ يُمَازِحُ أَصْحَابَهُ ، وَيُخَالِطُهُمْ ، وَيُحَادِثُهُمْ ، وَيُدَاعِبُ صِبْيَانَهُمْ ، وَيُجْلِسُهُمْ فِي حِجْرِهِ ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْحُرِّ وَالْعَبْدِ وَالْأَمَةِ وَالْمِسْكِينِ، وَيعودُ الْمَرْضَى فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ ، وَيَقْبَلُ عُذْرَ الْمُعْتَذِرِ.

وَكَانَ ﷺ يَبْدَأُ مَنْ لَقِيَهُ بِالسَّلَامِ ، وَيَبْدَأُ أَصْحَابَهُ بِالْمُصَافَحَةِ ، لَمْ يُرَ قَطُّ مَادًّا رِجْلَيْهِ بَيْنَ أَصْحَابِهِ حَتَّى يُضَيِّقَ بِهِمَا عَلَى أَحَدٍ، يُكْرِمُ مِنْ يَدْخُلُ عَلَيْهِ ، وَرُبَّمَا بَسَطَ لَهُ ثَوْبَهُ ، وَيُؤْثِرُهُ بِالْوِسَادَةِ الَّتِي تَحْتَهُ ، وَيَعْزِمُ عَلَيْهِ فِي الْجُلُوسِ عَلَيْهَا إِنْ أَبَى ، ويُكَنِّي أَصْحَابَهُ ، وَيَدْعُوهُمْ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِمْ تَكْرِمَةً لَهُمْ ، وَلَا يَقْطَعُ

---

[1] **كُرَاعَاً**: هي ساق الشاة النحيفة ؛ وتكون قليلة اللحم.

[2] رواه البخاري في صحيحه:١٤/٨،برقم: ٦٠٣٨،ومسلم:١٨٠٤/٤،برقم: ٢٣٠٩،وأحمد في مسنده:٧٧/٢١،برقم: ١٣٣٧٣.

[3] رواه البخاري في صحيحه:٣٩/٥،برقم: ٣٨٢٢،ومسلم:١٩٢٥/٤،برقم: ٢٤٧٥،والترمذي في سننه:١٥٨/٦،برقم: ٣٨٢١،وفي رواية (**وَلَا رَآنِي إِلَّا ضَحِكَ**).

http://mohhanoona.blogspot.com/

عَلَى أَحَدٍ حَدِيثَهُ حَتَّى يَتَجَوَّزَ[1] فَيَقْطَعَهُ بِنَهْيٍ أَوْ قِيَامٍ ، وَكَانَ أَكْثَرَ النَّاسِ تَبَسُّمًا ، وَأَطْيَبَهمْ نَفْسًا مَا لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ قُرْآنٌ أَوْ يَعِظْ أَوْ يَخْطُبْ.

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه :(**كَانَ خَدَمُ الْمَدِينَةِ يَأْتُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ بِآنِيَتِهِمْ فِيهَا الْمَاءُ فَمَا يُؤْتَى بِآنِيَةٍ إِلَّا غَمَسَ يَدَهُ فِيهَا ، وَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ فِي الْغَدَاةِ الْبَارِدَةِ)**[2] يُرِيدُونَ بِهِ التَّبَرُّكَ.

---

[1] **يَتَجَوَّزَ**:يتعدى.

[2] رواه مسلم في صحيحه:١٨١٢/٤،برقم: ٢٣٢٤،وأحمد في مسنده:٣٩٣/١٩،برقم: ١٢٤٠١.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الفَصْلُ السّابِعَ عَشَر)

الشَفَقَة وَالرَّحمَة

أَمَّا الشَّفَقَةُ وَالرَّأَفَةُ وَالرَّحْمَةُ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم﴾[التوبة:١٢٨] ، وَقَالَ تَعالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء:١٠٧]

وَمِنْ شَفَقَتِهِ عَلَى أُمَّتِهِ ﷺ تَخْفِيفُهُ وَتَسْهِيلُهُ عَلَيْهِمْ ، وَكَرَاهَتُهُ أَشْيَاءَ مَخَافَةَ أَنْ تُفَرَضَ عَلَيْهِمْ ؛ كَقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:(**لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ وُضُوءٍ**)[١]،وَ(**نَهْيُهُمْ عَنِ الْوِصَالِ**)[٢]، وَ(**أَنَّهُ كَانَ يَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَيَتَجَوَّزُ فِي صَلاتِهِ**)[٣].

وَمِنْ شَفَقَتِهِ ﷺ أَنْ دَعَا رَبَّهُ وَعَاهَدَهُ فَقَالَ:(**أَيُّمَا رَجُلٍ سَبَبْتُهُ أَوْ لَعَنْتُهُ فَاجْعَلْ ذَلِكَ لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً وَصَلَاةً وَطَهُورًا وَقُرْبَةً تُقَرِّبَهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)[٤]. قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها : (**مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا**)[١] ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه :(**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا**)[٢].

---

[١] رواه البخاري في صحيحه:٨٥/٩،برقم: ٧٢٤٠،ومسلم:٢٢٠/١،برقم: ٢٥٢، ومالك في الموطأ: ٦٦/١،برقم: ١١٥،واللفظ له .

[٢] رواه البخاري في صحيحه:٣٧/٣،برقم: ١٩٦٢،ومسلم:٧٤٤/٣،برقم: ١١٠٢،وأبو داود في سننه:٣٠٦/٢،برقم: ٢٣٦٠،وأحمد في مسنده:٣٧٣/٨،برقم: ٤٧٥٢.

[٣] رواه البخاري في صحيحه:١٤٣/١،برقم: ٧٠٨،ومسلم:٣٤٣/١،برقم: ٤٧٠،وأحمد في مسنده:١٢٣/١٩،برقم: ١٢٠٦٧،(**فيتجوّز**)أي: يُخَفِفُ ولا يُطيلها.

[٤] رواه البخاري في صحيحه:٧٧/٨،برقم: ٦٣٦١،ومسلم:٢٠٠٧/٤،برقم: ٢٦٠١،واللفظ له.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الفَصْلُ الثَامِن عَشَر)

الوَفَاءُ، وَحُسْنُ العَهدِ ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ

وَأَمَّا خلُقُهُ ﷺ فِي الْوَفَاءِ، وَحُسْنِ الْعَهْدِ ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ ، فقد وَصَفَهُ بَعْضُهُمْ فَقَالَ: كَانَ يَصِلُ ذَوِي رَحِمِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُؤْثِرَهُمْ عَلَى مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُمْ.

وَفِي حَدِيثِ خَدِيجَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ لَهُ ﷺ : (**أَبْشِرْ ، فَوَاللهِ لا يَحْزُنُكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ**)[٣] .

(الفَصْلُ التَاسِعَ عَشَر)

تَوَاضُعُهُ ﷺ

وَأَمَّا تَوَاضُعُهُ ﷺ عَلَى عُلُوِّ مَنْصِبِهِ ، وَرِفْعَةِ رُتْبَتِهِ ، فَكَانَ أَشَدَّ الناس تَوَاضُعاً وَأعدَمَهُم كِبْرًا، وَحَسْبُكَ أَنَّهُ خُيِّرَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا مَلِكًا ، أَوْ نَبِيًّا عَبْدًا ، فَاخْتَارَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا[٤] .

---

[١] رواه البخاري في صحيحه:٨/١٦٠،برقم: ٦٧٨٦،ومسلم:٤/١٨١٣،برقم: ٢٣٢٧،وتمام الحديث:(**مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا، كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ**) واللفظ لمسلم.

[٢] رواه البخاري في صحيحه : ١/٢٥،برقم: ٦٨،ومسلم:٤/٢١٧٢،برقم: ٢٨٢١، (**يتخولنا**) أي يتعاهدنا،و (**السآمة**) المَلَل.

[٣] رواه البخاري في صحيحه:١/٧،برقم: ٣،ومسلم:١/١٣٩،برقم: ١٦٠،وفي رواية (**فَوَاللَّهِ لاَ يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا**)، ومعنى قوله:(**لتصل الرحم**) صلة الرحم: هي الإحسان إلى الأقارب ، وتكون بالمال ، وبالخدمة ، وبالزيارة والسلام وغير ذلك،و (**تحمل الكل**) : أي تنفق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك ، و(**تعين على نوائب الحق**)أي:أمور الخير.

[٤] **حسن لغيره**،رواه الطبراني في الكبير:١٠/٢٨٨،برقم: ١٠٦٨٦،وفي الأوسط:٧/٨٨،برقم: ٦٩٣٧،والزهد الكبير للبيهقي:١/١٨٦،برقم: ٤٤٧.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ عَنْهُ ﷺ : **(لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ)** [١].

وَحَجَّ ﷺ عَلَى رَحْلٍ رَثٍّ ، وَعَلَيْهِ قَطِيفَةٌ مَا تساوى أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ، فَقَالَ: **(اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ حَجًّا مَبْرُورًا ، لَا رِيَاءَ فِيهِ وَلَا سُمْعَةَ)** [٢].

وَلَمَّا فُتِحَتْ عَلَيْهِ مَكَّةُ ، وَدَخَلَهَا بِجُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ ، طَأْطَأَ عَلَى رَحْلِهِ رَأْسَهُ حَتَّى كَادَ يَمَسُّ قَادِمَتَهُ تَوَاضُعًا لِلَّهِ تَعَالَى [٣].

وَمِنْ تَوَاضُعُهُ ﷺ قَوْلِهِ: **(لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى)** [٤]، وَ**(لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ)** [٥]، وَ**(لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى)** [٦] ، وَ**(نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ)** [٧] ، وَ**(لَوْ لَبِثْتُ مَا لَبِثَ يُوسُفُ فِي السِّجْنِ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ)** [١] ، وَقَالَ لِلَّذِي قَالَ لَهُ: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ **(ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ)** [٢].

---

[١] رواه البخاري في صحيحه:١٦٧/٤،برقم: ٣٤٤٥،وأحمد في مسنده:٢٩٥/١،برقم: ١٥٤، **(لا تطروني)** من الإطراء ، وهو الإفراط في المديح ، ومجاوزة الحد فيه، وقيل: هو المديح بالباطل والكذب فيه. **(كما أطرت النصارى ابن مريم)** أي بدعواهم فيه الألوهية وغير ذلك.

[٢] **صحيح**،رواه ابن ماجه في سننه:٩٦٥/٢،برقم: ٢٨٩٠،وابن ابي شيبة في مصنفه:٤٤٢/٣ ،برقم: ١٥٨٠٥ ، وقوله: **(رَثٍّ)** أي عتيق.

[٣] **صحيح**،رواه الحاكم في المستدرك:٤٩/٣،برقم: ٤٣٦٥ ،والبيهقي في دلائل النبوة:٦٨/٥، ولفظ الحديث عَنْ أَنَسٍ:(أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دخَلَ مَكَّةَ وَذَقْنُهُ عَلَى رَحْلِهِ مُتَخَشِّعًا).

[٤] رواه البخاري في صحيحه:١٥٩/٤،برقم: ٣٤١٦،ومسلم:١٨٤٦/٤،برقم: ٢٣٧٦.

[٥] رواه البخاري:١٥٩/٤،برقم: ٣٤١٤،ومسلم:١٨٤٣/٤،برقم: ٢٣٧٣.

[٦] رواه البخاري في صحيحه:١٢٠/٣،برقم: ٢٤١١،ومسلم:١٨٤٤/٤،برقم: ٢٣٧٣.

[٧] رواه البخاري في صحيحه:١٤٧/٤،برقم: ٣٣٧٢،ومسلم:١٣٣/١،برقم: ١٥١،**(نحن أحق بالشك من إبراهيم)** أي: إن الشك مستحيل في حق إبراهيم ، فإن الشك في إحياء الموتى لو كان متطرقاً إلى الأنبياء لكنت أنا أحق به من إبراهيم ، وقد علمتم أني لم أشك ، فاعلموا أن إبراهيم عليه السلام لم يشك.

و كَانَ ﷺ فِي بَيْتِهِ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ يَفْلِي ثَوْبَهُ ، وَيَحْلِبُ شَاتَهُ ، وَيَرْقَعُ ثَوْبَهُ ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ ، وَيَخْدِمُ نَفْسَهُ ،وَيَقُمُّ البَيْتَ ،وَيَعْقِلُ الْبَعِيرَ[3].

وَعَنْ أَنَسٍ ﷺ : **(إِنْ كَانَتِ الأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ المَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ حَتَّى تَقْضِيَ حَاجَتَهَا)**[4].

وَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَأَصَابَتْهُ مِنْ هَيْبَتِهِ رِعْدَةٌ، فَقَالَ لَهُ:**(هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنِّي لست بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ)** [5]

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:٣٢/٩،برقم: ٦٩٩٢،وأحمد في مسنده:١٢١/١٤،برقم: ٨٣٩٢، **قال النووي**: وفي هذا الحديث ثناء النبي ﷺ على يوسف عليه السلام ، وبيان لصبره وتأنيه ، فعندما جاء رسول الملك ليخرجه من السجن رفض الخروج من السجن بعد طول لبثه فيه ، وذلك لتظهر براءته مما نسب إليه ، وقال النبي ﷺ ما قال تواضعاً وإيثاراً للأبلغ في بيان كمال فضيلة يوسف عليه السلام (شرح النووي على مسلم:١٧٣/١).

[2] رواه مسلم في صحيحه:١٨٣٩/٤،برقم: ٢٣٦٩،والترمذي في سننه:٣٠٣/٥،برقم: ٣٣٥٢، وأبو داود:٢١٨/٤،برقم: ٤٦٧٢.

[3] رواه البخاري في صحيحه :١٣٦/١ ، برقم: ٦٧٦، وابن حبان:٤٩٠/١٢،برقم: ٥٦٧٦، والبخاري في الأدب المفرد:١٩٠/١،برقم: ٥٤١ ،وأحمد في مسنده:٢٦٣/٤٣،برقم: ٢٦١٩٤، **(خدمة أهله)** أي: يساعد أهله فيما هنَّ عليه من العمل،و**(يَخْصِفُ نَعْلَهُ)** أي: يخيطه ، و **(يَقُمُّ البَيْتَ)** أي:يكنسه.

[4] رواه البخاري في صحيحه:٢٠/٨،برقم: ٦٠٧٢، وأحمد في مسنده:٩/١٩،برقم: ١١٩٤١، والبيهقي في شعب الإيمان:٤٣٧/١٠،برقم: ٧٧٦٠.

[5] صحيح رواه الحاكم في المستدرك:٥٠٦/٢،برقم: ٣٧٣٣،والطبراني في الأوسط:٦٤/٢ ،برقم: ١٢٦٠، قوله:**(رِعْدَةٌ)** أي: رجفة، **(هَوِّنْ)** أي :خفف ، **(الْقَدِيد)**: هواللحم المُمَلّح المُجَفَّف في الشمس.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الفَصْلُ العِشْرُون)

عَدْلُهُ ، وَأَمَانَتهُ، وَعِفَّتِه ، وَصِدْقُ لَهجتِهِ ﷺ

وأمَّا عَدْلُهُ ﷺ ، وَأَمَانَتُهُ ، وَعِفَّتُهُ ، وَصِدْقُ لَهْجَتِهِ ، فَكَانَ ﷺ آمَنَ النَّاسِ ، وَأَعْدَلَ النَّاسِ ، وَأَعفَّ النَّاسِ ، وَأَصدَقُهُم لَهْجَةً مُنْذُ كَانَ ، اعْتَرَفَ لَهُ بِذَلِكَ مُحَادُّوهُ وَعِدَاهُ ، وَكَانَ يسمى قَبْلَ نُبُوَّتِهِ: **الأَمِينَ**.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير:٢١] وأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّهُ مُحَمَّدٌ ﷺ.

وَلَمَّا اخْتَلَفَتْ قُرَيْشٌ وَتَحَازَبَتْ عِنْدَ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ فِيمَنْ يَضَعُ الْحَجَرَ حَكَّمُوا أَوَّلَ دَاخِلٍ عَلَيْهِمْ ، فَإِذَا بِالنَّبِيِّ ﷺ دَاخِلٌ ، وَذَلِكَ قَبْلَ نُبُوَّتِهِ ، فَقَالُوا: هَذَا مُحَمَّدٌ؟ هَذَا الأَمِينُ قَدْ رَضِينَا بِهِ[١].

وَلَمَّا قَالَ لَهُ الرَّجُلُ: اعْدِلْ فَإِنَّ هَذِهِ قِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ ، فقَالَ ﷺ : (**وَيْحَكَ ، فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ؟ ، خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ**)[٢].

وَسَأَلَ هِرَقْلُ عَنْهُ أَبَا سُفْيَانَ ، فَقَالَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ ، قَالَ: لَا[٣].

---

[١] **صحيح**،رواه أحمد في مسنده:٢١٦/٢٤،برقم: ١٥٥٠٤ ،وانظر صحيح السيرة للألباني:٤٥/١

[٢] رواه البخاري في صحيحه:٩٥/٤،برقم: ٣١٥٠ ،ومسلم:٧٣٩/٢،برقم: ١٠٦٢ .

[٣] رواه البخاري في صحيحه:٨/١،برقم: ٧،ومسلم:١٣٩٣/٣،برقم: ١٧٧٣ ،وأحمد في مسنده:١٩٨/٤، برقم: ٢٣٧٠ ،وهو قطعة من حديث طويل.

(الفَصْلُ الحَادِي وَالعِشْرُونَ)

وَقَارِهِ ، وَصَمْتِهِ ، وَمُروءَتِه ﷺ

وَأَمَّا وَقَارُهُ ﷺ ، وَصَمْتُهُ ، وَتَؤُدَتُهُ ، وَمُرُؤَتُهُ ، وَحُسْنُ هَدْيِهِ ،فكَانَ ﷺ كَثِيرَ السُّكُوتِ لَا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ، يُعرِضُ عَمَّن تَكَلَّمَ بِغَيْرِ جَمِيلٍ، وَكَانَ ضَحِكُهُ تَبَسُّمًا ، وَكَلَامُهُ فَصْلًا ، لَا فَضُولَ فِيْهِ وَلَا تَقْصِيرَ، وَكَانَ ضَحِكُ أَصْحَابِهِ عِنْدَهُ التَّبَسُّمَ ، تَوْقِيرًا لَهُ وَاقْتِدَاءً بِهِ.

مَجْلِسُهُ مَجْلِسُ حِلْمٍ وَحَيَاءٍ وَخَيْرٍ وَأَمَانَةٍ ، لَا تُرْفَعُ فِيهِ الْأَصْوَاتُ ، وَلَا تُؤْبَنُ فِيهِ الْحُرُمُ، إِذَا تَكَلَّمَ أطرَقَ جُلَسَاؤه ، كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُسِهِمُ الطَّيْرُ.

وَفِي صِفَتِهِ: يَخْطُو تَكَفُّؤًا وَيَمْشِي هَوْنًا كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: **إِنَّ أَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ [1] .

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **كَانَ فِي كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ **تَرْتِيلٌ أَوْ تَرْسِيلٌ**[2] .

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ أَحْصَاهُ.**

وَمِنْ مُرُوءَتِهِ ﷺ نَهْيُهُ عَنِ النَّفْخِ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَالْأَمْرُ بِالْأَكْلِ مِمَّا يَلِي، وَالْأَمْرُ بِالسِّوَاكِ وَإِنْقَاءُ الْبَرَاجِمِ وَالرَّوَاجِبِ[3] ، وَاسْتِعْمَالُ خِصَالِ الْفِطْرَةِ.

---

[1] **حسن**،رواه البزار في مسنده:٤٣٨/٥،برقم: ٢٠٧٦.

[2] **صحيح**،رواه أبو داود في سننه:٢٦٠/٤،برقم: ٤٨٣٨،وابن أبي شيبة في مصنفه:٣٠٠/٥، برقم: ٢٦٢٩٤، (**التَّرْتِيل**) : هو تحسين الكلام وتجويده، و(**التَّرْسِيل**) : هو التؤدة والتأني وعدم العجلة في الكلام.

[3] **البَرَاجِم**: هي مفاصل الأصابع بين الأشاجع والرواجب، وَ**الرَّوَاجِب**:هي مفاصل الأصابع التي تلي الأنامل،ثم تليها البراجم،ثم تليها الأشاجع من جهة الكف.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الْفَصْلُ الثَّانِيَ وَالْعِشْرُونَ)

زُهْدُه فِي الدُّنْيَا ﷺ

وَأَمَّا زُهْدُهُ فِي الدُّنْيَا ، فَقَدْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأَخْبَارِ أَثْنَاءَ هذه السِّيرَةِ مَا يَكْفِي، وَحَسْبُكَ مِنْ تَقَلُّلِهِ مِنْهَا ، وَإِعْرَاضِهِ عَنْ زَهْرَتِهَا، وَقَدْ سِيقَتْ إِلَيْهِ بِحَذَافِيرِهَا ، وَتَرَادَفَتْ عَلَيْهِ فُتُوحُهَا إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٌّ فِي نَفَقَةِ عِيَالِهِ[1] ، وَهُوَ يَدْعُو وَيَقُولُ: (**اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا**)[2].

وعَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: (**مَا شَبِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ تِبَاعًا مِنْ خُبْزٍ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ**). وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى:(**مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَوَالِيَيْنِ**) [3].

وَقَالَتْ عَائِشَةُ ﵂: (**مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا ، وَلَا شَاةً وَلَا بَعِيرًا**) [4].

وَفِي حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ :(**مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَّا سِلَاحَهُ وَبَغْلَتَهُ وَأَرْضًا جَعَلَهَا صَدَقَةً**) [5].

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ﵁ قَالَ:(**هَلَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَشْبَعْ هُوَ وَأَهْلُ بَيْتِهِ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ**) [1].

---

[1] رواه البخاري:٤١/٤، برقم: ٢٩١٦، ومسلم:١٢٢٦/٣،برقم: ١٦٠٣ بمعناه ،وأحمد في مسنده:١٣٧/٤٣،برقم: ٢٥٩٩٨.

[2] رواه البخاري في صحيحه:٩٨/٨،برقم: ٦٤٦٠ ،ومسلم:٧٣٠/٢،برقم: ١٠٥٥،(**قُوتاً**) أي: مَا يَسُدُّ حَاجَتَهُمْ مِن طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَلِبَاسٍ وَنَحوَ ذَلِك.

[3] رواه البخاري في صحيحه:٧٥/٧،برقم: ٥٤١٦ ،ومسلم:٢٢٨١/٤،برقم: ٢٩٧٠،ومسلم أيضاً:٢٢٨١/٤،برقم: ٢٩٧٠.

[4] رواه البخاري في صحيحه:٢/٤،برقم: ٢٧٣٩ ،ومسلم:١٢٥٦/٣،برقم: ١٦٣٥ ،وزاد:(**وَلَا أَوْصَى بِشَيْءٍ**) أي: من المال ، لعدمه.

[5] رواه البخاري في صحيحه:٨١/٤،برقم: ٣٠٩٨ ،والطبراني في الكبير:٤٤/١٧،برقم: ٩٣.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: (**مَا أَكَلَ رسول الله ﷺ عَلَى خُوَانٍ ، وَلَا فِي سُكُرُّجَةٍ ، وَلَا خُبِزَ لَهُ مُرَقَّقٌ ، وَلَا رَأَى شَاةً سَمِيطًا قَطُّ**) [٢].

وَعَنْ عَائِشَةَ ﷺ: (**إِنَّمَا كَانَ فِرَاشُهُ ﷺ الَّذِي يَنَامُ عَلَيْهِ أَدَمًا حَشْوُهُ لِيفٌ**) [٣].

(الْفَصْلُ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ)

خَوفُهُ ﷺ مِنَ اللَّهِ ﷻ وَطَاعَتِهِ لَهُ ، وَشِدَّةِ عِبادَتِهِ.

وَأَمَّا خَوْفُهُ مِنْ رَبَّهُ ، وَطاعَتُهُ لَهُ ، وشِدَّةُ عِبَادَتِهِ ، فَعَلى قَدْرِ عِلْمِهِ بِرَبَّهُ وَلِذَلِكَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (**لَو تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**) [٤].

وَفِي حَدِيث المُغِيرَةِ ﷺ: (**صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى انْتَفَخَتْ قَدَمَاهُ**) [٥]، وَفِي رِوَايَةٍ : (**كَانَ يُصَلِّي حَتَّى تَرِمَ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: أَتَكَلَّفُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**) [١].

---

[١] **صحيح**،رواه الترمذي في الشمائل:٣١٩/١،برقم: ٣٧٨، و الدولابي في الكنى والأسماء: ٢٧/١، برقم: ٧٦،وأبو نعيم في الحلية: ٩٩/١، والطبراني في الأوسط:٩٤/٧،برقم: ٦٩٥٨ ،وله شواهد في الصحيحين.

[٢] رواه البخاري في صحيحه:٧٠/٧،برقم: ٥٣٨٦،والترمذي في سننه:٢٥٠/٤،برقم: ١٧٨٨، وابن ماجه في سننه:١١٠٨/٢،برقم: ٣٣٣٩ ،وأحمد في مسنده:٣٠٨/١٩،برقم: ١٢٢٩٦، قوله: (**خُوَانٍ**) طبق مرتفع يوضع عليه الطعام ، وهو ما يسمى الآن بالطاولة والمنضدة ، (**سُكُرُّجَةٍ**) هي قصاع يوضع فيها المشهيات كالسلطة ونحوها، (**سَمِيطًا**) أي:مشويةً.

[٣] رواه البخاري في صحيحه:٩٧/٨،برقم: ٦٤٥٦،ومسلم :١٦٥٠/٢،برقم: ٢٠٨٢،(**أَدَمًا**) جمع أديم ، وهو الجلد المدبوغ،(**ليف**) قشر النخيل.

[٤] رواه البخاري في صحيحه:٣٤/٢،برقم: ١٠٤٤،ومسلبم:٦١٨/٢،برقم: ٩٠١، (**لو تعلمون ما أَعْلَمُ**) من عظمة الله تعالى ، وشدة عقابه ، وانتقامه من أهل المعاصي ، وما أعلم من أحوال يوم القيامة.

[٥] رواه مسلم في صحيحه:٢١٧١/٤،برقم: ٢٨١٩،والبيهقي في الشعب:٨٣/٣،برقم: ١٤١٥.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: **(كَانَ عَمَلُ رَسُولِ الله ﷺ دِيمَةً، وَأَيُّكُمْ يُطِيقُ مَا كَانَ يُطِيقُ)** [٢].

وَقَالَ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه :**(كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَاكَ ، ثُمَّ تَوَضَّأَ ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، فَقُمْتُ مَعَهُ ، فَبَدَأَ فَاسْتَفْتَحَ الْبَقَرَةَ، فَلَا يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ فَسَأَلَ، وَلَا يَمُرُّ بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ فَتَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ فَمَكَثَ بِقَدْرِ قِيَامِهِ يَقُولُ: سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ، ثُمَّ سَجَدَ وَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ قَرَأَ آلَ عِمْرَانَ، ثُمَّ سُورَةً سُورَةً، يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ)** [٣].

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه مِثْلُهُ ، وَقَالَ: **(سَجَدَ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، وَجَلَسَ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ نَحْوًا مِنْهُ ، وَقَامَ حَتَّى قَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ وَالنِّسَاءَ وَالْمَائِدَةَ)** [٤].

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: **(قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِآيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ لَيْلَةً)** [٥].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ رضي الله عنه :**(أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي وَلِجَوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ)** [١]، وَقَالَ ﷺ: **(إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ)** [٢] ، وَرُوِيَ **(سَبْعِينَ مَرَّةً)** [٣].

---

[١] رواه البخاري في صحيحه:٥٠/٢،برقم: ١١٣٠،ومسلم:٢١٧١/٤،برقم: ٢٨١٩، **(تَرِم)** تنتفخ، **(شَكُوراً)** أي : أبالغ في شكر الله تعالى على غفرانه لي.

[٢] رواه البخاري في صحيحه: ٤٢/٣،برقم: ١٩٨٧،ومسلم:٥٤١/١،برقم: ٧٨٣،بمعناه،وقوله: **(ديمة)** أي: دائما لا ينقطع، و**(يطيق)** أي: يستطيع ويقدر عليه.

[٣] **صحيح**،رواه أحمد في مسنده:٤٠٥/٣٩،برقم: ٢٣٩٨٠،والبزار في مسنده:١٨٣/٧، برقم:٢٧٥٠.

[٤] رواه مسلم في صحيحه:٥٣٦/١،برقم: ٧٧٢ ،وأحمد في مسنده:٣٩٢/٣٨،برقم: ٢٣٣٧٥.

[٥] **صحيح**،رواه الترمذي في سننه:٥٧٠/١،برقم: ٤٤٨،وأبو الشيخ الأصبهاني في العظمة: ٢٥٦/١، برقم: ٣٤.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الفَصْلُ الرَابِعُ وَالعِشْرُون)

صِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ مِنْ كَمَالِ الْخَلْقِ ،وَحُسْنِ الصُّورَةِ ، وَشَرَفِ النَّسَبِ

اعْلَمْ وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ أَنَّ صِفَاتِ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عليهم مِنْ كَمَالِ الْخَلْقِ ،وَحُسْنِ الصُّورَةِ ، وَشَرَفِ النَّسَبِ ، وَحُسْنِ الْخُلُقِ، وَجَمِيعُ الْمَحَاسِنِ هي هَذِهِ الصِّفَةُ ؛ لِأَنَّهَا صِفَاتُ الْكَمَالِ ، وَالْكَمَالُ ، وَالتَّمَامُ الْبَشَرِي وَالْفَضْلُ الْجَمِيعُ لهم صلوات الله عَلَيْهِمُ إِذْ رُتْبَتُهُمْ أَشْرَفُ الرُّتَبِ ، وَدَرَجَاتُهُمْ أَرْفَعُ الدَّرَجَاتِ ، وَلَكِنْ فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ على بعض﴾[البقرة:٢٥٣] .

وَقَالَ: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[الدخان:٣٢] .

وقد قال ﷺ :(**إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ**) ، ثُمَّ قَالَ آخِرَ الْحَدِيثَ: (**عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ**) [4].

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه :(**رَأَيْتُ مُوسَى ، فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ ضَرْبٌ رَجِلٌ أَقْنَى ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ ، وَرَأَيْتُ عِيسَى ، فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ رَبْعَةٌ كَثِيرُ خَيْلَانِ**

---

[1] **صحيح**،رواه أبو داود في سننه:٢٣٨/١،برقم: ٩٠٤،وأحمد في مسنده:٢٣٨/٢٦،برقم: ١٦٣١٢، (**كَأَزِيزُ الْمِرْجَلِ**) أي: مثل صَوْتُ غَلَيَانِ القِدْرِ، من الْبُكَاءِ.

[2] رواه مسلم في صحيحه:٢٠٧٥/٤،برقم: ٢٧٠٢،وأبو داود في سننه:٨٤/٢،برقم: ١٥١٥.

[3] رواه البخاري في صحيحه:٦٧/٨،برقم: ٦٣٠٧،والترمذي في سننه:٣٨٣/٥،برقم: ٣٢٥٩.

[4] رواه البخاري في صحيحه:١٣٢/٤،برقم: ٣٣٢٧،ومسلم:٢١٧٩/٤،برقم: ٢٨٣٤،(**في السماء**): أي علواً وارتفاعاً.

http://mohhanoona.blogspot.com/

الْوَجْهِ أَحْمَرُ ، كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ) [1] ، وَقَالَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ فِي صِفَةِ مُوسَى عليه السلام :**(كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ)** [2] ، وَ قَالَ:**(وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ بِهِ)** [3] .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْهُ صلى الله عليه وسلم :**(مَا بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ بَعْدِ لُوطٍ نَبِيًّا إِلَّا فِي ذُرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ)** [4] وَيُرْوَى **(فِي ثَرْوَةٍ)** أَيْ كَثْرَةٍ وَمَنَعَةٍ.

وَفِي حَدِيثِ هِرَقْلَ : **(وَسَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي أَنْسَابِ قَوْمِهَا)** [5].

وَقَالَ تَعَالَى فِي أَيُّوبَ عليه السلام : ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[ص:٤٤] ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ، وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا، وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ،وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم:١٢ –١٥] ، وَقَالَ: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[آل عمران:٣٩]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:١٥٢/٤،برقم: ٣٣٩٤،ومسلم:١٥٤/١،برقم: ١٦٨، **(ضَربٌ)** نحيف خفيف اللحم. **(رَجِلٌ)** شعره ليس شديد الجعودة ولا شديد السبوطة. **(رَبْعَةٌ)** لا طويل، ولا قصير. **(أحمر)** أي لونه يميل إلى الحمرة. **(بِيمَاسٍ)** هو السرب ، وقيل الحَمَّام ، أي: كأنه لم يَرَ شَمْساً ،وهو في غاية الإشراق والنضارة .(خَيَلان) جمع خال وهو الشامة في الجسد،وزاد مسلم:(**كَأَمْثَالِ الثَّآلِيلِ)** جمع ثؤلول وهي حبيبات تعلو الجسد.

[2] رواه البخاري في صحيحه:١٦١/٧،برقم: ٥٩٠٢،ومسلم:١٥٤/١،برقم: ١٦٩، **(الأدم)** جمع آدم كَسُمْرٍ وَأَسْمَر وَزناً وَمَعنىً.

[3] رواه البخاري في صحيحه:١٥٢/٤،برقم: ٣٣٩٤،وهو جزء من حديث طويل.

[4] **حسن** ،رواه الترمذي في سننه:١٤٤/٥،برقم: ٣١١٦.

[5] رواه البخاري في صحيحه:٤٥/٤،برقم: ٢٩٤٠،ومسلم:١٣٩٣/٣،برقم: ١٧٧٣،وأحمد في مسنده:١٩٨/٤، برقم: ٢٣٧٠،وهو قطعة من حديث طويل.

http://mohhanoona.blogspot.com/

عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ، ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[آل عمران:٣٣-٣٤] ،وَقَالَ فِي نُوحٍ عليه السلام : ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾[الإسراء:٣] ، وقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ، وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[آل عمران:٤٥-٤٦] ، وَقَالَ: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [مريم:٣٠-٣١٣] ، وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾[الأحزاب:٦٩].

و قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(كَانَ مُوسَى رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا مَا يُرَى مِنْ جسده شئ اسْتِحْيَاءً)**[1] .

وَقَالَ تَعَالَى عَنْهُ: ﴿ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾[الشعراء:٢١] ، وَقَالَ فِي وَصْفِ جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ: ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾[الشعراء:١٠٧] ،وَقَالَ: ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾[القصص:٢٦] ، وَقَالَ: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ من الرسل ﴾[الأحقاف:٣٥] ، وَقَالَ: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ

[1] **صحيح**،رواه الترمذي في سننه:٢١٣/٥،برقم: ٣٢٢١،وباقي الحديث: (فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بني إسرائيل فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ إِلاَّ مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أُدْرَةٌ ، وَإِمَّا آفَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا، وَإِنَّ مُوسَى خَلاَ يَوْمًا وَحْدَهُ فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى حَجَرٍ ، ثُمَّ اغْتَسَلَ ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا ، وَإِنَّ الْحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ فَطَلَبَ الْحَجَرَ فَجَعَلَ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرُ ثَوْبِي حَجَرُ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَإٍ مِنْ بني إسرائيل فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ النَّاسِ خَلْقًا، وَأَبْرَأَهُ مِمَّا كَانُوا يَقُولُونَ ، قَالَ: وَقَامَ الْحَجَرُ فَأَخَذَ ثَوْبَهُ وَلَبِسَهُ وَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّ بِالْحَجَرِ لَنَدَبًا مِنْ أَثَرِ عَصَاهُ ثَلاَثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾). وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ، وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٨٤-٩٠] .

فَوَصَفَهُمْ بِأَوصَافٍ جَمَّةٍ مِنَ: **الصَّلَاحِ** ، و**الْهُدَى** ، وَ**الاجْتِبَاءِ** ، وَ**الْحُكْمِ** ، وَ**النُّبُوَّةِ** ، وَقَالَ: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات:٢٨]، وَقَالَ: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات:١٠١] ، وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ، أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [مريم:٥٤-٥٥]، وَقَالَ: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات:١٠٢] ،وَقَالَ فِي إِسْمَاعِيلَ عليه السلام : ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ، وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم:٥٤-٥٥] ، وَفِي سُلَيْمَانَ عليه السلام: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:٣٠] ، وَقَالَ : ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ، إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ، وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص:٤٥-٤٧] ، وَفِي دَاوُدَ عليه السلام: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:٤٥]، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [ص:٢٠] ، وَقَالَ عَنْ يُوسُفَ عليه السلام : ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٥٥] ، وَفِي مُوسَى عليه السلام : ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ [الكهف:٦٩] ، وَقَالَ تَعَالَى عَنْ شُعَيْبٍ عليه السلام: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القصص:٢٧] ،وَقَالَ: ﴿مَا أُرِيدُ أَنْ

http://mohhanoona.blogspot.com/

أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلا الإِصْلاحَ مَا اسطعت ﴾[هود:٨٨] ،وَقَالَ: ﴿ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾[الأنبياء:٧٤] ، وَقَالَ : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾[الأنبياء:٩٠] ، قَالَ سُفْيَانُ: هُوَ الْحُزْنُ الدَّائِمُ.

وفِي آيٍ كَثِيرَةٍ ذَكَرَ فِيهَا مِنْ خِصَالِهِمْ ، وَمَحَاسِنِ أَخْلَاقِهِمِ الدَّالَّةِ عَلَى كَمَالِهِمْ ، وَجَاءَ مِنْ ذَلِكَ فِي الْأَحَادِيثِ كَثِيرٌ ، كَقَوْلِهِ ﷺ :(**إِنَّمَا الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الكريم: يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بن اسحق بْنِ إِبْرَاهِيمَ**)[1].

وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ رضي الله عنه :(**وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ**)[2] .

وَرُوِيَ أَنَّ سُلَيْمَانَ كَانَ مَعَ مَا أُعْطِيَ مِنَ الْمُلْكِ لَا يَرْفَعُ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ تَخَشُّعًا وَتَوَاضُعًا لِلَّهِ تَعَالَى ، وَكَانَ يُطْعِمُ النَّاسَ لَذَائِذَ الْأَطْعِمَةِ وَيَأْكُلُ خُبْزَ الشَّعِيرِ .

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عنه ﷺ قال: (**خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ الْقُرْآنُ فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَابتِهِ فَتُسْرَجُ ، فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**)[3]

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ﴾[سبأ:١٠-١١] .

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:١٥١/٤،برقم: ٣٣٩٠،وأحمد في مسنده:٥٢٣/٩،برقم: ٥٧١٢.

[2] رواه البخاري في صحيحه:١٩١/٤،برقم: ٣٥٧٠،والبيهقي في الاسماء والصفات:٣٥٥/٢، برقم: ٩٣٠.

[3] رواه البخاري في صحيحه:١٦٠/٤،برقم: ٣٤١٧،وأحمد في مسنده:٤٩٧/١٣،برقم: ٨١٦٠، (**خفف**) سهل ويسر،(**القرآن**) قراءة الكتاب المنزل عليه ، والمكلف بالعمل به ، ويطلق القرآن على القراءة ، (**فتسرج**) يوضع عليها السرج ، وهو ما يوضع على ظهر الفرس ونحوها تحت الراكب.

وَقَالَ ﷺ :(**أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ ، وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ ، وَيَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا**)[1].

وَأَخْبَارُهُمْ فِي هَذَا كُلِّهِ مَسْطُورَةٌ ، وَصِفَاتُهُمْ فِي الْكَمَالِ وَجَمِيلِ الْأَخْلَاقِ وَحُسْنِ الصُّوَرِ وَالشَّمَائِلِ مَعْرُوفَةٌ مَشْهُورَةٌ ، فَلَا نُطَوِّلُ بِهَا ، وَلَا تَلْتَفِتْ إِلَى مَا تَجِدْهُ فِي كُتُبِ بَعْضِ جَهَلَةِ الْمُؤَرِّخِينَ وَالْمُفَسِّرِينَ مِمَّا يُخَالِفُ هَذَا.

(الفَصْلُ الخَامِسُ وَالعِشْرُونَ)

حَدِيْثُ الحَسَنِ عَن ابْنِ أَبِي هَالَةَ فِي جَمْعِ (الشَمَائِلِ)[2]

عن الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قال: سَأَلْتُ خَالِي هِنْدَ بْنَ أَبِي هَالَةَ[3] عَنْ حِلْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَكَانَ وَصَّافًا ، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يَصِفَ لِي مِنْهَا شَيْئًا أَتَعَلَّقُ بِهِ ، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **فَخْمًا مُفَخَّمًا**[4] ، **يَتَلأْلأُ**[5] وجهه تلألُؤَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، أَطْوَلَ مِنَ الْمَرْبُوعِ ، وأقصر مِنَ **الْمُشَذَّبِ**[6] عَظِيمَ الْهَامَةِ **رَجِلَ الشَّعَرِ**[7] ؛ إِنِ انْفَرَقَتْ

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:٢/٥٠،برقم: ١١٣١،وابن حبان في صحيحه:٦/٣٢٥،برقم: ٢٥٩٠ ،قوله:(**أَحَبُّ الصَّلَاةِ**) أي: من النوافل، و (**أَحَبُّ الصِّيَامِ**)أي: من التطوع.

[2] **حسن لغيره** ،رواه الترمذي في الشمائل:١/٣٤،برقم: ٨ ،والطبراني في الكبير:٢٢/١٥٥، برقم:٤١٤ ،والبيهقي في الشعب:٣/٢٤،برقم: ١٣٦٢ .

[3] هو هند بن أبي هالة ، واسمه نَبَّاش بن زرارة التميمي،ربيب النبي ﷺ ، وأمه خديجة بنت خويلد ، وهو خال الحسن بن علي بن أبي طالب الذي يروي عنه هذا الحديث.

[4] **فَخْمًا مُفَخَّمًا**:أي عظيماً في نفسه ، معظماً في الصدور ، وذلك لامتلائه جمالاً وهيبةً.

[5] **يَتَلأْلأُ** :يشرق.

[6] قَوْلُهُ: **الْمُشَذَّبُ**، أَيِ: الْبَائِنُ الطُّولِ فِي نَحَافَةٍ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ :(**لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْمُمَغَّطِ**).

[7] وَ**الشَّعَرُ الرَّجِلُ**: الَّذِي كأنه مشط فتكسّر قليلا ليس بسبط وَلَا جَعْدٍ.

عَقِيقَتُهُ[١] فَرَقَ ، وَإِلَّا فَلا يُجَاوِزُ شَعْرُهُ شَحْمَةَ أُذْنَيْهِ إذا هُوَ **وَفَّرَهُ**[٢] ، **أَزْهَرَ اللَّوْنِ**[٣] وَاسِعَ الْجَبِينِ **أَزَجَّ الْحَوَاجِبِ**[٤] سَوَابِغَ مِنْ غَيْرِ **قَرَنٍ**[٥]، بَيْنَهُمَا **عِرْقٌ يُدِرُّهُ الْغَضَبُ**[٦] ، **أَقْنَى الْعِرْنَيْنِ**[٧] ، لَهُ نُورٌ يَعْلُوهُ وَيَحْسَبُهُ مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْهُ **أَشَمَّ**[٨] ، كَثَّ اللِّحْيَةِ ، **أَدْعَجَ**[٩] ، سَهْلَ الْخَدَّيْنِ، **ضَلِيعَ**[١٠] الفم ، **أَشْنَبَ**[١١] ، **مُفَلَّجَ**[١٢] الْأَسْنَانِ ، دَقِيقَ **الْمَسْرُبَةِ**[١٣]، كَأَنَ عُنُقَهُ **جِيدُ دُمْيَةٍ**[١٤] ، فِي صَفَاءِ الْفِضَّةِ ، مُعْتَدِلَ الْخَلْقِ، **بَادِنًا**[١٥] ، **مُتَمَاسِكًا**[١٦] ، **سَوَاءَ الْبَطْنِ والصدر**[١] ، **مَشِيحُ الصَّدْرِ**[٢]

---

[١] وَ**الْعَقِيقَةُ**: شَعْرُ الرَّأْسِ أَرَادَ إِنِ انْفَرَقَتْ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهَا فَرَقَهَا وَإِلَّا تَرَكَهَا مَعْقُوصَةً وَيُرْوَى عَقِيصَتُهُ.

[٢] **وَفَّرَهُ**:الوَفْرَةُ: هي الشعر إلى شحمة الأذن،و**الجُمَّةُ**:إلى المنكب،و**اللِّمَةُ**:التي أَلَمَّت بالمنكبين.

[٣] **أَزْهَرُ اللَّوْنِ**: نَيِّرُهُ وَقِيلَ أَزْهَرٌ حَسَنٌ وَمِنْهُ زَهْرَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، أَيْ: زِينَتُهَا وَهَذَا كَمَا قَالَ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ :(**ليس بالأبيض الأمهق وَلَا بِالْآدَمِ**)، وَ**الْأَمْهَقِ**: هُوَ النَّاصِعُ الْبَيَاضِ، وَ**الْآدَمُ**: الْأَسْمَرُ اللَّوْنِ، وَمِثْلُهُ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ:(**أَبْيَضُ مُشْرَبٌ أَيْ فِيهِ حُمْرَةٌ**).

[٤] وَ**الْحَاجِبُ الْأَزَجُّ**: الْمُقَوَّسُ الطَّوِيلُ الْوَافِرُ الشَّعْرِ.

[٥] وَ**الْقَرْنُ**: اتِّصَالُ شَعْرِ الْحَاجِبَيْنِ، وَضِدُّهُ الْبَلَجُ، وَوَقَعَ فِي حَدِيثِ أُمِّ مَعْبَدٍ وَصْفُهُ بِالْقَرْنِ.

[٦] **عِرْقٌ يُدِرُّهُ الْغَضَبُ**:يعني بين حاجبيه عِرقٌ يمتلئُ دماً إذا غَضِب.

[٧] **وَالْأَقْنَى**: السَّائِلُ الْأَنْفِ الْمُرْتَفِعُ وَسَطُهُ.

[٨] **وَالْأَشَمُّ**: الطَّوِيلُ قَصَبَةِ الْأَنْفِ.

[٩] **الْأَدْعَجُ**: الشَّدِيدُ سَوَادِ الحدقة، وفي الحديث الآخر: (**أشكل العين**)، و(**أسحر الْعَيْنِ**)، وَهُوَ الَّذِي فِي بَيَاضِهَا حُمْرَةٌ.

[١٠] **الضَّلِيعُ**: الْوَاسِعُ.

[١١] **الشَّنَبُ**: رَوْنَقُ الْأَسْنَانِ وَمَاؤُهَا، وَقِيلَ رِقَّتُهَا، وتحزيز فِيهَا كَمَا يُوجَدُ فِي أَسْنَانِ الشَّبَابِ.

[١٢] **الْفَلَجُ**: فرق الثَّنَايَا.

[١٣] **دَقِيقُ الْمَسْرُبَةِ**: خَيطُ الشَّعْرِ الَّذِي بَيْنَ الصدر والسرة.

[١٤] **الجِيد**: العنق، **دُمْيَةٌ**: الصورة المبالغ في تحسينها ،فهو أكمل الناس صورة.

[١٥] **بادن**: ذو لحم.

[١٦] **متماسك**: مُعْتَدِلُ الْخَلْقِ، يُمْسِكُ بَعْضُهُ بَعْضًا، مِثْلَ قَوْلِهِ في الحديث الْآخَرِ:(**لَمْ يَكُنْ بِالْمُطَهَّمِ وَلَا بِالْمُكَلْثَمِ**)، أَيْ لَيْسَ بِمُسْتَرْخِي اللَّحْمِ، وَالْمُكَلْثَمُ الْقَصِيرُ الذَّقَنِ.

، بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، ضَخْمَ **الْكَرَادِيسِ**[3] ، **أَنْوَرَ الْمُتَجَرَّدِ**[4] مَوْصُولَ مَا بَيْنَ **اللَّبَّةِ**[5] وَالسُّرَّةِ بِشَعَرٍ يَجْرِي كَالْخَطِّ ، **عَارِيَ الثَّدْيَيْنِ**[6] مَا سِوَى ذَلِكَ، أَشْعَرَ الذِّرَاعَيْنِ وَالْمَنْكِبَيْنِ وَأَعَالِي الصَّدْرِ ، طَوِيلَ **الزَّنْدَيْنِ**[7] ، **رَحْبَ الرَّاحَةِ**[8] ، **شَثْنَ**[9] الكَفَّيْنِ والْقَدَمَيْنِ، **سَائِلَ الأَطْرَافِ**[10] ،**سَبْطَ القَصَبِ**[11] ، **خُمْصَانَ الأَخْمَصَيْنِ**[12] ، **مَسِيحَ الْقَدَمَيْنِ**[13]، **يَنْبُو عَنْهُمَا الْمَاءُ** [14]، إِذَا زَالَ زَالَ

---

[1] **وَسَوَاءُ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ**: أَيْ مُسْتَوِيهِمَا.

[2] **مَشِيحُ الصَّدْرِ**: أي أنه كان بادي الصدر ، ولم يكن في صدره قَعَس ، وهو تَطَأْمُنٌ فيه ، وبه يتضح قوله قبل : **(سواء البطن والصدر)** ، أي ليس بمتقاعس الصدر ، ولا مفاض البطن .

[3] **الكراديس**: رؤوس الْعِظَامِ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ جليل المشاش.

[4] **أَنْوَرَ الْمُتَجَرَّدِ**:أي مشرق الجسد.

[5] **اللَّبَّةِ** :موضع الثغرة فوق الصدر.

[6] **عَارِيَ الثَّدْيَيْنِ**:أي لم يكن عليهما شعر.

[7] وَ**الزَّنْدَانِ**: عَظْمَا الذِّرَاعَيْنِ، و**الزَّنْدُ**: مَوْصِلُ طَرَفِ الذِّراعِ في الكَفِّ ، وهما زَنْدَان : الكُوعُ، والكُرْسوعُ ، فطَرَف الزَّنْدِ الذي يَلِي الإِبهامَ هو **الكُوعُ** ، وطَرَفُ الزَّنْدِ الذي يلي الخِنْصَرَ **كُرسوعٌ** . و**الرُّسْغُ** : مُجتَمع الزَّنْدَيْنِ.

[8] **رَحْبَ الرَّاحَةِ**:أي واسعها.

[9] وَ**شَثْنُ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ**: لَحِيمُهُمَا. **والمشاش**: رؤوس الْمَنَاكِبِ وَالْكَتَدُ:مُجْتَمَعُ الْكَتِفَيْنِ.

[10] **وَسَائِلُ الأَطْرَافِ**: أَيْ طَوِيلُ الأَصَابِعِ.

[11] **سَبْطَ القَصَبِ**: أي أن عظام القدم والساق ممتدة من غير انحراف ،ولا اعوجاج.

[12] **وَخُمْصَانُ الأَخْمَصَيْنِ**: أَيْ مُتَجَافِي أَخْمَصَ الْقَدَمِ، وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي لَا تناله الأرض من وسط القدم.

[13] و**مسيح الْقَدَمَيْنِ**: أَيْ أَمْلَسُهُمَا وَلِهَذَا قَالَ يَنْبُو عَنْهُمَا الْمَاءُ وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ خِلَافُ هَذَا قال فيه: إذا وطىء بقدمه وطىء بِكُلِّهَا لَيْسَ لَهُ أَخْمَصٌ، وَهَذَا يُوَافِقُ مَعْنَى قَوْلِهِ مَسِيحُ الْقَدَمَيْنِ، وَبِهِ قَالُوا سُمِّيَ الْمَسِيحُ بن مَرْيَمَ أَيْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَخْمَصٌ ،وَقِيلَ: مَسِيحٌ لَا لَحْمَ عَلَيْهِمَا ، وَهَذَا أَيْضًا يُخَالِفُ قوله: **(شثن القدمين)**.

[14] **يَنْبُو عَنْهُمَا الْمَاءُ**:أي لا ثبات للماء عليهما.

[15] و**التقلع**: رَفْعُ الرِّجْلِ بِقُوَّةٍ.

وَيَخْطُو **تَكَفُّؤاً**[١] ، **وَيَمْشِي هَوْنًا**[٢] ، **ذَرِيعَ**[٣] الْمِشْيَةِ ، إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ **صَبَبٍ**[٤] ، وَإِذَا الْتَفَتَ **الْتَفَتَ جَمِيعًا**[٥] ، **خَافِضَ الطَّرْفِ**[٦] ، نظره إلى الأَرْضِ أَطْوَلُ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، **جُلُّ نَظَرِهِ المُلاحَظَةُ**[٧]، **يَسُوقُ أَصْحَابَهُ**[٨] ، وَيَبْدَأُ مَنْ لَقِيَهُ بِالسَّلامِ .

قُلْتُ: صِفْ لِي مَنْطِقَهُ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَوَاصِلَ الْأَحْزَانِ، دَائِمَ الْفِكْرَةِ، لَيْسَتْ لَهُ رَاحَةٌ ، وَلَا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ ، طَوِيلَ السُّكُوتِ ، يَفْتَتِحُ الكَلامَ وَيختِمَهُ **بِأَشْدَاقِهِ**[٩] ، وَيَتَكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ ، يُعَظِّمُ النِّعْمَةَ وَإِنْ دَقَّتْ ، لا يذم شَيْئاً ، لَمْ يَكُنْ يَذُمُّ **ذَوَاقًا**[١٠] ، وَلَا يَمْدَحُهُ ، وَلا يُقَامُ لِغَضَبِهِ إذا تعرض بشئ حَتَّى يَنْتَصِرَ لَهُ ، وَلا يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ وَلَا يَنْتَصِرُ لَهَا ، إِذَا أَشَارَ أَشَارَ بِكَفِّهِ كُلِّهَا ، وَإِذَا تَعَجَّبَ قَلَّبَهَا ، وَإِذَا تَحَدَّثَ اتَّصَلَ بِهَا فَضَرَبَ بِإِبْهَامِهِ الْيُمْنَى رَاحَتَهُ

---

[١] **وَالتَّكَفُّؤُ**: الْمَيْلُ إِلَى سَنَنِ الْمَمْشَى وَقَصْدِهِ.

[٢] **يَمْشِي هَوْنًا** :أي بسكينة ووقار ، من غير تجبر ولا استكبار، **وَالْهَوْنُ**: الرِّفْقُ وَالْوَقَارُ.

[٣] **وَالذَّرِيعُ**: الْوَاسِعُ الْخَطْوِ أَيْ: إِنَّ مَشْيَهُ كَانَ يَرْفَعُ فِيهِ رِجْلَيْهِ بِسُرْعَةٍ، وَيَمُدُّ خَطْوَهُ خِلَافَ مِشْيَةِ الْمُخْتَالِ وَيَقْصِدُ سِمَتَهُ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِرِفْقٍ وَتَثَبُّتٍ دُونَ عَجَلَةٍ كَمَا قَالَ:(كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ).

[٤] **الصَبَبِ**:الأرض المنحدرة.

[٥] **الْتَفَتَ جَمِيعًا**:أي أنه لا يلوي عنقه يميناً ويساراً عندما ينظر إلى الشئ ، وإنما يفعل ذلك الطائش الخفيف.

[٦] **خَافِضَ الطَّرْفِ**:أي نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء،حياءاً من الله عز وجل ،وأدباً،وخوفاً.

[٧] **جُلُّ نَظَرِهِ المُلَاحَظَةُ**:أي ينظر بشق العين الذي يلي الصدغ ، فلا يدقق النظر ولا يطيله.

[٨] **يَسُوقُ أَصْحَابَهُ** :أي يقدم اصحابه امامه ، ويمشي خلفهم.

[٩] **الشَدق**:هو جانب الفم ،مما تحت الخد، وَقَوْلُهُ:(**يَفْتَتِحُ الْكَلَامَ وَيَخْتِمُهُ بِأَشْدَاقِهِ**): أَيْ لِسَعَةِ فَمِهِ، وَالْعَرَبُ تَتَمَادَحُ بِرحابة الفم؛ لأنه دليلٌ على جهارة الصوت.

[١٠] **ذَوَاقًا**:أي شيئاً مما يُذَاق،ويقع على المأكول والمشروب.

الْيُسْرَى ، وَإِذَا غَضِبَ أَعْرَضَ وَ**أَشَاحَ**[1] ، وَإِذَا فَرِحَ غَضَّ طَرْفَهُ ، جُلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ ، وَيَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ **حَبِّ الْغَمَامِ**[2].

قَالَ الْحَسَنُ: فَكَتَمْتُهَا عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ زَمَانًا ، ثُمَّ حَدَّثْتُهُ ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي إِلَيْهِ .

وكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْزُنُ لِسَانَهُ إلا مِمَّا يُعْنِيهِمْ ، وَيُؤَلِّفُهُمْ وَلا يُفَرِّقُهُمْ ، يُكْرِمُ كَرِيمَ كُلِّ قَوْمٍ ويوليه عليهم ، وَيَحذَرُ النَّاسَ وَيَحْتَرِسُ مِنْهُمْ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْوِي عَنْ أَحَدٍ بِشْرَهُ وَخُلُقَهُ ، وَيَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ ، وَيَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي النَّاسِ ، ويُحَسِّنُ الْحَسَنَ وَيُصَوِّبُهُ ، وَيُقَبِّحُ الْقَبِيحَ وَيُوَهِّنُهُ ، مُعْتَدِلُ الأَمْرِ غَيْرُ مُخْتَلِفٍ ، لَا يَغْفُلُ مَخَافَةَ أَنْ يَغْفُلُوا أَوْ يَمَلُّوا ، لِكُلِّ حَالٍ عِنْدَهُ **عَتَادٌ**[3] ، لَا يُقَصِّرُ عَنِ الْحَقِّ ، وَلَا يُجَاوِزُهُ إِلَى غَيْرِهِ ، الَّذِينَ يَلُونَهُ مِنَ النَّاسِ خِيَارُهُمْ ، وَأَفْضَلُهُمْ عِنْدَهُ أَعَمُّهُمْ نَصِيحَةً ، وَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً أَحْسَنُهُمْ مُوَاسَاةً وَ**مُؤَازَرَةً**[4].

و كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَجْلِسُ وَلَا يَقُومُ إِلَّا عَلَى ذِكْرٍ ، وَلَا **يُوَطِّنُ الأَمَاكِنَ**[5] ، وَيَنْهَى عَنْ إِيطَانِهَا ، وَإِذَا انْتَهَى إِلَى قَوْمٍ جَلَسَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ ، وَيَأْمُرُ بِذَلِكَ ويُعْطِي كُلَّ جُلَسَائِهِ نَصِيبَهُ.

قَدْ وَسِعَ النَّاسَ بَسْطُهُ وَخُلُقُهُ ، فَصَارَ لَهُمْ أَبًا ، وَصَارُوا عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ مُتَقَارِبِينَ، مُتَفَاضِلِينَ فِيهِ بِالتَّقْوَى، مُتَوَاضِعِينَ؛ يُوَقِّرُونَ فِيهِ الْكَبِيرَ ،

---

[1] **وَأَشَاحَ**: مَالَ وَانْقَبَضَ.

[2] **وَحَبُّ الْغَمَامِ**: الْبَرَدُ،وذلك لشدة بياض أسنانه.

[3] **وَالْعَتَادُ**: الْعِدَّةُ وَالشَّيْءُ الْحَاضِرُ الْمُعَدُّ.

[4] وَ**الْمُوَازَرَةُ**: الْمُعَاوَنَةُ وَقَوْلُهُ.

[5] **لَا يُوَطِّنُ الأَمَاكِنَ**: أَيْ لَا يَتَّخِذُ لِمُصَلَّاهُ مَوْضِعًا مَعْلُومًا وَقَدْ وَرَدَ نَهْيُهُ عَنْ هَذَا مُفَسَّرًا فِي غَيْرِ هَذَا الْحَدِيثِ.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَيَرْحَمُونَ الصَّغِيرَ ، وَ**يُرْفِدُونَ**[1] ذَا الْحَاجَةِ وَيَرْحَمُونَ الْغَرِيبَ ، مَجْلِسُهُ مَجْلِسُ حِلْمٍ وَحَيَاءٍ وَصَبْرٍ وَأَمَانَةٍ ، لَا تُرْفَعُ فِيهِ الْأَصْوَاتُ ، وَلَا **تُؤْبَنُ فِيهِ الْحُرَمُ**[2].

الْبَابُ الثَّالِثُ – فِيمَا وَرَدَ مِنْ صَحِيحِ الْأَخْبَارِ وَمَشْهُورِهَا بِعَظِيمِ قَدْرِهِ عِنْدَ رَبِّهِ وَمَنْزِلَتِهِ، وما خَصّه بِهِ فِي الدّارَيْنِ مِنْ كَرَامَتِهِ ﷺ.

ولَا خِلافَ أَنَّهُ أَكْرَمُ الْبَشَرِ، وَسَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَأَفْضَلُ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ، وَأَعْلاهُمْ دَرَجَةً، وَأَقْرَبُهُمْ زُلْفَى.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ جِدًّا ، وَقَد اقْتَصَرْنَا مِنْهَا عَلَى صَحِيحِهَا وَمُنْتَشِرِهَا ، وَحَصَرْنَا مَعَانِي مَا وَرَدَ مِنْهَا فِي اثْنَيْ عَشَرَ فَصْلًا.

(الْفَصْلُ الْأَوَّلُ)

مَكَانَتُهُ ﷺ عِنْدَ رَبِّهِ جلَّ وعلا

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ : مَتَى وَجَبَتْ لَكَ النُّبُوَّةُ؟ ،قَالَ: **(وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ)**[3].

وَعَنْ واثلة ابن الأَسْقَعِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :**(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ ، وَاصْطَفَى مِنْ**

---

[1] **يُرْفِدُونَ**:يُعِينُونَ.

[2] **تُؤْبَنُ فِيهِ الْحُرَمُ**:أي لا ترتكب فيه الحرمات ،ولا يُذكَرُ فيه أحدٌ بسوء.

[3] **صحيح**،رواه الترمذي في سننه:٩/٦،برقم: ٣٦٠٩،وأحمد في مسنده:١٧٦/٢٧،برقم: ١٦٦٢٣.

http://mohhanoona.blogspot.com/

بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ) [1]

وَرَوَى عَنْهُ ﷺ أَبُو ذَرٍّ ، وَابْنُ عُمَرَ ، وَابْنُ عَبَّاسٍ ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ ، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهم أَنَّهُ قَالَ: **(أُعْطِيتُ خَمْسًا - وَفِي بَعْضِهَا سِتًّا - لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُوْرَاً ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِنَبِيَّ قَبْلِي ، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، وَأُعطِيتُ الشَّفَاعَةَ)** [2].

وَفِي الْحَدِيثِ الآخَرِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه :**(نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَأُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ، وَبَيْنَا أَنَا نائم إذ جِئ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدَيَّ)** [3].

وَعَنِ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنه : **(بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ)** [4].

وَقَالَ ﷺ :**(إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الفِيلَ ، وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي ، وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ)** [1]

---

[1] **صحيح**،رواه الترمذي في سننه:٥/٦،برقم: ٣٦٠٥،وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

[2] رواه البخاري في صحيحه:٧٤/١،برقم: ٣٣٥ ، ومسلم:٣٧٠/١،برقم: ٥٢١ ، قال ابن حجر: (**نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ**) وَإِنَّمَا جَعَلَ الْغَايَةَ شَهْرًا لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ بَلَدِهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ أَعْدَائِهِ أَكْثَرُ مِنْهُ ، وَهَذِهِ الْخُصُوصِيَّةُ حَاصِلَةٌ لَهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ حَتَّى لَوْ كَانَ وَحْدَهُ بِغَيْرِ عَسْكَرٍ، وَ(**جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا**): أَيْ مَوْضِعَ سُجُودٍ لَا يَخْتَصُّ السُّجُودُ مِنْهَا بِمَوْضِعٍ دُونَ غَيْرِهِ ، وَ(**أُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ**) قَالَ الْخَطَّابِيُّ: كَانَ مَنْ تَقَدَّمَ عَلَى ضَرْبَيْنِ: مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فِي الْجِهَادِ فَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ مَغَانِمُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أُذِنَ لَهُ فِيهِ لَكِنْ كَانُوا إِذَا غَنِمُوا شَيْئًا لَمْ يَحِلَّ لَهُمْ أَنْ يَأْكُلُوهُ وَجَاءَتْ نَارٌ فَأَحْرَقَتْهُ (فتح الباري:١/ ٤٣٧) .

[3] رواه مسلم في صحيحه:٣٧٢/١،برقم: ٥٢٣،وأحمد في مسنده:٣٠٧/١٦،برقم: ١٠٥١٧ .

[4] **صحيح**، رواه احمد في مسنده:١٢٦/٩،برقم: ٥١١٥،والبيهقي في الشعب:٤١٧/٢،برقم: ١١٥٤.

(الْفَصْلُ الثَّانِي)

كَرَامَةُ الْإِسْرَاءِ

وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ قِصَّةُ الْإِسْرَاءِ[2] ، وَمَا انطَوَتْ عَلَيْهِ مِنْ دَرَجَاتِ الرِّفْعَةِ ممَّا نَبَّهَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ ، وَشَرَحَتْهُ صِحَاحُ الْأَخْبَارِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١]،وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ، وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ،ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ، وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى، ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ، مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى، وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ،عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ، إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ، مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ، لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾[النجم:١-١٨]

عَنْ أَنَسِ بن مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (**أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ** - وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ - قَالَ: **فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ**[3] **الَّتِي يَرْبُطُ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ دَخَلْتُ**

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:١٢٥/٣،برقم: ٢٤٣٤،ومسلم:٩٨٨/٢،برقم: ١٣٥٥،**قال ابن حجر**: وَفِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَغْدِرْ بِاسْتِحْلَالِ الْقِتَالِ بِمَكَّةَ بَلْ كَانَ بِإِحْلَالِ اللَّهِ لَهُ سَاعَةً وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَا جَازَ لَهُ.(فتح الباري:٢٥٨/٦).

[2] وقد ثبت الإسراء بالقرآن ، كما ثبت المعراج بالأحاديث المتواترة ، وفي هذه الليلة العظيمة أكرم الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بكرامات كثيرة منها: تكليمه ربه عز وجل ، وفرض الصلوات عليه ، وما رأى من الآيات الكبرى ، وإمامته للأنبياء عليهم السلام،وغيرها من الكرامات.

[3] **فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ** أي: حلقة باب مسجد بيت المقدس.

http://mohhanoona.blogspot.com/

الْمَسْجِدَ ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ خَرَجْتُ ، فَجَاءَنِي جبريل عليه السلام **بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ** ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: **اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ ، ثُمَّ عُرِجَ**[1] **بِنَا إِلَى السَّمَاءِ**، فَاستَفْتَحَ جبريل فَقِيلَ فقيل مَنْ أَنْتَ؟، قَالَ: **جِبْرِيلُ** ، **قِيلَ**: **وَمَنْ معك؟**، قَالَ: **مُحَمَّدٌ**، قِيلَ: **وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟**، قَالَ: **قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ** ﷺ **فَرَحَّبَ بِي ودعا لِي بِخَيْر ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ ، فَاستَفْتَحَ جبرئيل**، فَقِيلَ: **مَنْ أَنْتَ؟** ، قال: **جبريل**، قِيلَ: **وَمَنْ مَعَكَ؟**، قَالَ: **مُحَمَّدٌ** ، قِيلَ: **وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟** ، قَالَ: **قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفُتِحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِابْنَيِ الْخَالَةِ عيسى ابن مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا ، فَرَحَّبَا بِي وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ ، فَذَكَرَ مِثْلَ الْأَوَّلِ ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ** ﷺ ، **وَإِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ ، فَرَحَّبَ بِي ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ ، وَذَكَرَ مِثْلَهُ ، فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ ،**

فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[مريم:٥٧] ، **ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ ، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ** ﷺ ، **فَرَحَّبَ بِي ، وَدَعَا لِي بخير ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السادسة ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى** ﷺ **فَرَحَّبَ بِي ، وَدَعَا لِي بخير ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ ، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ** ﷺ **مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يعودون إِلَيْهِ ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى**[2] ، **وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيلَةِ ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ**[3]**، قَالَ فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أمر الله ما غشى تَغَيَّرَتْ ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى ، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ**

---

[1] **ثُمَّ عُرِجَ بِنَا** :أي صعد

[2] **سميت سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى**؛ لأن علم الملائكة ينتهي إليها ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله ﷺ.

[3] **الْقِلالِ**: جمع قلة والقلة جرة كبيرة

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَلَيْلَةٍ ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى عليه السلام ، فَقَالَ: **مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟** ، قُلْتُ: **خَمْسِينَ صَلاةً** ، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ **فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لا يُطِيقُونَ ذَلِكَ ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ** ، قَالَ: **فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي ، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ خَفِّفْ عَنْ أُمَّتِي ، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ حَطَّ عَنِّي خَمْسًا ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لا يُطِيقُونَ ذَلِكَ ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كل يوم وليلة، لكل صلاة عَشْر، فَتِلْكَ خَمْسُونَ صَلاةً ، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً** ، قَالَ: **فَنَزَلْتُ حتى انتهيت إِلَى مُوسَى فَأَخْبَرْتُهُ**، فَقَالَ: **ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ** ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ)**[١]

وحَدِيثُ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ أَتْقَنُ وَأَجْوَدُ مَا فِي البَابِ، وَقَدْ وَقَعَتْ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ زِيادَاتٌ نَذْكُرُ مِنْهَا نُكَتًا مُفِيدَةً فِي غَرَضِنَا:

١- مِنْهَا فِي حَدِيث ابْنِ شِهَابٍ، وَفِيهِ قَوْلُ كُلِّ نَبِيٍّ لَهُ: **مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ** إِلَّا آدَمَ وَإِبْرَاهِيمَ فَقَالَا لَهُ: **الْابْنِ الصَّالِحِ**[٢].

٢- وَفِيهِ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ عَبَّاسٍ: **ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ بِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلامِ**[٣].

---

[١] رواه مسلم في صحيحه:١٤٥/١،برقم: ١٦٢،وأحمد في مسنده:٤٨٥/١٩،برقم:١٢٥٠٥.

[٢] رواه البخاري في صحيحه:٨٧/١،برقم: ٣٤٩،ومسلم:١٤٨/١،برقم: ١٦٣.

[٣] رواه البخاري في صحيحه:٨٧/١،برقم: ٣٤٩،ومسلم:١٤٨/١،برقم: ١٦٣،عن أنس ،والطبراني في الكبير:٣٢٦/٢٢،برقم:٨٢٢،والحاكم في المستدرك:٧٣٣/٣،برقم: ٦٦٦١،عن ابن عباس،وهو صحيح.

http://mohhanoona.blogspot.com/

٣-وَعَنْ أَنَسٍ: **ثُمَّ انْطُلِقَ بِي حَتَّى أَتَيْتُ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى، فَغَشِيهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ** ، قَالَ: **ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ**[1].

(الْفَصْلُ الثَّالِثُ)

حَقِيقَةُ الْإِسْرَاءِ

وَذَهَبَ مُعْظَمُ السَّلَفِ وَالْمُسْلِمِينَ إِلَى أَنَّهُ إِسْرَاءٌ بِالْجَسَدِ ، وَفِي اليَقْظَةِ ، وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ ، وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْفُقَهَاءِ، وَالْمُحَدِّثِينَ، وَالْمُتَكَلِّمِينَ، وَالْمُفَسِّرِينَ.

قالَ الْقَاضِي وَفَّقَهُ اللَّهُ: وَالْحَقُّ مِنْ هَذَا وَالصَّحِيحُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنَّهُ إِسْرَاءٌ بِالْجَسَدِ وَالرُّوحِ فِي الْقِصَّةِ كُلِّهَا ، وَعَلَيْهِ تَدُلُّ الآيَةُ ، وَصَحِيحُ الْأَخْبَارِ ، وَالاعْتِبَارُ ، وَلَا يُعْدَلُ عَنِ الظَّاهِرِ وَالْحَقِيقَةِ إِلَى التَّأْوِيلِ إِلَّا عِنْدَ الاسْتِحَالَةِ ، وَلَيْسَ فِي الْإِسْرَاءِ بِجَسَدِهِ وَحَالِ يَقْظَتِهِ اسْتِحَالَةٌ .

وَلَوْ كَانَ مَنَامًا لَقَالَ: بِرُوحِ عَبْدِهِ، وَلَمْ يَقُلْ: ﴿ بِعَبْدِهِ ﴾ ، وَفِي ذِكْرِ صَلاتِهِ بِالْأَنْبِيَاءِ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وذكر مَجِئ جِبْرِيلَ لَهُ بِالبُرَاقِ ، وَخَبَرِ الْمِعْرَاجِ ، وَاسْتِفْتَاحِ السَّمَاءِ، وَهَذَا بَيِّنٌ فِي أَنَّهُ بِجِسْمِهِ.

(الْفَصْلُ الرَّابِعُ)

فِي إِبْطَالِ حُجَجِ مَنْ قَالَ: إِنَّهَا نَوْمٌ

احْتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾[الإسراء:٦٠] فَسَمَّاهَا رُؤْيَا، قُلْنَا: قَوْلُهُ: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بعبده ﴾[الإسراء:١] يَرُدُّهُ ؛ لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ فِي النَّوْمِ أَسْرَى.

[1] رواه البخاري في صحيحه:١٣٥/٤،برقم: ٣٣٤٢،ومسلم:١٤٨/١،برقم: ١٦٣.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَقَوْلُهُ: ﴿فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ يُؤَيِّدُ أَنَّهَا رُؤْيَا عَيْنٍ ، وَإِسْرَاءٌ بِشَخْصٍ إِذْ لَيْسَ فِي الْحُلْمِ فِتْنَةٌ ، وَلَا يُكَذِّبُ بِهِ أَحَدٌ ؛ لِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَرَى مِثْلَ ذَلِكَ فِي مَنَامِهِ مِنَ الْكَوْنِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ فِي أَقْطَارٍ مُتَبَايِنَةٍ.

فَإِنْ قِيلَ: فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾[النجم:١١] فَقَدْ جَعَلَ مَا رآه لِلْقَلْبِ ،وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ رُؤْيَا نَوْمٍ ووَحْيٌ لَا مُشَاهَدَةُ عَيْنٍ وَحِسٍّ ، قُلْنَا: يُقَابِلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾[النجم:١٧]، فَقَدْ أَضَافَ الْأَمْرَ لِلْبَصَرِ، وَقَدْ قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾[النجم:١١]أَيْ: لَمْ يُوهِمِ الْقَلْبُ الْعَيْنَ غَيْرَ الْحَقِيقَةِ بَلْ صَدَقَ رُؤْيَتَهَا ،وَقِيلَ: مَا أَنْكَرَ قَلْبُهُ مَا رَأَتْهُ عَيْنُهُ.

(الفَصْلُ الخَامِس)

رُؤْيَتُهُ ﷺ لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ

وَأَمَّا رُؤْيَتُهُ ﷺ لِرَبِّهِ جَلَّ وَعَزَّ ، فَاخْتَلَفَ السَّلَفُ فِيهَا، فَأَنْكَرَتْهُ عَائِشَةُ رضي الله عنها .

وعَنْ مَسْرُوقٍ أَنَّهُ قَالَ لِعَائِشَةَ رضي الله عنها : **يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ؟** ، فَقَالَتْ: **لَقَدْ قَفَّ شَعْرِي مِمَّا قُلْتَ ، ثَلاثٌ مَنْ حَدَّثَكَ بِهِنَّ فَقَدْ كَذَبَ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ:** ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[الأنعام:١٠٣] ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ[1].

وَقَالَ جَمَاعَةٌ بِقَوْلِ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، وَهُوَ الْمَشْهُورُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه ، وَمِثْلُهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، وَقَالَ بِإِنْكَارِ هَذَا وَامْتِنَاعِ رُؤْيَتِهِ فِي الدُّنْيَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ.

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:١/١٤٠،برقم: ٤٨٥٥،ومسلم:١/١٦٠،برقم: ١٧٧،(**قَفَّ شَعْرِي**) أي: قام من الفزع والخوف من هيبة الله عز وجل، (**لَا تُدْرِكُهُ**) أي: لا تحيط به وفهمت عائشة رضي الله عنها من هذا نفي الرؤية.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﭬ :أَنَّهُ رَآهُ بِعَيْنِهِ[1] ، وَرَوَى عطَاءٌ عَنْهُ : أَنَّهُ رَآهُ بِقَلْبِهِ[2] ، وَعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ عَنْهُ : رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ[3].

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ ﭬ : وَالْحَقُّ الَّذِي لَا امْتِرَاءَ فِيهِ أَنَّ رُؤْيَتَهُ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا جَائِزَةٌ عَقْلًا ، وَلَيس فِي الْعَقْلِ مَا يُحِيلُهَا ، وَلَيْسَ فِي الشَّرْعِ دَلِيلٌ قَاطِعٌ عَلَى اسْتِحالَتِهَا وَلَا امْتِنَاعِهَا ، إِذْ كُلّ مَوْجُودٍ فَرُؤْيَتُهُ جَائِزَةٌ غَيْرِ مُسْتَحِيلَةٍ ، وَقَدْ رَأَيْتُ لِبَعْضِ السَّلَفِ وَالْمُتَأَخِّرِينَ مَا مَعْنَاهُ أَنَّ رُؤْيَتَهُ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا مُمْتَنِعَةٌ لِضَعْفِ تَرْكِيبِ أَهْلِ الدُّنْيَا وقُوَاهُمْ ، وَكَوْنِهَا مُتَغَيِّرَةً عَرضًا لِلآفَاتِ وَالْفَنَاءِ ، فَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ قُوَّةٌ عَلَى الرُّؤْيَةِ ، فَإِذَا كَانَ فِي الآخِرَةِ وَرُكِّبُوا تَرْكِيبًا آخَرَ وَرُزِقُوا قُوى ثَابِتَةً بَاقِيَةً ، وَأَتَمَّ أَنْوارَ أَبْصَارِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ قَوُوا بِهَا عَلَى الرُّؤْيَةِ ، وَقَدْ رَأَيْتُ نَحْوَ هَذَا لمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ ﭬ ، قال: لَمْ يُرَ فِي الدُّنْيَا لِأَنَّهُ بَاقٍ ، وَلَا يُرَى الْبَاقِي بِالْفَانِي ، فَإِذَا كَانَ فِي الآخِرَةِ وَرُزِقُوا أبصاراً بَاقِيَةً رُئي الْبَاقِي بِالْبَاقِي ، وَهَذَا كلامٌ حَسَنٌ مَلِيحٌ ، وَلَيْس فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى الاسْتِحَالَةِ إِلَّا مِنْ حَيْثُ ضعْفُ الْقُدْرَةِ فَإِذَا قَوَّى اللَّهُ تَعَالَى مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ وأَقْدَرَهُ عَلَى حَمْلِ أَعْبَاءِ الرُّؤْيَةِ لَمْ تَمْتَنِعْ فِي حَقِّهِ والله أَعْلَمُ.

وَأَمَّا وُجُوبُهُ لِنَبِيِّنا ﷺ وَالقَولُ بِأَنَّهُ رآه بِعَيْنِهِ فَلَيْسَ فِيهِ قَاطِعٌ أيْضًا ، وَلَا نَصٌّ ، إِذِ المُعَوَّلُ فِيهِ عَلَى آيَتَي النَّجْمِ ، والتَّنازُع فِيهِمَا مَأْثُورٌ ، وَالاحْتِمالُ لَهُمَا مُمْكِنٌ ، وَلَا أَثَرَ قَاطِعٌ مُتَواتِرٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِذَلِكَ.

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:٥٤/٥،برقم: ٣٨٨٨ ،والترمذي في سننه:٣٠٢/٥،برقم: ٣١٣٤.

[2] رواه مسلم في صحيحه:١٥٨/١،برقم: ١٧٦.

[3] رواه مسلم في صحيحه:١٥٨/١،برقم: ١٧٦،والنسائي في سننه:٢٧٥/١٠،برقم: ١١٤٧١.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الفَصْلُ السَّادِسُ)

مُنَاجَاتِهِ لِلَّهِ تَعَالَى

وَكَلامُ اللَّهِ تَعَالَى لِمُحَمَّدٍ ﷺ وَمِنِ اخْتَصَّهُ مِنْ أَنْبِيَائِهِ جَائِزٌ غَيْرِ مُمْتَنِعٍ عَقْلًا ، وَلَا وَرَدَ فِي الشَّرْعِ قَاطِعٌ يَمْنَعُهُ ، فَإِنْ صَحَّ فِي ذَلِكَ خَبَرٌ اعْتُمِدَ عَلَيْهِ ، وَكلامُهُ تَعَالَى لِمُوسَى كَائِنٌ حَقٌ مَقْطوعٌ بِهِ نَصَّ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ ، وَأَكَّدَهُ بِالْمَصْدَرِ دَلالَةً عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَرَفَعَ مَكَانَهُ عَلَى مَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثَ فِي السَّمَاءِ السَّابعةِ بسبب كَلامَهِ ، وَرفَعَ مُحَمَّدًا فَوْقَ هَذَا كُلّهِ حَتَّى بَلَغَ مُسْتَوى وَسَمِعَ صَرِيفَ الْأَقْلامِ ، فَكَيْفَ يَسْتَحِيلُ فِي حقَّ هَذَا أَوْ يَبْعُدُ سَمَاعُ الْكَلَامِ؟ ، فَسُبْحَانَ منْ خَصَّ منْ شَاءَ بِمَا شَاءَ وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ.

(الْفَصْلُ السَّابِعُ)

الدُّنُوُّ وَالْقُرْبُ

وَأَمَّا مَا وَرَدَ فِي حَدِيث الْإِسْرَاءِ ،وَظَاهِرِ الآيَةِ مِنَ الدُّنُوّ وَالْقُرْبِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم:٨-٩] .

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه فِي الصَّحِيحِ: (**عَرَجَ بي جِبْرِيلُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، وَدَنَا الْجَبّارُ رَبُّ الْعِزَّةِ ، فَتَدَلَّى حَتَّى كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى**) [١] .

[١] رواه البخاري في صحيحه:١٤٩/٩،برقم: ٧٥١٧،وابن خزيمة في التوحيد: ٥٢١/١،برقم: ٥١ ،وقوله: (**وَدَنَا الْجَبّارُ**) هذا من المتشابه الذي توهم التشبيه ، فلا يجوز حمله على ظاهره ، بل يجب تأويله بما يليق به سبحانه ، فقيل: هو مجاز عن قربه المعنوي ، وإظهار منزلته عند الله تعالى. (**فَتَدَلَّى**) طلب زيادة القرب. (**قَابَ قَوْسَيْنِ**) ما بين طرفي القوس.

http://mohhanoona.blogspot.com/

قَالَ الْقَاضِـي أَبُو الْفَضْلِ ﵀: اعْلَم أن مَا وَقَعَ مِنْ إِضَافَةِ الدُّنُوّ والْقُرْبِ هُنَا مِنَ اللَّه ، أَوْ إِلَى اللَّه فَلَيْسَ بِدُنُوّ مَكَانٍ ، وَلَا قُرْبِ مَدَى ، بَلْ كَمَا ذَكَرْنا عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ ﵀ : لَيس بِدُنُوّ حَدٍّ ، وَإِنَّمَا دُنُوُّ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ رَبّه، وَقُرْبُهُ منه إِبَانَةُ عَظِيْمِ مَنْزِلَتِهِ ، وَتَشْرِيفُ رُتْبَتِهِ ، وَإِشْراقُ أَنْوارِ مَعْرِفَتِهِ، وَمُشَاهَدَةُ أَسْرَارِ غَيْبِهِ وَقُدْرَتِهِ ، وَمِنَ اللَّه تَعَالَى لَهُ مَبَرَّةٌ وَتَأْنِيسٌ وَبَسْطٌ وَإِكْرَامٌ ، وَيُتَأَوَّلُ فِيهِ مَا يُتَأَوَّلُ فِي قَوْلِهِ: **(يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى سماء الدُّنْيا)** [1] عَلَى أَحَدِ الْوُجُوهِ: نُزُولَ إِفْضَالٍ وَإِجْمَالٍ وَقَبُولٍ وَإِحْسَانٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾[النجم:٨-٩]، فَمَنْ جَعَلَ الضَّمِيرَ عَائِدًا إِلَى اللَّه تَعَالَى لَا إِلَى جِبْرِيلَ عَلَى هَذَا كَانَ عِبَارَةً عَنْ نِهَايَةِ الْقُرْبِ ، وَلُطْفِ الْمَحَلّ وَإِيضَاحِ الْمَعْرِفَةِ ، وَالإِشْرَافِ عَلَى الْحَقِيقَةِ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَعِبَارَة عَن إِجَابَةِ الرَّغْبَةِ ، وَقَضَاءِ الْمَطَالِبِ ، وَإِظْهَارِ التَّحَفِّي ، وَإِنَافَةِ الْمَنْزِلَةِ وَالْمَرْتَبَةِ مِنَ اللَّه لَهُ ، وَيُتَأَوَّلُ فِيهِ مَا يُتَأَوَّلُ فِي قَوْلِهِ: **(مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً)** [2] قُرْبٌ بِالإِجَابَةِ وَالْقَبُولِ وإِتْيَانٌ بِالإِحْسَانِ وَتَعْجِيلُ الْمَأْمُولِ.

---

[1] رواه البخاري في صحيحه :٥٣/٢،برقم: ١١٤٥،ومسلم:٥٢١/١،برقم: ٧٥٨، وَمَذْهَبُ جُمْهُورِ السَلَف وَبَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ أَنَّهُ يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى ، وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد ، ولا يتكلم في تأويلها ، مع إعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق ، وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق.

[2] رواه البخاري في صحيحه:١٥٧/٩،برقم: ٧٥٣٧،ومسلم:٢٠٦٧/٤،برقم:٢٦٧٥،**وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ** : لَمَّا قَامَتِ الْبَرَاهِينُ عَلَى اسْتِحَالَةِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى وَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِطَاعَةٍ قَلِيلَةٍ جَازَيْتُهُ بِثَوَابٍ كَثِيرٍ ، وَكُلَّمَا زَادَ فِي الطَّاعَةِ أَزِيدُ فِي الثَّوَابِ ، وَإِنْ كَانَتْ كَيْفِيَّةُ إِتْيَانِهِ بِالطَّاعَةِ بِطَرِيقِ التَّأَنِّي يَكُونُ كَيْفِيَّةُ إِتْيَانِي بِالثَّوَابِ بِطَرِيقِ الْإِسْرَاعِ ، وَالْحَاصِلُ أَنَّ الثَّوَابَ رَاجِحٌ عَلَى الْعَمَلِ بِطَرِيقِ الْكَيْفِ وَالْكَمِّ ، وَلَفْظُ الْقُرْبِ وَالْهَرْوَلَةِ مَجَازٌ عَلَى سَبِيلِ الْمُشَاكَلَةِ أَوِ الِاسْتِعَارَةِ أَوْ إِرَادَةِ لَوَازِمِهَا.(فتح الباري:٥١٤/١٣).

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الفَصْلُ الثَامِنِ)

فِي ذِكْرِ تَفْضِيلِهِ يومَ القِيامَةِ بخُصُوصِ الكَرَامَةِ

وَعَنْ أبي هريرة ﷺ ، عنه ﷺ :(**أنا سَيّدُ ولدِ آدمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَوّلُ منْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**)[1] ، وَعَنْ أَنَسٍ ﷺ :(**أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ ، وَأَنَا أَكْثَرُ النَّاسِ تَبَعًا**) [2] ، وَعَنْ أَنَسٍ ﷺ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (**آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ من أنْتَ ، فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ فَيَقُولُ بِكَ أُمِرتُ أَنْ لَا أَفْتَحَ لأحَدٍ قَبْلَكَ**) [3] ، وَعَنْ عَبْد اللَّهِ بن عَمْرٍو ﷺ ، قال: قال رسول الله ﷺ :(**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ ، كِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا**) [4] .

---

[1] رواه البخاري في صحيحه :١٣٤/٤،برقم: ٣٣٤٠ ،ومسلم:١٧٨٢/٤،برقم: ٢٢٧٨،واللفظ له، **قال ابن حجر**: قَوْلُهُ:(**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) خَصَّهُ بِالذِّكْرِ لِظُهُورِ ذَلِكَ لَهُ يَوْمَئِذٍ حَيْثُ تَكُونُ الْأَنْبِيَاءُ كُلُّهُمْ تَحْتَ لِوَائِهِ وَيَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ.(فتح الباري:٣٧٢/٦).

[2] رواه مسلم في صحيحه:١٨٨/١،برقم: ١٩٦،والدارمي في سننه:١٩٨/١،برقم: ٥٢.

[3] رواه مسلم في صحيحه:١٨٨/١،برقم: ١٩٧،وأحمد في مسنده:٣٨٨/١٩،برقم: ١٢٣٩٧.

[4] رواه البخاري في صحيحه:١١٩/٨،برقم: ٦٥٧٩،ومسلم:١٧٩٣/٤،برقم: ٢٢٩٢،(**مَسِيرَةُ**): أي طول حافته تحتاج إلى السير هذه المدة،(**كِيزَانُهُ**):جمع كوز ، والتشبيه بالنجوم من حيث الكثرة والضياء،(**يَظْمَأْ**) يعطش.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الفَصْلُ التَاسِعُ)

فِي تَفْضِيلِه بِالْمَحبَّةِ وَالْخِلَّةِ

و جَاءَتْ بِذَلِكَ الآثَارُ الصَّحِيحَةُ ، واخْتُصَّ عَلَى أَلْسنَةِ الْمُسْلِمِينَ بِحَبِيبِ اللَّه.

و عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: **(لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْر رَبِّي لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ)** [1] ، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: **(وإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ)** [2].

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ رحمه الله : اخْتُلِفَ فِي تَفْسِيرِ الْخُلَّةِ وَأَصْلِ اشْتِقَاقِهَا ، فَقِيلَ: الْخَلِيلُ الْمُنْقَطِعُ إِلَى اللَّه ، الَّذِي لَيْسَ فِي انْقِطَاعِهِ إليه وَمَحَبَّتِهِ لَهُ اخْتِلَالٌ ، وَقِيلَ: الْخَلِيلُ الْمُخْتَصُّ ، وَاخْتَارَ هَذَا الْقَوْلَ غَيْرُ وَاحِدٍ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَصْلُ الْخُلَّةِ الاسْتِصْفَاءُ ، وَسُمِّيَ إِبْرَاهِيمُ خليل الله لِأَنَّهُ يُوَالِي فِيهِ ويُعَادِي فِيهِ ، وَخُلَّةُ اللَّه لَهُ: نَصْرُه وَجَعْلُهُ إِمَامًا لِمَنْ بَعْدَهُ ، وَقِيلَ الْخَلِيلُ: أَصْلُهُ الْفَقِيرُ الْمُحْتَاجُ الْمُنْقَطِعُ مَأْخُوذٌ مِنَ الْخَلَّةِ: وَهِيَ الْحَاجَةُ ، فَسُمِّي بِهَا إِبْرَاهِيمُ ؛ لِأَنَّهُ قَصَر حَاجَتَهُ عَلَى رَبِّهُ ، وَانْقَطَعَ إِلَيْهِ بِهَمِّهِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ قَبْلَ غَيْرِهِ.

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بن فُورَكٍ: الْخُلَّةُ صَفَاءُ الْمَوَدَّةِ التي تُوجِبُ الاخْتِصَاصَ بِتَخَلُّلِ الْأَسْرَارِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَصْلُ الْخُلَّةِ الْمَحَبَّةُ وَمَعْنَاهَا الْإِسْعَافُ وَالْإِلْطَافُ والتَّرْفِيعُ والتَّشْفِيعُ ،وَقَدْ بَيَّنَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المائدة:١٨] فَأَوْجَبَ لِلْمَحْبُوبِ أَنْ لا يُؤَاخَذَ بِذُنُوبِهِ.

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:٤/٥،برقم: ٣٦٥٦،ومسلم:١٨٥٥/٤،برقم: ٢٣٨٣.

[2] رواه مسلم:١٨٥٥/٤،برقم: ٢٣٨٣،وابن ماجة في سننه:٣٦/١٤،برقم: ٩٣.

http://mohhanoona.blogspot.com/

فَإِذاً تَسْمِيَةُ إِبْرَاهِيم وِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ بِالْخُلَّةِ ؛ إِمَّا بِانْقِطَاعِهِمَا إِلَى اللهِ وَوَقْفِ حَوَائِجِهِمَا عَلَيْهِ ، وَالانْقِطَاعِ عَمَّنْ دُونَهُ وَالإضْرَابِ عَنِ الْوَسَائِطِ وَالْأَسْبَابِ ، أَوْ لِزِيَادَةِ الاخْتِصَاصِ مِنْهُ تَعَالَى لَهُمَا ، وَخَفِيِّ إِلْطَافِهِ عِنْدَهُمَا ، وَمَا خَالَلَ بَوَاطِنهمَا مِنْ أَسرَارِ إِلَهِيَّتِهِ ، وَمَكْنُونِ غُيُوبِهِ وَمَعْرِفَتِهِ ، أَوْ لاسْتِصْفَائِهِ لَهُمَا وَاسْتِصْفَاءِ قُلُوبِهِمَا عَمَّنْ سِواهُ حَتَّى لَمْ يُخَالِلْهُمَا حُبٌّ لِغَيْرِهِ ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُهُمْ: الْخَلِيلُ من لَا يَتَّسِعُ قَلْبُهُ لِسَواهُ ،وَهُوَ عِنْدَهُمْ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: **(وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ، لكِنْ أُخوَّة الْإِسْلَام)**[1] .

واخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ أَرْبَابُ الْقُلُوبِ أَيُّهُمَا أَرْفَعُ: دَرَجَةُ الْخُلَّةِ أَوْ دَرَجَةُ الْمَحَبَّةِ؟ فَجَعَلَهُمَا بَعْضُهُمْ سَوَاءً ، فَلَا يَكُونُ الْحَبِيبُ إِلَّا خَلِيلًا وَلَا الْخَلِيلُ إِلَّا حَبِيبًا ، لَكِنَّهُ خَصَّ إِبْرَاهِيمَ بِالْخُلَّةِ ومحمداً بِالْمَحَبَّةِ .

وَبَعْضُهُمْ قَالَ: دَرَجَةُ الْخُلَّةِ أَرْفَعُ وَاحْتَجَّ بِقَوْلِهِ ﷺ :**(لَوْ كُنْتُ مُتَّخذًا خَلِيلًا غَيْرِ رَبّي عَزَّ وَجَلَّ)**[2] ، فَلَمْ يَتَّخِذْهُ وَقَدْ أَطْلَقَ الْمَحَبَّةَ لِفَاطِمَةَ وابْنَيْهَا ، وَأُسَامَةَ وَغَيْرِهِمْ ، وَأَكْثَرُهُمْ جَعَلَ الْمَحَبَّةَ أَرْفَعَ مِنَ الْخُلَّةِ.

فَإِذاً مَزِيةُ الْخُلَّةِ وَخُصُوصِيَّةُ الْمَحَبَّةِ حَاصِلَةٌ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ الصَّحِيحَة المنتشرة الْمُتَلَقَّاةُ بِالْقَبُولِ مِنَ الْأُمَّةِ ، وَكَفَى بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[آل عمران:٣١]

والْفَرْقِ بَيْنَ الْمَحبَّةَ وَالْخُلَّةِ يَطُولُ ، وجُمْلَةُ إِشَارتِهِ إِلَى تَفْضِيلِ مَقَامِ الْمَحَبَّةَ عَلَى الْخُلَّةِ ، وَنَحْنُ نَذْكُرُ مِنْهُ طَرَفًا يَهْدِي إِلَى مَا بَعْدَهُ ، فَمَن ذَلِكَ قَوْلهُمْ:

[1] رواه البخاري في صحيحه:١٠٠/١،برقم: ٤٦٦،ومسلم:١٨٥٤/٤،برقم: ٢٣٨٢.

[2] رواه البخاري في صحيحه:٤/٥،برقم: ٣٦٥٤،ومسلم:١٨٥٥/٤،برقم: ٣٦٥٤.

http://mohhanoona.blogspot.com/

١ - الْخَلِيلُ يَصِلُ بِالْوَاسِطَةِ من قَوْلِهِ: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [الأنعام:٧٥] ، وَالْحَبِيبُ يَصِلُ إِلَيْهِ من قَوْلِهِ: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَو أَدْنَى ﴾ [النجم:٩]

٢ - وَقِيلَ: الْخَلِيلُ الَّذِي تَكُونُ مَغْفِرَتُهُ فِي حَدِّ الطَّمَعِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الشعراء: ٨٢] ، وَالْحَبِيبُ الَّذِي مَغْفِرَتُهُ فِي حَدِّ الْيَقِينِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ [الفتح: ٢]

٣ - وَالْخَلِيلُ قَالَ: ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ [الشعراء:٨٧] ، وَالْحَبِيبُ قِيلَ لَهُ: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ ﴾ [التحريم:٨] ، فَابْتُدِئَ بِالْبِشَارَةِ قَبْلَ السُّؤَالِ .

٤ - وَالْخَلِيلُ قَالَ فِي الْمِحْنَةِ : ﴿ حَسْبِيَ اللَّهُ ﴾ [التوبة:١٢٩] ، وَالْحَبِيْبُ قِيْلَ لَهُ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ ﴾ [الأنفال:٦٤].

٥ - وَالْخَلِيلُ قَالَ: ﴿ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ [الشعراء:٨٤] ، وَالْحَبِيْبُ قِيْلَ لَهُ: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح:٤] أُعْطِيَ بِلَا سُؤَالٍ.

٦ - وَالْخَلِيلُ قَالَ: ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم:٣٥] ، وَالْحَبِيبُ قِيلَ لَهُ: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب:٣٣]

وَفِيمَا ذَكَرْنَاهُ تَنْبِيهٌ عَلَى مَقْصِدِ أَصْحَابِ الْمَقَالِ من تَفْضِيلِ الْمَقَامَاتِ وَالْأَحْوَالِ وَ ﴿ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٤].

(الفَصْلُ العَاشِرُ)

فِي تَفضِيلِهِ بِالشّفَاعَةِ وَالمَقَامِ المَحمُود

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ [الإسراء:٧٩]، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : سُئِلَ عَنْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْنِي -الآيَة- فَقَالَ : (هِيَ الشَّفَاعَةُ)[١] ، وشَفَاعَتَهُ ﷺ وَمَقَامُهُ الْمَحْمُودَ حِينِ يَجْتَمِعُ النَّاسُ لِلْحَشْرِ ، وَتَضِيقُ بِهِمُ الحناجر ، ويَبْلغُ مِنْهُم الْعَرَقُ وَالشَّمْسُ وَالْوُقُوفُ مَبْلَغَهُ ، وَذَلِكَ قَبْلَ الْحِسَابِ ، فَيَشْفَعُ حِينئذٍ لإراحَةِ النَّاسِ مِنَ الْمَوْقِفِ.

وَفِي الْحَدِيثَ الْمُنْتَشِرِ الصَّحِيحِ: (**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُو بِهَا ، وَاخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)[٢].

قالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: مَعْناهُ دَعْوَةٌ أُعْلِمَ أَنَّهَا تُسْتَجابُ لَهُمْ ، وَيُبْلَغُ فِيهَا مَرْغُوبُهُمْ ، فَتَكُونُ هَذِهِ الدَّعْوَةُ الْمَنْكُورَةُ مَخْصُوصَةً بِالْأُمَّةِ ، مَضْمُونَةَ الْإِجَابَةِ ، وَادَّخَرَ

---

[١] رواه البخاري في صحيحه:٨٦/٦،برقم: ٤٧١٨،والترمذي في سننه:١٥٤/٥،برقم: ٣١٣٧، واللفظ له ،وقال الترمذي:وهذا حديث حسن، وله ﷺ عَشْرُ شفاعاتٍ : (**أُولاهَا**) في الفصل بين أهل الموقف حين يفزعون إليه بعد الأنبياء ﷺ ، (**والثانية**) الشفاعة في أهل الجنة حتى يدخلوا الجنة ، فإنهم لا يدخلونها إلا بشفاعته ﷺ، وهذه والتى قبلها من خصائصه ﷺ ، (**والثالثة**) في أناس استحقوا دخول النار فلا يدخلونها ، (**والرابعة**) في أناس دخلوا النار فيخرجون منها ، (**والخامسة**) في رفع درجات أناس في الجنة، **قال النووي**: ويجوز أن تكون الثالثة والخامسة أيضاً من خصائصه ، (**والسادسة**) تخفيف العذاب عمن استحق الخلود فيها ، كما في حق أبى طالب ، (**والسابعة**) شفاعته لمن مات بالمدينة ، (**والثامنة**) شفاعته لمن صبر على لأواء المدينة ، (**والتاسعة**) شفاعته لفتح باب الجنة كما رواه مسلم ، (**والعاشرة**) شفاعته لمن أجاب المؤذن.

[٢] رواه البخاري في صحيحه:٦٧/٨،برقم: ٦٣٠٤،ومسلم:١٨٨/١،برقم: ١٩٨،وأحمد في مسنده:٢١٠/١٦،برقم: ١٠٣١١.

http://mohhanoona.blogspot.com/

لَهُمْ هَذِهِ الدَّعْوَةَ لِيَوْمِ الْفَاقَةِ ، وخَاتِمَةِ الْمِحَنِ ، وَعَظِيمِ السُّؤَالِ وَالرَّغْبَةِ ، جَزَاهُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا جَزَى نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا.

(الفَصْلُ الحَادِي عَشَر)

فِي تَفْضِيلِهِ ﷺ فِي الجَنَّةِ بِالوَسِيْلَةِ وَالدَّرَجَةِ الرَفِيْعَةِ وَالكَوثَرِ وَالفَضِيْلَةِ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﵁ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **(إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا ، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجنة لا تنبغي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ، فَمَنْ سَأَلَ اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ)** [1] .

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ : **(الْوَسِيلَةُ أَعْلَى دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ)** [2] ، وَعَنْ أَنَسٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ ، إِذْ عَرَضَ لِي نَهْرٌ حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ قُلْتُ لِجِبْرِيلَ : مَا هَذَا ، قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَهُ اللَّهُ ، قَالَ: ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى طِينَتِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِسْكًا)** [3] .

---

[1] رواه مسلم في صحيحه:٢٨٨/١،برقم: ٣٨٤،وأبو داود في سننه:١٤٤/١،برقم: ٥٢٣، والترمذي:١٣/٦،برقم: ٣٦١٤،وأحمد في مسنده:٣٦٦/١٨،برقم: ١١٨٦٠.

[2] **صحيح**، رواه أحمد في مسنده:٤٠/١٣،برقم: ٧٥٩٨، والترمذي في سننه:٥٨٦/٥، برقم: ٣٦١٢،وعبد الرزاق في مصنفه:٢١٦/٢،برقم: ٣١٢٠.

[3] رواه البخاري في صحيحه:١٧٨/١،برقم: ٤٩٦٤،وأحمد في مسنده:٣٩٩/٢٠،برقم: ١٣١٥٦.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الفَصْلُ الثَّانِي عَشَر)

فِي مَعنَى الأَحَادِيثِ الوَارِدَةِ فِي النَهْيّ عَن تَفْضِيلِهِ

فَإِنْ قُلْتَ: إِذَا تَقَرَّرَ من دَلِيلِ الْقُرْآنِ وَصَحِيح الْأَثَرِ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ كَونُهُ أَكْرَمَ الْبَشَرِ وَأَفْضَلَ الْأَنْبِيَاءِ ، فَمَا مَعْنَى الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ بِنَهْيِهِ عَنِ التَّفْضِيلِ ، كَقَوْلِهِ ﷺ : (**مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى**)[1] وقَوْلِهِ ﷺ : (**لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ**)[2] ، وَفِي رِوَايَةٍ :(**لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى**)[3] ، وَمِنْهُ : (**وَلَا أَقُولُ إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى**)[4] ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : (**من قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى فَقَدْ كَذَبَ**)[5]، وَفِي حَدِيثٍ جَاءَهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ : يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ ، فَقَالَ:(**ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ**)[6].

فَاعْلَمْ أَنَّ لِلْعُلَمَاءِ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ تَأْوِيلَاتٍ :

(**أَحَدُهَا**) أَنَّ نَهْيَهُ عَنِ التَّفْضِيلِ كَانَ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ فَنَهَى عَنِ التَّفْضيلِ ، إِذْ يَحْتَاجُ إِلَى تَوْقِيفٍ ، وَأَنَّ مَنْ فَضَّلَ بِلَا عِلْمٍ فَقَدْ كَذَبَ .

وَقَوْلُهُ:(**وَلَا أَقُولُ إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْهُ**) لَا يَقْتَضِي تَفْضِيلَهُ هُوَ ؛ وَإِنَّمَا هُوَ فِي الظَّاهِرِ كَفٌّ عَنِ التَّفْضِيلِ.

(**الْوَجْهُ الثَّانِي**) أَنَّهُ قَالَهُ ﷺ عَلَى طَرِيقِ التَّوَاضُعِ وَنَفْيِ التَّكَبُّرِ وَالْعُجْبِ ، وَهَذَا لَا يَسْلَمُ مِنَ الاعْتِرَاضِ.

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:١٥٩/٤،برقم: ٣٤١٣،ومسلم:١٨٤٦/٤،برقم: ٢٣٧٧.

[2] رواه البخاري في صحيحه:١٥٩/٤،برقم: ٣٤١٣،ومسلم:١٨٤٣/٤،برقم: ٢٣٧٣.

[3] رواه البخاري في صحيحه:١٢٠/٣،برقم: ٢٤١١،ومسلم:١٨٤٤/٤،برقم: ٢٣٧٣.

[4] رواه البخاري في صحيحه:١٥٩/٤،برقم: ٣٤١٥،ومسلم:١٨٤٣/٤،برقم: ٢٣٧٣.

[5] رواه البخاري في صحيحه:١٥٩/٤،برقم: ٣٤١٥،ومسلم:١٨٤٣/٤،برقم: ٢٣٧٣.

[6] رواه مسلم في صحيحه:١٨٣٩/٤،برقم: ٢٣٦٩،والترمذي في سننه:٣٠٣/٥،برقم: ٣٣٥٢، وأبو داود:٢١٨/٤،برقم: ٤٦٧٢.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الْوَجْهُ الثالث) أَلّا يُفَضَّلَ بَيْنَهُمْ تفضيلا يُؤَدِّي إِلَى تَنَقُّصِ بَعْضِهِمْ أَوِ الْغَضِّ مِنْهُ لَا سِيَّمَا فِي جِهَةِ يُونُسَ ﷺ ، إِذْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَا أَخْبَرَ لِئَلا يَقَعَ فِي نَفْسِ مَنْ لَا يَعْلَمُ مِنْهُ بِذَلِكَ غَضَاضَةٌ وَانْحِطَاطٌ مِنْ رُتْبَتِهِ الرَّفِيعَةِ ، إِذْ قَالَ تَعَالَى عَنْهُ: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾[الصافات:١٤٠] ، ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء:٨٧]، فَرُبَّمَا يُخَيَّلُ لِمَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ حَطِيطَتُهُ[١] بِذَلِكَ.

(الْوَجْهُ الرَابِعُ) مَنْعُ التَّفْضِيلِ فِي حَقِّ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ ، فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ فِيهَا عَلَى حَدٍّ وَاحِدٍ ، إِذْ هِيَ شئ وَاحِدٌ لَا يَتَفَاضَلُ ، وَإِنَّمَا التَّفَاضُلُ فِي زِيَادَةِ الْأَحْوَالِ وَالْخُصُوصِ وَالْكَرَامَاتِ وَالرُّتَبِ وَالْأَلْطَافِ ، وَأَمَّا النُّبُوَّةُ فِي نَفْسِهَا فَلَا تَتَفَاضَلُ ، وَإِنَّمَا التَّفَاضُلُ بِأُمُورٍ أُخَرَ زَائِدَةٍ عَلَيْهَا ، وَلِذَلِكَ مِنْهُمْ رُسُلٌ ، وَمِنْهُمْ أُولُو عَزْمٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَمِنْهُمْ من رُفِعَ مَكَانًا عَلِيًّا ، وَمِنْهُمْ من أُوتِيَ الْحُكْمَ صَبِيًّا ، وأُوتِيَ بَعْضُهُمُ الزَّبُورَ ، وبَعْضُهُمُ البَيِّنَاتِ ، وَمِنْهُمْ من كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾[الإسراء:٥٥] ، وقال: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾[البقرة:٢٥٣]

وقال بَعْض أَهْلُ الْعِلْمِ:وَالتَّفْضِيلُ الْمُرَادُ لَهُمْ هُنَا فِي الدُّنْيَا وَذَلِكَ بِثَلاثَةِ أَحْوَالٍ :

١- أَنْ تَكُونَ آيَتُهُ وَمُعْجِزَاتُهُ أَبْهَرَ وَأَشْهَرَ .

٢- أَوْ تَكُونَ أُمَّتُهُ أَزْكَى وَأَكْثَرَ.

٣-أَوْ يَكُونَ فِي ذَاتِهِ أَفْضَلَ وَأَظْهَرَ ، وَفَضْلُهُ فِي ذَاتِهِ رَاجِعٌ إِلَى مَا خَصَّهُ اللَّهُ بِهِ من كَرَامَتِهِ وَاخْتِصَاصِهِ.

---

[١] **حَطِيطَتُهُ**: نقصه.

(الْفَصْلُ الثَّالِثَ عَشَرَ)

فِي أَسْمَائِهِ ﷺ وَمَا تَضَمَّنَتْهُ مِن تَفْضِيلِهِ

عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ ، وَأَنَا أَحْمَدُ ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي ، وَأَنَا الْعَاقِبُ)**[1]

وَقَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ مُحَمَّدًا وَأَحْمَدَ[2].

فَمِنْ خَصَائِصِهِ تَعَالَى لَهُ أَنْ ضَمَّنَ أَسْماءَهُ ثَنَاءَه ، فَطَوَى أَثْنَاء ذِكْرِهِ عَظِيمَ شُكْرِهِ ، فَأَمَّا اسْمُهُ أَحْمَدُ فَأَفْعَلُ مُبَالَغَةً من صِفَةِ الْحَمْدِ، وَمُحَمَّدٌ مُفَعَّلٌ مُبالَغَةً من كَثْرَةِ الْحَمْدِ ، فهو ﷺ أَجَلُّ من حَمِدَ ، وَأَفْضَلُ من حُمِدَ ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ حَمْدًا ، فَهُوَ أَحْمَدُ الْمَحْمُودِينَ ، وَأَحْمَدُ الْحَامِدِينَ ، وَمَعَهُ لِوَاءُ الحَمْدِ يوم القِيَامَةِ ، وَلِيَتِمَّ لَهُ كَمَالُ الْحَمْدِ وَيَتَشَهَّرَ في تِلْكَ الْعَرَصَاتِ بِصِفَةِ الْحَمْدِ، وَيَبْعَثهُ رَبُّهُ هُنَاكَ مَقَامًا مَحْمُودًا كَمَا وَعَدهُ يَحْمَدُهُ فِيهِ الأَوَّلُونَ وَالآخرُونَ بِشَفَاعَتِهِ لَهُمْ ، وَيَفْتَحُ عَلَيْهِ فِيهِ مِنَ الْمَحَامِدِ كَمَا قَالَ ﷺ مَا لَمْ يُعْطَ غَيْرُهُ ، فَحَقِيقٌ أَنْ يُسَمَّى مُحَمَّدًا وَأَحْمَدَ.

وَأَمَّا قَوْله ﷺ :**(وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِيَ الْكُفْرَ)** وَيَكُونُ مَحْوُ الْكُفْرِ إِمَّا من مَكَّةَ وَبِلَادِ الْعَرَبِ وَمَا زُوِيَ لَهُ مِنَ الْأَرْضِ وَوُعِدَ أنه يَبْلُغُهُ مُلْكُ أُمَّتِهِ ، أَوْ

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:١٨٥/٤،برقم: ٣٥٣٢،ومسلم:١٨٢٨/٤،برقم: ٢٣٥٤،وزاد مسلم: **(وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ)**.

[2] **قال العلماء** : وقد يأتي أفعل بمعنى فاعل أو مفعول ، فعلى معنى **فاعل** يكون حامداً أي كثير الحمد ، وحمده لله أكثر من حمد غيره له ، ومعناه أحمد الحامدين لربه جل وعلا ، وعلى معنى **مفعول** يكون محموداً ، أي أحق الناس وأولاهم بأن يُحمَد. **وأما الفرق بين محمد وأحمد** ، أن محمداً هو كثير الخصال التي يحمد عليها ، وأحمد هو الذي يُحمَد أكثرَ مما يحمد غيره ،فمحمد في الكثرة والكمية ، وأحمد في الوصف والكيفية ، **ومحمَّد أبلغ من محمود** ؛ لأن محمود من الفعل الثلاثي المجرد ، وأما محمد فمن الفعل المضعف وهو أبلغ .

يَكُون الْمَحْوُ عَامًّا بِمَعْنَى الظُّهُورِ وَالْغَلَبَةِ[1] ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[التوبة:٣٣]

وَقَوْلُهُ:(**وَأَنَا الْحَاشِرُ**[2] **الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي**) أَيْ: عَلَى زَمَانِي وَعَهْدِي ، أَيْ لَيْسَ بَعْدِيَ نَبِيّ ، كَمَا قَالَ: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[الأحزاب:٤٠].

وَسُمِّىَ عَاقِبَاً ؛ لأنه عَقَبَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ[3] ، وَقِيلَ : مَعْنَي (**عَلَى قَدَمِي**): أَيْ يُحْشَرُ النَّاسِ بِمُشَاهَدَتِي ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِتَكُونوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة:١٤٣]، وَقِيلَ:(**عَلَى قَدَمِي**) عَلَى سَابِقَتِي، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[يونس:٢] ، وقِيلَ: (**عَلَى قَدَمِي**) أَيْ قُدَّامِي وَحَوْلِي أَيْ يَجْتَمِعُونَ إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَقِيلَ: (**عَلَى قَدَمِي**) عَلَى سُنَّتِي.

وَمَعْنَي قَوْلِهِ: (**لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ**) قِيلَ: إِنَّهَا مَوْجُودَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، وعَنْدَ أُولِي الْعِلْمِ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ.

---

[1] **قال العلماء** : ولم يُمحَ الكفر بأحد من الخلق ما مُحِي بالنبي ﷺ فإنه بعث وأهل الأرض كلهم كفارٌ إلا بقايا من أهل الكتاب وهم بين عُبَّاد أوثان ، ويهود مغضوب عليهم ،ونصارى ضالين ، وصابئة دهرية لا يعرفون رَبَّاً ولا مَعاداً ، وبين عُبَّاد الكواكب ، وعُبَّاد النار ، وفلاسفة لا يعرفون شرائع الأنبياء ،فمحا الله عز وجل برسوله ﷺ ذلك حتى ظهر دين الإسلام على كل دين ، وبلغ أمره ما بلغ الليل والنهار ،وسارت دعوته مسير الشمس في الأقطار .

[2] **الحاشر** من الحشر: وهو الضم والجمع ، فهو الذي يجمع الناس على قدمه ،فكأنه بُعِث ليجمع الناس على دين واحد ، ويحشرهم على مِلَّةٍ واحدة.

[3] **العاقِبُ** من عَقَبَ ، والعاقب هو آخر كل شئ وخاتمته ، والنبي ﷺ جاء عَقِبَ الأنبياء وآخرهم، فليس بعده نبي .

وَفِي حَدِيث أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ أَنَّهُ كَانَ ﷺ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً فَيَقُولُ: **(أَنَا مُحَمَّدٌ ، وَأَحْمَدُ، وَالمُقَفِّي ،وَالْحَاشِرُ ،وَنَبِيِّ التَّوْبَةِ ،وَنَبِيّ الْمَلْحَمَةِ)**[1] وَيُرْوَى: **(الْمَرْحَمَة، وَالرَّاحَة)** ، وَكُلٌّ صَحِيحٌ إِنْ شَاءَ اللَّه ، وَمَعْنَي **(الْمُقَفِّي)**[2] مَعْنَي الْعَاقِبِ ، وَأَمَّا **(نَبِيّ الرَّحْمَةِ وَالتَّوْبَةِ وَالْمَرْحَمَة وَالرَّاحَةِ)** ، فَقَدْ قَالَ الله تعالى: ﴿وأما أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً للعالمين﴾[الأنبياء:١٠٧]، وَكَمَا وَصَفَهُ بِأَنَّهُ يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ، ويهديهم إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم ، وَبِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ، وَقَدْ قَالَ فِي صِفَةِ أُمَّتِهِ : إِنَّهَا أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِيهِمْ : ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾[البلد:١٧] أَيْ يَرْحَم بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَبَعَثَهُ

[1] رواه مسلم في صحيحه:١٨٢٨/٤،برقم: ٢٣٥٥،وأحمد في مسنده:٢٩١/٣٢،برقم: ١٩٥٢٥ ،وسُمِّي النبي ﷺ بـ**(نبي التوبة)** لأن الله عز وجل فتح به باب التوبة على أهل الأرض ، فتاب عليهم توبة لم يحصل لأهل الأرض مثلها قبله ، أو لأنه كان كثير التوبة والإستغفار لربه سبحانه وتعالى ،وكذلك توبة أمته ﷺ أكمل من توبة سائر الأمم وأسرع قبولاً ، وذلك أن الأمم السابقة كانت توبتهم من أصعب الأمور حتى كانت توبة بني إسرائيل من عبادة العجل أن يقتلوا أنفسهم ،وأما هذه الأمة فجعل الله سبحانه وتعالى توبتها في الإقلاع والندم ورد الحقوق إلى أهلها، وسُمِّي بـ**(نبي الملحمة)** لأنه ﷺ بعث لجهاد أعداء الله عز وجل ، ولم يجاهد نبيٌّ من الأنبياء جهاده ﷺ ، وكذلك أمته فإنها أمةٌ مجاهدة ،وقد وقع في زمنه ﷺ وبعد انتقاله من الملاحم والمعارك التي لم يُعْهَد مثلها ، وكذلك فإن أمته ﷺ يقتلون الكفار في أقطار الأرض على تعاقب الأعصار وقد أوقعوا من القتل مالم تفعله أمة سواهم.

[2] **المُقَفَّى** مشتق من القَفْو ، يُقالُ: قفاه يقفوه إذا تأخرَ عنه ، ومنه قافية الرأس وقافية البيت ، فالمُقَفَّى : هو الذي قفى من قبله من الرسل فكان خاتمهم وآخرهم ،وهو الذي يقتفي أثر من قبله من الأنبياء والرسل ؛ لأن دين الأنبياء واحد.

الله عزَّ وجلَّ رَحْمَةً لِأُمَّتِهِ ، وَرَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ[1] وَرَحِيمًا بِهِمْ وَمُتَرَحِّمًا وَمُسْتَغْفِرًا لَهُمْ ، وَجَعَلَ أُمَّتَهُ أُمَّةً مَرْحُومَةً ، وَوَصَفَهَا بِالرَّحْمَةِ وَأَمَرَهَا ﷺ بِالتَّرَاحُم ، وَأَثْنى عَلَيْهِ فَقَالَ: **(إِنَّ اللَّهَ يَرْحَمُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ)** [2] ، وَقَالَ : **(الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ، يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ)**[3] .

وَقَدْ جَاءَتْ من أَلْقَابِهِ ﷺ وَسِمَاتِهِ فِي الْقُرْآنِ عِدَّةٌ كَثِيرةٌ سوى مَا ذَكَرْنَاهُ: كَالنُّورِ ، وَالسِّرَاجِ الْمُنِيرِ، وَالْمُنْذِرِ، وَالنَّذِيرِ ،والمُبَشِّرِ ،وَالبَشِيرِ، وَالشَّاهِدِ وَالشَّهِيدِ ،وَالْحَقِّ الْمُبِينِ ،وَخَاتمِ النَبِيِّين، وَالرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ ،وَالْأَمِينِ ،وَقَدمِ الصِّدْقِ، وَرَحْمَةٍ لِلْعَالَمِينَ ،وَنِعْمَةِ الله ،والْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ،والصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَالْكَرِيمِ، وَالنَّبِيّ الْأُمِّيِّ، وَدَاعِيَ الله فِي أَوْصَافٍ كَثِيرَةٍ وَسِمَاتٍ جَلِيلَةٍ.

---

[1] **قال العلماء**:بعث الله محمداً ﷺ رحمةً للعالمين مؤمنهم وكافرهم ، فأما المؤمنون فنالوا النصيب الأوفر من الرحمة في الدنيا والآخرة ، ورحمته بالمشركين بتأخير العذاب عنهم ، وأما أهل الكتاب فعاشوا في ظله وتحت حبله وعهده ، ومن قُتِلَ منهم فقد عُجِّلَ به إلى النار.

[2] رواه البخاري في صحيحه:٧٩/٢،برقم: ١٢٨٤ ،ومسلم:٦٣٥/٢،برقم: ٩٢٣.

[3] **صحيح**،رواه أبو داود في سننه:٢٨٥/٤،برقم: ٤٩٤١ ،والترمذي:٣٨٨/٣،برقم: ١٩٢٤، **(الرَّاحِمُونَ)**: أَيْ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ آدَمِيٍّ وَحَيَوَانٍ لَمْ يُؤْمَرْ بِقَتْلِهِ بِالشَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، **(يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ)**: أَيْ يُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيَتَفَضَّلُ عَلَيْهِمْ ، وَالرَّحْمَةُ مقيدة بِاتِّبَاعِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَإِقَامَةُ الْحُدُودِ وَالِانْتِقَامُ لِحُرْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يُنَافِي كُلٌّ مِنْهُمَا الرَّحْمَةَ **(مَنْ فِي السَّمَاءِ)** هُوَ اللَّهُ تَعَالَى.(عون المعبود،وحاشية ابن القيم:١٩٥/١٣،١٩٤) .

واعلم أن هَذَا الحديث هو الحديث المسلسل بالأولية ، **قال ابن الصَّلَاحِ فِي مُقَدَّمَتِهِ** : وقلما تسلم المسلسلات من ضعف، أعني في وصف التسلسل لا في أصل المتن ،ومن المسلسل ما ينقطع تسلسله في وسط إسناده، وذلك نقص فيه.(معرفة أنواع علوم الحديث : ٢٧٦/١)

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الفَصْلُ الرابِعَ عشَر)

فِي تَشْرِيْفِ اللّه تَعَالَى لَهُ

بِمَا سَمَّاهُ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى ، وَوَصَفَهُ بِهِ مِنْ صِفَاتِهِ الْعُلَى

اعْلمْ أَنَّ اللَّه تَعَالَى خَصَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بِكَرَامَةٍ خَلَعَهَا عَلَيْهِم[١] من أسمائه ، كتسمية إسحق وَإِسْمَاعِيل **بِعَلِيم** وَ**حَلِيم**، وإِبْرَاهِيم **بِحَلِيمٍ**، وَنُوحٍ **بِشَكُورٍ**، وَعِيسَى ويَحْيَى **بِبَرّ**، وَمُوسَى **بِكَرِيمٍ** وَ**قَوِيّ** ، وَيُوسُفَ **بِحَفِيظٍ عَلِيمٍ** ، وَأَيُّوبَ **بِصَابِرٍ** ،وَإِسْمَاعِيل **بِصَادِقِ الْوَعْدِ** ، كَمَا نَطَقَ بِذَلِكَ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ من مَوَاضِعِ ذِكْرِهِمْ ، وَفَضَّلَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ بِأَنْ حَلَّاهُ مِنْهَا فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ ، وعلى أَلْسِنَةِ أَنْبِيَائِهِ بِعِدَّةٍ كَثِيرَةٍ ، اجْتَمعَ لَنَا مِنْهَا جُمْلَةٌ بَعْدَ إعْمَالِ الْفِكْرِ وَإِحْضَارِ الذِّكْرِ.

فَمن أَسْمَائِهِ تَعَالَى :(**الْحَمِيدُ**) وَمَعْنَاهُ : الْمَحْمُودُ ؛ لِأَنَّهُ حَمِدَ نَفْسَهُ ، وَحَمِدَهُ عِبَادُهُ، وَيَكُونُ أَيْضًا بِمَعْنَي الْحَامِدِ لِنَفْسِهِ وَلِأَعْمَالِ الطَّاعَاتِ.

وَسَمَّى النَّبِيّ ﷺ مُحَمَّدًا وَأَحْمَدَ ، فَمُحَمَّدٌ بِمَعْنَي مَحْمُودٍ ، وأحمدُ بِمَعْنَي أَكبَرُ من حَمِدَ ، وَأَجِلُّ من حُمِدَ ، وَقَدْ أَشَارَ إِلَى نَحْوِ هَذَا حَسَّان بِقَوله:

وَشَــقَّ لَــهُ مِنَ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ ... فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا محمّد

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تعالى: (**الرؤوف الرَّحِيمُ**)، وَهُمَا بِمَعْنَي مُتَقَارِبٍ ،وَسَمَّاهُ فِي كِتَابِهِ بِذَلِكَ فَقَالَ: ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[التوبة:١٢٨]

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى: (**الْحَقّ الْمُبِينُ**) ، وَمَعْنَي الْحَقّ: الْمَوْجُودُ ، وَالْمُتَحَقّقُ أَمْرُهُ ، وَكَذَلِكَ الْمُبِينُ: أَي الْبَيّنُ أَمْرُهُ وَإِلهِيَّتُهُ ، بَانَ وَأَبَانَ بِمَعْنَي وَاحِدٍ ، وَيَكُونُ بِمَعْنَي الْمُبَيّنِ لِعِبَادِهِ أَمْرَ دِينِهِمْ وَمَعَادِهِمْ ، وَسَمَّى النَّبِيّ ﷺ بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ،

---

[١] **خَلَعَهَا عَلَيْهِم**:أعطاها لهم.

http://mohhanoona.blogspot.com/

فَقَالَ: ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾[الزخرف:٢٩] ،وَقَالَ: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾[الحجر:٨٩] وَقَالَ: ﴿قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[يونس:١٠٨].

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى: (**النُّورُ**) وَمَعْنَاهُ ذُو النُّورِ؛ أَيْ خَالِقُهُ ،أَوْ مُنَوِّرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْأَنْوَارِ ، وَمُنَوِّرُ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْهِدَايَةِ ،وَسَمَّاهُ نُورًا،

فَقَالَ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾[المائدة:١٥] قِيلَ: مُحَمَّدٌ ، وَقِيلَ: الْقُرْآنُ ،وَقَالَ فِيهِ: ﴿وَسِرَاجًا منيرا﴾[الأحزاب:٤٦] سُمِّيَ بِذَلِكَ لِوُضُوحِ أمره ، وَبَيَانِ نُبوَّتِهِ ، وَتَنْوِيرِ قُلُوبِ المُؤْمِنِيْنَ وَالعَارِفِيْنَ بِمَا جَاءَ بِهِ.

ومِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى: (**الشَّهِيدُ**) وَمَعْنَاهُ الْعَالِمُ ، وَقِيلَ: الشَّاهِدُ عَلَى عِبَادِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،وَسَمَّاهُ شَهِيدًا وَشَاهِدًا فَقَالَ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾[الفتح:٨] ، وَقَالَ ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عليكم شهيدا﴾[البقرة:١٤٣] وَهُوَ بِمَعْنَى الأَوَّلِ.

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى: (**الْكَرِيمُ**) وَمَعْنَاهُ الْكَثِيرُ الْخَيْرِ ، وَقِيلَ: الْمُفْضِلُ ،وَقِيلَ: الْعَفُوُّ ،وقيل: الْعَلِيُّ ، وَسَمَّاهُ تَعَالَى كَرِيمًا بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رسول كريم﴾

[الحاقة:٤٠]، قِيلَ: مُحَمَّدٌ ، وَقِيلَ: جِبْرِيلُ، وَمَعانِي الاسْمِ صَحِيحَةٌ فِي حَقِّهِ ﷺ.

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى: (**الْعَظِيمُ**) وَمَعْنَاهُ الجَلِيْلُ الشَّأن ، الذي كُلُّ شَيءٍ دُوْنَهُ ،وَقَالَ فِي النَّبِيِّ ﷺ : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم:٤].

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى (**الشَّكُورُ**) وَمَعْنَاهُ المُثِيب عَلَى الْعَملِ الْقَلِيلِ ، وَقِيلَ: الْمُثْنِي عَلَى الْمُطِيعِينَ ،وَوَصَفَ بِذَلِكَ نَبِيَّهُ نُوحًا ،فَقَالَ ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾

[الإسراء:٣] ، وَقَدْ وَصَفَ النَّبِيّ ﷺ نَفْسَهُ بِذَلِكَ فَقَالَ:(**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**)[1]

[1] رواه البخاري في صحيحه:٥٠/٢،برقم: ١١٣٠،ومسلم:٢١٧١/٤،برقم: ٢٨١٩.

http://mohhanoona.blogspot.com/

أَيْ مُعْتَرِفًا بِنَعَمِ رَبِّي ، عَارِفًا بِقَدْرِ ذَلِكَ ، مُثنيًا عَلَيْهِ ، مُجْهِدًا نَفْسِي فِي الزِّيَادَةِ من ذَلِكَ ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[إبراهيم:٧] .

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى :(**الْعَلِيمُ ،وَالْعَلَّامُ ،وَعَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ**)وَوصَفَ نَبِيَّهُ ﷺ بِالْعِلْمِ وَخصَّهُ بِمَزِيَّةٍ مِنْهُ ، فَقَالَ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ [النساء:١١٣] ، وَقَالَ: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٥١] .

مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى: (**الأَوَّلُ وَالآخِرُ**) وَمَعْنَاهُمَا السَّابِقُ لِلأَشْيَاءِ قَبْلَ وُجُودِهَا ، وَالْبَاقِي بَعْدَ فَنَائِهَا ، وَتَحْقِيقُهُ أَنَّهُ لَيس لَهُ أَوَّلٌ وَلَا آخِرٌ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: (**نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ**) [1] ، وَقَوْلُهُ :(**أَنَا أَوَّلُ من تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُ ، وَأَوَّلُ من يَدْخُلُ الجنة ،وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**) [2]، وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَآخِرُ الرُّسُلِ ﷺ.

ومِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى: (**الصَّادِقُ**) ، وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ ﷺ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ [3].

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى: (**الْوَلِيُّ وَالْمَوْلى**) وَمَعْنَاهُمَا النَّاصِرُ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾[المائدة:٥٥] ،وَقَالَ ﷺ :(**أَنَا وليُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ**) [1] ، وَقَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾[الأحزاب:٦] .

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:٥٧/١،برقم: ٢٣٨،ومسلم:٥٨٦/٢،برقم: ٨٥٥، (**الآخِرُونَ**) زماناً. (**السَّابِقُونَ**) منزلةً وفضلاً.

[2] **صحيح**،رواه ابن ماجة في سننه:١٤٤٠/٢،برقم: ٤٣٠٨،والحاكم في المستدرك:٥٠٥/٢، برقم: ٣٧٣٢.

[3] رواه البخاري في صحيحه:١١١/٤،برقم: ٣٢٠٨،ومسلم:٢٠٣٦/٤،برقم: ٢٦٤٣، ومعناه **الصَّادِقُ** في قوله ، **المَصْدُوق** فيما يأتي به من الوحي .

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى:(**الْعَفُوّ**) وَمَعْنَاهُ الصَّفُوحُ ، وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تعالى بِهَذَا نَبِيَّهُ فِي الْقُرْآنِ وَالتَّوْرَاةِ ، وَأَمَرَهُ بِالْعَفْوِ ، فَقَالَ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾[الأعراف:١٩٩] ، وَقَالَ : ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾[المائدة:١٣] ، وَفِي التَّوْرَاةِ فِي الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ فِي صِفَتِهِ: (**لَيْسَ بِفَظٍّ ، وَلا غَلِيظٍ ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ**) [2].

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى:(**الْهَادِي**) وهو معنى تَوْفِيق اللَّهِ لِمَنْ أَرَادَ من عِبَادِهِ ، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[يونس:٢٥] ، وبِمَعْنَي الدِّلالَةِ يُطْلَقُ عَلَى غَيْرِهِ تَعَالَى يَعْنِي النَّبِيّ ﷺ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى لَهُ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[الشورى: ٥٢]

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى :(**الْمُؤْمِنُ**) وهو الْمُؤْمِنُ عِبَادَهُ فِي الدُّنْيَا من ظُلْمِهِ ، وَالْمُؤْمِنينَ فِي الآخِرَةِ من عَذَابِهِ ،وَكَانَ ﷺ يُعْرَفُ بِالْأَمِينِ ،وَشُهِرَ بِهِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَقَالَ تَعَالَى ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[التوبة:٦١] ، أَيْ يُصَدِّقُ ، وَقَالَ ﷺ :(**أَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي**) [3] فَهَذَا بِمَعْنَي الْمُؤْمِنِ.

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى:(**الْعَزِيزُ**) وَمَعْنَاهُ الْمُمْتَنِعُ الْغَالِبُ ، أَو الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ ، أَو الْمُعِزُّ لِغَيْرِهِ ،وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾[المنافقون:٨] ، أَي الامْتِنَاعُ وَجَلالَةُ الْقَدْرِ.

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:٩٧/٣،برقم: ٢٢٩٨،ومسلم:١٢٣٧/٣،برقم: ١٦١٩،بلفظ:(**أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ**)، **قَالَ الْعُلَمَاءِ** : هُوَ أَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؛ لِأَنَّ أَنْفُسَهُمْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهَلَاكِ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى النَّجَاةِ.

[2] رواه البخاري:٦٦/٣،برقم:٢١٢٥، والترمذي في سننه:٤٣٧/٣،برقم: ٢٠١٦.

[3] رواه مسلم في صحيحه:١٩٦١/٤،برقم: ٢٥٣١،وأحمد في مسنده:٣٣٥/٣٢،برقم: ١٩٥٦٦، **أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي** : أي أمانٌ وَأمنٌ مِنَ الفِتَنِ وَالحُروبِ ، وَارتِدَادِ العَرَبِ ، وَاختلافِ القُلوبِ ، ونحو ذلك مِمَّا أَنذَرَ بِهِ صَرِيحَاً ، وقد وَقَعَ كُلُّ ذَلك.

وَقَدْ وَصَفَ اللَّه تَعَالَى نَفْسَهُ (**بِالْبِشَارَةِ وَالنِّذَارَةِ**)، فَقَالَ: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ ﴾[التوبة:٢١] ، وقال: ﴿ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى ﴾[آل عمران:٣٩] ، ﴿ وبِكَلِمَةٍ مِّنْه ﴾[آل عمران:٤٥] ، وَسَمَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[الفرقان:٥٦] وَ ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[البقرة:١١٩] ، أَيْ مُبَشِّرًا لِأَهْلِ طَاعَتِهِ ، وَنَذِيرًا لِأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ.

(الْفَصْلُ الْخَامِسَ عَشَرَ)

اسْتِدْرَاكٌ فِي صِفَاتِ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الفَضْلِ ﷺ : وَهَا أَنَا أَذْكُرُ نُكْتَةً[١] أُذَيِّلُ بِهَا هَذَا الْفَصْلَ ، بِهَا هَذَا الْقِسْمَ ، وَأُزِيحُ الْإِشْكَالَ بِهَا فِيمَا تَقَدَّمَ عَنْ كُلِّ ضَعِيفِ الْوَهْمِ سَقِيمِ الْفَهْمِ ، تُخَلِّصُهُ من مَهَاوِي[٢] التَّشْبِيهِ ، وَتُزَحزِحُهُ عَنْ شُبَهِ التَّمْوِيهِ[٣] ، وَهُوَ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ اللَّه تَعَالَى جَلَّ اسْمُهُ فِي عَظَمَتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ وَمَلَكُوتِهِ وَحُسْنَى أَسْمَائِهِ وَعَلِيِّ صِفَاتِهِ لَا يُشْبِهُ شَيْئًا من مَخْلُوقَاتِهِ ، وَلَا يُشَبَّهُ بِهِ ، وَأَنَّ مَا جَاءَ مِمَّا أَطْلَقَهُ الشَّرْعُ عَلَى الْخَالِقِ وَعَلَى الْمَخْلُوقِ فَلَا تَشَابُهَ بَيْنَهُمَا فِي المَعْنَي الْحَقِيقِيّ؛ إِذْ صِفَاتُ الْقَدِيم بِخِلَافِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ ، فَكَمَا أَنَّ ذَاتَهُ تَعَالَى لَا تُشْبِهُ الذَّواتِ كَذَلِكَ صِفَاتُهُ لَا تُشْبِهُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ ، إِذْ صِفَاتُهُمْ لَا تَنْفَكُّ عَنِ الْأَعْرَاضِ[٤]

---

[١] **النُكْتَة**: هي المسألة العلمية الدقيقة التي يتوصل إليها بعد النظر،وإمعان الفكر.

[٢] **المَهَاوِي**:الحفر العميقة.

[٣] **التَّمْويهِ**: مَوَّهَ الحقَّ :أي لَبسه بالباطل،وموَّه الحديث: إذا زخرفه و خلطه ،ومزجه من الحق والباطل.

[٤] **الْأَعْرَاض**:جمعُ عَرَض،وهو ما يطرأ ويزول،كالمرض،وغيره،وهو ما قام بغيره ؛ كالبياض والطول والقِصَر.

http://mohhanoona.blogspot.com/

، والأغراض[1] ، وَهُوَ تَعَالَى مُنزّه عَنْ ذَلِكَ ، بَلْ لَمْ يَزَلْ بِصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَكَفَى فِي هَذَا قَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١]

ولله دَرُّ من قَالَ مِنَ الْعُلَمَاء وَالْعَارِفِينَ المحققين: التَّوْحِيدُ إِثْبَاتُ ذَاتٍ غَيْرِ مُشْبهةٍ لِلذَّواتِ[2] ، وَلَا مُعَطَّلَة عَنِ الصّفَاتِ[3].

وَقَالَ الوَاسِطيُّ رحمه الله [4]: لَيْسَ كَذَاتِهِ ذَاتٌ ، وَلَا كَاسْمِهِ اسمٌ ، ولا كَفِعْلِهِ فِعْلٌ ، وَلَا كَصِفَتِهِ صِفَةٌ إلا من جهَةِ مُوافَقَةِ اللَّفْظُ اللَّفْظَ، وَجَلَّتِ الذَّاتُ الْقَدِيمَةُ أنْ تَكُونَ لَهَا صِفَةٌ حَدِيثَةٌ ، كَمَا اسْتَحَالَ أَنْ تَكُونَ لِلذّاتِ الْمُحْدثَةِ صِفَةٌ قَديمَةٌ ، وَهَذَا كلُّهُ مَذْهَبُ أَهْلُ الْحَقّ والسُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ رضي الله عنهم ، ثَبَّتَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ عَلَى التَّوْحِيدِ والإثبات وَالتَّنْزِيهِ ، وَجَنَّبنا طَرَفي الضَّلالَةِ وَالْغَوَايَةِ مِن التَّعْطِيلِ وَالتَّشْبِيهِ بِمَنِّهِ وَرَحْمتِهِ.

البَابُ الرَابِعُ– فِيمَا أَظْهَرَهُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ، وَشَرَّفَهُ بِهِ مِنَ الْخَصَائِصِ وَالْكَرَامَاتِ ، وَفِيهِ ثَلاثٌ وعِشْرُنَ فَصْلاً.

---

[1] **والأغراض**:جمعُ غَرَضٍ،وهو الهدفُ،والقَصد.

[2] **الواسطي**: هو أبو بكر محمد بن موسى ، ممن صحب الجنيد وهو من أجل العلماء والصوفية، والواسطي نسبة لواسط مدينة مشهورة، توفي سنة ٣٤٢ هـ.انظر طبقات الصوفية: ٢٣٢/١، برقم: ٥٢، والأعلام للزركلي:١١٧/٧.

[3] **وَلَا مُعَطَّلَة عَنِ الصّفَاتِ**:والتعطيل: هو أن تنفي عن الله الصفات التي وصف بها نفسه،أو وصفه بها رسوله ﷺ.

[4] **غَيْرِ مُشْبهةٍ لِلذَّواتِ**:والتشبيه : هو أن يُشَبِّه اللهَ بأحدٍ مِنْ خلْقِهِ.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الْفَصْلُ الأَول)

بَيْنَ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ

فَالنُّبُوَّةُ: فِي لُغَةِ مَنْ هَمَزَ مَأْخُوذَةٌ مِنَ النَّبَأِ، وَهُوَ الخَبَرُ ، وَقَدْ لا يُهْمَزُ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ تَسْهِيلًا، وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَطْلَعَهُ عَلَى غَيْبِهِ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ نَبِيُّهُ فَيَكُونُ نَبِيٌّ (مُنَبَّأً) فَعِيلٌ بِمَعْنَى (مَفْعُولٍ) ؛ أَوْ يَكُونُ مُخْبِرًا عَمَّا بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، وَمُنَبِّئًا بِمَا أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، (فَعِيلٌ) بِمَعْنَى (فَاعِلٍ) ، ويَكُونُ عِنْدَ من لَمْ يَهْمِزْهُ مِنَ النُّبُوَّةِ ؛ وَهُوَ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ ، مَعْنَاهُ أَنَّ لَهُ رُتْبَةً شَرِيفَةً وَمَكَانَةً نَبِيهَةً[1] عِنْدَ مَوْلَاهُ ، مُنِيفَةً[2] ، فَالوَصْفَانِ فِي حَقِّهِ مُؤْتَلِفَانِ.

وَأَمَّا **الرَّسُولُ:** فَهُوَ الْمُرْسَلُ وَلَمْ يَأْتِ فَعُولٌ بِمَعْنَي مُفْعَلٍ فِي اللُّغَةِ إِلَّا نَادِرًا ، وَإِرْسَالُهُ أَمْرُ اللَّهِ لَهُ بِالإِبْلاغِ إِلَى مَنْ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ، وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ التَّتَابعِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ جاء النَّاسُ أَرْسَالًا إذَا تَبعَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَكَأَنَّهُ أُلْزِمَ تَكرِيرَ التَّبْلِيغ ، أَوْ أُلْزِمتِ الْأُمَّةُ اتِّبَاعَهُ.

واخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ هَل النَّبِيّ والرَسُولُ بِمَعْنَى أَوْ بِمَعْنَيَيْنِ؟

فَقِيلَ: هُمَا سَوَاءٌ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْإِنْبَاءِ ؛ وَهُوَ الْإِعْلَامُ ، وَاسْتَدَلُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيّ﴾[الحج:٥٢] ، فَقَدْ أَثْبتَ لَهُمَا الْإِرْسَالَ مَعًا، قَالَ: وَلَا يَكُونُ النَّبِيُّ إِلَّا رَسُولًا ، وَلَا الرَّسُولُ إِلَّا نَبِيًّا ، وَقِيلَ: هُمَا مُفْتَرِّقَانِ من وَجْهٍ إِذْ قَد اجْتَمَعَا فِي النُّبُوَّةِ التي هِيَ الإطْلاعُ عَلَى الْغَيْبِ وَالْإِعْلَامُ بِخَواصّ النُّبُوَّةِ ، أَو الرِّفْعَةِ لِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ ، وَحَوْزِ دَرَجَتِهَا ، وَافْتَرَقَا فِي زِيادَةِ الرِّسَالَةِ لِلرَّسُولِ ،وَهُوَ الْأَمْر بِالْإِنْذَارِ وَالْإِعْلَامِ كَمَا قُلْنَا ، وَحُجَّتُهُمْ مِنَ الآيَة نَفْسِهَا التَّفْرِيقُ بَيْنَ الاسْمَينِ ، وَلَوْ كَانَا شَيْئًا وَاحِدًا لَمّا حَسُنَ تَكْرَارُهُمَا فِي الْكَلامِ الْبَلِيغِ ،قَالُوا: وَالْمَعْنَى؛ وَمَا أَرْسَلْنَا من رَسُولٍ إِلَى أُمَّةٍ أَوْ نَبِيٍّ ، وَلَيْس

---

[1] **نَبِيهَةً**:شريفة.

[2] **مُنِيْفَةً**:عالية رفيعة.

http://mohhanoona.blogspot.com/

بِمُرْسَلٍ إِلَى أَحَدٍ ، وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ الرَّسُولَ من جَاءَ بِشَرْعٍ مُبْتَدءٍ وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِ نَبِيٌّ غَيْر رَسُولٍ ، وإن أُمِرَ بِالْإِبْلَاغِ وَالْإِنْذَارِ .

وَالصَّحِيحِ وَالَّذِي عَلَيْهِ الْجَمَّاءُ الْغَفِيرُ[1]: أَنَّ كُلَّ رَسُولٍ نَبِيّ ، وَلَيْسَ كُلُّ نَبِيّ رَسُولًا ، وَأَوَّلُ الرُّسُلِ آدَمُ وآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ ، وَقِيلَ أَنَّ الْأَنْبِيَاء مِائَة أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ نَبِيٍّ ، وَذُكِرَ أَنَّ الرسُلَ ثلاثمائة وَثَلَاثَةَ عَشَرَ.

(الفَصْلُ الثَانِي)

مَعْنَى الْمُعْجِزَاتِ

اعلم أَنَّ مَعْنَي تَسْمِيَتِنَا مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ مُعْجِزَةً ؛ هُوَ أَنَّ الْخَلْقَ عَجَزُوا عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهَا وَهِيَ عَلَى ضَرْبَيْنِ :

١- **ضَرْبٌ هُوَ من نَوْعِ قُدْرَةِ الْبَشَرِ**؛ فَعَجَزُوا عَنْهُ، فَتَعْجِيزُهُمْ عَنْهُ فِعْلٌ لله دَلَّ عَلَى صِدْق نَبِيّه ، كَصَرْفِهِمْ عَنْ تَمَنّي الْمَوتِ[2] ، وَتَعْجِيزِهِمْ عَنِ الإتْيَانِ بِمِثْلِ القرآن عَلَى رَأْيِ بَعْضِهِمْ ،وَنَحْوِهِ.

٢- **وَضَرْبٌ هُوَ خَارِجٌ عَنْ قُدْرتِهِم** ؛ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى الإتْيَانِ بِمِثْلِهِ ، كَإِحْيَاءِ الْمَوتَى ، وَقَلْبِ الْعَصَا حَيَّةً ، وَإِخْرَاج نَاقَةٍ من صَخْرَةٍ ، وَكَلَامِ شَجَرَةٍ ، وَنَبْعِ الْمَاءِ مِنَ الْأَصَابعِ ، وَانْشِقَاقِ الْقَمَرِ مِمَّا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَفْعَلَهُ أَحَدٌ إِلَّا الله ، فَيَكُونُ ذَلِكَ عَلَى يَدِ النَّبِيّ ﷺ من فِعْلِ الله تَعَالَى ، وَتَحَدِّيهِ من يُكَذِّبُهُ أنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ تَعْجِيزٌ لَهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُعْجِزَاتِ التي ظَهَرَتْ عَلَى يَدِ نَبِيِّنَا ﷺعَلَى قِسْمَيْنِ:

١- **قِسْمٌ مِنْهَا عُلِمَ قَطْعًا وَنُقِلَ إِلَيْنَا مُتَواتِرَاً**؛ كَالْقُرْآنِ ، فَلَا مِرْيَةَ ، ولا خلاف بمجئ النَّبِيّ بِهِ ، وَظُهُورِهِ من قِبَلِهِ ، وَاسْتِدْلَالِه بِحُجَّتِهِ ، وَإِنْ أَنْكَرَ هَذَا مُعَانِدٌ

---

[1] **الْجَمَّاءُ الْغَفِيرُ**:الجماعة الكثيرة.

[2] كَصَرْفِهِمْ عَنْ تَمَنّي الْمَوتِ:يعني اليهود، ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [الجمعة:٦-٧]

http://mohhanoona.blogspot.com/

جَاحِدٌ ، فَهُوَ كَإِنْكَارِهِ وُجُودَ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي الدُّنْيَا ، وَلَا يَخْتَلِفُ مُؤْمِنٌ ، وَلَا كَافِرٌ أَنَّهُ جَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ عَجَائِبُ ، وَإِنَّمَا خِلَافُ الْمُعَانِدِ فِي كَوْنِهَا من قِبَلِ اللَّهِ.

٢- وَالْقِسْمُ الثاني مَا لَمْ يَبْلُغْ مَبْلَغَ الضَّرُورَةِ وَالْقَطْعِ؛ وَهُوَ عَلَى نَوْعَيْنِ:

أ- **نَوْعٌ مُشْتَهِرٌ مُنْتَشِرٌ** ، رَوَاهُ الْعَدَدُ ، وَشَاعَ الْخَبَرُ بِهِ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ وَالرُّوَاةِ وَنَقَلَةِ السِّيَرِ وَالْأَخْبَارِ ؛ كَنَبْعِ الْمَاءِ من بَيْنَ الْأَصَابِعِ ، وَتَكْثِيرِ الطَّعَامِ.

ب- **وَنَوْعٌ مِنْهُ اخْتَصَّ بِهِ الْوَاحِدُ وَالاثْنَانِ**، وَرَوَاهُ الْعَدَدُ الْيَسِيرُ، وَلَمْ يَشْتَهِرِ اشْتِهَارَ غَيْرِهِ ، لَكِنَّهُ إِذَا جُمِعَ إِلَى مِثْلِهِ اتَّفَقَا فِي الْمَعْنَى ، وَاجْتَمَعَا عَلَى الْإِتْيَانِ بِالْمُعْجِزَةِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ.

(الْفَصْلُ الثَّالِثُ)

فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ

اعْلَمْ وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ: أَنَّ كِتَابَ اللَّهِ الْعَزِيزَ مُنْطَوٍ عَلَى وُجُوهٍ مِنَ الْإِعْجَازِ كَثِيرَةٍ وَتَحْصِيلَهَا مِنْ أَرْبَعَةِ وُجُوهٍ:

أَوَّلُهَا: حُسْنُ تَأْلِيفِهِ، وَالتِئَامُ كَلِمِهِ، وَفَصَاحَتُهُ ،وَوُجُوهُ إِيجَازِهِ ،وَبَلَاغَتُهُ .

يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[الإسراء:٨٨] ، وَ ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ، فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾[الطور:٣٣-٣٤] ، وَ ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[هود:١٣] ،وَ ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[يونس:٣٨]،

http://mohhanoona.blogspot.com/

﴿ وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾[البقرة:٢٣-٢٤] [١] .

الثَّانِي: إِعْجَازُ النَّظْمِ وَالْأُسْلُوبِ؛ فنَظْمِهِ العَجِيبِ ، وَأُسْلُوبه الْغَرِيبُ الْمُخَالِفُ لِأَسَالِيبِ كَلَامِ الْعَرَبِ وَمَناهِج نَظْمِهَا وَنَثْرِهَا الَّذِي جَاءَت عَلَيْهِ .

وَالْإِعْجازُ بِكُلّ وَاحِدٍ مِنَ النَّوْعَينْ: الْإِيجَازُ وَالْبَلَاغَةُ بِذَاتِهَا ، وَالْأُسْلُوبُ الغَرِيبُ بِذَاتِهِ ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا نَوْعُ إعْجَازٍ عَلَى التَّحْقِيقِ، لَمْ تَقْدِرِ الْعَرَبُ عَلَى الْإِتْيَانِ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا ، إِذْ كُلُّ وَاحِدٍ خَارجٍ عَنْ قُدْرَتِهَا ، مُبَاينٌ لِفَصَاحَتِهَا وَكَلَامِهَا، وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ غَيْرُ وَاحِدٍ من أَئِمَّةِ الْمُحَقِّقِينَ.

الْوَجْهُ الثَّالِثُ مِنَ الْإِعْجَازِ: مَا انْطَوَى عَلَيْهِ مِنَ الْأَخْبَارِ بِالْمُغَيَّبَاتِ ، وَمَا لَمْ يَكُنْ ، وَلَمْ يَقَعْ ، فَوُجِدَ كَمَا وَرَدَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَخْبَرَ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾[الفتح:٢٧] ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾[الروم:٣] ، وقوله: ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[التوبة:٣٣] ، وَقَوْلُهُ: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا

---

[١] **قال العلماء**: بُعِثَ النبيُّ ﷺ في زمن الفصحاء والبلغاء، فلما أتاهم بكتاب من عند الله اتهموه بالكذب والإفتراء ، فتحداهم ودعاهم لأن يعارضوه ويأتوا بمثله ولهم أن يستعينوا بمن شاءوا ، فعجزوا عن ذلك كما جاء في سورة الإسراء والطور، ثم تقاصر معهم إلى عشر سور منه كما جاء في سورة هود ،فلما عجزوا عن ذلك كله طالبهم بأن يأتوا بسورة مثله إن كانوا صادقين في زعمهم كما في سورة البقرة ، ثم أخبر الله تعالى أنهم لا يستطيعون ذلك لا في الحال ولا في المآل ، وهذا هو الواقع والحاصل فإننا لم نجد من أتى بنظير هذا القرآن ،ولا بنظير سورة منه من لدن النبي ﷺ إلى زماننا هذا ،فدل ذلك على عجز البشر ، وأن هذا الكلام هو كلام خالق البشر ،وأنه لا يمكن لأحد من البشر مهما بلغ في الفصاحة والبلاغة أن يأتي بمثل هذا القرآن ولا بما يشبهه.

http://mohhanoona.blogspot.com/

اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[النور:٥٥] ، وَقَوْلِهِ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾[النصر:١-٣] ، فَكَان جَمِيعُ هَذَا كَمَا قَالَ فَغَلَبَتِ الرُّومُ فَارِسَ فِي بِضْعِ سِنِينَ، وَدَخَلَ النَّاسُ فِي الْإِسْلَام أفْوَاجًا ، فما مَاتَ ﷺ وَفِي بِلادِ الْعَرَبِ كُلِّهَا مَوْضِعٌ لَمْ يَدْخُلْهُ الْإِسْلَام ، واسْتَخْلَفَ الله الْمُؤمِنينَ فِي الْأَرْضِ ، وَمَكَّنَ فِيهَا دِينَهُمْ ، وَمَلَّكَهُمْ إيّاهَا مِنْ أَقصَى المَشَرقِ إِلَى أَقْصَى الْمَغرب؛ كَمَا قَالَ ﷺ :(**زُويَتْ لِيَ الْأَرْضُ، فَأُرِيتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَسَيبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِي مَا زُوِىَ لِي مِنْهَا**)[1].

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:٩] فكان كَذَلِكَ، لَا يَكَادُ يُعَدُّ من سَعَى فِي تَغْيِيرهِ وَتَبْدِيلِ مُحْكمِهِ مِنَ الْمُلْحِدَةِ وَالْمُعَطَّلَةِ ، فمَا قَدَرُوا على إطفاء شئ من نُورِهِ وَلَا تَغْيِيرِ كَلِمَةٍ من كَلامِهِ ، ولا تشكيك الْمُسْلِمينَ فِي حَرْفٍ من حُرُوفِهِ ، وَلله الْحَمْدُ.

الْوَجْهُ الرَّابعُ: مَا أَنْبأَ بِهِ من أَخْبَارِ الْقُرُونِ السَّالِفَةِ ، وَالْأُمَمِ البَائِدَةِ ، وَالشَّرَائِعِ الدَّاثِرَةِ ، مِمَّا كَانَ لَا يَعْلَمُ مِنْهُ الْقِصَّةُ الْوَاحِدَةُ إِلَّا الْفَذُّ من أحبار أَهْلِ الْكِتَابِ ؛ الَّذِي قَطَعَ عُمُرَهُ فِي تَعَلُّم ذَلِكَ فَيُورِدُهُ النَّبِيّ ﷺ عَلَى وَجْهِهِ ، وَيَأْتِي بِهِ عَلَى نَصِّهِ ، فَيَعْتَرِفُ الْعَالِمُ بِذَلِكَ بِصِحَّتِهِ ، وَصِدْقِهِ وَأَنَّ مِثْلَهُ لَمْ يَنَلْهُ بِتَعْلِيمٍ كَقِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ مَعَ قَوْمِهِمْ وَخَبَر مُوسَى ، وَالْخِضْرِ ،وَيُوسُفَ وإخوتهِ، وَأَصْحَابِ الْكَهْفِ ،وَذِي الْقَرْنَيْنِ ،وَلُقْمَانَ وَابْنِهِ ،وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ مِنَ الْأَنْبَاءِ ، وَبَدْءِ الْخَلْقِ، وهَذِهِ الْوُجُوهُ الْأَرْبَعَةُ من إِعْجَازِهِ بَيِّنَةٌ لَا نِزَاعَ فِيهَا وَلَا مِرْيَةَ.

---

[1] رواه مسلم في صحيحه:٢٢١٥/٤،برقم: ٢٨٨٩،وابن ماجه في سننه:١٣٠٤/٢،برقم: ٣٩٥٢،(**زُوِيَت**):جُمِعَت ،وفي رواية:(**إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ**).

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الفصل الرَّابِعُ)

التَّحدِّي وَالتعْجِيز فِي قَضَايَا ،وإِعلامِهِم أَنَّهُم لا يَفْعَلُونَهَا، فَمَا فَعَلُوا ، وَلَا قَدَرُوا عَلَى ذَلِكَ

وذلك كَقَوْلِهِ لِلْيَهُودِ: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة:٩٤-٩٥]

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَصِيلِيُّ[1]: من أَعْجَبِ أَمْرِهِمْ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا وَاحِدٌ من يَوْمِ أَمَرَ اللَّهُ بِذَلِكَ نَبِيَّهُ يُقْدِمُ عَلَيْهِ، ولا يُجِيبُ إِليهِ ،وَهَذَا مَوْجُودٌ مُشَاهَدٌ لِمَنْ أَرَادَ أَنَّ يَمْتَحِنَهُ مِنْهُمْ، وَكَذَلِكَ آيَةُ الْمُبَاهَلَةِ[2] من هَذَا الْمَعْنَى حَيْثُ وَفَدَ عَلَيْهِ أَسَاقِفَةُ نَجْرَانَ وَأَبَوُا الْإِسْلَام ، فَأَنْزَلَ اللَّه تَعَالَى عَلَيْهِ آيَةَ الْمُبَاهَلَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾[آل عمران:٦١]

فَامتَنَعُوا مِنْهَا ، وَرَضُوا بِأَدَاءِ الْجِزْيَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ "الْعَاقِبَ" عَظِيمَهُمْ قَالَ لهم : قَد عَلِمْتُم أَنَّهُ نَبِيٌّ ،وَأَنَّهُ مَا لاعَنَ قَوْمًا نَبِيٌّ قَطُّ فَبَقِيَ كَبِيرُهُمْ وَلَا صَغِيرُهُمْ

وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾[البقرة:٢٣-٢٤] ، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ لَا يَفْعَلُونَ ، و فِيهَا مِنَ التَّعْجِيزِ مَا فِي الَّتِي قَبْلَهَا.

---

[1] أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأموي المعروف بالأصيلي : الإمام المحدث الفقيه شيخ المالكية وعالم الأندلس ، من أهل أصيلة (في المغرب) ، قَالَ القاضي عِياض: قَالَ الدَّارَقُطْنيّ: حَدّثَني أَبُو مُحَمَّد الْأصيلي، ولم أرَ مثله ، وتوفي سنة٣٩٢ هـ.

[2] **الْمُبَاهَلَةِ**:هو الإجتماع ، ودعاء الله عزوجل أن ينزل سخطه وعقوبته بالظالم منهم.

(الفَصْلُ الخَامِس)

رَوْعَتُهُ فِي السَّمْعِ وهَيْبَـتِهِ فِي الْقُلُوبِ

وَمِنْهَا **الرَّوْعَةُ**[1] الَّتِي تَلْحَقُ قُلُوبَ سَامِعِيهِ وَأَسْمَاعَهُمْ عِنْدَ سَمَاعِهِ ، وَالْهَيْبَةُ الَّتِي تَعْتَرِيهِمْ عِنْدَ تِلاوَتِهِ لِقُوَّةِ حَالِهِ ، وإِنَافَةِ خَطَرِهِ[2] ،وهى عَلَى المُكَذِّبِينَ بِهِ أَعْظَمُ ، حَتَّى كَانُوا يَسْتَثْقِلُونَ سَمَاعَهُ وَيَزِيدُهُمْ نُفُورًا ، وَيَودُّونَ انْقِطَاعَهُ لِكَرَاهَتِهِمْ لَهُ.

قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ﴾[الزمر:٢٣] ، وَقَالَ: ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[الحشر:٢١] .

وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ هذا شَيْءٌ خُصَّ بِهِ ؛ وَأَنَّهُ يَعْتَرِي من لَا يَفْهَمُ مَعَانِيه ،وَلَا يَعْلَمُ تَفَاسِيرَهُ كَمَا رُوِيَ عَنْ نَصْرَانِيٍّ أَنَّهُ مَرَّ بِقَارِئٍ، فَوَقَفَ يَبْكِي فَقِيلَ لَهُ: مِمَّ بَكَيْتَ؟ ، قَالَ: للشَّجَا[3] وَالنَّظْمِ ، وَهَذِهِ الرَوْعَةُ قَد اعْتَرَتْ[4] جَمَاعَةً قَبْلَ الْإِسْلَام وَبَعْدَهُ ، فَمِنْهُمْ من أَسْلَمَ لَهَا لَأَوّل وَهْلَةٍ وَآمَنَ بِهِ ، وَمِنْهُمْ من كَفَرَ، فَحُكِيَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ قَالَ:(**سَمِعْتُ النَّبِيّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الآيَةَ:** ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَ يُوقِنُونَ، أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ المُسَيْطِرُونَ ﴾[الطور:٣٥-٣٧]، قال: **كَادَ قَلْبِي أَنْ يطِيرَ لِلإِسْلَامِ**)[1]، وَفِي رِوَايَةٍ:(**وَذَلِكَ أَوَّلُ مَا وَقَرَ الْإِسْلَامُ فِي قَلْبِي**)[2].

---

[1] **الرَّوْعَةُ**:الخوف والخشية.

[2] **وإنافة خطره**:علو مرتبته.

[3] **الشَّجَا**:أي للحزن الذي أصابه؛فَرَقَّ قلبه،وَخَشَعَ بَدَنه.

[4] **اعْتَرَتْ**:غشيت.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الفَصْلُ السَّادِس)

بـقَاؤهُ علَى الزمَن

وَمِنْ وُجُوهِ إعْجَازِهِ الْمَعْدُودَةِ ، كَوْنُهُ آيَةً باقِيَةً لَا تُعْدَمُ مَا بَقِيتِ الدُّنْيَا، مَعَ تَكَفُّلِ اللَّهِ تَعَالَى بِحِفْظِهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:٩] ، وَقَالَ: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت:٤٢].

وَسَائِرُ مُعْجِزَاتُ الْأَنْبِيَاءِ انْقَضَتْ بِانْقِضَاءِ أَوْقَاتِهَا ، فَلَمْ يَبْقَ إلا خَبَرُهَا ، وَالْقُرْآنُ الْعَزِيزُ البَاهِرَةُ آيَاتُهُ ، الظَّاهِرَةُ مُعْجِزَاتُهُ مِنْ أَوَّلِ نُزُولِهِ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا حُجَّتُهُ قَاهِرَةٌ وَمُعَارَضَتُهُ[3] ممتَنَعَة، وَالأَعصَار كُلّها طَافِحَةٌ بِأَهْلِ الْبَيَانِ، وَحَمَلَةِ عِلْمِ اللّسَانِ ، وَأَئِمَّةِ الْبَلَاغَةِ ، وَفُرْسَانِ الْكَلَامِ ، وَجَهَابِذَةِ[4] الْبَرَاعَةِ ، وَالْمُلْحِدُ[5] فِيهِمْ كثير ، والمُعَادِي للشرعِ عَتِيدٌ[6] ، فَمَا مِنْهُمْ مَنْ أَتَى بِشَيْءٍ يُؤْثَرُ فِي مُعَارَضَتِهِ ، وَلَا أَلَّفَ كَلِمَتَيْنِ فِي مُنَاقَضَتِهِ ، وَلَا قَدَر فِيهِ عَلَى مَطْعَنٍ صَحِيحٍ ، وَلَا قَدَحَ الْمُتَكَلّفُ من ذِهْنِهِ فِي ذَلِكَ إِلَّا بِزَنْدٍ شَحِيحٍ[7]، بَل الْمَأْثُورُ عَنْ كُلِّ من رَامَ ذلك إلْقَاؤهُ فِي الْعَجْزِ بِيَدَيْهِ ، وَالنُّكُوصُ عَلَى عَقِبَيْهِ[8].

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:١٤٠/٦،برقم: ٤٨٥٤،والحميدي في مسنده:٤٧٦/١،برقم: ٥٦٦.

[2] رواه البخاري في صحيحه:٨٦/٥،برقم: ٤٠٢٣، وأحمد في مسنده:٣٤٠/٢٧،برقم: ١٦٧٨٥

[3] **مُعَارَضَتُهُ**:أن يأتي بما يُمَاثِلَهُ أَو يُعَادِلَه.

[4] **جَهَابِذَة**:جمعُ جِهبِذ؛وهو النَّقاد الخبير بغوامض الأمور.

[5] **الْمُلْحِدُ**:هو المائل عن الحق إلى الباطل كفراً وتكذيباً.

[6] **عَتِيدٌ**:مُهَيَّأ وَحاضر.

[7] **بِزَنْدٍ شَحِيحٍ**:أي بحجر لا يقدح الشرر؛وجه الشبه في عدم اتقاد كل من العقل في معارضة القرآن،وعدم اتقاد الزند الشحيح واشتعاله.

[8] **وَالنُّكُوصُ عَلَى عَقِبَيْهِ**:أي رجع عما كان اعتزمه،وأقبل عليه.

(الْفَصْلُ السَّابِعُ)

وُجُوهٌ أُخْرَى لِلْإِعْجَازِ

وَقَدْ عَدَّ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ وَمُقَلِّدِي الْأُمَّةِ فِي إِعْجَازِهِ وُجُوهًا كَثِيرَةً مِنْهَا:

١ - **أَنَّ قَارِئَهُ لَا يَمَلُّهُ وَسَامِعَهُ لَا يَمُجُّهُ**؛ بَلِ الْإِكْبَابُ عَلَى تلَاوَتِهِ يَزِيدُهُ حَلاوَةً ، وتَرْدِيدُهُ[1] يُوجب لَهُ مَحَبَّةً ، لَا يَزَالُ غَضًّا طَرِيًّا ، وَغَيْرُهُ مِنَ الْكَلَامِ وَلَوْ بَلَغَ فِي الْحُسْنِ وَالْبَلَاغَةِ مَبْلَغَهُ يُمَلُّ مَعَ التَّرْدِيدِ ، وَيُعَادَى إِذَا أُعِيدَ ، وَكِتَابُنَا يُسْتَلَذُّ بِهِ فِي الْخَلَوَاتِ ، وَيُؤْنَسُ بِتِلَاوَتِهِ في الأَزَمَاتِ[2] ، وسواه مِنَ الْكُتُبِ لَا يُوجَدُ فِيهَا ذَلِكَ ، حَتَّى أَحْدَثَ أَصْحَابُهَا لَهَا لُحُونًا وَطُرُقًا يَسْتَجْلِبُونَ بِتِلْكَ اللُّحُونِ تَنْشِيطَهُمْ عَلَى قِرَاءَتِهَا.

٢ - وَمِنْهَا: **جَمْعُهُ لِعُلُومٍ وَمَعَارِفَ لَمْ تَعْهَدِ الْعَرَبُ عَامَّةً** وَلَا مُحَمَّدٌ ﷺ قَبْلَ نُبُوَّتِهِ خَاصَّةً بِمَعْرِفَتِهَا وَلَا الْقِيَامِ بِهَا،وَلَا يُحِيطُ بِهَا أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَمِ ، ولا يشتمل عليها كتاب على كُتُبِهِمْ.

٣ - **الرَّدِّ عَلَى فِرَقِ الْأُمَمِ بِبَرَاهِينَ قَوِيَّةٍ** ، وَأَدِلَّةٍ بَيِّنَةٍ ، سَهْلَةِ الْأَلْفَاظِ ، مُوجَزَةِ الْمَقَاصِدِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى ﴾[يس:٨١] ، وَ ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾[يس:٧٩] ، وَ ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[الأنبياء:٢٢] .

٤ - **وَمَا حَوَاهُ مِنْ عُلُومِ السِّيَرِ، وَأَنْبَاءِ الْأُمَمِ وَالْمَوَاعِظِ وَالْحِكَمِ**، وَأَخْبَارِ الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَمَحَاسِنِ الْآدَابِ وَالشِّيَمِ ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ اسْمُهُ ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾[الأنعام:٣٨] ، ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾[النحل:٨٩] ، و ﴿ وَلَقَدْ

---

[1] **وتَرْدِيدُهُ** : تكرار تلاوته.

[2] **الأَزَمَاتِ**:جمع أزمة وهي الضيق والشدة.

http://mohhanoona.blogspot.com/

ضَرَبْنا لِلنَّاسِ فِي هذا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾[الروم:٥٨] ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ هذا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[النمل:٧٦] ، وقال: ﴿ هذا بَيانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾[آل عمران:١٣٨].

٥- ومِنْهَا: **جَمْعُهُ فِيهِ بَيْنَ الدَّلِيلِ وَمَدْلُولِهِ** ، فَالتَّالِي لَهُ يَفْهَمُ مَوْضِعَ الْحُجَّةِ وَالتَّكْلِيفِ مَعًا من كَلَامٍ واحِدٍ وَسُورَةٍ مُنْفَرِدَةٍ.

٦- ومِنْهَا: **أَنْ جَعَلَهُ فِي حَيّزِ الْمَنْظُومِ الَّذِي لَمْ يُعْهَدْ** ، وَلَمْ يَكُنْ فِي حَيِّزِ الْمَنْثُورِ ؛ لِأَنَّ الْمَنْظُومَ أَسْهَلُ عَلَى النُّفُوسِ ، وَأَوْعَى لِلْقُلُوبِ ، وَأَسْمَعُ فِي الآذَانِ ، وَأَحْلَى عَلَى الأَفْهَامِ ، فَالنَّاسُ إِلَيْهِ أَمْيَلُ ، وَالْأَهْوَاءُ إِلَيْهِ أَسْرَعُ.

٧- وَمِنْهَا: **تَيْسِيرُ حِفْظَهُ لِمُتَعَلِّمِيهِ** ، وَتَقْرِيبُهُ عَلَى مُتَحَفِّظِيهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾[القمر:١٧] ، وَالْقُرْآنُ مُيَسَّرٌ حِفْظُهُ لِلْغِلْمَانِ فِي أَقْرَبِ مُدَّةٍ.

٨- وَمِنْهَا: **مُشَاكَلَةُ بَعْضِ أَجْزَائِهِ بَعْضًا** ، وَحُسْنُ ائتِلافِ أَنْوَاعِهَا ، والتئام أَقْسَامِهَا ، وَحُسْنُ التَّخَلُّصِ من قِصَّةٍ إِلَى أُخْرَى ، والْخُرُوجِ من بَابٍ إِلَى غَيْرِهِ عَلَى اخْتِلَافِ مَعَانِيهِ ، وَانقِسَامِ السُّورَةِ الوَاحِدَةِ إِلَى أَمْرٍ وَنَهْيٍ وَخَبَرٍ وَاسْتِخْبَارٍ، وَوَعْدٍ وَوعِيدٍ، وَإِثْبَاتِ نُبُوَّةٍ وَتوحِيدٍ وَتفرِيدٍ ، وَتَرْغِيبٍ وَتَرْهِيبٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ من فَوَائِدِهِ دُونَ خَللٍ يَتَخَلَّلُ فصوله.

٩- وَمِنْهُ: **الْجُمْلَةُ الْكَثِيرَةُ التي انْطَوتْ عَلَيْهَا الْكَلِمَاتُ الْقَلِيلَةُ.**

إلى غير ذلك من وجوه الإعجاز ، وأَكْثَرُهَا دَاخِلٌ فِي بَابِ بَلاغَتِهِ ،ومنها يُعَدُّ فِي خَواصِّهِ وَفَضَائِلِهِ لَا فِي إِعْجَازِهِ.

وَحَقِيقَةُ الْإِعْجَازِ في الْوُجُوهُ الْأَرْبَعَةُ التي ذَكَرْنَا ، فَلْيُعْتَمَد عَلَيْهَا وَمَا بَعْدَهَا من خَوَاصِّ الْقُرْآنِ وَعَجَائِبِهِ التي لَا تَنْقَضِي والله وَلِيُّ التَّوْفِيقِ.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الفَصْلُ الثَامِنُ)

في انْشِقَاقُ الْقَمَرِ

قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ، وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾[القمر:١-٢] فأَخْبَرَ تَعَالَى بِوُقُوعِ انْشِقَاقِهِ بِلَفْظِ الْمَاضِي ، وَإِعْرَاضِ الْكَفَرَةِ عَنْ آيَاتِهِ، وَأَجْمَعَ الْمُفَسِّرُونَ وَأَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى وُقُوعِهِ.

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ:(**انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةٌ فَوْقَ الْجَبَلِ ، وَفِرْقَةٌ دُونَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اشْهَدُوا**)[1].

(الفَصْلُ التَّاسِع)

نَبْعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ وَتَكْثِيرِهِ بِبَرَكَتِهِ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَحَانَتْ صَلاةُ الْعَصْرِ فَالْتَمَسَ النَّاسُ الْوَضُوءَ فَلَمْ يَجِدُوهُ فَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِوَضُوءٍ فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي ذَلِكَ الإِنَاءِ يَدَهُ وَأَمَرَ النَّاسَ أن يتوضؤا مِنْهُ قَالَ:(**فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ فَتَوَضَّأَ الناس حتى توضؤا مِنْ عِنْدَ آخِرِهِمْ**)[2].

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:٢٠٦/٤،برقم: ٣٦٣٦،ومسلم:٢١٥٨/٤،برقم: ٢٨٠٠.

[2] رواه البخاري في صحيحه:٤٥/١،برقم: ١٦٩،ومسلم:١٧٨٣/٤،برقم: ٢٢٧٩، **قَالَ الْقُرْطُبِيُّ:** وَلَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِ هَذِهِ الْمُعْجِزَةِ عَنْ غَيْرِ نَبِيِّنَا ﷺ حَيْثُ نَبَعَ الْمَاءُ مِنْ بَيْنِ عَظْمِهِ وَعَصَبِهِ وَلَحْمِهِ وَدَمِهِ . (الجامع لأحكام القرآن:٤٢١/١) ، وَقَدْ نقل بن عَبْدِ الْبَرِّ **عَنِ الْمُزَنِيِّ** أَنَّهُ قَالَ: نَبْعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ﷺ أَبْلَغُ فِي الْمُعْجِزَةِ مِنْ نَبْعِ الْمَاءِ مِنَ الْحَجَرِ حَيْثُ ضَرَبَهُ مُوسَى بِالْعَصَا فَتَفَجَّرَتْ مِنْهُ الْمِيَاهُ ؛ لِأَنَّ خُرُوجَ الْمَاءِ مِنَ الْحِجَارَةِ مَعْهُودٌ بِخِلَافِ خُرُوجِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ اللَّحْمِ وَالدَّمِ .(فتح الباري:٥٨٥/٦)

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الفَصْلُ العَاشِرُ)

تَفْجِيرُ المَاءِ بِبَرَكَتِهِ

وَمِمَّا يُشْبِهُ هَذَا مِنْ مُعْجِزَاتِهِ؛ تَفْجِيرُ الْمَاءِ بِبَرَكَتِهِ وَانبِعَاثُهُ بِمَسِّهِ وَدَعْوَتِهِ،فعَنْ مُعَاذِ بن جَبَلٍ ﷺ فِي قِصَّةِ غَزْوةِ تَبُوكَ[1] ، وَأَنَّهُمْ وَرَدوا الْعَيْنَ ، وَهِيَ تَبِضُّ بشئ من مَاءٍ مِثْلِ الشِراكِ فَغَرَفُوا مِنَ الْعَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شئ ، ثُمَّ غَسَلَ رَسُولُ اللَّه ﷺ فِيهِ وَجْههُ وَيَدَيْهِ ، وَأَعَادَهُ فِيهَا فَجَرَتْ بِمَاءٍ كَثِيرٍ فَاسْتَقَى النَّاسُ[2].

(الفَصْلُ الحَادِي عَشَرَ)

تَكْثِيرُ الطَّعَامِ

عَنْ جَابِرٍ ﷺ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَطْعِمُهُ ، فَأَطْعَمَهُ شَطْرَ وَسْقِ شَعِيرٍ ، فَمَا زَالَ يَأْكُلُ مِنْهُ وَامْرَأَتُهُ وَضَيْفُهُ حَتَّى كَالَهُ ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ ،فَقَالَ: **(لَوْ لم تَكِلْهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ وَلقَامَ بِكُمْ)**[3].

---

[1] **غزوة تبوك**:(رجب/٩هـ)،وسميت بذلك نسبة إلى عين تبوك وهي تبعد عن المدينة ١٢٥٠ كيلو متر تقريباً ، وتسمى أيضاً غزوة العسرة ؛ لشدة ما لاقى المسلمون من التعب والضنك ،فقد كان الجو حاراً ،والمسافة بعيدة ،وقلة الركوبة والمؤونة ،وقلة الماء ،وتسمى بالفاضحة ؛لأنها فضحت المنافقين،وكان عدد المسلمين ٣٠ ألف مقاتل بينما عدد الروم ٢٠٠ ألف مقاتل.

[2] رواه مسلم في صحيحه:٤/ ١٧٨٤ ،برقم: ٧٠٦،ومالك في الموطأ:١٩٧/٢،برقم: ٤٧٨، وأحمد في مسنده:٣٨٨/٣٦،برقم: ٢٢٠٧٠، **تَبِضُّ**:أي تسيل،و**الشِراكِ**:هو سير النعل،ومعناه ماءٌ قليل جداً.

[3] رواه مسلم في صحيحه:١٧٨٤/٤،برقم: ٢٢٨١،وأحمد في مسنده:٤٦٢/٢٢،برقم: ١٤٦٢١، (**وَلقَامَ بِكُمْ**):أي لاستمر بقاؤه وما انقطع خيره.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيث أَبِي طَلْحَةَ الْمَشْهُورُ وَإِطْعَامُهُ ﷺ ثَمَانِينَ أَوْ سَبْعِينَ رَجُلًا من أقراص من شَعِيرٍ جَاءَ بِهَا أَنَسٌ تَحْتَ يَدِهِ ، أَيْ إِبْطِهِ فَأَمَرَ بِهَا فَفُتَّ ، وَقَالَ فِيهَا مَا شَاءَ اللَّه أَنْ يَقُولَ[1]، وَحَدِيث جَابِرٍ فِي إِطْعَامِهِ ﷺ يَوْمَ الْخَنْدَقِ[2] أَلْفَ رَجُلٍ من صَاعِ شَعِيرٍ وَعَنَاقٍ ، وَقَالَ جَابِرٌ: فَأُقْسِمُ بِالله لأكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتغطُّ كَمَا هِيَ ، وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ بَصَقَ فِي الْعَجِينِ وَالْبُرْمَةِ وَبَارَكَ[3]، وَفِي حَدِيث أَنَسٍ رضي الله عنه : تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّه ﷺ ، فَصَنَعَتْ أُمِّي أُمُّ سُلَيْمٍ حَيْسًا ، فَجَعَلَتْهُ فِي تَوْرٍ ، فَذَهَبْتُ بِهِ إِلَى رَسُول اللَّه ﷺ ، فَقَالَ: ضَعْهُ ، وَادْعُ لِي فُلَانًا وَفُلَانًا وَمِنْ لَقِيتَ ، فَدَعَوْتُهُمْ ، وَلَمْ أَدَعْ أَحَدًا لَقِيتُهُ إِلَّا دَعَوْتُهُ ، وَذَكَرَ أَنَّهُمْ كَانُوا زُهَاءَ ثَلَاثِمَائَةٍ حَتَّى مَلَؤُوا الصُّفَّةَ وَالْحُجْرَةَ ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيّ ﷺ : تَحَلَّقُوا عَشْرَةً عَشْرَةً ، وَوَضَعَ النَّبِيّ ﷺ يَدَهُ عَلَى الطَّعَامِ ، فَدَعَا فِيهِ وَقَالَ مَا شَاءَ اللَّه أَنْ يَقُول ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا كُلُّهُمْ ، فَقَالَ لِي: ارْفَعْ ، فَمَا أَدْرِي حِينَ وُضِعَتْ كَانَتْ أَكْثَرَ أَم حِينَ رُفِعَتْ[4].

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:١٩٣/٤،برقم: ٣٥٧٨،ومسلم:١٦١٢/٣،برقم: ٢٠٤٠.

[2] **غزوة الخندق**:(شوال/٥هـ) وسميت بذلك نسبة إلى الخندق الذي حفره المسلمون حول المدينة ، وسميت أيضاً بغزوة الأحزاب ؛لأن المشركين اجتمعوا وتحزبوا لغزو المدينة ،وكان عدد المسلمين ٣ آلاف مقاتل ،وعدد المشركين ١٠ آلاف مقاتل.

[3] رواه البخاري في صحيحه :١٠٨/٥،برقم: ٤١٠٢،ومسلم:١٦١٠/٣،برقم: ٢٠٣٩، (**الْعَنَاق**): ما يربى في البيوت من أولاد الغنم ، (**تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا**) أي شبعوا وانصرفوا، (**لَتَغطُّ**) : أي تغلي ويسمع غليانها،(**كَمَا هِيَ**): يعود إلى العجين ،(**الْبُرْمَةِ**) القدر،(**بَارَكَ**):دعا بالبركة.

[4] رواه مسلم في صحيحه:١٠٥١/٢،برقم: ١٤٢٨،والترمذي في سننه:٢١٠/٥،برقم: ٣٢١٨،والنسائي:١٣٦/٦،برقم: ٣٣٨٧، (**التَّوْر**): هو إناء من صفر أو حجارة ، (**زَهَاء ثلاثمائة**) أي قدر ثلاثمائة مائة.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الفَصْلُ الثَّانِي عَشَر)

فِي كَلَامِ الشَّجَرةِ ، وَشَهادَتِهَا لَهُ بِالنُّبُوَّةِ، وَإِجَابَتِهَا دَعوته ﷺ

وفِي حَدِيثِ جَابِرِ بن عَبدِ اللهِ الطَّوِيلِ: ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ ، فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ ، فَإِذَا بِشَجَرَتَيْنِ بِشَاطِئِ الْوَادِي ، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى إِحْدَاهُمَا فَأَخَذَ بِغُصْنٍ من أَغْصَانِهَا ، فَقَالَ: انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ فَعَلَ بِالْأُخْرَى مِثْل ذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَنْصِفِ بَيْنَهُمَا قَالَ: الْتَئِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ، فَالْتَأَمَتَا[1].

وَفِي حَدِيْثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه : آذَنَتِ النَّبِيَّ ﷺ بِالْجِنّ لَيْلَةَ اسْتَمَعُوا لَهُ شَجَرَةٌ[2].

(الفَصْلُ الثَّالِث عَشَر)

فِي قِصَّةِ حَنِيْنِ الجِذْعِ لَهُ ﷺ

وَيَعْضُدُ هَذِهِ الْأَخْبَار حَدِيث أَنِينِ الجِذْعِ وَهُوَ فِي نَفْسِهِ مَشْهُورٌ مُنْتَشِرٌ ،والخَبَرُ بِهِ مُتَواتِرٌ قَدْ خَرَّجَهُ أَهْلُ الصَّحِيحِ ، فَعَن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، يَقُولُ:(**كَانَ المَسْجِدُ مَسْقُوفًا عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى**

---

[1] رواه مسلم في صحيحه:٢٣٠٦/٤،برقم: ٣٠١٢،وابن حبان في صحيحه:٤٥٥/١٤،برقم: ٦٥٢٤،(**بِشَاطِئِ الْوَادِي**):أي بجانبه، (**كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ**): هو الذي يجعل في أنفه خشاش ، وهو عود يجعل في أنف البعير إذا كان صعبا ويشد فيه حبل ليذل وينقاد ،ولهذا قال:(الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ) ، (**بِالْمَنْصِفِ**): هو نصف المسافة ، (**لأم**): أي جمع بينهما.

[2] رواه البخاري في صحيحه:٤٦/٥،برقم: ٣٨٥٩ ،ومسلم:٣٣٣/١،برقم: ٤٥٠، (**آذَنَتِ**) : أي أعلمت النبي ﷺ بحضور الجن.

http://mohhanoona.blogspot.com/

جِذْعٍ مِنْهَا، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ المِنْبَرُ وَكَانَ عَلَيْهِ، فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ العِشَارِ، حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَتْ)[1].

وكَانَ الحَسَنُ البِصْرِيِّ رحمه الله إذَا حَدَّثَ بِهَذَا بَكَى وَقَالَ: يَا عِبَادَ اللهِ الْخَشَبَةُ تَحِنُّ إِلَى رَسُول اللَّهِ ﷺ شَوْقًا إِليْهِ لِمَكَانِهِ فَأَنْتُمْ أَحَقُّ أَنْ تَشْتَاقُوا إِلَى لِقَائِهِ.

(الفَصْلُ الرَّابِع عَشَر)

مُعجزاتُهُ ﷺ فِي سَائِرِ الجَمَادَاتِ

وَمِثْلُ هَذَا فِي سَائِرِ الجَمَادَاتِ، فعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: **(كُنَّا نَأْكُلُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الطَّعَامَ وَنَحْنُ نَسْمَعُ تَسْبِيحَهُ)**[2].

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه عَنْهُ ﷺ : **(إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ)**[3] ،وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه :**(صَعِدَ النَّبِيّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وعثمانُ أُحُدًا ، فَرَجَفَ بِهِمْ ، فَقَالَ: اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدّيقٌ وَشَهِيدَانِ)**[4].

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:١٩٥/٤،برقم: ٣٥٨٥ ،(**العِشَارِ**): جمع عشراء ؛ وهي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر،(**فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا**): فسكنت.

[2] رواه البخاري في صحيحه:١٩٤/٤،برقم: ٣٥٧٩،والترمذي في سننه:٥٩٧/٥،برقم: ٣٦٣٣.

[3] رواه مسلم في صحيحه:١٧٨٢/٤،برقم: ٢٢٧٧،وأحمد في مسنده:٤٥٥/٣٤،برقم: ٢٠٨٩٣، **قال الإمام النووي**: وَفِي هَذَا إِثْبَاتُ التَّمْيِيزِ فِي بَعْضِ الْجَمَادَاتِ ، وَهُوَ مُوَافِقٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي الْحِجَارَةِ :﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾[البقرة:٧٤] ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى:﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [الإسراء:٤٤] ، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ خِلَافٌ مَشْهُورٌ وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ يُسَبِّحُ.

[4] رواه البخاري في صحيحه:٩/٥،برقم: ٣٦٧٥،وأبو داود في سننه:٢١٢/٤،برقم: ٤٦٥١ ، و(**أُحُد**):جبل شمال المدينة،وهو معروف.

وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُهُ مَعَ الرَّاهِبِ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ ، إِذْ خَرَجَ تَاجِرًا مَعَ عَمّهِ ، وَكَانَ الرَّاهِبُ لَا يَخْرُجُ إِلَى أَحَدٍ ، فَخَرَجَ وجعل يَتَخَلَّلُهم حَتَّى أَخَذَ بِيَدِ رَسُول اللَّه ﷺ ، فَقَالَ: هَذَا سَيّدُ العَالَمِينَ يَبْعَثُهُ اللَّه رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، فَقَالَ لَهُ أَشْيَاخٌ من قُرَيْشٍ : مَا عِلْمُكَ؟، فَقَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ وَلَا حَجَرٌ إِلَّا خَرَّ سَاجِدًا لَهُ ، وَلَا يَسْجُدُ إِلَّا لِنَبِيٍّ ، وَذَكَرَ الْقِصَّة ، ثُمَّ قَالَ: وَأَقْبَلَ ﷺ وَعَلَيْهِ غَمَامَة تُظِلُّهُ، فَلَمّا دَنَا مِنَ الْقَوْمِ ، وَجَدَهُمْ سَبَقُوهُ إِلَى فَيْءِ الشَّجَرَةِ ، فَلَمّا جَلَسَ مَالَ الفَيْءُ إِلَيْهِ[١].

(الْفَصْلُ الخَامِس عَشَرَ)

فِي الْآيَاتِ فِي ضُرُوبِ[٢] الحَيْوَانَاتِ

وَمِنْ ذَلِكَ قِصَّةُ كَلَامِ الذِّئْبِ المَشْهُورَةُ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ رضي الله عنه : بَيْنَا رَاعٍ يَرْعَى غَنَمًا لَهُ ، عَرَضَ الذِّئْبُ لِشَاةٍ مِنْهَا فَأَخَذَهَا مِنْهُ ، فَأَقْعَى الذِئبُ وَقَالَ لِلرَّاعِي: أَلَا تَتَّقِي اللَّه !! ، حُلْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ رِزْقِي ، قَالَ الرَّاعِي: الْعَجَبُ من ذِئْبٍ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامِ الْإِنْسِ، فَقَالَ الذّئْبُ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَعْجَبَ من ذَلِكَ؟ ، رَسُولُ اللَّه بَيْنَ الحَرَّتَيْنِ يُحَدّثُ النَّاسَ بِأَنْبَاء مَا قَدْ سَبَقَ، فَأَتَى الرَّاعِي النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ لَهُ قُمْ فَحَدّثْهُمْ ، ثُمَّ قَالَ صَدَقَ ، وَالْحَدِيثُ فِيهِ قِصَّة ، وَفِي بَعْضِهِ طُولٌ[٣].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : أَنَّ يَهُودِيَّةً أَهْدَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ بِخَيْبَرَ شَاةً مَصْلِيَّةً سَمَّتْهَا فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا وَأَكَلَ الْقَوْمُ ، فَقَالَ: ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ ، فَإِنَّهَا أَخْبَرَتْنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ ، فَمَات بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ ، وَقَالَ لِلْيَهُودِيَّةِ: مَا حَمَلَكِ عَلَى مَا

---

[١] **صحيح**، رواه الترمذي في سننه:١٩/٦،برقم: ٣٦٢٠ ،وغيره.

[٢] **ضُرُوب**:أنواع.

[٣] **صحيح**،رواه أحمد في مسنده:٣١٥/١٨،برقم: ١١٧٩٢ ،والحاكم في المستدرك:٥١٤/٤، برقم: ٨٤٤٤.

http://mohhanoona.blogspot.com/

صَنَعْتِ؟ ، قَالَتْ: إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرُّكَ الَّذِي صَنَعْتُ ، وَإِنْ كُنْتَ مَلِكًا أَرَحْتُ النَّاسَ مِنْكَ[1].

(الفَصْلُ السَّادِسَ عَشَرَ)

فِي إِبراءِ المَرضَى وَذَوِي العَاهَاتِ

رَوَى النَّسَائِيُّ عَنْ عُثْمَانَ بن حُنَيْفٍ ﵁: أَنَّ أَعْمَى قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أن يَكْشِفَ لِي عَنْ بَصَرِي ، قَالَ: فَانْطَلِقْ فَتَوَضَّأ ، ثُمَّ صَلِّ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ أَنْ يَكْشِفَ عَنْ بَصَرِي ، اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ ، قَالَ: فَرَجَعَ وَقَدْ كَشَفَ اللَّهُ عَنْ بَصَرِهِ[2].

وَتَفَلَ فِي عَيْنَيْ عَلِيٍّ يَوْمَ خَيْبَرَ وَكَانَ رَمِدًا ، فَأَصْبَحَ بَارِئًا[3].

وَنَفَثَ عَلَى ضَرْبَةٍ بِسَاقِ سَلَمَةَ بْنُ الأَكْوَعِ يَوْمَ خَيْبَرَ ، فَبَرِئت[4].

(الفَصْلُ السَّابِعَ عَشَرَ)

إِجَابَةُ دُعَائِهِ ﷺ

---

[1] **صحيح**،رواه أبو داود في سننه:١٧٤/٤،برقم: ٤٥١٢،(**مَصْلِيَّةً**): مشوية.

[2] **صحيح**،رواه الترمذي في سننه:٥٦٩/٥،برقم: ٣٥٧٨،وأحمد في مسنده:٤٨٠/٢٨،برقم: ١٧٢٤١،والنسائي في الكبرى:٢٤٤/٩،برقم: ١٠٤١٩.

[3] رواه البخاري في صحيحه:٦٠/٤،برقم: ٣٠٠٩،ومسلم:١٨٧٢/٤،برقم: ٢٤٠٦، (**رَمِدًا**): أي به الرَّمَد،وهو التهابٌ يُصيبُ العين،و(**بَارِئًا**) أي مُعافى.

[4] رواه البخاري في صحيحه:١٢٣/٥،برقم: ٤٢٠٦،وأبو داود في سننه:١٢/٤،برقم: ٣٨٩٤ ،(**والنَفْثُ**)هو النفخ بلا ريق.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَهَذَا باب واسع جدًا، وَإِجَابَةُ دَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِجَمَاعَةٍ بِمَا دَعَا لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ مُتَوَاتِرٌ عَلَى الْجُمْلَةِ مَعْلُومٌ ضَرُورَةً ، وَقَدْ جاء فِي حَدِيث أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَتْ أُمِّي: يَا رَسُولَ اللَّهِ خَادِمُكَ أَنَسٌ ادْعُ اللَّهَ لَهُ، قَالَ: (**اللَّهُمَّ أكثر مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا آتَيْتَهُ**)[1].

وَمِنْ رِوَايَةِ عِكْرِمَةَ ، قَالَ أنس ﷺ: فَوَاللهِ إِنَّ مَالِي لَكَثِيرٌ ، وَإِنَّ وَلَدِي وَوَلَدَ وَلَدِي لَيُعَادُّونَ الْيَوْمَ عَلَى نَحْوِ الْمِائَةِ[2].

وَفِي رِوَايَةٍ : فَمَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَصَابَ مِنْ رَخَاءِ الْعَيْشِ مَا أَصَبْتُ ، وَلَقَدْ دَفَنْتُ بِيَدَيَّ هَاتَيْنِ مِائَةً مِنْ وَلَدِي ، لَا أَقُولُ سَقْطًا ، وَلَا وَلَدَ وَلَدٍ[3].

وَمِنْهُ دُعَاؤُهُ لِعَبْدِ الرَّحْمنِ بن عَوْفٍ بِالْبَرَكَةِ[4]، قَالَ عَبْد الرَّحْمنِ : فَلَوْ رَفَعْتُ حَجَرًا لَرَجَوْتُ أَنْ أُصِيبَ تَحْتَهُ ذَهَبًا[5] ، وَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَاتَ فَحُفِرَ الذَّهَبُ من تَرِكَتِهِ بالفؤس حَتَّى مجَلَتْ[6] فِيهِ الْأَيْدِي ، وَأَخَذَتْ كُلُّ زَوْجَةٍ ثَمَانِينَ أَلْفًا ، وَكُنَّ أَرْبَعًا وَقِيلَ مِائَةَ أَلْفٍ ،وأعْتَقَ يَوْمًا ثَلَاثِينَ عَبْدًا ، وَتَصَدَّقَ مَرَّةً بِعِيْرٍ[7] فِيهَا

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:٧٥/٨،برقم: ٦٣٤٤،ومسلم:١٩٢٨/٤،برقم: ٢٤٨٠.

[2] رواه مسلم في صحيحه:١٩٢٩/٤،برقم: ٢٤٨١،وأحمد في مسنده:٢٨٠/٢٠،برقم: ١٢٩٥٣ ، (**لَيُعَادُّونَ**):ليزيدون ، وُلِدَ أنس بن مالك ﷺ قبل الهجرة بعشرة أعوامٍ ، وكانت وفاته سنة ٩٣ هـ على الراجح، ومات وعمره مئة عام ،وأما ماله فقد كانت السحابة تمطر في أول أرضه ولا تمطر في آخرها لعظم مساحتها ، وكان له بستان يحمل الفاكهة في السنة مرتين .

[3] رواه الطبراني في الكبير:١٢٢/٢٥،برقم:٣٠٠،(**السَّقْطً**): هو الولد الذي يسقط من بطن أمه قبل اكتماله.

[4] رواه البخاري في صحيحه:٢١/٧،برقم: ٥١٥٥،ومسلم:١٠٤٢/٢،برقم: ١٤٢٧.

[5] رواه أحمد في مسنده:٣٤٦/٢١،برقم: ١٣٨٦٣ ، والبيهقي في دلائل النبوة:٢١٨/٦.

[6] **مجَلَتْ فِيهِ الْأَيْدِي**:يُقال:مَجَلَتْ يَدُهُ،إذا ثخن جلدها وتعجَّر،وظهر فيها ما يشبه البُثر،ويكون ذلك من العمل بالأشياء الصلبة و الخشنة.

[7] **العِير**:ما جلب عليه الطعام ، من الإبل والبغال والحمير.

سَبْعُمَائَةِ بَعِيرٍ وَرَدَتْ عَلَيْهِ تَحْمِلُ مِنْ كُلِّ شَئٍ ، فَتَصَدَّقَ بِهَا وَبِمَا عَلَيْهَا وَبِأَقْتَابِهَا[١] وَأَحْلَاسِهَا[٢].

وَدَعَا لِمُعَاوِيَةَ بِالتَّمْكِينِ فَنَالَ الْخِلَافَةَ[٣].

وَلِسَعْد بن أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ أَنْ يُجِيبَ اللَّهُ دَعْوَتَهُ[٤] ، فَمَا دَعَا عَلَى أَحَدٍ إِلَّا اسْتُجِيبَ لَهُ.

وَدعا لعز الْإِسْلَام بِعُمَرَ ﷺ أَوْ بِأَبِي جَهْل فَاسْتُجِيبَ لَهُ فِي عُمَرَ، وَقَالَ ابن مَسْعُودٍ ﷺ : مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ[٥].

وَدَعَا فِي الاسْتِسْقَاءِ ، فَسُقُوا ، ثُمَّ شَكَوْا إِلَيْهِ الْمَطَرَ ، فَدَعَا فَصَحُّوا[٦].

وَدَعَا لابْنِ عَبَّاسٍ : اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ ، فَسُمِّيَ بَعْدُ الْحَبْرَ،وَتُرجُمَانُ الْقُرآن[٧].

وَدَعَا لِعُرْوَةَ بن أَبِي الْجَعْدِ بِالْبَرَكَةِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ ، فَقَالَ : فَلَقَدْ كُنْتُ أَقُومُ بِالْكُنَاسَةِ فَمَا أَرْجِعُ حَتَّى أَرْبَحَ أَرْبَعِينَ أَلْفًا، وَقَالَ الْبُخَارِيُّ فِي حَدِيثِهِ: فَكَانَ لَو اشْتَرَى التُّرَابَ رَبِحَ فِيهِ[١].

---

[١] **أَقْتَابِهَا**:القَتَب: هو الرَّحلُ الصغير على قدر سنام البعير.

[٢] **أَحْلَاسِهَا**:الحِلْس:هو كل ما ولي ظهر الدابة تحت الرَّحل والقَتَبِ،والسِّرج.

[٣] **ضعيف**، رواه البيهقي في دلائل النبوة:٤٤٦/٦،وابن أبي شيبة في مصنفه:٢٠٧/٦،برقم: ٣٠٧١٥، والطبراني في الأوسط:٣٤٣/٥،برقم: ٥٥٠٠.

[٤] **صحيح**،رواه الترمذي في سننه:١٠٤/٦،برقم: ٣٧٥١،والحاكم في المستدرك:٢٨/٣،برقم: ٤٣١٤.

[٥] رواه البخاري في صحيحه:١١/٥،برقم: ٣٦٨٤،وابن أبي شيبة في مصنفه:٣٥٤/٦،برقم: ٣١٩٧٣.

[٦] رواه البخاري في صحيحه:٢٩/٢،برقم: ١٠١٦،ومسلم:٦١٢/٢،برقم: ٨٩٧.

[٧] رواه البخاري في صحيحه:٤١/١،برقم: ١٤٣،وأحمد في مسنده:٢٢٥/٤،برقم: ٢٣٩٧ (**الحِبْر**): العالم،(**تُرجُمَانُ الْقُرآن**) أي مُفَسِّره ،ومُبَيِّنَه.

وَدَعَا لِأُمّ أَبِي هُرَيْرَةَ ، فَأَسْلَمَتْ[2].

وَدَعَا عَلَى كِسْرَى حِينَ مَزَّقَ كِتَابَهُ : أَنْ يُمَزّق اللَّهُ مُلْكَهُ[3] ، فَلَمْ تَبْقَ لَهُ بَاقِيةٌ ، وَلَا بَقِيتْ لِفَارِسَ رِيَاسَةٌ فِي أَقْطَارِ الدُّنْيَا.

وَقَالَ لِرَجُلٍ رَآهُ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ: **(كُلْ بِيَمِيْنِكَ)** ، فَقَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ فَقَالَ: لَا اسْتَطَعْتَ فَلَمْ يَرْفَعْهَا إِلَى فِيهِ[4].

وَحَدِيثُهُ الْمَشْهُورُ من رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّه بن مَسْعُودٍ ﷺ فِي دُعَائِهِ عَلَى قُرَيْشٍ حِيْنَ وَضَعُوا السَّلا عَلَى رَقَبَتِهِ وَهُوَ سَاجِدٌ مَعَ الْفَرث وَالدَّمِ ، وَسَمَّاهُمْ وَقَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ[5].

(الْفَصْلُ الثَّامِن عَشَر)

فِي كَرَامَاتِهِ وَبَرَكَاتِهِ ، وَانْقِلَابِ الْأَعْيَانِ لَهُ فِيمَا لَمَسَهُ أَوْ بَاشَرَهُ ﷺ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَزِعُوا مَرَّةً ، فَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَسًا لِأَبِي طَلْحَةَ كَانَ يَقْطِفُ ، أَوْ بِهِ قِطَافٌ ، وَقَالَ غَيْرُه: يُبَطَّأُ ، فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ: وَجَدْنَا فَرَسَكَ بَحْرًا فَكَانَ بَعْدُ لا يُجَارَى[6].

---

[1] رواه البخاري في صحيحه: ٢٠٧/٤،برقم: ٣٦٤٢ ، والترمذي في سننه:٥٥١/٣،برقم: ١٢٥٨،وأحمد في مسنده:١١٠/٣٢،برقم: ١٩٣٦٧،**(الكُنَاسَة)**: مَحَلَّة بالكُوفَة.

[2] رواه مسلم في صحيحه: ١٩٣٨/٤،برقم: ٢٤٩١،وأحمد في مسنده:١٠/١٤،برقم: ٨٢٥٩.

[3] رواه البخاري في صحيحه: ٢٣/١،برقم: ٦٠،وأحمد في مسنده: ٦٩/٤،برقم: ٢١٨٤.

[4] رواه مسلم في صحيحه:١٥٩٩/٣،برقم: ٢٠٢١،وأحمد في مسنده:٢٠/٢٧،برقم: ١٦٤٩٣.

[5] رواه البخاري في صحيحه: ٥٧/١،برقم: ٢٤٠،ومسلم:١٤١٨/٣،برقم: ١٧٩٤،(**السَّلا**)هو ما يخرج من الحيوان بعد الولادة ،ويكون فيها الولد.

[6] رواه البخاري في صحيحه: ٣١/٤،برقم: ٢٨٦٧،ومسلم:١٨٠٢/٤،برقم: ٢٣٠٧ ، **(يَقْطِفُ)** : من القطاف وهو البطء في السير مع تقارب الخطو، **(يُبَطَّأُ)**: معناه يعرف بالبطء والعجز وسوء السير، **(وَجَدْنَا فَرَسَكَ بَحْرًا)** :أي واسع الجري ،**(لا يُجَارَى)**: لا يطيق فرس الجري معه

وَفِي الصَّحِيحِ :عَنْ أَسْمَاءَ بِنْت أَبِي بَكْرٍ ﵄ أَنَّهَا أَخْرَجَتْ جُبَّة طَيَالِسَةٍ ، وَقَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ يَلْبَسُها ، فَنَحْنُ نَغْسِلُهَا لِلْمَرْضى يُسْتَشفَى بِهَا[1].

وَكَانَ لِأُمّ مَالِكٍ عُكَّةٌ تُهْدِي فِيهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ سَمْنًا ، فَأَمَرَهَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ لَا تَعصُرَها ، ثُمَّ دَفَعَهَا إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ مَمْلُوءَةٌ سَمْنًا ، فَيَأْتِيهَا بَنُوهَا يَسْأَلُونَهَا الْأُدْمَ وَلَيْسَ عِنْدَهُم شَئ ، فَتَعْمَدُ إِلَيْهَا فَتَجِدُ فِيهَا سَمْنًا فَكَانَتْ تُقِيْمُ أدْمَهَا حَتَّى عَصَرَتْهَا[2].

وأخذا قَبْضَةً من تُرَابٍ يَوْمَ حُنَيْنٍ وَرَمَى بِهَا فِي وُجُوهِ الْكُفَّارِ ، وَقَالَ:(**شَاهت الْوُجُوهُ**) ، فَانْصَرَفُوا يَمْسَحُونَ الْقَذى عَنْ أَعْيُنِهِمْ[3].

وَشَكَا إِلَيْهِ أَبُو هُرَيْرَةَ ﵁ النِّسْيَانَ ، فَأَمَرَهُ بِبَسْطِ ثَوْبِهِ ، وَغَرَفَ بِيَدِهِ فِيهِ ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِضَمِّهِ فَفَعَلَ فَمَا نَسِيَ شَيْئًا بَعْدُ[4].

وَضَرَبَ صَدْرَ جَرِيرِ بْنِ عبد الله ﵁ وَدَعَا لَهُ ، وَكَانَ ذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ لَا يَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ ، فَصَارَ مِنْ أَفْرَسِ الْعَرَبِ وَأَثْبَتِهِمْ[5]، وَمَا يُرْوَى فِي هَذَا كَثِيرٌ.

(الفَصْلُ التَّاسِعَ عَشَرَ)

فِيمَا أَطَّلَعَ عَلَيْهِ مِنَ الْغُيُوبِ

---

[1] رواه مسلم في صحيحه:١٦٤١/٣،برقم: ٢٠٦٩، (**جُبَّة طَيَالِسَة**) بإضافة جبة إلى طيالسة ، و**الطيالسة**: جمع طيلسان بفتح اللام، وهو ضرب من الأوشحة يلبس على الكتف،أو يحيط بالبدن،خالٍ عن التفصيل والخياطة.

[2] رواه مسلم في صحيحه:١٧٨٤/٤،برقم: ٢٢٨٠،وأحمد في مسنده:٣٠/٢٣،برقم: ١٤٦٦٤، (**عُكَّة**): وعاء صغير للسمن.

[3] رواه مسلم في صحيحه:١٤٠٢/٣،برقم: ١٧٧٧،وابن حبان:٤٥٠/١٤،برقم: ٦٥٢٠، (**شاهت الوجوه**) أي قبحت،(**الْقَذى**)هو التراب المُدَقَّق الذي يقع في العين.

[4] رواه البخاري في صحيحه:٣٥/١،برقم: ١١٩ ،ومسلم:١٩٣٩/٤،برقم: ٢٤٩٢.

[5] رواه البخاري في صحيحه:٦٥/٤،برقم: ٣٠٣٦،ومسلم:١٩٢٥/٤،برقم: ٢٤٧٥.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَالْأَحَادِيثُ فِي هَذَا الْبَابِ بَحْرٌ لَا يُدْرَكُ قَعْرُهُ ، وَلَا يُنْزَفُ غمره[1].

عَنْ حُذَيْفَةَ ﵁ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَامًا فَمَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا حَدَّثَهُ ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ منه الشئ فَأَعْرِفُهُ ، فَأَذْكُرُهُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُل إِذَا غَابَ عَنْهُ ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ[2] .

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ ﵁: لَقَدْ تَرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا يُحَرِّكُ طَائِرٌ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا ذَكَّرَنَا مِنْهُ عِلْمًا[3].

(الفَصْلُ العِشْرُونَ)

فِي عِصْمَةِ اللهِ لَهُ مِنَ النَّاسِ وَكِفَايَتِهِ مِنْ آذَاهُ

قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧] ،وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨] ،وَقَالَ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر:٣٦] قِيلَ: بِكافٍ مُحَمَّدًا ﷺ أَعْدَاءَهُ الْمُشْرِكِينَ ، وَقِيلَ غَيْرُ هَذَا ،وَقَالَ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر:٩٥] ، وَقَالَ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠]

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحْرَسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ ، فَأَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسَهُ مِنَ الْقُبَّةِ فَقَالَ لَهُمْ **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ انْصَرِفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ)**[1].

---

[1] **قَعْرُهُ** : منتهاه وأقصاه ،**وَلَا يُنْزَفُ غمره**:أي لا يفنى ماؤه.

[2] رواه البخاري في صحيحه:١٢٣/٨،برقم: ٦٦٠٤ ،ومسلم:٢٢١٧/٤،برقم: ٢٨٩١ .

[3] **صحيح**،رواه البزار في مسنده:٩/ ٤٨١ ،برقم:٣٨٩٧ وأحمد في المسند:٢٩٠/٣٥،برقم: ٢١٣٦١.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الْفَصْلُ الحَادِي وَالْعِشْرُونَ)

مَعَارِفُهُ وَعُلُومُهُ ﷺ

وَمِنْ مُعْجِزَاتِهِ الْبَاهِرَةِ؛ مَا جَمَعَهُ اللهُ لَهُ مِنَ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ ، وَخَصَّهُ بِهِ مِنَ الاطِّلَاعِ عَلَى جَمِيعِ مَصَالِحِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ ، وَمَعْرِفَتِهِ بِأُمُورِ شَرَائعهِ وَقَوانِينِ دِينِهِ وَسِيَاسَةِ عِبَادِهِ وَمَصَالِحِ أُمَّتِهِ ، وَمَا كَانَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَهُ ، وَقِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَالْجَبَابرَةِ ، وَالْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ من لَدُنْ آدَمَ إِلَى زَمَنِهِ، وَحِفْظِ شَرَائِعِهمْ وَكُتُبُهِمْ ، وَوَعْيِ سِيَرِهِمْ ، وَسَرْدِ أَنْبَائِهِمْ وَأَيَّامِ اللهِ فِيهِمْ ، وَصِفَاتِ أَعْيَانِهِمْ ، وَاخْتِلَافِ آرائِهِمْ ، وَالْمَعْرِفَةِ بِمُدَدِهِمْ وَأَعْمَارِهِمْ ، وَحِكَمِ حُكَمائِهِمْ ، وَمُحاجَّةِ كُلِّ أُمَّةٍ مِنَ الْكَفَرَةِ ، وَمُعَارَضَةِ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنَ الْكِتَابِيِّينَ بِمَا فِي كُتُبِهِمْ ، وَإِعْلامِهِمْ بِأَسرَارِهَا ، وَمُخَبَّآتِ عُلُومِهَا ، وَإِخْبَارِهِمْ بِمَا كَتَمُوهُ مِن ذَلِكَ وَغَيَّرُوهُ إِلَى الاحْتِوَاءِ عَلَى لُغَاتِ الْعَرَبِ وَغَرِيب أَلْفَاظِ فِرَقِهَا ، وَالْإِحَاطَةِ بِضُرُوبِ فَصَاحَتِهَا ، والحِفْظُ لأيَّامِهَا وَأَمْثَالِهَا وَحِكَمِهَا وَمَعَانِي أَشْعَارِهَا ، وَالتَّخْصِيْصُ بِجَوَامِعِ كَلِمِهَا إِلَى المَعْرِفَةِ بِضَرْبِ الْأَمْثَالِ الصَّحِيحَةِ وَالحِكَمِ البَيّنَةِ ؛ لِتَقْرِيبِ التَّفْهِيمِ لِلْغَامِضِ، وَالتَّبِيينِ لِلْمُشْكِلِ إلى تَمْهِيدِ قَوَاعِدِ الشَّرْعِ الَّذِي لَا تَنَاقُضَ فِيهِ وَلَا تَخَاذُلَ ، مَعَ اشْتِمَالِ شَرِيعَتِهِ عَلَى مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَامِدِ الآدَابِ ، وَكُلُّ شَيْءٍ مُسْتَحْسَنٍ مُفَصَّلٍ لَمْ يُنْكِرْ مِنْهُ مُلْحِدٌ ذُو عَقْلٍ سَلِيمٍ شَيْئًا إِلَّا من جهَةِ الْخُذْلانِ ، بَلْ كُلُّ جَاحِدٍ لَهُ وَكَافِرٍ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ بِهِ إِذَا سَمِعَ مَا يَدْعُوا إِلِيهِ صَوَّبَهُ ، وَاسْتَحْسَنَهُ دُونَ طَلَبِ إِقَامَةِ بُرْهَانٍ عَلَيْهِ ، ثُمَّ مَا أَحَلَّ لَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْخَبَائِثِ ، وَصَانَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ ، وَأَعْرَاضَهُمْ ،

---

[1] **صحيح**،رواه الترمذي في سننه:٢٥١/٥،برقم: ٣٠٤٦،والحاكم في المستدرك:٣٤٢/٢،برقم: ٣٢٢١.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَأَمْوَالَهُمْ مِنَ الْمُعَاقَبَاتِ ، وَالْحُدُودِ عَاجِلًا ، وَالتَّخْوِيفِ بِالنَّارِ آجِلًا ، مِمَّا لَا يَعْلَمُ عِلْمَهُ وَلَا يَقُومُ بِهِ وَلَا بِبَعْضِهِ إِلَّا من مَارَسَ الدَّرسَ ، وَالعُكُوفَ عَلَى الكُتُبِ ، وَمُثَافَنَةِ[1] بَعْضِ هَذَا إِلَى الاحْتِوَاءِ عَلَى ضُرُوبِ الْعِلْمِ ، وَفُنُونِ الْمَعَارِفِ ؛ كَالطِّبِّ، وَالْعِبَارَةِ[2] ، وَالْفَرَائِضِ[3]، وَالْحِسَابِ ،وَالنَّسَبِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعُلُوم مِمَّا اتَّخَذَ أَهْلُ هَذِهِ الْمَعَارِفِ كَلَامَهُ ﷺ فِيهَا قُدْوَةً وَأُصُولًا فِي عِلْمِهِمْ.

(الْفَصْلُ الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ)

أَنْبَاؤُهُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ

وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ وَكَرَامَاتِهِ ، وَبَاهِرِ آيَاتِهِ ؛ أَنبَاؤُهُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ ، وَإِمْدَادِ اللَّهِ لَهُ بِالْمَلَائِكَةِ ، وَطَاعَةُ الْجِنّ لَهُ ، وَرُؤْيَةُ كَثِيرٍ مِن أَصْحَابِهِ لَهُمْ ، قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ [التحريم:٤]، وَقَالَ : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال: ١٢] ، وَقَالَ: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ، وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال:٩ -١٠] ، وَقَالَ: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾ [الأحقاف:٢٩] .

---

[1] **الْمُثَافَنَةِ**:أي المتابعة ،والتدقيق.

[2] **الْعِبَارَةَ**: هو تأويل الرؤيا وتعبيرها.

[3] **الْفَرَائِض**: هو علم المواريث.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ [النجم:١٨] ، قَالَ: رَأَى جِبْرِيلَ عليه السلام فِي صُورَتِهِ له ستمائة جَنَاحٍ[1].

وَمَا شَاهَدَهُ من كَثْرَتِهِمْ وَعِظَمِ صُوَرِ بَعْضِهِمْ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ مَشْهُورٌ ، وَقَدْ رَآهُمْ بِحَضْرَتِهِ جَمَاعَةٌ من أَصْحَابِهِ فِي مَوَاطِن مُخْتَلِفَةٍ ؛ فَرَأَى أَصْحَابه جِبْرِيلَ عليه السلام فِي صُورَةِ رَجُلٍ يَسْأَلُهُ عَنِ الْإِسْلَام وَالْإِيمَان[2].

وَقَالَ ﷺ :(**إِنَّ شَيْطَانًا تَفَلَّتَ الْبَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ صَلاتِي فَأَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنْهُ فَأَخَذْتُهُ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ ، فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سُلَيْمَانَ:** ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ [ص:٣٥] ، **فَرَدَّهُ اللَّهُ خَاسِئًا**)[3]، وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ.

(الفَصْلُ الثَّالِثُ وَالعِشْرُونَ)

فِيمَا حَدَثَ عِنْدَ مَوْلِدِهِ ﷺ

وَمِنْ ذَلِكَ مَا ظَهَرَ مِنَ الآيَاتِ عِنْدَ مَوْلِدِهِ ، وَمَا حَكَتْهُ أُمُّهُ وَمَنْ حَضَرَهُ مِنَ الْعَجَائِبِ ، وَكَوْنُهُ رَافِعًا رَأْسَهُ عِنْدَمَا وَضَعَتْهُ ، شَاخِصًا بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، وَمَا رَأَتْهُ مِنَ النُّورِ الَّذِي خَرَجَ مَعَهُ عِنْدَ وِلادَتِهِ[4].

وَمَا تَعَرَّفَتْ بِهِ حَلِيمَة وَزَوْجُهَا مِن بَرَكَتِهِ ، وَدُرُورِ[1] لَبَنِهَا لَهُ ، وَلَبَنِ شَارِفِهَا[2] ، وَخِصْبِ غَنَمِهَا[3] ، وَسُرْعَةِ شَبَابِهِ ، وَحُسْنِ نَشْأَتِهِ ، وَمَا جَرَى مِنَ الْعَجَائِبِ

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:١١٥/٤،برقم: ٣٢٣٢،ومسلم:١٥٨/١،برقم: ١٧٤.

[2] رواه مسلم في صحيحه:٣٦/١،برقم: ٨ ،وأبود داود في سننه:٦/٥،برقم: ٢٦١٠.

[3] رواه البخاري في صحيحه:١٦٢/٤،برقم: ٣٤٢٣،ومسلم:٣٨٤/١،برقم: ٥٤١.

[4] **صحيح** ،رواه أحمد في مسنده:٥٩٥/٣٦،برقم: ٢٢٢٦١،والحاكم في المستدرك:٦٧٣/٢، برقم: ٤٢٣٠.

لَيْلَةَ مَوْلِدِهِ ؛ مِنَ ارْتِجَاجِ إِيوَانِ كِسْرَى[4] ، وَسُقُوطِ شُرُفَاتِهِ[5] ، وَغَيْضِ بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ[6] ، وَخُمُودِ نَارِفَارِسَ[7] ، وَكَانَ لَهَا أَلْفُ عَامٍ لَمْ تَخْمَدْ.

وَمِنْ ذَلِكَ؛ حِرَاسَةُ السَّمَاءَ بِالشُّهُبِ[8] ، وَقَطْعُ رَصَدِ الشَّيَاطِينِ[9] ، وَمَنْعُهُم اسْتِرَاقَ السَّمْعِ .

وَمَا نَشَأَ عَلَيْهِ من بُغْضِ الْأَصْنَامِ ، وَالْعِفَّةِ عَنْ أُمُورِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَمَا خَصَّهُ اللَّه بِهِ من ذَلِكَ ، وَحمَاهُ حَتَّى فِي سَتْرِهِ في الخَبَرِ الْمَشْهُورِ عِنْدَ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ إِذْ أَخَذَ إِزَارهُ لِيَجْعَلَهُ عَلَى عَاتِقِهِ ؛ لِيَحْمِلَ عَلَيْهِ الْحِجَارَةَ ، وَتَعَرَّى فَسَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ حَتَّى رَدَّ إِزَارهُ عَلَيْهِ[10] .

وَمِنْ ذَلِكَ مَيْلُ فَئ الشَّجَرَةِ إِلَيْهِ فِي الخَبَرِ الآخَرِ حَتَّى أَظَلَّتْهُ[11] .

وَمِنْ ذَلِكَ تَحْبِيبُ الْخلْوَةِ إِلَيْهِ حَتَّى أُوحِيَ إِلَيْهِ[12] .

---

[1] **الدُّرور**:صيغة مبالغة من دَرَّ،وهو السيلان والنزول بكثرة .

[2] **والشَّارِف مِن الدواب**: المسن الهرم ، والجمع شوارف.

[3] **خِصْبِ غَنَمِهَا**: كثرته وزيادته ونماؤه .

[4] **إِيوَانِ كِسْرَى**:الإيوان هو مجلس كبير على هيئة صُفَّةٍ واسعَةٍ،يجلس فيه كبار القوم.

[5] **الشرفات** : جمع شرفة وهي المكان العالي الذي يطل منه على غيره.

[6] **غَيْضِ بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ**:أي نقص ماؤها وذهب في الأرض ، و**طبرية** :مدينة تقع في الشمال الشرقي من فلسطين الجريحة ، وهي جزء من مجرى نهر الأردن ،وطولها ٢١ كيلومتر ، وأوسع عرض لها ١٢ كيلومتر.

[7] **خُمُودِ نَارِفَارِسَ**:خمدت النار:أي سكن لهبها ،ولم يُطفأ جمرها.

[8] **الشُّهُبِ**:جمع شهاب ،وهو الذي ينقضُّ في الليل ،ويشبه الكوكب،وهو في الأصل الشعلة من النار.

[9] **قَطْعُ رَصَدِ الشَّيَاطِينِ**:أي ترصدهم وانتظارهم الخبر من السماء.

[10] رواه البخاري في صحيحه:٨٢/١،برقم: ٣٦٤،ومسلم:٢٦٧/١،برقم: ٣٤٠.

[11] **صحيح**، رواه الترمذي في سننه:١٩/٦،برقم: ٣٦٢٠.

[12] رواه البخاري في صحيحه:٧/١،برقم: ٣،ومسلم:١٣٩/١،برقم: ١٦٠.

http://mohhanoona.blogspot.com/

ثُمَّ إِعْلامُهُ بِمَوْتِهِ وَدُنُوِّ أَجَلِهِ[1] ، وَأَنَّ بَيْنَ بَيْتِهِ وَبَيْنَ مِنْبَرِهِ رَوْضَةٌ من رِيَاضِ الْجَنةِ[2] ، وَتَخْيِيرِ اللَّهِ لَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ[3] ، وَمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ حَدِيثُ الْوَفَاةِ من كَرَامَاتِهِ وَتَشْرِيفِهِ .

(الفَصْلُ الرَّابِعُ وَالعِشْرُون)

خَاتِمَةٌ وَتَذْيِيل

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ ﵀ : قَدْ أَتَيْنَا فِي هَذَا الْبَابِ عَلَى نُكَتٍ من مُعْجِزَاتِهِ وَاضِحَةٍ ، وَجُمَلٍ من عَلَامَاتِ نُبُوَّتِهِ مُقْنِعَةٍ ، فِي وَاحِدٍ مِنْهَا الْكِفَايَةُ وَالْغُنيَةُ[4]، وَتَرَكْنَا الْكَثِيرَ سِوَى مَا ذَكَرْنَا وَاقْتَصَرْنَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الطِّوَالِ عَلَى عَيْنِ الْغَرَضِ ، وَفَصِّ الْمَقْصِدِ[5] ، وَمِنْ كَثِيرِ الْأَحَادِيثِ وَغَرِيبِهَا عَلَى مَا صَحَّ وَاشْتَهَرَ إِلَّا يَسِيرًا من غَرِيبِهِ مِمَّا ذَكَرَهُ مَشَاهِيرُ الْأَئِمَّةِ ، وَحَذَفْنَا الْإِسْنَادَ فِي جُمْهُورِهَا طَلَبًا لِلإِخْتِصَارِ ، وَبِحَسْبِ هَذَا الْبَابِ لَوْ تُقُصِّيَ[6] أَنْ يَكُونَ دِيوَانًا[7] جَامِعًا يَشْتَمِلُ عَلَى مُجَلَّدَاتٍ عِدَّةٍ.

وَمُعْجِزَاتُ نَبِيِّنَا ﷺ أَظْهَرُ من سَائِرِ مُعْجِزَاتِ الرُّسُلِ بِوَجْهَيْنِ:

أ- **أَحَدُهُمَا كَثْرَتُهَا وَأَنَّهُ لَمْ يُؤْتَ نَبِيٌّ مُعْجِزَةٌ إِلَّا وعند نَبِيِّنَا مِثْلُهَا وَمَا هُوَ أَبْلَغُ مِنْهَا** ، وَقَدْ نَبَّهَ النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ ، فَإِنْ أَرَدْتَهُ فَتَأَمَّلْ فُصُولَ هَذَا الْبَابِ ، وَمُعْجِزَاتِ من تَقَدَّمَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ تَقِفْ عَلَى ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَأَمَّا كَوْنُهَا كَثِيرَةٌ

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:٢٠٣/٤،برقم: ٣٦٢٣،ومسلم:١٩٠٤/٤،برقم: ٢٤٥٠.

[2] رواه البخاري في صحيحه:٦١/٢،برقم: ١١٩٥،ومسلم:١٠١٠/٢،برقم: ١٣٩٠.

[3] رواه البخاري في صحيحه:١٠٠/١،برقم: ٤٦٦،ومسلم:١٨٥٤/٤،برقم: ٢٣٨٢.

[4] **الغُنيَة**: هو القول الواضح الذي لا يحتاج إلى توضيح ، فستغني به عن سواه.

[5] **وَفَصّ الْمَقْصِدِ**:الفَصُّ :الحقيقة والجوهر،والمراد:زُبدَةُ المقصود.

[6] **تُقُصّيَ**:تَقَصَّى المسألة:أي بَلَغَ الغاية فيها، تَقَصَّى الأمر:أي بلغ أقصاه في البحث عنه.

[7] **دِيوانًا جَامِعًا**:أي كتاباً كبيراً.

http://mohhanoona.blogspot.com/

، فَهَذَا الْقُرْآنُ، وَكُلُّهُ مُعْجِزٌ ، وَأَقَلُّ مَا يَقعُ الْإِعجَازُ فِيهِ عِنْدَ بَعْضِ أَئِمَّةِ الْمُحَقِّقِينَ سورة (الْكَوْثَرَ) أَوْ آيَةٌ فِي قَدْرِهَا، ثُمَّ إِعْجَازُهُ كَمَا تَقَدَّمَ بِوَجْهَيْنِ: طَرِيقِ بَلاغَتِهِ ، وَطَرِيقِ نَظْمِهِ ، ثُمَّ فِيهِ وُجُوهُ إِعْجَازٍ أُخَرَ مِنَ الْإِخْبَارِ بِعُلُومِ الغَيْبِ.

ب- **الْوَجْهُ الثَّانِي وُضُوحُ مُعْجِزَاتِهِ ﷺ** ؛ فَإِنَّ مُعْجِزَاتِ الرُّسُلِ كَانَتْ بِقَدْرِ هِمَمِ أَهْلِ زَمَانِهِمْ وَبِحَسَبِ الْفَنِّ الَّذِي سَمَا فِيهِ قَرْنُهُ.

فَلَمّا كَانَ زَمَنُ مُوسَى غَايَةُ عِلْمِ أَهْلِهِ السّحْرُ بُعِثَ إِلَيْهِمْ مُوسَى عليه السلام بِمُعْجِزَةٍ تَشْبِهُ مَا يَدَّعُونَ قُدْرَتَهُمْ عَلَيْهِ ، فَجَاءَهُمْ مِنْهَا مَا خَرَقَ عَادَتَهُمْ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي قُدْرَتِهِم وَأَبْطَلَ سِحْرَهُمْ.

كَذَلِكَ زَمَنُ عِيسَى أَغْنَى مَا كَانَ الطِّبُّ، وَأَوْفَرَ مَا كَانَ أَهْلُهُ ، فَجَاءَهُمْ أَمْرٌ لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ ، وَأَتَاهُمْ مَا لَمْ يَحْتسِبُوهُ من إِحْيَاءِ الْمَيِّتِ ، وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ[١] ، وَالْأَبَرصِ[٢] دُونَ مُعَالجَةٍ وَلَا طِبٍّ ، وهَكَذَا سَائِرُ مُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ.

ثُمَّ إنَّ الله تعالى بعث محمدا ﷺ وَجُمْلَةُ مَعَارِفِ الْعَرَبِ وَعُلُومِهَا أَرْبَعَةٌ: **الْبَلَاغَةُ**، وَ**الشّعْرُ** ، وَ**الْخَبَرُ** ، وَ**الْكَهَانَةُ**[٣] .

فَأَنْزَلَ اللَّه عَلَيْهِ الْقُرْآنَ الْخَارِقَ لِهَذِهِ الْأَرْبَعَةِ فُصُولٍ مِنَ الفَصَاحَةِ وَالْإِيجَازِ وَالْبَلَاغَةِ الْخَارِجَةِ عَنْ نَمطِ كَلامِهِمْ[٤] .

وَمِنَ النَّظْمِ الْغَرِيبِ ، وَالْأُسْلُوبِ الْعَجِيبِ الَّذِي لَمْ يَهْتَدُوا فِي الْمَنْظُومِ إِلَى طَرِيقِهِ ، وَلَاعَلِمُوا فِي أَسَالِيبِ الْأَوْزَانِ مَنْهَجَهُ، وَمِنَ الْأَخْبَارِ عَنِ الْكَوَائِنِ

---

١ **الْأَكمَه**:الذي ولد أعمى.

٢ **الأبرص**: هو الذي في جلده بقع بياضٍ وهو مرضٌ غيرُ مُعْدٍ.

٣ **الْكَهَانَةُ**:ادعاء معرفة الغيب.

٤ **نَمَطِ كَلامِهِمْ**:أي أسلوب كلامهم.

وَالْحَوَادِثِ وَالْأَسْرَارِ وَالْمُخَبَّآتِ وَالضَّمَائِرِ ، فَتُوجَدُ عَلَى مَا كَانَتْ وَيَعْتَرِفُ الْمُخبرُ عَنْهَا بِصِحَّةِ ذَلِكَ وَصِدْقِهِ ، وإنْ كَانَ أَعْدَى الْعَدُوِّ .

فَأَبْطَلَ الْكَهَانَةَ التي تَصْدُقُ مَرَّةً وَتَكْذِبُ عَشْرًا ، ثُمَّ اجْتَثَّهَا[1] من أَصْلِهَا بِرَجْمِ الشُّهُبِ ، وَرَصْد النُّجُومِ.

وَجَاءَ مِنَ الْأَخْبَارِ عَنِ الْقُرُونِ السَّالِفَةِ ، وَأَنْبَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُمَم الْبَائِدَةِ وَالْحَوَادِثِ الْمَاضِيَةِ مَا يُعْجِزُ مَنْ تَفَرَّغَ لهذه الْعِلْم عَنْ بَعْضِهِ عَلَى الْوُجُوهِ التي بَسَطْنَاهَا ، وَبَيَّنَّا الْمُعْجِزَ فِيهَا ، ثُمَّ بَقِيَتْ هَذِهِ الْمُعْجِزَةُ الْجَامِعَةُ لِهَذِهِ الْوُجُوهِ إِلَى الْفُصُولِ الْأُخَرِ التي ذَكَرْنَاهَا فِي مُعْجِزَاتِ الْقُرْآنِ ثَابِتَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، بَيِّنَةَ الْحُجَّةِ لِكُلِّ أُمَّةٍ تَأْتِي ، لَا يَخْفَى وُجُوهُ ذَلِكَ عَلَى من نَظَرَ فِيهِ وَتَأَمَّلَ وُجُوهَ إِعْجَازِهِ إِلَى ما أَخْبَرَ بِهِ من الغيوب عَلَى هَذِهِ السَّبِيلِ .

فَلَا يَمُرُّ عَصْرٌ وَلَا زَمَنٌ إِلَّا ويظهر في صِدْقُهُ بِظُهُورِ مُخْبَرِهِ عَلَى مَا أَخْبَرَ ، فَيَتَجَدَّدُ الْإِيمَانُ وَيَتَظَاهَرُ الْبُرْهَانُ ، وَلَيْس الْخَبَرُ كَالْعِيَانِ، وَلِلْمُشَاهَدَةِ زِيَادَةٌ فِي الْيَقِينِ ، وَالنَّفْسُ أَشَدُّ طُمَأْنِينَةً إِلَى عَيْنِ الْيَقِينِ[2] مِنْهَا إِلَى عِلْمِ الْيَقِينِ[3] ، وَإِنْ كَانَ كُلٌّ عِنْدَهَا حَقًّا.

وَسَائِرُ مُعْجِزَاتِ الرُّسُلِ انْقَرَضَتْ بِانْقِرَاضِهِمْ ، وَعُدِمَت بِعَدَمِ ذَوَاتِهَا ، وَمُعْجِزَةُ نَبِيِّنَا ﷺ لَا تَبِيدُ وَلَا تَنْقَطِعُ وَأيَاتُهُ تَتَجدَّدُ وَلَا تَضْمَحِلُّ .

---

[1] **اجْتَثَّهَا**:قلعها.

[2] عَيْنِ الْيَقِينِ:نفس اليقين،وهو المشاهدة.

[3] عِلْمِ الْيَقِينِ:العلم الذي ليس فيه شك.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَلِهَذَا أَشَارَ ﷺ بِقَوْلِهِ: (**مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) [١].

وَقَدْ غَابَ عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ وَجْهُ ظُهُورِ آيَتِهِ عَلَى سَائِرِ آيَاتِ الأَنْبِيَاء حَتَّى احْتَاجَ لِلْعُذْرِعَنْ ذَلِكَ بِدِقَّةِ أَفْهَامِ الْعَرَبِ ، وَذَكاءِ أَلْبَابِهَا ، وَوُفُورِ عُقُولِهَا ، وَأَنَّهُمْ أَدْرَكُوا الْمُعْجِزَةَ فِيهِ بِفِطْنَتِهِمْ ، وَجَاءَهُمْ من ذَلِكَ بِحَسَبِ إِدْرَاكِهِمْ، وغيره مِنَ الْقِبْطِ [٢] وَبَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَغَيْرِهِمْ لَمْ يَكُونُوا بِهَذِهِ السَّبِيلِ ، بَل كَانُوا مِنَ الْغَبَاوَةِ ، وَقِلَّةِ الْفِطْنَةِ ، بِحَيْثُ جَوَّزَ [٣] عَلَيْهِم فِرْعَوْنُ أَنَّهُ رَبُّهُمْ ، وَجَوَّزَ عَلَيْهِمُ السَّامِرِيُّ ذَلِكَ فِي الْعِجْلِ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ، وَعَبَدُوا الْمَسِيحَ مَعَ إِجْمَاعِهِمْ عَلَى صَلْبِهِ، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ، وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾[النساء:١٥٧].

فَجَاءَتْهُمْ مِنَ الآيَاتِ الظَّاهِرَةِ الْبَيِّنَةِ لِلأَبْصَارِ بِقَدْرِ غلَظِ أَفْهَامِهِمْ مَا لَا يَشُكُّونَ فِيهِ، ومع هَذَا فَقَالُوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً ﴾[البقرة:٥٥] ،وَلَمْ يَصْبِرُوا عَلَى الْمَنِّ [٤] ، والسَّلْوَى [٥] ، وَاسْتَبْدَلُوا الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالذِي هُوَ خَيْرٌ.

وَالْعَرَبُ -عَلَى جَاهِلِيَّتِهَا- أَكْثَرُهَا يَعْتَرِفُ بِالصَّانِع ، وَإِنَّمَا كَانَتْ تَتَقرَّبُ بِالأَصْنَامِ إِلَى اللَّه زُلْفَى [١].

---

[١] رواه البخاري في صحيحه:٩٢/٩،برقم: ٧٢٧٤،وأحمد في مسنده:١٩٠/١٤،برقم: ٨٤٩١، (**أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ**): أجري على يديه من المعجزات الشيء الذي يقتضي إيمان من شاهدها بصدق دعواه ؛ لأنها من خوارق العادات حسب زمانه ومكانه.

[٢] **الْقِبْطِ**:كلمة يونانية الأصل،بمعنى سكان مصر،ويُقصد بها اليوم المسيحيين من سكان مصر.

[٣] **جَوَّزَ**:سَوَّغَ.

[٤] **الْمَنّ**:مادة صمغية حلوة كالعسل.

[٥] **السَّلْوَى**:الطائر المعروف بالسُّمَّانِي.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَمِنْهُمْ من آمَنَ بِالله وَحْدَهُ من قَبْلِ الرَّسُولِ ﷺ بِدَلِيلِ عَقْلِهِ وَصَفَاءِ لُبِّهِ.
وَلَمّا جاءهم الرسول بِكِتَابِ اللهِ فَهِمُوا حِكْمَتَهُ ، وَتَبَيَّنُوا بِفَضْلِ إِدْرَاكِهِمْ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ مُعْجِزَتَهُ ، فَآمَنُوا بِهِ ، وَازْدَادُوا كُلَّ يَوْمَ إِيمَانًا ، وَرَفَضُوا الدُّنْيَا كُلَّهَا فِي صُحْبَتِهِ ، وَهَجَرُوا دِيَارَهُمْ ، وَأَمْوَالَهُمْ، وَقَتَلُوا آبَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ فِي نُصْرَتِهِ، وَأُتِيَ فِي مَعْنَى هَذَا بِمَا يَلُوحُ لَهُ رَوْنَقٌ[٢] ، وَيُعْجِبُ مِنْهُ زِبْرِجٌ[٣] ، لَو احْتِيجَ إِلَيْهِ[٤] وَحُقِّقَ[٥]، لَكُنَّا قَدَّمْنَا من بيَانِ مُعْجِزَةِ نَبِيِّنَا ﷺ، وَظُهُورِهَا مَا يُغْنِي عَنْ رُكُوبِ بُطُونِ هَذِهِ الْمَسَالِكِ[٦] وَظُهُورِهَا ، وَبِالله أَسْتَعِينُ وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الوَكِيْل.

آخِرُ القِسْمِ الأَوَّلِ ، وَيَلِيْهِ الجُزْءُ الثَّانِي.

******

[١] **زُلْفَى**:قُربى.

[٢] **يَلُوحُ لَهُ رَوْنَقٌ**:أي يظهر له لفظٌ حَسَن.

[٣] **الزِبْرِجُ**:الزينة والوشي الذي هو كالطلاء،وفيه إشارة إلى عدم قبوله لضعفه.

[٤] **لَو احْتِيجَ إِلَيْهِ**:أي إلى كلامه.

[٥] **وَحُقِّقَ**:بُيِّنَت حَقِيقته.

[٦] **مَا يُغْنِي عَنْ رُكُوبِ بُطُونِ هَذِهِ الْمَسَالِكِ**:أي ادعاء مثل هذه الأمور الخفية.

http://mohhanoona.blogspot.com/

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقِسْمُ الثاني: (فِيمَا يَجِبُ عَلَى الأَنَامِ مِنْ حُقُوقِهِ ﷺ)

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ رحمه الله: وَهَذَا قِسْمٌ لَخَّصْنَا فِيهِ الْكَلَامَ فِي أَرْبَعَةِ أبوابٍ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ فِي أَوَّل الْكِتَابِ ومَجْمُوعُهَا فِي وُجُوبِ تَصْدِيقِهِ وَاتّبَاعِهِ فِي سُنَّتِهِ ، وَطَاعَتِهِ وَمَحبتِهِ ، وَمُنَاصَحَتِهِ وَتَوْقِيرِهِ وَبِرِّهِ ، وَحُكْمِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ والتَّسْلِيمِ وزِيارَةِ قَبْرِهِ ﷺ.

الْبَابُ الْأَوَّلُ: فِي فَرْضِ الْإِيمَانِ بِهِ ، وَوُجُوبِ طَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ ، وَفِيهِ خَمْسَةُ فُصُولٍ.

(الْفَصْلُ الْأَوَّلُ)

فَرْضُ الْإِيمَانِ بِهِ

إِذَا تَقَرَّرَ بِمَا قَدَّمْنَاهُ ثُبُوتُ نُبُوَّتِهِ ، وَصِحَّةُ رِسالَتِهِ ، وَجَبَ الإيمانُ بِهِ ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَتَى بِهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا ﴾ [التغابن:٨] ، وَقَالَ: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [الفتح:٨] ، وَقَالَ: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٨] ، فالإِيمَانُ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ وَاجِبٌ مُتَعَيّنٌ لَا يَتِمّ إيمَانٌ إِلّا بِهِ ، وَلَا يَصِحُّ إِسْلَامٌ إِلّا مَعَهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴾ [الفتح:١٣].

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: (**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ**)[1].

وَالْإِيمَان بِهِ ﷺ ؛ هُوَ تَصْدِيقُ نُبُوَّتِهِ وَرِسَالَةِ اللَّه لَهُ ، وَتَصْدِيقُهُ فِي جَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ ، وَمَا قَالَهُ ، وَمُطَابَقَةُ تَصْدِيقِ الْقَلْبِ بِذَلِكَ شَهَادَة اللِّسَانِ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّه ﷺ ، فَإِذَا اجْتَمَعَ التَّصْدِيقُ بِهِ بِالْقَلْبِ ، وَالنُّطْقُ بِالشَّهَادَةِ بِذَلِكَ بِاللِّسَانِ تَمَّ الْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّصْدِيقُ لَهُ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ.

وَقَدْ زَادَهُ وُضُوحًا فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ عليه السلام إِذْ قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَام؟ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (**أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ**) ، وَذَكَرَ أَرْكَانَ الْإِسْلَام ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَنِ الْإِيمَان، فَقَالَ:(**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ...**)[2] الْحَدِيثَ.

فَقَدْ قَرَّرَ أَنَّ الْإِيمَان بِهِ مُحْتَاجٌ إِلَى الْعَقْدِ بِالْجِنَانِ[3] ، وَالْإِسْلَام بِهِ مُضْطَرٌ إِلَى النُّطْقِ باللسان ،وَهَذِهِ الْحَالَةُ الْمَحْمُودَةُ التَّامَّة.

وأما الْحَالُ الْمَذْمُومَةُ ؛ فالشَّهَادَةُ بِاللِّسَانِ دُونَ تَصْدِيق الْقَلْبِ ، وَهَذَا هُوَ النِّفَاقُ، قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[المنافقون:١] ، أَيْ: كَاذِبُونَ فِي قَوْلِهِمْ وَشَهَادتهم.

[1] رواه البخاري في صحيحه:٩٣/٩،برقم: ٧٢٨٤ ،ومسلم:٥٢/١،برقم: ٢١،واللفظ له.

[2] رواه البخاري في صحيحه:١١٥/٦،برقم: ٤٧٧٧ ،ومسلم:٣٦/١،برقم: ٨.

[3] **الْعَقْدِ بِالْجِنَانِ**:الإعتقاد والتصديق بالقلب.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الْفَصْلُ الثَّانِي)

وُجُوبُ طَاعَتِهِ ﷺ

وَأَمَّا وُجُوبُ طَاعَتِهِ، فَإِذَا وَجَبَ الْإِيمَانُ بِهِ وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا جَاءَ بِهِ وَجَبَتْ طَاعَتُهُ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِمَّا أَتَى بِهِ ، قَالَ اللَّه تعالى: ﴿يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّه وَرَسُولَهُ﴾[الأنفال:٢٠] ، وَقَالَ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾[آل عمران:٣٢] ، وَقَالَ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[آل عمران:١٣٢] ، وَقَالَ: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾[النور:٥٤] ، وَقَالَ: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[النساء:٨٠] ،وَقَالَ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[الحشر:٧] ، وَقَالَ: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[النساء:٦٩] ، وَقَالَ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ الله﴾[النساء:٦٤]

فَجَعَلَ تَعَالَى طَاعَةَ رَسُولِهِ طاعَتَهُ ، وَقَرَنَ طَاعَتَهُ بِطَاعَتِهِ ، وَوَعَدَ عَلَى ذَلِكَ بِجَزِيلِ الثَّوَابِ ، وَأَوْعَدَ عَلَى مُخَالَفَتِهِ بِسُوءِ العِقَابِ ، وَأَوْجَبَ امْتِثَالَ أَمْرِهِ واجْتِنَابَ نَهْيِهِ.

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي ، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي**)[1] ، فَطَاعَةُ الرَّسُول من طاعَةِ اللَّه ؛ إِذ اللَّهُ أَمَرَ بِطَاعَتِهِ، فَطَاعَتُهُ امْتِثَالٌ لِمَا أَمَرَ اللَّه بِهِ وَطَاعَةٌ لَهُ .

[1] رواه البخاري في صحيحه:٦١/٩،برقم: ٧١٣٧،ومسلم:١٤٦٦/٣،برقم: ١٨٣٥،(**أَمِيرِي**): هو كل من له ولاية على المسلمين ويعمل فيهم بما شرعه رسول الله ﷺ.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَقَدْ حَكَى اللهُ عَنِ الْكُفَّارِ فِي دَرَكَاتِ جَهَنَّمَ : ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاْ﴾[الأحزاب:٦٦] ، فَتَمَنَّوْا طَاعَتَهُ حَيْثُ لَا يَنْفَعُهُمُ التَّمَنِّي.

وَقَالَ ﷺ :(**إِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شئ فَاجتَنِبُوه ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**) [1].

وَفِي حَدِيث أبي هريرة رضي الله عنه، عَنْهُ ﷺ (**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى**) ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَنْ يَأْبَى؟ ، قَالَ: (**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**) [2].

وَفِي الْحَدِيثِ الآخَرِ الصَّحِيحِ عَنْهُ ﷺ : (**مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ فَالنَّجَاءَ ، فَأَطَاعهُ طَائِفَةٌ من قَوْمِهِ ، فَأَدْلَجُوا ، فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهَلِهِمْ ، فَنَجَوْا ، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ ، فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ من أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ ما جِئْتُ بِهِ، ومثل من عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقّ**) [3]

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:٩٤/٩،برقم:٧٢٨٨،ومسلم:١٨٣٠/٤،برقم: ١٣٣٧،**قَالَ الإمام النوويُّ**: هَذَا الحَدِيْث مِنْ قَوَاعِدِ الإِسْلَامِ الْمُهِمَّةِ ، وَمِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ الَّتِي أُعْطِيَهَا ﷺ ، ويدخل فيها مَا لَا يُحْصَى مِنَ الْأَحْكَامِ ؛ كَالصَّلَاةِ بِأَنْوَاعِهَا ، فَإِذَا عَجزَ عَنْ بَعْضِ أَرْكَانِهَا أَوْ بَعْضِ شُرُوطِهَا أَتَى بِالْبَاقِي ،وَإِذَا عَجزَ عَنْ بَعْضِ أَعْضَاءِ الْوُضُوءِ أَوِ الْغُسْلِ غَسَلَ الْمُمْكِنَ ، وَإِذَا وَجَدَ بَعْضَ مَا يَكْفِيهِ مِنَ الْمَاءِ لِطَهَارَتِهِ أَوْ لِغَسْلِ النَّجَاسَةِ فَعَلَ الْمُمْكِنَ ،وَإِذَا وَجَدَ مَا يَسْتُرُ بَعْضَ عَوْرَتِهِ أَوْ حفِظَ بَعْضَ الْفَاتِحَةِ أَتَى بِالْمُمْكِنِ وَأَشْبَاهُ هَذَا غَيْرُ مُنْحَصِرَةٍ ، وَهِيَ مَشْهُورَةٌ فِي كُتُبِ الْفِقْهِ وَالْمَقْصُودُ التَّنْبِيهُ عَلَى أَصْلِ ذَلِكَ.(شرح النووي على مسلم:١٠٢/٩).

[2] رواه البخاري في صحيحه:٩٢/٩،برقم: ٧٢٨٠،وأحمد في مسنده:٣٤٢/١٤،برقم: ٨٧٢٨.

[3] رواه البخاري في صحيحه:٩٣/٩،برقم: ٧٢٨٣،ومسلم:١٧٨٨/٤،برقم: ٢٢٨٣،(**أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ) قال العلماء** : أصله أن الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة نزع

وَفِي الْحَدِيثِ الآخَرِ:(**مَثَلُهُ كَمَثَلِ من بَنَى دَارًا ، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً ، وَبَعَثَ دَاعِيًا ، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ ، وَمَنْ يُجِبِ الدَّاعِي لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، فَالدَّارُ الْجَنَّةُ وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ ﷺ ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّداً فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا فَقَدْ عَصَى اللَّهَ ، وَمُحَمَّدٌ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ**) [1] .

(الفَصْلُ الثَّالِثُ)

فِي وُجُوبِ اتِبَاعِهِ وَامتِثَالِ سُنَّتِهِ وَالإِقتِدَاءُ بِهَدْيِهِ

وَأَمَّا وَجُوبُ اتِّبَاعِهِ وَامْتِثَالِ سُنَّتِهِ وَالاقْتِدَاءِ بِهَدْيِهِ ؛ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[آل عمران:٣١] ، وَقَالَ: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٨] ، وَقَالَ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[النساء:٦٥] أي: يَنْقَادُوا لِحُكْمِكَ، يقال سَلَّمَ وَاسْتَسْلَمَ وَأَسْلَمَ إِذَا انْقَادَ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[الأحزاب:٢١]

ثوبه وأشار به إليهم إذا كان بعيدا منهم ليخبرهم بما دهمهم. (**فَالنَّجَاءَ**) أي: اطلبوا النجاء (**فَأَدْلَجُوا**): معناه ساروا من أول الليل،(**مَهَلِهِمْ**): تأنيهم وسكينتهم ،(**اجْتَاحَهُمْ**): استأصلهم، وقضى عليهم.

[1] رواه البخاري في صحيحه:٩٣/٩،برقم: ٧٢٨١،(**مَثَلُهُ**) صفته. (**مَأْدُبَةً**) وليمة. (**دَاعِيًا**) من يدعو الناس إلى الوليمة.(**فَرْق**) يميز المطيع من العاصي.

وَوَعَدَهُمْ مَحَبَّتَهُ تَعَالَى وَمَغْفِرَتِهِ إِذَا اتَّبَعُوهُ وَآثَرُوهُ عَلَى أَهْوَائِهِمْ وَمَا تَجْنَحُ إِلَيْهِ نُفُوسُهُمْ ، وَأَنَّ صِحَّةَ إِيمَانِهِمْ بِانْقِيَادِهِمْ لَهُ ، وَرِضَاهُمْ بِحُكْمِهِ ، وَتَرْكِ الإِعْتِرَاضِ عَلَيْهِ.

ومَحَبَّةُ الْعَبْدِ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ طَاعَتُهُ لَهُمَا ، وَرِضَاهُ بِمَا أَمَرَا ،وَمَحَبَّةُ اللَّهِ[1] لَهُمْ عَفْوُهُ عَنْهُمْ وَإِنْعَامُهُ عَلَيْهِم بِرَحْمَتِهِ، وَيُقَالُ الْحُبُّ مِنَ اللَّهِ عِصْمَةٌ وَتَوْفِيقٌ ، وَمِنَ الْعِبَادِ طَاعَةٌ، كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

تَعْصِي الإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ؟ هَذَا لَعَمْرِي فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ!
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صادقًا لأَطَعْتَهُ إِنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ!

وعَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ ﵁ فِي حَدِيثِهِ فِي مَوْعِظَةِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:(**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي ، وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**)[2] ، زَادَ فِي حَدِيثِ جَابِرٍ بِمَعَنَاهُ: (**وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ**) [3] .

---

[1] والصحيح أن صفة المحبة ثابتة لله تعالى على الحقيقة ؛ لأن القرآن نطق بإثباتها في آيات كثيرة ، وكذلك جاءت بها السنة ،ولأن المحبة صفة كمال لله تعالى، واتفقوا على أنه ليس معناها شهوة النفس وميل الطبع وطلب التلذذ بالشئ لأن كل ذلك محال في حق الله تعالى باتفاق.

[2] **صحيح**،رواه أبو داود في سننه: ٢٠٠/٤،برقم: ٤٦٠٧ ،والترمذي:٤٤/٥،برقم: ٢٦٧٦ ،وابن ماجه: ١٦/١،برقم: ٤٣ ،وغيرهم، (**عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**)النواجذ:هي الأضراس التي بعد الناب، وهذا مَثَلٌ في شدة الإستمساك بالدين،(**مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ**):ما لم يكن معروفاً في كتاب،ولا في سنة،ولا إجماع، (**بِدْعَةٌ**)أي :غير معروفة من طريق الشارع،ولا أقرَّ عليها.

[3] **صحيح**،رواه ابن خزيمة في صحيحه:١٤٣/٣،برقم: ١٧٨٥ ،والنسائي في سننه:١٨٨/٣، برقم: ١٥٧٨.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَفِي حَدِيث أَبِي رَافِعٍ ﷺ ، عَنْهُ ﷺ : (**لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ ، فَيَقُولُ لَا أَدْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ**)[1].

وَفِي حَدِيث عَائِشَةَ ﷺ: صَنع رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا تَرَخَّصَ فِيهِ ، فَتَنَزَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيّ ﷺ، فَحَمِدَ اللَّهَ ، ثُمَّ قَالَ: (**مَا بَالُ قَوْمٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشئ أَصْنَعُهُ؟ ، فوالله إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً**)[2].

وَقَالَ ﷺ : (**مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**)[3].

(الفَصْلُ الرَّابِعُ)

فيمَا وَرَدَ عَنِ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ مِنِ اتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَالِاقْتِدَاءِ بِهَدْيِهِ وَسِيرَتِهِ

وأما وَرَدَ عَنِ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ مِنِ اتِّبَاعِ سُنَّتِهِ ، والاقْتِدَاءِ بِهَدْيِهِ وَسِيرَتِهِ ، فَعَنْ رَجُلٍ مِنْ آلِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ : أَنَّهُ سَأَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّا نَجِدُ صَلَاةَ الْخَوْفِ وَصَلَاةَ الْحَضَرِ فِي الْقُرْآنِ ، وَلَا نَجِدُ صَلَاةَ السَّفَرِ ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ ﷺ : يَا ابْنَ أَخِي إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ إِلَيْنَا مُحَمَّدًا ﷺ وَلَا نَعْلَمُ شَيْئًا وَإِنَّمَا نَفْعَلُ كَمَا رَأَيْنَاهُ يَفْعَلُ[4].

---

[1] **صحيح**،رواه أبو داود في سننه:٢٠٠/٤،برقم: ٤٦٠٥،والترمذي:٣٧/٥،برقم: ٢٦٦٣ ، وابن ماجه:٦/١،برقم: ١٣،(**لَا أُلْفِيَنَّ**):لا أجدنَّ.

[2] رواه البخاري في صحيحه:٢٦/٨،برقم: ٦١٠١،ومسلم:١٨٢٩/٤،برقم: ٢٣٥٦،(**تَرَخّص فِيهِ**): فعله تسهيلاً على الناس،(**فَتَنَزّهَ**):احترزوا عنه وامتنعوا من فعله،(**مَا بَالُ**): ما شأن، (**خَشْيَةً**):خوفاً من عقابه.

[3] **صحيح**،رواه ابن خزيمة في صحيحه: ٩٩/١،برقم: ١٩٧،(**رَغِبَ عن**)أي: أعرض .

[4] **صحيح**،رواه مالك في الموطأ:١٤٥/١،برقم: ٧،وابن ماجه في سننه:٣٣٩/١،برقم: ١٠٦٦، والنسائي:١١٧/٣، برقم: ١٤٣٤.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: سَنَّ رَسُولُ ﷺ ووُلَاةُ الأمْرِ بَعْدَهُ سُنَنًا الأخْذُ بِهَا تَصْدِيقٌ بِكِتَابِ اللَّه ، وَاسْتِعْمَالٌ لِطَاعَةِ الله ، وَقُوَّةٌ عَلَى دِينِ الله ، لَيْسَ لِأَحَدٍ تَغْييرُها وَلَا تَبْدِيلُهَا وَلَا النَّظَرُ فِي رَأْيِ من خَالَفَهَا، مَنِ اقْتَدَى بِهَا فَهُوَ مُهْتَدٍ ، وَمَنِ انْتَصَرَ بِهَا فَهُوَ مَنْصُورٌ ، وَمَنْ خَالَفَهَا وَاتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَّاهُ اللَّه مَا تَوَلَّى ، وَأَصْلَاهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا[1].

وَقَالَ ابن شِهَاب: بَلَغَنَا عَنْ رِجَالٍ من أَهْلِ الْعِلْمِ،قَالُوا: الاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ[2].

وَعَنْ عَلِيٍّ ﷺ حِينَ قَرَنَ ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: تَرَى أَنِّي أَنْهَى النَّاسَ عَنْهُ وَتَفْعَلُهُ؟ ، قَالَ: لَمْ أَكُنْ أَدَعُ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّه ﷺ لِقَوْلِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ[3].

وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه يَقُولُ: القَصْدُ فِي السُّنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الاجْتِهَادِ فِي البِدْعَةِ[4].

وَقَالَ ابن عُمَرَ: صَلَاةُ السَّفَرِ رَكْعَتَانِ مَنْ خَالَفَ السُّنَّةَ كَفَرَ[5].

---

[1] رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة:١٠٥/١،برقم: ١٣٤ ،وعبد الله بن أحمد في السنة :٣٥٧/١،برقم: ٧٦٦ ،وابن ابي حاتم في تفسيره:١٠٦٧/٤،برقم: ٥٩٦٩، والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه:٤٣٥/١ ،وجامع بيان العلم وفضله:١١٧٦/٢،برقم: ٢٣٢٦.

[2] **إسناده صحيح**، رواه الدارمي في سننه:٢٣٠/١،برقم: ٩٧،واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة:١٠٦/١،برقم: ١٣٦، والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه:١/ ٢٨٨.

[3] رواه البخاري في صحيحه:١٤٢/٢،برقم: ١٥٦٣ ،ومسلم:٨٩٧/٢،برقم: ١٢٢٣،واللفظ للبخاري،(**قَرَنَ**):أي جمع بين الحج والعمرة بنية واحدة،وتلبية واحدة، وإحرام واحد،وسعي واحد،ويقول:لبيك بحج وعمرة.

[4] **صحيح**،رواه الدارمي في سننه:٢٩٦/١،برقم: ٢٢٣،والحاكم في المستدرك:١٨٤/١، برقم: ٣٥٢ ، والطبراني في الكبير:٢٠٧/١٠، والخطيب في جامع بيان العلم وفضله:١١٧٩/٢، برقم: ٢٣٣٤.

[5] **صحيح**،رواه عبد الرزاق في مصنفه:٥١٩/٢،برقم: ٤٢٨١ ،وأبو نعيم في الحلية:٧/ ١٨٥،والسَّراج في مسنده:٤٤٣/١،برقم:١٤٤٠.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَعَنْ عَطَاءٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شيءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] أَيْ: إِلَى كِتَابِ اللَّه وَسَنَّةِ رَسُولِ اللَّه ﷺ.

وَقَالَ الشَّافِعِي: لَيْسَ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّه ﷺ إِلَّا اتِّبَاعُهَا.

وَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه -وَنَظَرَ إِلَى الحَجَرِ الْأَسْوَدِ- : واللهِ إِنَّكَ حَجَرٌ لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ ، ثُمَّ قَبَّلَهُ[1].

وَرُئِيَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ يُدِيرُ نَاقَتَهُ فِي مَكَانٍ ، فَسُئِلَ عَنْهُ ، فَقَالَ: لَا أَدْرِي إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ فَعَلَهُ فَفَعَلْتُهُ.

وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ الْحِيرِيُّ: من أَمَّرَ السُّنَّةَ عَلَى نَفْسِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا نَطَقَ بِالْحِكْمَةِ ، وَمَنْ أَمَّرَ الْهَوَى عَلَى نَفْسِهِ نَطَقَ بِالْبِدْعَةِ.

(الفَصْلُ الخَامِسُ)

حَظْرُ مُخَالَفَةِ أَمْرِهِ ﷺ

وَمُخَالَفَةُ أَمْرِهِ وَتَبْدِيلُ سُنَّتِهِ ضَلَالٌ وَبِدْعَةٌ مُتَوَعَّدٌ مِن اللَّه عَلَيْهِ بِالخِذْلَانِ والعَذَابِ ، قَالَ اللَّه تَعَالَى : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور:٦٣] ، وَقَالَ: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[النساء:١١٥].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنّ رَسُولَ اللَّه ﷺ خَرَجَ إِلَى المَقْبَرَةِ ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ فِي صِفَةِ أُمَّتِهِ ، وَفِيهِ: (**فَلَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي ، كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ ،**

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:١٤٩/٢،برقم: ١٥٩٧،ومسلم:٩٢٥/٢،برقم: ١٢٧٠.

http://mohhanoona.blogspot.com/

فَأُنَادِيهِم: أَلَا هَلُمَّ أَلَا هَلُمَّ ، فَيُقَالُ: إِنَّـهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا) [1] ، وَقَالَ: (من أَحْدَثَ فِي أمْرِنَا هَذا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ) [2].

وَقَالَ ﷺ : (هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ) [3] ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصّدّيقُ رضي الله عنه لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ ، إنّي أَخْشَى إنْ تَرَكْتُ شَيْئًا من أمْرِهِ أنْ أزيغَ. [4]

الْبَابُ الثَّانِي: فِي لُزُومِ مَحَبَّتِهِ ﷺ وَفِيْهِ سِتَّةُ فُصُولٍ.

(الفَصْلُ الأَوَّلُ)

وُجوبُ مَحَبَّتِهِ ﷺ

قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾[التوبة:٢٤] .

فَكَفَى بِهذَا حَضَّاً وَتَنْبِيهًا وَدِلَالَةً وَحُجَّةً عَلَى إلْزَامِ مَحَبَّتِهِ ، وَوُجُوب فَرْضِهَا

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:٤٦/٩،برقم: ٧٠٥٠،ومسلم:٢١٨/١،برقم: ٢٤٩،(**فَلَيُذَادَنَّ**) أي:ليطردن،(**الْبَعِيرُ الضَّالُّ**):أي الضائع الذي لا سائق له،(**أَلَا هَلُمَّ**):أي تعالوا (**سُحقاً**):بُعداً.

[2] رواه البخاري في صحيحه:١٨٤/٣،برقم: ٢٦٩٧،ومسلم:١٣٤٣/٣،برقم: ١٧١٨،(**أَحْدَثَ**): اخترع، (**أمْرِنَا هذا**) ديننا هذا وهو الإسلام،(**مَا لَيْسَ مِنْهُ**): مما لا يوجد في الكتاب أو السنة ، ولا يندرج تحت حكم فيهما ، أو يتعارض مع أحكامها (**رَدٌّ**): باطل ومردود لا يعتد به.

[3] رواه مسلم في صحيحه:٢٠٥٥/٤،برقم: ٢٦٧٠، (**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**) أي: المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.

[4] رواه البخاري في صحيحه:٧٩/٤،برقم: ٣٠٩٢،ومسلم:١٣٨٠/٣،برقم: ١٧٥٩.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَعِظَمِ خَطَرِهَا، وَاسْتِحْقَاقِهِ لَهَا ﷺ ؛ إِذْ قَرَّعَ[1] تَعَالَى من كَانَ مَالُهُ وَأَهْلُهُ وَوَلَدُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَأَوْعَدَهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ ثُمَّ فَسَّقَهُمْ بِتَمَامِ الآيَةِ: ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُمْ مِمَّنْ ضَلَّ وَلَمْ يَهْدِهِ اللهُ.

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ، أن رسول الله ﷺ قَالَ: (**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**)[2].

وَعَنْ أَنَسٍ عَنْهُ ﷺ : (**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**)[3].

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ أَنَّه قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شيءٍ إِلَّا نَفْسِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيَّ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ :(**لَنْ يُؤْمِنَ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ**) ، فَقَالَ عُمَرُ: وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيَّ فَقَالَ له النبي ﷺ (**الآنَ يَا عُمَرُ**)[4].

---

[1] **قَرَّعَ**:يُقال قرَّعَ فلاناً،إذا أوجعه باللوم والعتاب والتوبيخ.

[2] رواه البخاري في صحيحه: ١/١٢،برقم: ١٥،ومسلم: ١/٦٧،برقم: ٤٤.

[3] رواه البخاري في صحيحه: ١/١٢،برقم: ١٦،ومسلم: ١/٦٦،برقم: ٤٣، (**وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ**) قال العلماء : معنى حلاوة الإيمان الشعور باللذة عند فعل الطاعات والصبر على المشقات في رضي الله عز وجل ورسوله ﷺ ، (**أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ**) فمعناه يصير ، وقد جاء العود والرجوع بمعنى الصيرورة.

[4] رواه البخاري في صحيحه:٨/١٢٩،برقم: ٦٦٣٢،(**لَنْ يُؤْمِنَ أَحَدُكُمْ**)أي:يكتمل إيمانه.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الفَصْلُ الثَّانِي)

ثَوَابُ مَحبَّتِهِ ﷺ

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه : أنَّ رَجُلًا أَتى النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ مَتَى السَّاعةُ يَا رسول الله؟ ، قال:(**مَا أَعْدَدْتَ لَهَا)**؟ ، قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ وَلَا صَدَقَةٍ ، وَلكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، قَالَ: (**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**) [1].

وَعَنْ صفوان ابن قُدَامَةَ: هَاجَرْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَاوِلْنِي يَدَكَ أُبَايِعْكَ ، فَنَاوَلَنِي يَدَهُ ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُحِبُّكَ ، قَالَ : (**المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**) [2].

(الفَصْلُ الثَّالِثُ)

ما رُوِيَ عَنِ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِمْ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَشَوْقِهِم لَهُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: (**مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ**) [3] .

وَتَقَدَّمَ حَدِيث عُمَرَ رضي الله عنه وَقَوْلُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي [4].

وَمَا تَقَدَّمَ عَنِ الصَّحَابَةِ فِي مِثْلِهِ، وَعَنْ عَمْرو بن العاصِ رضي الله عنه : مَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ [5].

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:٤٠/٨،برقم: ٦١٧١،ومسلم:٢٠٣٢/٤،برقم: ٢٦٣٩.

[2] **حسن**، رواه الطبراني في الأوسط:٢٨٦/٢،برقم: ٢٠٠١.

[3] رواه مسلم في صحيحه:٢١٧٨/٤،برقم: ٢٨٣٢،وابن حبان:٢١٤/١٦،برقم: ٧٢٣١.

[4] رواه البخاري في صحيحه:١٢٩/٨،برقم: ٦٦٣٢.

[5] رواه مسلم في صحيحه:١١٢/١،برقم: ١٢١،وأحمد في مسنده:٣١٧/٢٩،برقم: ١٧٧٨٠.

وَعَنْ عَبْدَةَ بِنْتِ خَالِد بن مَعْدَانَ قَالَتْ: مَا كَانَ خَالِدٌ يَأْوِي إِلَى فِرَاشٍ إِلَّا وَهُوَ يَذْكُرُ من شَوْقِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّه ﷺ وَإِلَى أصْحَابِهِ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، يُسَمِّيهِمْ وَيَقُولُ: هُمْ أَصْلِي وَفَصْلِي ، وَإِلَيْهِمْ يحنُّ قَلْبِي ، طَالَ شَوْقِي إِلَيْهِمْ ، فَعَجِّلْ رَبّ قَبْضِي إِلَيْكَ حَتَّى يَغْلِبَهُ النَّوْمُ[1].

وَعَنِ ابن إِسْحَاق : أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ قُتِلَ أبُوها وأخُوهَا وَزَوْجُهَا يَوْمَ أحُدٍ مَعَ رَسُول اللَّه ﷺ ، فَقَالَتْ: مَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّه ﷺ؟ ،قَالُوا: خَيْرًا ، هُوَ بِحَمْدِ اللَّه كَمَا تُحِبّينَ ، قَالَتْ: أَرونيهِ حَتَّى أنْظُرَ إليْهِ ، فَلَمّا رَأَتْهُ قَالَتْ: كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ[2].

ولما احْتُضِرَ بِلَالٌ ﷺ نَادتِ امْرَأتُهُ: وَاحُزنَاهُ! ، فقال: واطَرَبَاهُ! ،غَدًا ألْقى الْأَحِبَّة مُحَمَّدًا وَحِزْبَه.

وَلَمَّا أخْرجَ أَهْلُ مَكَّةَ خُبَيْبِ بْنِ عَدِيٍّ مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ ، قَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَانُ بن حَرْبٍ: أَنْشُدُكَ اللَّهَ يَا زَيْدُ أتُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّداً الآنَ عِنْدَنَا مَكَانَكَ يُضْرَبُ عُنُقُهُ وَأَنَّكَ فِي أَهْلِكَ؟ ، فَقَالَ خُبَيْبٌ: وَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّداً الآنَ فِي مَكانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ وَأَنِّي جَالِسٌ فِي أهْلِي، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: مَا رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا ، كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا[3].

[1] رواه أبو نعيم في الحلية:٢١٠/٥،وانظر سير أعلام النبلاء:٥٣٩/٤.

[2] رواه الطبراني في الأوسط:٢٨٠/٧،وأبو نعيم في الحلية:٢/ ٣٣٢،عن أنس به.

[3] رواه البخاري في صحيحه:٧٨/٥،برقم: ٣٩٨٩ ،وأحمد في مسنده:٣٠٧/١٣،برقم: ٧٩٢٨.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الفَصْلُ الرَّابِعُ)

عَلَامَةِ مَحَبَّتِهِ ﷺ

اعْلَمْ أَنَّ من أَحَبَّ شَيْئًا آثَرَهُ وَآثَرَ مُوافَقَتَهُ ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ صادقًا فِي حُبِّهِ وَكَانَ مُدَّعِيًا ، فالصَّادِقُ فِي حُبِّ النَّبِيِّ ﷺ من تَظْهَرُ عَلامَةُ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَأَوَّلُهَا:

١ - **الاقْتِدَاءُ بِهِ وَاسْتِعْمَالُ سُنَّتِهِ** ، وَاتِّبَاعُ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَامْتِثَالُ أَوَامِرِهِ ، وَاجْتِنَابُ نَوَاهِيهِ ، وَالتَّأَدُّبُ بِآدَابِهِ فِي عُسْرِهِ وَيُسْرِهِ وَمَنْشَطِهِ وَمَكْرِهِهِ ، وَشَاهِدُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١].

٢ - **وَإِيثَارُ مَا شَرَعَهُ** وَحَضَّ عَلَيْهِ عَلَى هَوَى نَفْسِهِ ، وَمُوافَقَةِ شَهْوَتِهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩]

٣ - **وَإِسْخَاطُ الْعِبَادِ فِي رِضَى اللَّهِ تَعَالَى** ،فَمَنِ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَهُوَ كَامِلُ الْمَحَبَّةِ للهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ خَالَفَهَا فِي بَعْضِ هَذِهِ الأُمُورِ فَهُوَ نَاقِصُ الْمَحَبَّةِ وَلَا يَخْرُجُ عَنِ اسْمِهَا، وَدَلِيلُهُ قَوْلُهُ ﷺ لِلَّذِي حَدُّهُ فِي الْخَمْرِ فَلَعَنَهُ بَعْضُهُمْ ، وَقَالَ: مَا أَكْثَرُ مَا يُؤْتى بِهِ ، فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ :**(لَا تَلْعَنْهُ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)** [1].

٤ - **وَمِنْ عَلَامَاتِ مَحَبَّةِ النَّبِيّ ﷺ كَثْرَةُ ذِكْرِهِ لَهُ** فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَكْثَرَ ذِكْرَهُ.

٥ - **وَمِنْهَا كَثْرَةُ شَوْقِهِ إلى لِقَائِهِ** فَكُلُّ حَبِيبٍ يُحِبُّ لِقَاءَ حَبِيبِهِ ، وَفِي حَدِيث الأَشْعَرِيِّينَ عِنْدَ قُدُومِهِمُ الْمَدِينَةَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَرْتَجِزُونَ :

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:١٥٨/٨،برقم: ٦٧٨٠،والبزار في مسنده:٣٩٣/١.

http://mohhanoona.blogspot.com/

غَدَاً نَلْقَ الْأَحِبَّهْ   مُحَمَّدًا وَصَحْبَهْ [1]

وَتَقَدَّمَ قَوْلُ بِلَالٍ ، وَمِثْلُهُ قَالَ عَمَّارٌ قَبْلَ قَتْلِهِ[2]، وَمَا ذَكَرْنَاهُ من قِصَّةِ خَالِد بن مَعْدَانَ[3].

٦-وَمِنْ عَلَامَاتِهِ - مَعَ كثرة ذِكْرِهِ - تَعْظِيمُهُ لَهُ وَتَوْقِيرُهُ عِنْدَ ذِكْرِهِ وَإِظْهَارُ الْخُشُوعِ وَالانْكِسَارِ مَعَ سَمَاعِ اسْمِهِ.

قَالَ إِسْحَاق التُّجِيبِيُّ: كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيّ ﷺ بَعْدَهُ لَا يَذْكُرُونَهُ إِلَّا خَشَعُوا وَاقْشَعَرَّتْ جُلُودُهُمْ وَبَكَوْا ، وَكَذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ التَّابِعِينَ مِنْهُمْ من يَفْعَلُ ذَلِكَ مَحَبَّةً لَهُ وَشَوْقًا إِلَيْهِ ، وَمِنْهُمْ من يَفْعَلُهُ تَهيُّبًا وتَوْقِيرًا.

٧-وَمِنْهَا مَحَبَّتُهُ لِمَنْ أَحبَّ النَّبِيّ ﷺ ، وَمَنْ هُوَ بِسَبَبِهِ مِنْ آلِ بَيْتِهِ ، وَصَحَابَتِهِ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنصَار، وَعَداوةَ مَنْ عَادَاهُم ، وَبُغْضُ من أبْغَضَهُمْ وَسَبَّهُمْ ، فَمَنْ أَحبَّ شَيْئًا أَحبَّ من يُحِبُّ ، وَقَدْ قَالَ ﷺ فِي الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ: (**اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا**) [4] ، وَفِي رِوايَة فِي الْحَسَنِ:(**اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ ، وَأَحبَّ مَنْ يُحِبُّهُ**) [5] ، وَقَالَ: (**مَنْ أَحبَّهُمَا فقَدْ أَحبَّنِي، وَمَنْ أبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي**)[6]، وَقَالَ: (**اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمُ غَرَضًا، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ**

---

[1] **صحيح**،رواه أحمد في مسنده:٨٣/١٩،برقم: ١٢٠٢٦،والنسائي في الكبرى:٣٨٧/٧،برقم: ٨٢٩٤،(**الْأَشْعَرِيينَ**): هم قوم أبي موسى الأشعري.

[2] **صحيح**، رواه الحاكم في المستدرك:٤٤٥/٣،برقم: ٥٦٨٧ ،والبزار في مسنده:٢٤٣/٤، برقم:١٤١٠، وأبو نُعيم في الحلية:١٤١/١.

[3] رواه أبو نعيم في الحلية:٢١٠/٥،وانظر سير أعلام النبلاء:٥٣٩/٤.

[4] **حسن**،رواه الترمذي في سننه:١٢٨/٦،برقم: ٣٧٨٢،والبزار في مسنده:٨/ ٢٥٢.

[5] رواه البخاري في صحيحه:١٥٩/٧،برقم: ٥٨٨٤،ومسلم:١٨٨٢/٤،برقم: ٢٤٢١.

[6] **صحيح**،رواه أحمد في مسنده:٢٦٠/١٣،برقم: ٧٨٧٦،وابن ماجة في سننه:٥١/١، برقم: ١٤٢.

http://mohhanoona.blogspot.com/

آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَه) [1] ، وقال فِي فَاطِمَةَ رضي الله عنها :**(إِنَّهَا بِضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي)** [2] ، وَقَالَ لِعَائِشَةَ فِي أُسَامَةَ بن زَيْد:(**أَحِبِّيهِ فَإِنِّي أُحِبُّهُ)** [3]، وَقَالَ: **(آيَةُ الْإِيمَان حُبُّ الْأَنْصَارِ وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُهُمْ)** [4].

٨-**وَمِنْهَا بُغْضُ من أبْغَضَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** ، وَمُعَادَاةُ من عَادَاهُ ، وَمُجَانَبَةُ من خَالَفَ سُنَّتَهُ وَابْتَدَعَ فِي دِينِهِ ،وَاسْتِثْقَالُهُ كُلَّ أمر يُخَالِف شَرِيعَتَهُ ، قَالَ الله تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[المجادلة:٢٢] ، وَهَؤُلَاءِ أَصْحَابُهُ ﷺ قَدْ قَتَلُوا أحِبَّاءَهُمْ ، وَقَاتَلُوا آباءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ فِي مَرْضَاتِهِ ، وَقَالَ لَهُ عَبْد اللَّه بْنُ عَبْد اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ: لَوْ شِئْتَ لأَتَيْتُكَ بِرَأْسِهِ ، يَعْنِي: أَبَاهُ [5].

---

[1] **حسن**،رواه الترمذي في سننه:٦٩٦/٥،برقم: ٣٨٦٢ ،وأحمد في مسنده:٣٥٧/٢٧،برقم: ١٦٨٠٣.

[2] رواه البخاري في صحيحه:٢١/٥،برقم: ٣٧١٤،ومسلم:١٩٠٢/٤،برقم: ٢٤٤٩، (**بِضْعَةٌ**):قطعة.

[3] **حسن**،رواه الترمذي في سننه:١٥٦/٦،برقم: ٣٨١٨ ،وابن حبان في صحيحه:٥٣٤/١٥، برقم: ٧٠٥٨.

[4] رواه البخاري في صحيحه:١٢/١،برقم: ١٧،ومسلم:٨٥/١،برقم: ٧٤، (**آيَةُ**): علامة، (**الْأَنْصَار**): جمع ناصر ونصير ، وهم كل من آمن بالنبي ﷺ من الأوس والخزرج سُمُّوا بذلك لنصرتهم له ﷺ، (**النِّفَاق**): إظهار الإيمان وإضمار الكفر ، والمنافق هو الذي يظهر خلاف ما يبطن.

[5] **حسن**، رواه البزار في مسنده:٣٢٢/١٤،برقم: ٧٩٧٨،ورجاله ثقات.

http://mohhanoona.blogspot.com/

٩-**وَمِنْهَا أَن يُحِبَّ الْقُرْآنَ الَّذِي أتى بِهِ** ﷺ وَهَدَى بِهِ وَاهْتَدَى وَتَخَلّقَ بِهِ حَتَّى قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: **(كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ)** [١] ،وَحُبُّهُ لِلْقُرْآنِ تِلَاوَتُهُ ، وَالْعَمَلُ بِهِ ، وَتَفَهُّمُهُ ، وَيُحِبُّ سُنَّتَهُ وَيَقِفُ عِنْدَ حُدُودِهَا.

١٠-**وَمِنْ عَلَامَاتِ حُبّهِ لِلنَّبِيِّ** ﷺ **شَفَقَتُهُ عَلَى أمَّته وَنُصْحُهُ لَهُمْ** ، وَسَعْيُهُ فِي مَصَالِحِهِمْ ، وَرَفْعُ الْمَضَارِّ عَنْهُمْ، كَمَا كان ﷺ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفاً رَحِيمًا.

١١-**وَمِنْ عَلَامَةِ تَمَامُ مَحَبَّتِهِ زُهْدُ مُدَّعِيهَا فِي الدُّنْيَا،والرَّغبَةُ فِيْمَا عِنْدَ الله.**

(الفَصْلُ الخَامِسُ)

مَعْنَى الْمَحَبَّةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَحَقِيقَتِهَا

اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي تَفْسِيرِ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَمَحَبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَكَثُرَتْ عِبَارَاتُهُمْ فِي ذَلِكَ ، وَلَيْسَتْ تَرْجِعُ بِالحَقِيقَةِ إلى اخْتِلافِ مَقَال ، وَلَكِنَّهَا اخْتِلَافُ أَحْوَالٍ ؛ فَقَالَ سُفْيَانُ : المَحَبَّةُ اتّبَاعُ الرسول ﷺ ، كَأَنَّهُ التَفَتَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١].

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَحَبَّةُ الرَّسُولِ إعْتِقَادُ نُصْرَتِهِ ، والذَّبُّ عَنْ سُنَّتِهِ ، والانْقِيَادُ لَهَا وَهَيْبَةُ مُخَالَفَتِهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: المَحَبَّةُ دَوَامُ الذِّكْرِ لِلْمَحْبُوبِ، وَقَالَ آخَرُ: إيثَارُ المَحْبُوبِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ المَحَبَّةُ الشَّوْقُ إِلَى المَحْبُوبِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: المَحَبَّةُ مُوَاطَأَةُ الْقَلْبِ لِمُرَادِ الرَّبِّ يُحِبُّ مَا أَحَبَّ وَيَكْرَهُ مَا كَرِهَ، وَقَالَ آخَرُ: المَحَبَّةُ مَيْلُ القَلْبِ إِلَى مُوَافِقٍ لَهُ ، وأَكْثَرُ العِبَارَات المُتَقَدِّمَةِ إشَارَةٌ إِلَى ثَمَراتِ المَحَبَّةِ دُونَ حَقِيقَتِهَا .

---

[١] رواه مسلم في صحيحه :٥١٢/١،برقم: ٧٤٦،وأبو داود في سننه:٤٠/٢،برقم: ١٣٤٢،وأحمد في مسنده:١٤٨/٤١،برقم: ٢٤٦٠١.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَحَقِيقَةُ المَحَبَّةِ : المَيْلُ إلى مَا يُوَافِقُ الْإِنْسَانَ ، وقَد اسْتَبَانَ لَكَ أَنَّهُ ﷺ مُسْتَوْجِبٌ لِلْمَحَبَّةِ الحَقِيْقِيَّةِ شَرْعَاً ، وَهوَ الَّذِي جَمَعَ مِنْ جَمَالِ الصُّورَةِ والظَّاهِرِ ، وَكَمَالِ الْأَخْلَاقِ وَالبَاطِنِ ، وَمِنْ صِفَاتِ الإِحْسَانِ وَالإِنْعَامِ عَلَى أمَّتِهِ ، وَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ يُحِبُّ مَنْ مَنَحَهُ فِي دُنْيَاهُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ مَعْرُوفًا ، أَو اسْتَنْقَذَهُ من هَلَكَةٍ أَوْ مَضَرَّةٍ مُدَّةَ التَّأذّي بِهَا قَلِيلٌ مُنْقَطِعٌ ، فَمَنْ مَنَحَهُ مَا لَا يَبِيدُ مِنَ النَّعِيمِ وَوَقَاهُ مَا لا يَفْنَى مِنْ عَذَابِ الجَحِيمِ أوْلى بالحُبِّ.

(الفَصْلُ السَّادِسُ)

وُجُوبِ مُنَاصَحَتِهِ ﷺ

قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿ولا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[التوبة:٩١] قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ: ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ إِذَا كَانُوا مُخْلِصِينَ مُسْلِمِينَ فِي السِّرِّ والْعَلانَيَّة.

وَعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :(**الدِّينَ النَّصِيحَةُ**، قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ ، قَالَ: **لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**) [١] .
قَالَ أئِمَّتُنَا: النَّصِيحَةُ لله وَلِرَسُولِهِ وَأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ وَاجِبَةٌ.

قَالَ الإِمَامُ أَبُو سُلَيْمَانَ البُسْتِيُّ: النَّصِيْحَةُ كَلِمَةٌ يُعَبَّرُ بِهَا عَنْ جُمْلَةِ إِرَادَةِ الْخَيْرِ لِلْمَنْصُوحِ لَهُ ، وَمَعْنَاهَا فِي اللُّغَةِ: الإخْلَاصُ ، من قَوْلِهِمْ نَصَحْتُ الْعَسَلَ إِذَا خَلَّصْتَهُ من شَمْعِهِ.

فَنَصِيحَةُ اللَّهِ تَعَالَى: صِحَّةُ الإعتِقَادُ لَهُ بِالوَحدَانِيَّةِ ، وَوَصْفُهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَتَنْزِيهُهُ عَمَّا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ ، وَالرَّغْبَةُ فِي مَحَابِّه وَالْبُعْدُ عَنْ مَسَاخِطِهِ ، وَالإِخْلَاصُ فِي عِبَادَتِهِ .

[١] رواه مسلم في صحيحه:٧٤/١،برقم: ٥٥ ،وابو داود في سننه:٢٨٦/٤،برقم: ٤٩٤٤.

http://mohhanoona.blogspot.com/

و**النَّصِيحَةُ لِكِتَابِهِ**: الْإِيمَانُ بِهِ ، والعَمَلُ بِمَا فِيهِ، وَتَحْسِينُ تِلَاوَتِهِ ، والتَخَشُّعُ عِنْدَهُ ، وَالتَعْظِيْمِ لَهُ ، وَتَفَهُّمُهُ، وَالتَّفَقُّهُ فِيهِ، وَالذَّبُّ عَنْهُ من تَأْوِيلِ الْغَالِينَ وَطَعْنِ المُلحِدِين.

و**النَّصِيْحَةُ لِرَسُولِهِ**: التَّصْدِيقُ بِنُبُوّتِهِ، وَبَذْلُ الطّاعَةِ لَهُ فِيمَا أَمَرَ بِهِ وَنَهى عَنْهُ.

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ الخَفَّاف: ومُوَازَرَتُهُ ،وَنُصْرَتُهُ ،وَحِمَايَتُهُ حَيًّا وَمَيّتًا، وَإِحْيَاءُ سُنَّتِهِ بالطَّلَبِ ، وَالذَّبُّ عَنْهَا وَنَشْرِهَا، وَالتَّخَلُّقُ بِأَخْلاقِهِ الكَرِيمَةِ وَآدَابِهِ الجملية.

وَقَالَ أَبُو إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقُ التُّجِيبِيُّ: نَصِيحةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التَّصْدِيقُ بِمَا جاء بِهِ ، وَالاعْتِصَامُ بِسُنّتِهِ ، وَنَشْرُهَا ، وَالحَضُّ عَلَيْهَا ، وَالدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ ، وَإِلَى كِتَابِهِ ، وَإِلَى رَسُولِهِ ، وَإِلَيْهَا، وَإِلَى الْعَمَلِ بِهَا.

وأما **النُّصْحُ لأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ**: فَطَاعَتُهُمْ فِي الْحَقّ ،وَمَعُونَتُهُمْ فِيهِ ، وَأمْرُهُمْ بِهِ ، وَتَذْكِيرُهُمْ إِيّاهُ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهٍ ، وَتَنْبِيهُهُمْ عَلَى مَا غَفَلُوا عَنْهُ وَكُتِمَ عَنْهُمْ مِنْ أُمُورِ المُسْلِمِينَ ، وَتَرْكُ الخُرُوجِ عَلَيْهِمُ وَتَضْرِيبِ النَّاسِ وَإِفْسَادِ قُلُوبِهِمْ عَلَيْهِمُ .

و**النصح لِعَامَّةِ المُسْلِمينَ**: إِرْشَادُهُمْ إِلَى مَصَالِحِهِمْ ، وَمَعُونَتُهُمْ فِي أمْرِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ بِالْقَوْلِ وَالفِعْلِ ، وَتَنْبِيهُ غَافِلِهِمْ ، وَتَبْصِيرُ جَاهِلِهِمْ ، وَرَفْدُ مُحْتَاجِهِمْ ، وَسَتْرُ عَوْرَاتِهِمْ ،وَدَفْعُ المَضَارِّ عَنْهُمْ ، وَجَلْبِ المَنَافِعِ إِلَيْهِمْ.

http://mohhanoona.blogspot.com/

الْبَابُ الثَّالِثُ – فِي تَعْظِيمِ أَمْرِهِ ،وَوُجُوبِ تَوْقِيرِهِ وَبِرِّهِ ، وَفِيْهِ سَبْعَةُ فُصُولٍ.

(الفَصلُ الأوَّل)

وُجُوبِ تَوْقِيرِهِ وَبِرِّهِ ﷺ

قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ [الفتح:٩]، وَقَالَ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[الحجرات:١]، وَ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ، إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ، إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[الحجرات:٢-٤] ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[النور:٦٣] .

فَأَوْجَبَ تَعَالَى تَعْزِيْرَهُ وتَوْقِيرَهُ ، وَأَلْزَمَ إِكْرَامَهُ وَتَعْظِيْمَهُ، وَقَالَ ابنُ عَبَّاس: تُعَزِّرُوهُ: تُجِلُّوه ، وَقَالَ المُبَرِّدُ : تُعَزِّرُوهُ: تُبَالِغُوا فِي تَعْظِيمِهِ، وَقَالَ الْأَخْفَشُ : تَنْصُرُونَهُ، وقَالَ الطَّبَرِيُّ: تُعِينُونَهُ.

وَنَهى عَنِ التَّقَدُّمِ بين يديه بِالقَوْلِ وَسُوءِ الأَدَبِ بِسَبْقِهِ بِالكَلامِ عَلَى قَوْلِ ابنِ عَبَّاس وَغَيْرِهِ.

وَنُهُوا عَنْ التَقَدُّمِ وَالتَّعَجُّلِ بِقَضَاءِ أمْرٍ قَبْلَ قَضَائِهِ فِيه ، وَأَنْ يَفْتَاتُوا[1] بِشَيءٍ فِي ذَلِكَ من قِتَالٍ أَوْ غَيْرِهِ من أَمْرِ دِينِهِمْ إِلَّا بأَمْرِهِ ، وَلَا يَسْبِقُوهُ بِهِ.

---

[1] **يَفْتَاتُوا** : يستبدوا ،ويستقلوا.

قَالَ أَبو مُحَمَّدٍ مَكّيٌّ: أَيْ لَا تُسَابِقُوهُ بِالكَلَامِ ، وَتُغْلِظُوا لَهُ بالخِطَابِ ، وَلَا تُنَادُوْهُ بِاسْمِهِ نِدَاءَ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ، وَلَكِنْ عَظِّمُوهُ وَوَقِّرُوهُ ، وَنَادُوهُ بأشْرَفِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُنَادَى بِهِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَا نَبِيَّ اللَّهِ.

(الفَصْلُ الثَّانِي)

عَادَةُ الصَّحَابَةِ فِي تَعْظِيْمِهِ وتَوْقِيرِهِ وإِجلالِهِ ﷺ.

وعَنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ قَالَ: وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَلا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنِي مِنْهُ إِجْلَالًا له ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ لأَنِّي لَمْ أَكُنْ أملأُ عَيْنِيَّ مِنْهُ[١].

وَرَوَى أسَامَةُ بن شَرِيكٍ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وأصْحَابُهُ حَوْلَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُسِهِمُ الطَّيْرُ[٢].

وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ حِينَ وَجَّهَتْهُ قُرَيْشٌ عام القَضِيَّةِ[٣] إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَرَأى من تَعْظِيم أصْحابِهِ لَهُ مَا رَأَى، وَأَنَّهُ لَا يَتَوَضَّأُ إلا ابتَدَرُوا وَضُوئَهُ ، وكادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَيْهِ ، وَلَا يَبْصُقُ بُصَاقًا ، وَلَا يَتَخَنَّمُ نُخَامَةً إِلَّا تَلَقَّوْهَا بِأَكُفِّهِمْ فَدَلكُوا بِهَا وُجُوهَهُمْ وَأَجْسَادَهُمْ ، وَلَا تَسْقُطُ مِنْهُ شَعَرَةٌ إِلَّا ابْتَدَرُوهَا ،وَإِذَا أَمَرَهُمْ بِأَمْرٍ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أصْواتَهُمْ عِنْدَهُ ، وَمَا يُحِدُّونَ إليه النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ ، قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنِّي

---

[١] رواه مسلم في صحيحه:١١٢/١،برقم: ١٢١.

[٢] **صحيح**،رواه أبو داود في سننه:٣/٤،برقم: ٣٨٥٥،والنسائي في الكبرى:٣٧٧/٥،برقم: ٥٨٤٤،(**كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُسِهِمُ الطَّيْرُ**): من الوقار والسكون والهيبة ، وأنهم لم يكن فيهم طيش ولا خفة؛لأن الطير لا تكاد تقع إلا على شئ ساكن ثابت.

[٣] **عام القضية**:هو صلح الحديبية (ذي القعدة/٦هـ) وهو عقد هدنة بين المسلمين والمشركين لمدة عشر سنوات ،وخرج النبي ﷺ بألف وأربعمئة لأداء مناسك العمرة ،وجعل على المدينة ابن أم مكتوم .

جِئْتُ كِسْرى فِي مُلْكِهِ وَقَيْصرَ فِي مُلْكِهِ وَالنَّجَاشِيَّ فِي مُلْكِهِ ، وَإِنِّي وَاللهِ مَا رَأَيْتُ مَلِكًا فِي قَوْمٍ قَطُّ مِثْلُ مُحَمَّدٍ فِي أصْحَابِهِ.

وَفِي رِوَايَةٍ: إنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أصْحابُهُ مَا يُعَظِّمُ مُحَمَّداً أصْحَابُهُ، وَقَدْ رَأَيْتُ قَوْمًا لَا يُسْلِمُونَهُ أبدًا[1].

وَعَنْ أَنَسٍ قَال: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ والحَلاَّقُ يَحْلِقُهُ وَأطَافَ بِهِ أصحابه ، فَمَا يُرِيدُونَ أنْ تَقَعَ شَعَرَةٌ إلَّا فِي يَد رَجُلٍ[2].

وَمِنْ هَذَا لَمّا أذِنَتْ قُرَيْشٌ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ فِي الطَّوَافِ بِالْبَيْتِ حِينَ وَجَّهَهُ النَّبِيّ ﷺ إلَيْهِمْ فِي القَضِيَّةِ أَبَى ، وَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ حَتَّى يَطُوفَ بِهِ رَسُولُ اللَّه ﷺ[3].

وَفِي حَدِيث قَيْلَةَ: فَلَمَّا رَأَيْت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا القُرْفُصَاءَ أُرْعِدتُّ مِنَ الفَرَقِ وَذَلِكَ هَيْبَةً لَهُ وَتَعظِيمًا[4].

(الفَصْلُ الثَّالِثُ)

تَعْظِيمُ السَّلَفِ لِرِوَايَةِ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسُنَّتِه

عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُون قَالَ: اخْتَلَفْتُ إِلَى ابن مَسْعُودٍ سَنَةً ، فَمَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَّا أَنَّهُ حَدَّثَ يَوْمًا ، فَجَرَى عَلَى لِسَانِهِ قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ ،

[1] رواه البخاري في صحيحه:١٩٣/٣،برقم: ٢٧٣١، (**عام القَضِيَّةِ**):عام صلح الحديبية،سنة ست من الهجرة،(**ابتَدَرُوا وَضُوئَهُ**):أي أسرعوا إلى الماء الذي توضأ به ليأخذوه تبركاً، (**النُخَامَة**):ما يلفظه الإنسانُ من البلغم،(**يُحِدّونَ**)أي:يديمون.

[2] رواه مسلم في صحيحه:١٨١٢/٤،برقم: ٢٣٢٥،وأحمد في مسنده:٣٦٣/١٩،برقم: ١٢٣٦٣.

[3] **صحيح**،رواه أحمد في مسنده:٢١٢/٣١،برقم: ١٨٩١٠.

[4] **صحيح**، رواه الحاكم في المستدرك:٥٠٦/٢،برقم: ٣٧٣٣،والطبراني في الأوسط:٦٤/٢ ،برقم: ١٢٦٠، قوله:(**رِعْدَةٌ**) أي: رجفة.

http://mohhanoona.blogspot.com/

ثُمَّ عَلاَهُ كَرْبٌ حَتَّى رَأَيْتُ العَرَقَ يَتَحَدَّرُ عَنْ جَبْهَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ هَكَذَا إِنْ شَاءَ اللَّه ، أَوْ فَوْقَ ذَا ، أَوْ مَا دُونَ ذَا ، أَوْ مَا هُوَ قَرِيبٌ من ذا، وَفِي رِوَايَةٍ: فَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ ، وَفِي رِوَايَة: وَقَدْ تَغَرْغَرَتْ عَيْنَاهُ وَانتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ[1].

وَقَالَ مَالِكٌ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابن الْمُسَيِّبِ فَسَأَلَهُ عَنْ حَدِيثٍ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ ، فَجَلَسَ وَحَدَّثَهُ ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: وَدِدْتُ أنك لَمْ تَتَعَنَّ فَقَالَ: إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أُحَدِّثَكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَنَا مُضْطَجِع.

وَرُوِيَ عَنْ مُحَمَّدِ بن سِيرِينَ أَنَّهُ قَدْ يَكُون يَضْحَكُ فَإِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ حَدِيث النَّبِيِّ ﷺ خَشَعَ.

وَكَانَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ لَا يُحَدِّثُ بِحَدِيثِ رَسُول اللَّه ﷺ إِلَّا وَهُوَ عَلَى وُضُوءٍ إِجْلاَلًا لَهُ.

قَال مُطَرِّفٌ: كَانَ إِذَا أَتَى النَّاسُ مَالِكًا خَرَجَت إِلَيْهِم الْجَارِيَة ، فَتَقُول لَهُم: يَقُول لَكُم الشَّيْخ: تُرِيدُون الْحَدِيث أَو الْمَسَائِل؟ ، فَإِن قَالُوا: الْمَسَائِل خَرَج إِلَيْهِم، وَإِن قَالُوا: الْحَدِيث دَخَل مُغْتَسَلَه ، واغْتَسَل وتَطَيَّبَ ، وَلَبِس ثِيَابًا جُدُدًا ، وَلَبِس سَاجَه[2] ، وَتَعَمَّم ، وَوَضَع عَلَى رَأْسِه رِدَاءَه ،وَتُلْقَى لَه مَنَصَّةٌ[3] ، فَيَجْلِس عَلَيْهَا وَعَلَيْه الْخُشُوع ، وَلَا يَزَال يُبَخَّرُ بِالعُودِ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَم يَكُن يَجْلِس عَلَى تِلْك الْمِنَصَّة إِلَّا إذَا حَدَّث عَن رَسُول الله ﷺ ، فَقِيل لِمَالِكٍ فِي ذَلِكَ ، فَقَال: أُحِبّ أَنْ أُعَظِّمَ حَدِيث رَسُول اللَّه ﷺ ، وَلَا

---

[1] **صحيح**،رواه الحاكم في المستدرك:١٩٣/١،برقم: ٣٧٦ ،والدارمي في سننه:٣٣٠/١،برقم: ٢٨٩، (**يَتَحَدَّرُ**):يسيل بكثرة ، (**كَرْبٌ**):خوف وشدة، (**فَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ**) أي: احمرَّ حُمْرَةً فيها سواد، لشدة كربه وحزنه، (**تَغَرْغَرَتْ عَيْنَاهُ**) :تردَّدَ فيها الدمع، وَ(**انتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ**):عروق عنقه.

[2] **السَّاج**:الطيلسان الأخضر،و**الطيلسان**:ضرب من الأوشحة يلبس على الكتف،أو يحيط بالبدن ، خالٍ عن التفصيل والخياطة.

[3] **المَنَصّة**:الكرسي المرتفع.

http://mohhanoona.blogspot.com/

أُحَدِّثُ بِهِ إِلَّا عَلَى طَهَارَةٍ مُتَمَكِّنًا، قَالَ: وَكَان يَكْرَه أن يُحَدِّثَ فِي الطَّرِيقِ ، أَو وَهُو قَائِمٌ ، أو مُسْتَعْجِلٌ ، وَقَالَ: أُحِبُّ أَنْ أُفَهِّمَ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قَالَ ضِرَارُ بْنُ مُرَّةَ : كَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يُحَدِّثُوا عَلَى غَيْرِ وُضُوءٍ ، وَنَحْوَه عَن قَتَادَة ، وَكَانَ الأَعمَشُ إِذَا حَدَّثَ وَهُو عَلَى غَيْرِ وُضُوء تَيَمَّم.

وَذُكِرَ أَنّ هِشَام بن الْغَازِي سَأَل مَالِكًا عَن حَدِيثٍ وَهُو وَاقِفٌ ، فَضَرَبَهُ عِشْرين سَوْطًا ، ثُمّ أَشْفَق عَلَيْه فَحَدَّثَه عِشْرِين حَدِيثًا ، فَقَالَ هِشَامٌ: وَدِدْتُ لَو زَادَنِي سِيَاطًا وَيَزِيدُنِي حَدِيثًا.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ: كَانَ مَالِكٌ وَاللَّيْثُ لَا يَكْتُبَان الْحَدِيثَ إِلَّا وَهُمَا طَاهِرَان، وَكَان قَتَادَة يَسْتَحِبّ أن لَا يَقْرَأ أَحَادِيث النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا عَلَى وُضُوء ، وَلَا يُحَدّث إِلَّا عَلَى طَهَارَة.

(الْفَصْلُ الرَّابِعُ)

بِرُّ آلِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ

وَمِن تَوْقِيرِه ﷺ وَبِرِّهِ ، بِرُّ آلِه وَذُرّيَّتِه وَأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِيْنَ: أَزْوَاجِه، كَمَا حَضَّ عَلَيْه ﷺ وَسَلَكَه السَّلَفُ الصَّالِحُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب:٣٣] ، وقال تعالى: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ [الأحزاب:٦].

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :(**أَنْشُدُكُمُ اللَّهَ أَهْلَ بَيْتِي - ثَلَاثًا**) ، قُلْنَا لِزَيْدٍ: مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ ، فَقَال: آلُ عَلِيٍّ ، وَآلُ جَعْفَرٍ ، وَآلُ عَقِيلٍ ، وَآلُ

http://mohhanoona.blogspot.com/

الْعَبَّاسِ[1]، وَقَالَ ﷺ :(**إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لم تَضِلُّوا: كِتَابَ اللَّهِ وَعِتْرَتِي: أَهْلَ بَيْتِي، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا**)[2].

وَعَن عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ لَمَّا نَزَلَتْ:﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣]- وَذَلِكَ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ - دَعَا فَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَجَلَّلَهُم بِكِسَاء وَعَلِيٌّ خَلْف ظَهْرِهِ ، ثُمّ قَال:(**اللَّهُمّ هَؤُلَاء أَهْل بَيْتِي، فأذْهِب عَنْهُم الرِّجْس ، وَطَهِّرْهُم تَطْهِيرًا**)[3].

وَعَن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاص: لَمَّا نَزَلَت آيَةُ المُبَاهَلَةِ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ عَلِيًّا ، وَحَسَنًا ، وَحُسَيْنًا ، وَفَاطِمَة ، وَقَال:(**اللَّهُمّ هَؤُلَاء أَهْلِي**)[4].

وَقَال النَّبِيّ ﷺ فِي عَلِيٍّ رضي الله عنه : (**مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ**)[5].

وَقَال أَبُو بَكْر رضي الله عنه : ارْقُبُوا مُحَمَّدًا فِي أَهْل بَيْتِهِ[6] ،وَقَال أَيْضًا: والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَرَابَة رَسُول الله ﷺ أَحَبّ إِلَيّ مِنْ أَنْ أَصِلَ قَرَابَتِي[7].

---

[1] رواه مسلم في صحيحه:١٨٧٣/٤،برقم: ٢٤٠٨،والدارمي في سننه:٢٠٩٠/٤،برقم: ٣٣٥٩.

[2] **صحيح**،رواه الترمذي في سننه:١٣٣/٦،برقم: ٣٧٨٨،وغيره.

[3] **صحيح**،رواه الترمذي في سننه:٦٦٣/٥،برقم: ٣٧٨٧،والطبراني في الكبير:٢٥/٩،برقم: ٨٢٩٥،(**الرِّجْس**):النجس ،وكل ما يستقذر،وقيل: هو الإثم.

[4] رواه مسلم في صحيحه:١٨٧١/٤،برقم: ٢٤٠٤،والترمذي في سننه:٢٢٥/٥،برقم: ٢٩٩٩.

[5] **صحيح**،رواه أحمد في مسنده:٢٦٢/٢،برقم: ٩٥٠،والحاكم في المستدرك:١٢٦/٣،برقم: ٤٦٠١،(**وَالِ**):أي انصر وأَحِبَّ من أحبَّه ونصره.

[6] رواه البخاري في صحيحه:٢٦/٥،برقم: ٣٧٥١،وأحمد في فضائل الصحابة:٥٧٤/٢،برقم: ٩٧١، (**ارْقُبُوا**):أي احفظوا حق رسول الله ﷺ في عدم إيذاء قرابته ،أو التعرُّضِ لهم.

[7] رواه البخاري في صحيحه:٢٠/٥،برقم: ٣٧١٢،ومسلم:١٣٨٠/٣،برقم: ١٧٥٩.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَقَال ﷺ : **(أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا)** [1].
وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا بَكْر ﷺ وَجَعَلَ الْحَسَنَ عَلَى عُنُقِهِ ، وَهُوَ يَقُوْلُ: بِأَبِي شَبِيْهٌ بِالنَّبِيِّ لَيْس شَبِيهًا بِعَلِيّ ، وَعَلِيٌّ ﷺ يَضْحَكُ [2].

وَقِيلَ لابنِ عَبَّاسٍ : مَاتَت فُلَانَة- لِبَعْض أَزْوَاج النَّبِيّ ﷺ -فَسَجَدَ ، فَقِيلَ لَهُ : أَتَسْجُد هَذِه السَّاعَة؟، فَقَال: أَلَيْس قَال رَسُول الله ﷺ :**(إِذَا رَأَيْتُمْ آيَةً فَاسْجُدُوا)**؟ ، وَأَيُّ آيَةٍ أَعْظَمُ مِنْ ذَهَابِ أَزْوَاج النَّبِيّ ﷺ؟ [3].
وَكَان أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرَ يَزُورَان أُمّ أَيْمَن مَوْلاةُ النَّبِيِّ ﷺ وَيَقُولَانِ كَانَ رَسُول الله ﷺ يَزُورُهَا [4].

(الفَصْلُ الخَامِسُ)

تَوْقِيرُ أَصحَابِهِ وَبِرِّهِمْ وَمَعْرِفَةُ حَقِّهِمْ

وَمِن تَوَقِيرِه وَبرِّه ﷺ تَوْقِيرُ أَصْحَابه وَبرِّهِم ، وَمَعْرِفَةُ حَقِّهِم وَالاقْتِدَاءُ بِهِم ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِم ، وَالاسْتِغْفَارِ لَهُم ، وَالْإِمْسَاك عَمَّا شَجَر بَيْنَهُم ،وَمُعَادَاة من عَادَاهُم ،وَالإِضْرَاب عَن أَخْبَار المُؤَرِّخِين وَجَهَلَة الرُّوَاة وَضُلَّالِ الشِّيعَةِ وَالمُبْتَدِعِين القَادِحَةِ فِي أحدٍ مِنْهُم .
وَأن يُلْتَمَس لَهُم فِيمَا نُقِل عَنْهُم مِنْ مِثْلِ ذَلِك فِيمَا كَان بَيْنَهُم مِن الفِتَن أَحْسَنَ التَّأْوِيلَاتِ ، وَيُخَرَّج لَهُم أَصْوَبَ المَخَارِج ؛ إِذ هُم أَهْل ذَلِك ، وَلَا يُذْكَر أحد

---

[1] **حسن**،رواه الترمذي في سننه:١٢٣/٦،برقم: ٣٧٧٥ ،وابن ماجه:٥١/١،برقم: ١٤٤.
[2] رواه البخاري في صحيحه:٢٦/٥،برقم: ٣٧٥٠،(**شَبِيْهٌ**):أي شديد الشبه من النبي ﷺ.
[3] **حسن**،رواه ابو داود في سننه:٣١١/١،برقم: ١١٩٧،والترمذي في سننه:٧٠٧/٥،برقم: ٣٨٩١.
[4] رواه مسلم في صحيحه:١٧٠٧/٤،برقم: ٢٤٥٤،وأبو يعلى في مسنده:٧١/١،برقم: ٦٩.

http://mohhanoona.blogspot.com/

مِنْهُم بِسُوءٍ وَلَا يُغْمَصُ[1] عَلَيْه أمْرٌ ، بَل نَذْكُرُ حَسَناتُهُم وَفَضَائِلُهُم وَحَمِيْد سِيرَهِم ، وَيُسْكَت عَمَّا وَرَاء ذَلِك ،كَمَا قَالَ ﷺ :**(إذَا ذُكِر أصْحَابِي فَأَمْسِكُوا)**[2].

قَالَ اللهُ تَعَالَى:﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٩] ، وَقَالَ: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[التوبة:١٠٠] ،وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[الفتح:١٨] ، وَقَالَ: ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾[الأحزاب:٢٣].

وعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :**(اقْتَدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ)**[3] ،وَقَالَ: **(لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فَلَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ)**[4]،وَقَالَ: **(إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا)**[1].

---

[1] **يُغْمَصُ**:يُعاب.

[2] **صحيح**،رواه الطبراني في الكبير:٩٦/٢،برقم: ١٤٢٧،وأبو نعيم في الحلية:١٠٨/٤.

[3] **صحيح**،رواه الترمذي في سننه:٦٠٩/٥،برقم: ٣٦٦٢،وأحمد في مسنده:٢٨٠/٣٨،برقم: ٢٣٢٤٥.

[4] رواه البخاري في صحيحه:٨/٥،برقم: ٣٦٧٣،ومسلم:١٩٦٧/٤،برقم: ٢٥٤٠،(**المُدّ**):ربع الصاع،ويساوي تقريباً ٦٠٠غم،(**النَصِيف**):نصف المُدّ،والمعنى أنه لن تبلغوا هذا القدر اليسير من فضلهم ، ولا نصفه.

وَقَال عَبْد اللَّه بن الْمُبَارَك ﷺ : خَصْلَتَان مَنْ كَانَتَا فِيه نَجَا: الصِّدْقُ ، وَحُبُّ أَصْحَاب مُحَمَّد ﷺ.

وَقَالَ أَيُّوبٌ السَّخْتِيَانِيّ ﷺ : مَنْ أَحَبَّ أَبَا بَكْرٍ فَقَد أقَام الدّين ، وَمَنْ أَحَبَّ عُمَر فَقَد أوْضَح السَّبِيل ، وَمِن أحَبَّ عُثْمَان فَقَد اسْتَضَاءَ بِنُور اللَّه ، وَمَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَد أَخَذ بِالْعُرْوَة الْوُثْقَى ، وَمَنْ أَحْسَنَ الثَّنَاء عَلَى أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَقَد بَرِئ مِن النِّفَاقِ ، وَمَنْ انْتَقَص أحَدًا منهم فَهُو مُبْتَدِعٌ مُخَالِفٌ لِلسُّنَّة وَالسَّلِف الصَّالِح ، وَأَخَافُ أَنْ لَا يَصْعَد لَه عَمَلٌ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى يُحبَّهُم جَمِيعًا وَيَكُون قَلْبُه سَلِيمًا.[1]

(الفَصْلُ السَّادِسُ)

إِعظَامِهِ وَإِكْبَارِهِ ﷺ

قَال الْقَاضِي ﷺ : وَجَدِيرٌ لِمَواطِنٍ عُمِرَتْ بالْوَحْي وَالتَّنْزِيل ، وَتَرَدَّد بِهَا جِبْرِيل ومِيكَائِيل ، وَعرَجَت مِنْهَا الْمَلَائِكَة وَالرُّوح ، وَضَجَّت عَرَصَاتُهَا[2] بالتَّقْدِيس وَالتَّسْبِيح ، وَاشْتَمَلَت تُرْبَتُهَا عَلَى جَسَدِ سَيِّدِ البَشَرِ ، وَانْتَشَر عَنْهَا من دِينِ اللَّه وَسُنَّة رَسُولِه مَا انْتَشَر ، مَدَارِسُ آيَاتٍ[3] ، وَمَسَاجِد وَصَلَوات[4]، وَمَشَاهِد الْفَضَائِل وَالْخَيْرَات ، وَمَعَاهِد الْبَرَاهِين وَالْمُعْجِزَات ، وَمَنَاسِك الدّين ، وَمَشَاعِر الْمُسْلِمِين ، وَمَوَاقِف سَيّد الْمُرْسَلِين ، وَمُتَبَوَّأ خَاتَمِ النَّبِيّينَ حَيْث انْفَجَرَت النُّبُوَّة ،وَمَوَاطِن طُوِيَتْ فِيْهَا الرِّسَالَة ، وَأَوَّل أَرْضٍ مَسَّ جِلْدَ الْمُصْطَفى تُرَابَهَا أن تُعَظَّمَ عَرَصَاتُهَا ، وَتُتَنَسَّم نَفَحَاتُهَا ، وَتُقَبَّل رُبُوعُهَا وَجُدُرَاتُهَا:

---

[1] **صحيح**،رواه الطبراني في الكبير:٩٦/٢،برقم: ١٤٢٧،وأبو نعيم في الحلية:١٠٨/٤.

[2] **العَرَصات**:جمع عَرْصَة،وهي كل موضع واسعٍ لا بناءً فيه.

[3] **مدارسُ آيات** :محال يدرس فيها القرآن.

[4] **المساجد**:هي مواضع السجود،و**الصلوات**:جمع صلاة.

يَـــا دَار خَيْرِ الْمُرْسَلِين وَمَن بـه هُدَيَ الْأَنَـــــامُ وَخُـصَّ بِالآيَـــاتِ
عِـــنْدِي لِأَجْلِك لَوْعَةٌ وَصَبَابَـةٌ[١] وَتَشَـــوُّق مُتَوَقِّـــد الْجَمَـــرَات
وَعَلِيَّ عَهْد إن مَلأْتُ مَحَاجِرِي[٢] من تِلْكُم الْجُدرَات وَالْعَرَصَات
لَأُعفِّرَنَّ مَصُونَ شَيْبِي بَيْنَهَا من كَثْرَة التَّقْبِيل وَالرَّشَفَاتِ[٣]
لَوْلَا الْعَوادِي وَالْأَعَادِي زُرْتُها أبَدًا وَلَو سَحْباً عَلَى الْوَجَنَاتِ[٤]
لَكِن سَأهْدِي من حَفِيل تَحِيَّتِي لقَطِيْنِ[٥] تِلْكَ الدّار وَالْحُجُرَات
أزْكَى مِن الْمِسْك الْمُفَتَّق[٦] نَفْحَةً تَغْشَاه بِالآصَال وَالْبُكُرَاتِ
وَتَخُصُّه بِزَوَاكِي الصَّلَوَاتِ وَنَوامِي التَّسْلِيم والبَرَكَاتِ

الْبَابُ الرَّابِعُ – فِي حُكْمِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَالتَّسْلِيمِ وَفَرْضُ ذَلِكَ وَفَضِيْلَتِهِ وَفِيْهِ عَشْرَةُ فُصُولٍ.

(الْفَصْلُ الْأَوَّلُ)

مَعْنَى الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ﷺ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦].

---

[١] **اللَوْعَة**: هي شدة الحب والإشتياق، و**الصَّبَابَة**: هي رقة الشوق ولطف المحبة.

[٢] **مَحْجِر العَيْن** :ما أحاط بها،والمراد:جوانب العين.

[٣] **لأعفرنَّ**:من التعفير:وهو التَمَرُّغ بالتراب،و**الرَّشَفَاتِ**:مصُّ الريقِ،ويعني التقبيل.

[٤] **الْعَوَادِي** : جمع عادية، بمعنى مصيبة ، وما يعيقه دون الوصول إلى غايته،و**الأعادي**: جمع عدو، اي ضد الصديق،و**الوَجَنات**:أعلى الخَدّ.

[٥] **القَطِين**: هو الساكن أو المقيم.

[٦] **الْمِسْك الْمُفَتَّق**: هوالذي يخلط بغيره ،ليزداد طيبه .

http://mohhanoona.blogspot.com/

قَال أبو بَكْرٍ الْقُشَيْرِيِّ: الصَّلَاة مِن الله تَعَالَى لِمَن دُون النَّبِيِّ ﷺ رَحْمَةً ، وَلِلنَّبِيِّ ﷺ تَشْرِيْفٌ وَزِيَادَة تَكْرِمَة.

وَقَال أَبُو الْعَالِيَةِ: صَلَاة الله وَثَنَاؤُه عَلَيْه عِنْد الْمَلَائِكَة ، وَصَلَاة الْمَلَائِكَة الدُّعَاء ، فَأَمَر الله أصْحَابَه أن يُسَلّمُوا عَلَيْه ، وَكَذَلِك من بعْدَهُم أُمِرُوا أن يُسَلّمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ عِنْد حُضُورِهِم قَبْرَه ، وعند ذِكْرِه.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَفِي معني السَّلَام عَلَيْه ثَلَاثَة وُجُوه:

أحدهما : السَّلَامَة لَك وَمَعَك، وَيكُون السَّلَام مَصْدَرًا كَاللَّذَاذ وَاللَّذَاذَة.

الثَّانِي: أَي السَّلَام عَلَى حِفْظَك وَرِعَايَتِك مُتولٍ لَه وَكَفِيلٌ بِه ، وَيكُون هنا السَّلَام اسم اللَّه.

الثَّالِث: أَنّ السَّلَام بِمَعْنَي المُسَالمة لَه ، والانْقِيَادِ ، كَمَا قَال: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

(الفَصْلُ الثَّانِي)

حُكْمُ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ﷺ

اعْلَم أَنّ الصَّلَاة عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَرْضٌ عَلَى الجُمْلَةِ ، غَيْر محَدَّد بوَقْتٍ؛ لِأَمْر اللَّه تَعَالَى بِالصَّلَاة عَلَيْه ، وَحَمْل الْأَئِمَّة وَالْعُلَمَاء لَه عَلَى الْوُجُوب ، وَأَجْمَعُوا عَلَيْه.

وَحَكى أَبُو جَعْفَر الطَّبَرِيُّ: أَنّ مَحمِل الآيَةِ عِنْدَه عَلَى النَّدْبِ ، وَادَّعى فِيه الإجْمَاع ، وَلَعَلَّه فِيمَا زَاد عَلَى مَرَّة ، وَالْوَاجِب مِنْه الَّذِي يَسْقُط بِه الحَرَجُ ، وَمَأْثَم تَرْك الفَرْض مَرَّة، كالشَّهَادَة لَه بالنُّبُوَّة ،وَمَا عَدَا ذَلِك فَمَنْدُوب مُرَغَّب فِيه من سُنَن الْإِسْلَام وَشِعَار أَهْلِه.

وَأَمَّا فِي الصَّلَاةِ ، فَحَكَى الإِمَامَانِ أَبُو جَعْفَر الطَّبَرِيُّ ،وَالطَّحَاوِيُّ وَغَيْرهِمَا إِجْمَاع جَمِيع المُتَقَدِّمِين وَالمُتَأخِّرِين من عُلَمَاء الْأُمَّة عَلَى أَنّ الصَّلَاة عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي التَّشَهُّد غَيْر وَاجِبَة.

وَشَذَّ الشَّافِعِيُّ فِي ذَلِك ، فَقَال: مَنْ لَم يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْ بَعْدِه - التَّشَهُّد الآخِر - قَبْل السَّلَام فَصَلاتُه فَاسِدَة ، وَإِنْ صَلَّى عَلَيْه قَبْلَ ذَلِك لَم تُجْزِه ، وَلَا سَلَف لَه فِي هَذَا القَوْل ، وَلَا سُنَّة يَتَّبِعُهَا ، وَقَد بَالَغ فِي إنْكَار هَذِه المَسْأَلَة عَلَيْه

http://mohhanoona.blogspot.com/

لِمُخَالَفَتَه فِيهَا من تَقَدَّمَه جمَاعَةٌ وَشَنَّعُوا عَلَيْه الْخِلَاف فِيهَا ، مِنْهُم الطَّبَرِيُّ ، وَالْقُشَيْرِيُّ ، وَغَيْرُ وَاحِد.

وَقَال أَبُو بَكْر بن الْمُنْذِر: يُسْتَحَبّ أن لا يُصَلّي أَحَدٌ صَلَاةً إِلّا صَلَّى فِيهَا عَلَى رَسُول اللَّه ﷺ فإن تَرَك ذَلِك تَارِكٌ ، فَصَلاتُه مُجْزِئَة فِي مَذْهَب مَالِكٍ ، وَأَهْل الْمَدِينَةِ ، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَأَهْلُ الكُوفَةِ مِنْ أَصْحَابِ الرَّأْي وَغَيْرِهِم ، وَهُو قَوْلُ جُمَلَةُ أَهْل الْعِلْم .

وَحُكِي عَن مَالِكٍ وَسُفْيَانَ أَنَّهَا فِي التَّشَهُّد الآخِرِ مُسْتَحَبَّة ، وَأَنّ تَارِكَهَا في التَّشَهُّد مُسِئ ، وشَذَّ الشَّافِعِيُّ فَأَوْجَب عَلَى تَارِكِهَا فِي الصَّلَاة الإِعَادَة ، وَقَد خَالَف الْخَطَّابِيُّ - من أصْحَاب الشَّافِعِيّ- وَغَيْرُه الشَّافِعِيَّ فِي هَذِه المَسْأَلَة.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: وَلَيْسَت بِوَاجِبَةٍ فِي الصَّلَاة ، وَهُو قَوْلُ جمَاعَةِ الفُقَهَاء إِلَّا الشَّافِعِيّ ، وَلَا أعْلَم لَه فِيهَا قُدْوَة ، وَالدَّلِيْلُ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَت من فُرُوضِ الصَّلَاة عمَل السَّلَف الصَّالِح قَبْلَ الشَّافِعِيِّ، وَإِجْمَاعُهُم عَلَيْه، وَقَد شَنَّع النَّاس عَلَيْه هَذِه المسألة جِدّاً ، وَهَذَا تَشَهُّد ابْنُ مَسْعُودِ الَّذِي اخْتَارَه الشَّافِعِيُّ ، وَهُو الَّذِي عَلَّمَه لَه النَّبِيُّ ﷺ لَيْسَ فِيه الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، وَكَذَلِك كُلُّ من رَوَى التَّشَهُّد عَن النَّبِيّ ﷺ كَأَبِي هُرَيْرَة ، وَابْنِ عَبَّاس ، وَجَابِر ، وَابْنِ عُمَرَ ، وَأَبِي سَعِيد الْخُدْرِي ، وَأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ، وَعَبْد اللَّه بن الزُّبَيْر لَم يَذْكَرُوا فِيه صَلَاةً عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:**(كَان النَّبِيّ ﷺ يُعَلّمُنَا التَّشَهُّد كَمَا يُعَلّمُنَا السُّورَة مِن الْقُرْآن)**[1].

[1] رواه مسلم في صحيحه:١/٣٠٢،برقم: ٤٠٣ ، وأبو داود:١/٢٥٦،برقم: ٩٧٤.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَأَمَّا حَدِيثُ:(**لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**) [1] فَقَد ضَعَّف أَهْلُ الْحَدِيث كُلُّهم رِوايَة هَذَا الْحَدِيث ،وقَالَ ابْنُ القَصَّارِ: مَعْنَاه كَامِلَةً ، أَو لِمَن لَم يُصَلّ عَلِيّ مَرَّة فِي عُمُرِه.

وَأَمَّا حَدِيث أَبِي جَعْفَر عَن ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ :(**مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يُصَلِّ فِيهَا عَلَيَّ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِي، لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ**) [2] .

قَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ: الصَوابُ أَنَّهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي جَعْفَر مُحَمَّد بن الْحُسَيْن.

(الفَصْلُ الثَّالِثُ)

المَواطِنُ الَّتِي يُسْتَحَبُّ فِيْهَا الصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَيْهِ

١ - وَيُرَغَّب من ذَلِك **فِي تَشَهُّدِ الصَّلَاة** كَمَا قَدَّمْناه ، وَذَلِك بَعْد التَّشَهُّد وَقَبْلَ الدُّعَاءِ ،فَعَنْ فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ يَقُول: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِه ، فَلَم يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :(**عَجِلَ هَذَا**) ، ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ وَلِغَيْرِهِ: (**إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ لِيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ** ﷺ ، **ثُمَّ لِيَدْعُ بَعْدُ بِمَا شَاءَ**) [3] ،وَيُرْوَى مِنْ غَيْرِ هَذَا السَّنَد:(**بِتَمْجِيدِ اللهِ**) وَهُوَ أَصَحُّ.

٢ -وَمِن مَوَاطِن الصَّلَاة عَلَيْه **عِنْد ذِكْرِه وَسَمَاع اسْمِه ، أو حَدِيثِهِ ، أَو عِنْد الْآذَان** ، وَقَد قَال ﷺ :(**رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**) [4] .

---

[1] **ضعيف**،رواه ابن ماجه في سننه:١/١٤٠،برقم:٤٠٠،والحاكم في المستدرك:١/٤٠٢،برقم: ٩٩٢.

[2] أخرجه الدارقطني في العلل:٦/١٩٧،برقم: ١٠٦٦، من حديث جابر الجعفي ، عن أبي جعفر:محمد بن الحسين بن علي من قوله.

[3] **صحيح**، رواه الترمذي في سننه:٥/٥١٧،برقم: ٣٤٧٧،وأبو داود:٢/٧٧،برقم: ١٤٨١.

[4] **صحيح**، رواه الترمذي في سننه:٥/٥٥٠،برقم: ٣٥٤٥،وأحمد في مسنده:١٢/٤٢١،برقم: ٧٤٥١، (**رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ**):أي لصق أنفه بالرغام ،وهو التراب المختلط بالرمل.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَرَوَى النَّسَائِيُّ عَن أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ عَن النَّبِيِّ ﷺ: الْأَمْر بِالْإِكْثَار مِن الصَّلَاة عَلَيْه يَوْم الْجُمُعَة[1].

٣- وَمِن مَوَاطِن الصَّلَاة وَالسَّلَام عَلَيْه **عِنْد دُخُول الْمَسْجِد**، فعَنْ فَاطِمَةَ الكُبْرَى قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ المَسْجِدَ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: (**رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ**)، وَإِذَا خَرَجَ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: (**رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ**)[2]

٤-وَمِن مَوَاطِن الصَّلَاةِ الَّتِي مَضَى عَلَيْهَا عَمَل الْأُمَّة وَلَم تُنْكِرْهَا: **الصَّلَاة عَلَى النَّبِيّ ﷺ وآلِه فِي الرَّسَائِل** ، وَمَا يُكْتَبُ بَعْدَ البَسْمَلَةِ ، وَلَم يَكُن هَذَا فِي الصَّدْرِ الأَوَّل وَأُحْدِث عِنْد وِلايَة بَنِي هَاشِمْ ، فَمَضَى بِهِ عَمَل النَّاس فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ ، وَمِنْهُم من يَخْتِم بِه أَيْضًا الْكُتُب.

٥- وَمِن مَوَاطِن السَّلَام عَلَى النَّبِيِّ ﷺ **تَشَهُّد الصَّلَاة**: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (**إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلِ: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ ، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ ، السَّلامُ عَلَيْكَ أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السَّلامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ ، فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمُوهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**)[3].

وَاسْتَحَبّ أَهْل العِلمِ أَنْ يَنوِيَ الإِنْسَان حِين سَلَامِه كُلّ عَبْد صَالِح فِي السَّمَاء وَالْأَرْض مِن الْمَلَائِكَة وَبَنِي آدَم وَالْجِنّ.

---

[1] **صحيح**، رواه النسائي في سننه:٩١/٣،برقم: ١٣٧٤،وأبو داود:٢٧٥/١،برقم: ١٠٤٧.

[2] **صحيح**،رواه الترمذي في سننه:١٢٧/٢،برقم: ٣١٤،وابن ماجه:٢٥٣/١،برقم: ٧٧١.

[3] رواه البخاري في صحيحه:١٦٦/١،برقم: ٨٣١،ومسلم:٣٠١/١،برقم: ٤٠٢.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الفَصْلُ الرَّابِعُ)

فِي كَيْفِيَّةِ الصَّلاةِ عَلَيْهِ وَالتَّسْلِيمِ

عن أَبَي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ ، فَقَالَ: **(قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ)** [1].

وَفِي رِوَايَةٍ مَالِك عَن أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه ؛ قَالَ: **(قُولُوا: اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ)** [2].

وَفِي رِوَايَةِ كَعْب بن عُجْرَة رضي الله عنه: **(اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ)** [3].

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِي رضي الله عنه:**(اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ)** [4].

وَفِي رِوَايَةِ زيد بن خارِجَة الأَنْصَارِيّ رضي الله عنه : سَأَلْت النَّبِيّ ﷺ كَيْف نُصَلّي عَلَيْك؟ ، فَقَال: **(صَلُّوا وَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ ، ثُمَّ قُولُوا: اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كما باركت على إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ)** [5].

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:١٤٦/٤،برقم: ٣٣٦٩،ومسلم:٣٠٦/١،برقم: ٤٠٧.

[2] رواه مسلم في صحيحه:٣٠٥/١،برقم: ٤٠٥،والدارمي في سننه:٨٤٧/٢،برقم: ١٣٨٢.

[3] رواه البخاري في صحيحه:١٢٠/٦،برقم: ٤٧٩٧،ومسلم:٣٠٥/١،برقم: ٤٠٦.

[4] رواه البخاري في صحيحه:٧٧/٨،برقم: ٦٣٥٨،والنسائي في سننه:٤٩/٣،برقم: ١٢٩٣.

[5] **صحيح**،رواه أحمد في مسنده:٢٣٩/٣،برقم: ١٧١٤ ،والنسائي في سننه:٤٨/٣،برقم: ١٢٩٢.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَقَوْلُه :(**وَالسَّلَام كَمَا قَد عُلِّمْتُم**) هُو مَا عَلَّمَهُم فِي التَّشَهُّد مِنْ قَوْلِه :(**السَّلَامُ عَلَيْكَ أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ**) [1].

(الفَصْلُ الخَامِسُ)

فَضِيْلَةِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَيْهِ وَالدُّعاءُ لَهُ ﷺ

وعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو ﵁ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: (**إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**) [2] ، وعَن أَنَس بن مَالِك ﵁ أَنّ النَّبِيَّ ﷺ قال:(**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ**) [3]، وَعَن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﵁ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ:(**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ اذْكُرُوا اللَّهَ جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ**، قَالَ أُبَيٌّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ ، فَقَالَ: **مَا شِئْتَ** ، قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ، قَالَ: **مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ:**مَا شِئْتَ**،

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:١/١٦٦،برقم: ٨٣١،ومسلم:١/٣٠١،برقم: ٤٠٢.

[2] رواه مسلم في صحيحه:١/٢٨٨،برقم: ٣٨٤،وأبو داود في سننه:١/١٤٤،برقم: ٥٢٣ ، والترمذي:٥/٥٨٦، برقم: ٣٦١٤، والنسائي:٢/٢٥،برقم: ٦٧٨.

[3] **صحيح**،رواه النسائي في سننه:٣/٥٠،برقم: ١٢٩٧،والبخاري في الأدب:١/٢٢٣،برقم: ٦٤٢.

http://mohhanoona.blogspot.com/

فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ، قَالَ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا قَالَ: إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ)[1].

(الفَصْلُ السَّادِسُ)

ذَمٌّ مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وإِثْمُهُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :(رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الكِبَرَ فَلَمْ يُدْخِلَاهُ الجَنَّةَ)[2] ، وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:(الْبَخِيلُ الَّذِي ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فلم يُصَلِّ عَلَيَّ)[3]، وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا فَتَفَرَّقُوا عَنْ غَيْرِ صَلَاةٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا تَفَرَّقُوا عَلَى أَنْتَنِ مِنْ رِيحِ الْجِيفَةِ)[4]، وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (لَا يَجْلِسُ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَا يُصَلُّونَ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ لِمَا يَرَوْنَ مِنَ الثَّوَابِ)[5].

---

[1] **حسن**،رواه الترمذي في سننه:٤/٦٣٦،برقم: ٢٤٥٧،والحاكم في المستدرك:٢/٤٥٧،برقم: ٣٥٧٨.

[2] **صحيح**،رواه الترمذي في سننه:٥/٥٥٠،برقم: ٣٥٤٥،وأحمد في مسنده:١٢/٤٢١،برقم: ٧٤٥١.

[3] **صحيح**،رواه الترمذي في سننه:٥/٤٤٣،برقم: ٣٥٤٦،والبيهقي في الشعب:٣/١٣١،برقم: ١٤٦٥.

[4] **صحيح**،رواه النسائي في الكبرى:٩/٢٩،برقم: ٩٨٠٣،وعمل اليوم والليلة:١/١٦٤،برقم: ٥٨ ، والبيهقي في الشعب:٢/١٣٣،برقم: ١٤٦٩، (**الجِيْفَة**):الميتة.

[5] **صحيح**،رواه الترمذي في سننه:٥/٣٢٣،برقم: ٣٣٨٠،وأحمد في مسنده:١٥/٥٢٤،برقم: ٩٨٤٣.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الفَصْلُ السَّابِعُ)

تَخْصِيصِهِ ﷺ بِتَبْلِيغِ صَلَاةِ من صَلَّى عَلَيْه أَو سَلَّمَ مِنَ الأَنَامِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: **(مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ)** [1] ، وَعَنِ ابن مَسْعُود رضي الله عنه ، عَنْهُ ﷺ: **(إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ)** [2] ، وَعَنِ الْحَسَنِ رضي الله عنه عَنْهُ ﷺ :**(حَيْثُمَا كُنْتُمْ فَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي)** [3] ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي)** [4].

(الفَصْلُ الثَّامِنُ)

الإِخْتِلَافُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى غَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام

قَال الْقَاضِي وَفَّقَه اللهُ : عَامَّة أَهْل الْعِلْم مُتَّفِقُون عَلَى جَوَازِ الصَّلَاةِ عَلَى غَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ ،وعَن أَبِي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **(صَلُّوا عَلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ فَإِنَّ اللهَ بَعَثَهُمْ كَمَا بعثنى)** [5].

[1] **حسن**،رواه أبو داود في سننه:٢١٨/٢،برقم: ٢٠٤١ ،وأحمد في مسنده:٤٧٧/١٦،برقم: ١٠٨١٥.

[2] **صحيح**،رواه أحمد في مسنده:١٨٣/٦،برقم: ٣٦٦٦ ،والنسائي في سننه:٤٣/٣،برقم: ١٢٨٢ ،والدارمي:١٨٢٦/٣،برقم: ٢٨١٦ ،والحاكم في المستدرك:٤٥٦/٢،برقم: ٣٥٧٦.

[3] **صحيح**،رواه الطبراني في الكبير:٨٢/٣،برقم: ٢٧٢٩.

[4] رواه مسلم في صحيحه:٥٣٩/١،برقم: ٧٨٠،وأبو داود في سننه:٢١٨/٢،برقم: ٢٠٤٢.

[5] **صحيح**،رواه البيهقي في الدعوات:٢٦٣/١،برقم: ١٨٠ ،والشعب:٢٧٧/١،برقم: ١٣٠.

http://mohhanoona.blogspot.com/

والصَّلَاة فِي لِسَان العَرَب بمَعْنَي التَّرَحُّم والدُّعَاء ؛ وَذَلِك عَلَى الإطْلَاق حَتَّى يَمْنَع مِنْهُ حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ أَو إِجْمَاع، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾[الأحزاب:٤٣]، وَقَالَ: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[التوبة:١٠٣] ، وَقَالَ: ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾[البقرة:١٥٧] .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :(**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى**) ، وَكَانَ إِذَا أَتَاهُ قَوْمٌ بِصَدَقَتِهِم قَالَ:(**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ فُلَانٍ**) [١]، وَفِي حَدِيْثِ الصَّلاةِ:(**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ**) [٢]، وَفِي آخر:(**وَعَلَى آل مُحَمَّد**) [٣]، قِيل: أتْبَاعُه، وَقِيل: أمَّتُه ،وَقِيل: آل بَيْتِه ، وَقِيل: الْأَتْبَاع والرَّهْطُ والْعَشِيرَة ،وَقِيل: آلُ الرَّجُلِ: وَلَدُه ، وَقِيل: قَوْمُه ، وَقِيل: أَهْلُه الَّذِيْنَ حُرِّمَت عَلَيْهِم الصَّدَقَة.

قَال الْقَاضِي : وَالَّذِي ذَهَب إِلَيْه المُحَقِّقُونَ وَأمِيْلُ إِلَيْهِ ، مَا قَالَه مَالِكٌ وَسُفْيَانَ، وَرُوِيَ عَن ابْنِ عَبَّاسٍ، وَاخْتَارَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الفُقَهَاءِ وَالمُتَكَلّمِين : أنَّهُ لا يُصَلَّى عَلَى غَيْر الْأَنْبِيَاء عِنْد ذِكْرِهِم ؛ بَل هُوَ شَئٌ يُخْتَصُّ بِه الْأَنْبِيَاءُ تَوْقِيْراً وَتَعْزِيْزاً ، كَمَا يُخَصُّ اللهُ تَعَالَى عِنْدَ ذِكْرِهِ بِالتَّنْزِيهِ وَالتَّقْدِيْسِ وَالتَّعْظِيْم ، وَلَا يُشَارِكُهُ فِيْهِ غَيْرُهُ، كَذَلِكَ يَجِبُ تَخْصِيصُ النَّبِيِّ ﷺ وَسَائِر الْأَنْبِيَاء بِالصَّلَاة وَالتَّسْلِيم ، وَلَا يُشَارَك فِيه سِوَاهُم ، كَمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ بِقَوْلِه: ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦] .

---

[١] رواه البخاري في صحيحه:١٢٩/٢،برقم: ١٤٩٧،ومسلم:٧٥٦/٢،برقم: ١٠٧٨.

[٢] رواه البخاري في صحيحه:١٤٦/٤،برقم: ٣٣٦٩،ومسلم:٣٠٦/١،برقم: ٤٠٧.

[٣] رواه مسلم في صحيحه:٣٠٥/١،برقم: ٤٠٥،والدارمي في سننه:٨٤٧/٢،برقم: ١٣٨٢.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَيُذْكَر من سِوَاهُم مِن الْأَئِمَّة وَغَيْرِهِم بِالغُفْرَان وَالرِّضَى ، كَمَا قَال تَعَالَى: ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ [الحشر:١٠] وقال: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾[التوبة:١٠٠].

أيْضًا فَهُو أمْرٌ لَم يَكُن مَعْرُوفًا فِي الصَّدْر الأَوَّل ، كَمَا قَالَ أَبُو عِمْرَانَ مُوْسى بْنُ عِيْسى الفَاسِيُّ ؛ وَإِنَّمَا أحدَثَه الرَّافِضَة وَالمُتَشَيِّعَة فِي بَعْض الْأَئِمَّة ؛ فَشَارَكُوهُم عِنْد الذِّكْر لَهُم بِالصَّلَاة وَسَاوَوْهُم بِالنَّبِيِّ ﷺ فِي ذَلِك .

وأيْضًا: فَإِنّ التَّشَبُّه بِأَهْل الْبِدَعِ مَنْهِيٌّ عَنْه ، فَتَجِبُ مُخَالَفَتُهُم فِيمَا الْتَزَمُوه مِنْ ذَلِكَ ، وَذَكَرُ الصَّلَاةِ عَلَى الآلِ وَالْأَزْوَاجِ مَع النَّبِيِّ ﷺ بِحُكْمِ التَّبَعِ وَالْإِضَافَة إلَيْهِ لَا عَلَى التَّخْصِيصِ .

وَقَالُوا: وَصَلَاةُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى من صَلَّى عَلَيْه مَجْرَاهَا مَجْرَى الدُّعَاء وَالمُوَاجَهَةِ[1] لَيْس فِيهَا مَعْنَي التَّعْظِيم وَالتَّوْقِير.

قَالُوا: وَقَد قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾[النور :٦٣] ، فكذلك يَجِبُ أَن يَكُون الدُّعَاء لَه مُخَالِفًا لِدُعَاءِ النَّاسِ بَعْضُهُم لِبَعْض، وَهَذَا اخْتِيَار الْإِمَامِ أَبِي الْمُظَفَّرِ طَاهِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الإسفرَايِينِيُّ من شُيُوخِنَا، وَبِهِ قَالَ أَبُو عُمَرَ يُوسُفُ بنُ عَبْدِ البَرِّ.

---

[1] **المواجهة**:حُسْنُ المُقَابَلَة.

(الفَصْلُ التَّاسِعُ)

حُكْمُ زِيارَةِ قَبْرِهِ ﷺ وَفَضِيلَةِ مَنْ زَارَهُ وَسلَّمَ عَلَيْهِ وَكَيْفَ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ

وَزِيَارَةُ قَبْرِهِ ﷺ سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ الْمُسْلِمِينَ مُجْمَعٌ عَلَيْهَا، وَفَضِيلَةٌ مُرَغَّبٌ فِيْهَا.

وَقَال مَالِكٌ في المَبْسُوطِ : لَا أرَى أَن يَقِفَ عِنْد قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ يَدْعُو ، وَلكِن يُسَلِّمُ ويَمْضِي.

وَفِي المُوَطَّأ من رِوَايَة يحيى بن يَحْيَى اللَّيْثِيّ: أنَّ عبدَ اللهِ بنَ عُمَرَ كَان يَقِف عَلَى قَبْر النَّبِيِّ ﷺ فَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَى أَبِي بَكْرٍ ،وَعُمَرَ[1]، وَعِنْدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ العَتَقِيِّ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْلَمَةَ القَعْنَبِيِّ: وَيَدْعُو لأبي بَكْر وَعُمَر .

قَال مَالِكٌ فِي رِوَايَةِ عَبْد اللهِ بْنُ وَهْب: يَقُول المُسَلِّم : السَّلَامُ عَلَيْك أيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُه.

وَقَال مَالِكٌ فِي الْمَبْسُوط: وَلَيْس يَلْزَمُ مَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَخَرَج مِنْه من أَهْل الْمَدِينَة الْوُقُوف بِالْقَبْر وَإِنَّمَا ذَلِك لِلْغُرَبَاء.

وَقَال فِيه أيْضًا: لَا بَأسَ لِمَنْ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ أَو خَرَجَ إِلَى سَفَرٍ أَنْ يَقِفَ عَلَى قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَيُصَلِّي عَلَيْه وَيَدْعُو لَه وَلِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقِيل لَه : إنّ نَاسًا من أَهْل الْمَدِينَة لَا يَقْدُمُون من سَفَر، وَلَا يُرِيدُونَه يَفْعَلُون ذَلِك فِي الْيَوْم مَرَّةً أَو أكْثَرَ ، ورُبَّمَا وَقَفُوا فِي الْجُمُعَة أَو فِي الأَيَّامِ الْمَرَّة أَو الْمَرَّتَيْن أَو أكْثَر عِنْد الْقَبْر، فَيُسَلِّمُونَ وَيَدْعُونَ سَاعة، فَقَال: لَم يَبْلُغْنِي هَذَا عَن أَحَد من أَهْل الْفِقْه بِبَلَدِنَا وَتَرْكُه وَاسِعٌ ، وَلَا يُصْلِح آخِر هَذِه الْأُمَّة إلَّا مَا أصْلَح أوَّلَهَا ، وَلَم يَبْلُغْنِي عَن أَوَّل هَذِه الْأُمَّة وَصَدْرِهَا انهم كَانُوا يَفْعلُون ذَلِك: ويُكْرَه إلَّا لِمَن جَاء مِنْ سَفَر أَو أرادَه.

---

[1] رواه مالك في الموطأ:٢/٢٣١،برقم: ٥٧٤.

(الفَصْلُ العَاشِرُ)

آدَابُ دُخُولِ المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيْفِ ، وَفَضْلِهِ ، وَفَضْلِ المَدِيْنَةِ ، وَمَكَّةَ.

قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة:١٠٨]

رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ : أَيُّ مَسْجِدٍ هُوَ؟ ، قَالَ: (**مَسْجِدِي هَذَا**) [١] ، وَهُوَ قَوْلُ سَعِيدُ بْنُ المُسَيَّبِ ، وَزَيْدُ بْن ثَابِت ، وَابْنُ عُمَرَ ، وَمَالِكُ بْن أَنَسٍ وَغَيْرِهِم.
وَعَن ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ مَسْجِدُ قُبَاءَ [٢].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَمَسْجِدِي هَذَا ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى**) [٣].

وَعَن عَبْد اللَّه بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاص رضي الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: (**أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**) [٤].

وَقَال مَالِكٌ رحمه الله : سَمِع عُمَر بن الْخَطَّاب رضي الله عنه صَوْتًا فِي الْمَسْجِد فَدَعَا بِصَاحِبه ، فَقَال مِمَّن أنت؟ ، قَال: رَجُل مِنْ ثَقِيف، قَال: لَو كُنْت من هَاتَيْن الْقَرْيَتَيْن لِأَدَّبْتُك ، إنّ مَسْجِدَنَا لَا يُرْفَع فِيهِ الصَّوْتُ [٥].

---

[١] رواه مسلم في صحيحه:١٠١٥/٢،برقم: ١٣٩٨ ، والنسائي في سننه:٣٦/٢،برقم: ٦٩٧.

[٢] أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره:١٨٨١/٦،والبيهقي في الدلائل:٢٦٢/٥.

[٣] رواه البخاري في صحيحه:٦٠/٢،برقم: ١١٨٩، ومسلم:١٠١٤/٢،برقم: ١٣٩٧.

[٤] **صحيح** ، رواه أبو داود في سننه:١٢٧/١،برقم: ٤٦٦، والبيهقي في الدعوات:١٢٩/١،برقم: ٦٨.

[٥] رواه البخاري في صحيحه:١٠١/١،برقم: ٤٧٠،من حديث السائب بن يزيد.

http://mohhanoona.blogspot.com/

قال مُحَمَّد بن مَسْلمَةَ: لَا يَنْبَغِي لأحَدٍ أَنْ يَعْتَمِدَ[1] الْمَسْجِد بِرَفْعِ الصَّوْتِ وَلا بِشَيءٍ مِنَ الْأَذَى ، وأن يُنَزَّه عَمَّا يُكْرَه.

قَال الْقَاضِي:حَكَى ذَلِك كُلَّهُ الْقَاضِي إِسْمَاعِيْلُ بْنُ اسْحَاقَ الأَزْدِيُّ فِي مَبْسُوطِه فِي بَابِ فَضْلِ مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ ،وَالْعُلَمَاءُ كُلُّهُم مُتَّفِقُون أَنَّ حُكْمَ سَائِر الْمَسَاجِدِ هَذَا الحُكْم.

وَعَن أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه عَنْه ﷺ :(**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**)[2].

وَقَال ﷺ :(**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ**)[3] ، وَمِثْلُهُ عَن أَبِي هُرَيْرَة ، وَأَبِي سَعِيد وَزَاد:(**وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي**)[4]، وَفِي حَدِيث آخَر: (**مِنْبَرِي عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ الْجَنَّةِ**)[5].

وَرَوَى ابن عُمَر وَجَمَاعَة مِن الصَّحَابَة : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي الْمَدِينَة:(**لَا يَصْبِرُ عَلَى لأْوَائِهَا وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا ، أَوْ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)[6].

---

[1] **يَعتمِدَ**:يقصدَ.

[2] رواه البخاري في صحيحه:٦٠/٢،برقم:١١٩٠،ومسلم:١٠١٢/٢،برقم: ١٣٩٤.

[3] رواه البخاري في صحيحه:٦١/٢،برقم:١١٩٥،ومسلم:١٠١٠/٢،برقم: ١٣٩٠.

[4] رواه البخاري في صحيحه:٦١/٢،برقم: ١١٩٦،ومسلم:١٠١١/٢،برقم: ١٣٩١.

[5] **صحيح**،رواه أحمد في مسنده:٣٣٧/١٤،برقم: ٨٧٢١،والنسائي في الكبرى:٢٦٢/٤،برقم: ٤٢٧٤، (**تُرعةٌ**): المكان المرتفع.

[6] رواه مسلم في صحيحه:١٠٠٤/٢،برقم: ١٣٧٧،والترمذي في سننه:٧١٩/٥،برقم: ٣٩١٨، (**اللَّأْواء**):الشدة والأمر العظيم.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَقَالَ فَيمَنْ تَحَمَّلَ عَنِ الْمَدِينَةِ: (**وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**)[1]، وَقَال: (**إِنَّمَا الْمَدِينَةُ كَالْكِيرِ تَنْفِي خَبَثَهَا وَيَنْصَعُ طِيبُهَا**)[2] .

وَقَال: (**لَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنَ الْمَدِينَةِ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَبْدَلَهَا اللَّهُ خَيْرًا مِنْه**)[3] .

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه : (**مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا**)[4] ، وَقَال تَعَالَى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾[آل عمران:٩٦-٩٧] ، قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: ﴿آمِنًا ﴾مِن النَّارِ ، وَقِيل: كَان يَأْمَن مِن الطَّلَبِ مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا خَارِجًا عَن الْحَرَم وَلَجَأ إِلَيْه فِي الْجَاهِلِيَّة، وَهَذَا مِثْل قَوْلِه: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾[البقرة:١٢٥] عَلَى قَوْلِ بَعْضِهِمْ.

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:٢١/٣،برقم: ١٨٧٥،ومسلم:١٠٠٨/٢،برقم: ١٣٨٨،(**تَحَمَّلَ عَن المَدينة**):رَحل عنها وفارقها.

[2] رواه البخاري في صحيحه:٢٢/٢،برقم: ١٨٨٣،ومسلم:١٠٠٦/٢،برقم: ١٣٨٣،(**الكير**):جهاز من جلد أو نحوه يستخدمه الحَدَّاد وغيره للنفخ في النار لإذكائها، (**يَنْصَعُ**) :أي يصفو ويخلص ويتميز، ومعنى الحديث: أنه يخرج من المدينة من لم يَخْلُصُ إيمانه ، ويبقي فيها من خَلُصَ إيمانه.

[3] رواه مسلم في صحيحه:٩٩٢/٢،برقم: ١٣٦٣،وأحمد في مسنده:١٤١/٣،برقم: ١٥٧٣.

[4] **صحيح**،رواه الترمذي في سننه:٧١٩/٥،برقم: ٣٩١٧، وابن ماجه:١٠٣٩/٢،برقم: ٣١١٢.

http://mohhanoona.blogspot.com/

القِسْمُ الثَالِث

فِيْمَا يَجِبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَمَا يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّهِ أَوْ يَجُوزُ عَلَيْهِ وَمَا يَمْتَنِعُ أَوْ يَصِحُّ مِنَ الْأَحْوَالِ الْبَشَرِيَّةِ أو يُضَافُ إِلَيْهِ.

فِي بَابَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَعِشْرِيْنَ فَصْلاً.

البَاب الأَوّل – في ما يَخْتَصُّ بِالْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَالْكَلَامُ فِي عِصْمَةِ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِم أَجمَعِيْنَ، وَفِيْهِ ثَلاثَةَ عَشَرَ فَصْلًا.

(الْفَصْلُ الأَوَّلُ)

عِصْمَةُ الأَنبِيَاءِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ مِنْ الجَهلِ بِاللّهِ وَصِفَاتِهِ .

أَمَّا عِصْمَتَهُم من هَذَا الْفَنِّ قَبْل النُّبُوَّة فَلِلنَّاس فِيه خِلَافٌ ، وَالصَّوَابُ أَنَّهُم مَعْصُومُونَ قَبْل النُّبُوَّة مِن الْجَهْل بِالله وَصِفَاتِه وَالتَّشَكُّك فِي شَئٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَد تَعَاضَدَت الْأَخْبَار وَالآثَارِ عَنِ الْأَنبِيَاء بِتَنْزِيهِهِم عَنْ هَذِهِ النَقِيْصَةُ مُنْذ وُلِدُوا وَنَشْأتِهِم عَلَى التَّوحِيد وَالْإِيمَان ؛ بَل عَلَى إِشْرَاقِ أَنوَارِ المَعَارِفِ وَنَفَحَاتِ أَلْطَافِ السَّعَادَة.

وَلَم يَنْقُل أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الأَخْبَارِ أَنَّ أَحَداً نُبِئَ وَاصْطُفِيَ مِمَّن عُرِف بِكُفْرٍ وَإِشْرَاكٍ قَبْل ذَلِك ، وَمُسْتَنَد هَذَا الْبَاب النَّقْل ، وَقَد اسْتَدَلّ بَعْضُهُم بِأَنَّ الْقُلُوبَ تَنْفِر عَمَّن كَانَت هَذِه سَبِيلُه .

وَأَنَا أَقُولُ: إِنَّ قُرَيْشًا قَد رَمَت نَبِيَّنَا بِكُلّ مَا افْتَرتْه، وَعَيَّرَ كُفَّار الْأُمَم أَنْبِيَاءَهَا بِكُلّ مَا أَمْكَنَهَا وَاخْتَلَقَتْه ، مِمَّا نَصَّ اللَّه تَعَالَى عَلَيْه ، أَو نَقَلَتْه إِلَيْنَا الرُّوَاة وَلَم

http://mohhanoona.blogspot.com/

نَجِد فِي شَيءٍ مِنْ ذَلِكَ تَغْيِيْرَاً لِوَاحِدٍ مِنْهُم بِرَفْضِهِ آلِهَتَه ، وَتَقْرِيعِه[1] بِذِمَّة بِتَرْك مَا كَان قَد جَامَعُهُم عَلَيْه[2].

وَلَو كَان هَذَا لَكَانُوا بِذَلِك مُبَادِرِين ، وبِتَلَوُّنِه فِي مَعْبُوْدِهِ مُحْتَجِّيْنَ ، وَلَكَانَ تَوْبِيْخُهُمْ لَهُ بِنَهْيِهِم عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ قَبْلُ أَفْظَعَ وَأَقْطَعَ فِي الحُجَّةِ مِنْ تَوْبِيخِهِ بِنَهْيِهِم عَن تَرْكِهِم آلِهَتَهُم وَمَا كَان يَعْبُد آبَاؤُهُم من قَبْلُ.

فَفِي إِطْبَاقِهِم[3] عَلَى الْإِعْرَاض عَنْه دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُم لَم يَجِدُوا سَبِيلًا إِلَيْه؛ إِذ لَو كَانَ لنُقِل ، وَلَمَا سَكَتُوا عَنْه؛ كَمَا لَم يَسْكُتُوا عِنْد تَحْوِيْلِ القِبْلَةِ ، وَقَالُوا: ﴿مَا وَلَّاهُم عَن قِبْلَتِهِم التِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٢] كَمَا حَكَاه اللهُ عَنْهُم.

وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِك وَقَد أَتَاه جِبْرِيل عليه السلام ، وَشَقّ قَلْبَه صَغِيرًا ، وَاسْتَخْرَج مِنْه عَلَقَة ، وَقَالَ: هَذَا حظ الشيطان مِنْكَ ، ثُمَّ غَسَلَه وَمَلَأَه حِكْمَة وَإِيمانًا ؛ كَمَا تَظَاهَرَت بِه أَخْبَار المَبْدإ[4].

وَلَا يُشَبَّهُ عَلَيْك بِقَوْل إِبْرَاهِيم فِي الْكَوْكَب وَالقَمَر وَالشَّمْس ﴿هَذَا رَبِّي﴾ [الأنعام:٧٦] فَقَدْ ذَهَبَ مُعْظَمُ الحُذَّاقِ مِن الْعُلَمَاء وَالْمُفَسِّرِين إِلَى أَنَّه إِنَّمَا قَالَ ذَلِك مُبَكِّتًا لِقَوْمِه وَمُسْتَدِلًا عَلَيْهِم.

وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّه لَم يَعْبُد شَيْئًا من ذَلِك ، وَلَا أَشْرَكَ قَطُّ بِاللهِ طَرْفَة عَيْن؛ قَوْل اللَّه عَزّ وَجَلّ عَنْه : ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء:٧٠] ، ثم قَالَ: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ ، فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:٧٥-٧٧] ،

---

[1] **تقريعه**:لَوْمِهِ وَتَوبِيخِهِ.

[2] **جَامَعُهُم عَلَيْه**:وافقهم عليه.

[3] **إِطْبَاقِهِم**:إجماعهم.

[4] رواه مسلم في صحيحه:١٤٧/١،برقم: ١٦٢،والحاكم في المستدرك:٥٧٥/٢،برقم: ٣٩٤٩، وأحمد في مسنده:٢٥١/١٩،برقم: ١٢٢٢١.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَقَال: ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[الصافات:٧٤] ؛ أَي مِنَ الشِّرْكِ، وَقَوْلُه: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾[إبراهيم:٣٥] .

فَإِن قُلْت: فَمَا مَعْنَي قَوْلِه: ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينْ﴾[الأنعام:٧٧] ؟

قِيل: إِنَّهُ إِنْ لَم يُؤَيِّدْنِي بِمَعُونَتِه أكُن مِثْلَكُم فِي ضَلَالَتِكُم وَعِبَادَتِكُم عَلَى مَعْنَي الإِشْفَاق وَالحَذَر ، وَإِلَّا فَهُو مَعْصُومٌ فِي الأَزَلِ مِنَ الضَّلَالِ.

فِإن قُلْتَ فَمَا مَعْنَي قَوْلِه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾[إبراهيم:١٣] ، ثُمّ قَال بَعْدَ ذَلِكَ عَن الرُّسُل: ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾[الأعراف:٨٩]؟

فَلَا يُشْكل عَلَيْك لَفْظَة العَوْد ، وَأنَّهَا تَقْتَضِي أَنَّهُم إِنَّمَا يَعُودُونَ إِلَى مَا كَانُوا فِيه من مِلَّتِهِم ، فَقَد تَأْتِي هَذِه اللَّفْظَة فِي كَلَام الْعَرَب بِمَعْنَي الصَّيْرُورَة ، كَمَا جَاءَ فِي حَدِيث الجَهَنَّمِيينَ:(**عَادُوا حمَمًا**) [1] ، وَلَم يَكُونُوا قَبْلُ كَذَلِك.

فَإِنّ قُلْتَ فَمَا مَعْنَى قَوْلُهُ: ﴿وَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى﴾[الضحى:٧]؟، فَلَيْس هُو مِن الضَّلال الَّذِي هُو الكُفْر؛ فَقِيل : ضَالًا عَن النُّبُوَّة فَهَدَاك إِلَيْهَا، وَقِيل: وَجَدَك بَيْن أَهْل الضَلَال فَعَصَمَك من ذَلِك ، وَهَدَاك بالإيمان وَإِلَى إرْشَادِهِم ، وَقِيل: ضَالًا عَن شَرِيعَتِك ، أَي لَا تَعْرِفُهَا فَهَدَاك إِلَيْهَا، وَالضَّلَال هنَا التَّحَيُّر؛ وَلِهَذَا كَانَ ﷺ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاء فِي طَلَب مَا يَتَوَجَّه بِه إِلَى رَبَّه وَيَتَشَرَّع بِه حَتَّى هَدَاه اللَّه إِلَى الْإِسْلَام .

وَقِيل: لَا تَعْرِف الْحَقّ فَهَدَاك إِلَيْه، وَهَذَا مِثْل قَوْلِه تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾[النساء:١١٣].

---

[1] رواه البخاري في صحيحه: ١٣/١،برقم: ٢٢،ومسلم: ١٦٧/١،برقم: ١٨٣.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَكَذَلِك فِي قِصَّة مُوسَى عليه السلام قَوْله: ﴿فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّين﴾ [الشعراء:٢٠] ؛ أي مِن المُخْطِئِين الْفَاعِلِين شَيْئًا بِغَيْر قَصْد.

وَقَال الْأَزْهَرِيّ: مَعْنَاه مِن النَّاسِين، وَقَد قِيل ذَلِك فِي قَوْلِه: ﴿وَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى﴾ ؛ أَي نَاسِيًا كَمَا قَال تَعَالَى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢].

فإن قُلْتَ: فَمَا مَعْنَي قَوْلِه: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢]؟

فالجَواب: أَنَّ الإِمَامَ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمْرَقَنْدِيِّ قَالَ: مَعْنَاه مَا كُنْت تَدْرِي قَبْل الْوَحْي أن تَقْرَأ الْقُرْآن ، وَلَا كَيْف تَدْعُو الخَلْق إِلَى الْإِيمَان.

وَقَال بَكْرُ بْنُ العَلاءِ الْقَاضِي نَحْوَه؛ قَال: وَلَا الْإِيمَان الَّذِي هُو الْفَرَائض وَالأحْكَام ، فكان مُؤْمِنًا بِتَوْحِيدِه ، ثُمّ نَزَلَت الْفَرَائِضُ التِي لَم يَكُن يَدْرِيهَا قبلُ ، فَزَاد بِالتَّكْلِيف إيمَانًا وَهُو أحْسَن وَجُوهِه.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا مَعْنَي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف:٣]؟

فاعْلَم أنَّه لَيْس بمعنى قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ [يونس:٧]؛ بَل حَكى أَبُو عَبْد اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحمَد الهَرَوِيُّ : أَنّ مَعْنَاه لَمِن الْغَافِلِين عَن قِصَّةِ يُوسُفَ إِذْ لَم تَعْلَمهَا إِلّا بِوَحْينَا.

وَكَذَلِك المَعْرُوفُ مِنْ سِيْرَتِهِ صلى الله عليه وسلم وَتَوفِيْقِ اللهِ لَهُ ؛ أَنَّهُ كَانَ قَبْلَ نُبُوَّتِهِ يُخَالفُ المُشْرِكِيْنَ فِي وُقُوفِهِم بِمُزْدَلِفَةَ فِي الحَجِّ فَكَانَ يَقِفُ هُو بِعَرَفَةَ لِأَنَّه كَانَ مَوْقِفَ إِبْرَاهِيم عليه السلام.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الفَصْلُ الثَّانِي)

مَعْرِفَةُ الأَنْبِيَاءِ بِأُمُورِ الدُّنْيَا وَالدِّيْنِ

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْل وَفَّقَه اللَّه: قَد بَان بِمَا قَدَّمنَاهُ عُقُود[1] الْأَنْبِيَاء فِي التَّوْحِيد وَالْإِيمَان وَالَوحَي ، وَعِصْمَتُهُم فِي ذَلِك عَلِيّ مَا بَيّنَّاه، فَأَمَّا مَا عَدَا هَذَا الْبَاب من عُقُود قُلُوبهِم فَجِمَاعُهَا: أَنَّهَا مَمْلُوءَةٌ عِلْماً وَيَقِيْناً عَلَى الجُمْلَةِ، وَأَنَّهَا قَد احتَوَتْ مِن المَعْرِفَةِ وَالعِلْمِ بِأُمُورِ الدِّيْنِ وَالدُّنْيَا مَا لاَ شَئَ فَوْقَهُ ، وَمَنْ طَالَعَ الأَخبَارَ ، وَاعتَنَي بِالحَدِيْثِ ، وَتأمل مَا قُلْنَاهُ وَجَدَهُ.

فَأَمَّا مَا تَعلَّقَ مِنْهَا بِأَمرِ الدُّنْيا ، فَلا يُشْتَرَطُ فِي حَقّ الْأَنْبِيَاء العِصْمَةُ مِنْ عَدَمِ المَعْرِفَةِ بِبَعْضِهَا أَو اعتِقَادِهَا عَلَى خِلَاف مَا هِي عَلَيْه ، وَلَا وَصْمَ[2] عَلَيْهِم فِيْهِ إِذْ هِمَمُهُمْ مُتَعَلِّقَةٌ بِالآخِرَةِ وَأَنبَائِهَا ، وَأَمْرُ الشَّرِيْعَةِ وَقَوَانِيْنِهَا، وَأُمُورِ الدُّنْيَا تُضَادُّهَا[3] بِخِلَافِ غَيْرِهِم من أَهْل الدُّنْيَا الَّذِيْنَ: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم:٧] .

ولَكِنَّهُ لَا يُقَالُ إِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَإِنَّ ذَلِكَ يُؤَدِي إِلَى الغَفْلَةِ وَالبَلَه[4]، وَهُمُ المُنَزَّهُوْنَ عَنْه ؛ بَل قَد أُرْسِلُوا إِلَى أَهْلِ الدُّنْيَا ، وَقُلِّدُوا سِيَاسَتَهُم وَهِدَايَتَهُم ، وَالنَظَرَ فِي مَصَالِحِ دِيْنِهِم وَدُنْيَاهُم ؛ وَهَذَا لَا يَكُون مَع عَدَمِ الْعِلْم بأمور الدُّنْيَا بِالكُلِيَّةِ، وَأَحوَالُ الْأَنْبِيَاء وَسِيَرُهُم فِي هَذَا الْبَابِ مَعْلُومَةٌ وَمَعْرِفَتُهُمْ بِذَلِك كُلِّهِ مَشْهُوْرَةٌ .

وَأَمَّا إِنّ كَان هَذَا العقد مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالدِّيْنِ فَلَا يَصِحُّ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ إِلّا الْعِلْمُ بِهِ ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْه جَهْلُهُ جُمْلَةً ؛ لِأَنَّه لَا يَخْلُو أَنْ يَكُونَ حَصَلَ عِنْدَه ذَلِك عَن

---

[1] **عُقُود**:جمعُ عَقْدٍ،وهو الإعتقادُ الجازم.

[2] **لا وَصْمَ**:لا عيب.

[3] **تُضَادُّهَا**:تُخالفها.

[4] **البَلَه**:بلادة الذهن ،وعدم الإدراك ،مع الغفلة الشديدة.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَحْيٍ مِن اللهِ ، فَهُو مَا لَا يَصِحُّ الشَّكُ مِنْه فِيهِ عَلَى مَا قَدَّمنَاهُ فَكَيْفَ الجَهْلُ؟!! ؛ بَل حَصَلَ لَه الْعِلْمُ اليَقِيْن ، أَو يَكُونَ فَعَلَ ذَلِك بِاجتِهَادِهِ فِيمَا لَم يَنْزِل عَلَيْهِ فِيْهِ شَئ ، عَلَى القَوْلِ بِتَجوِيْزِ وُقُوعِ الاِجتِهَادِ مِنْهُ فِي ذَلِك عَلَى قَوْلِ المُحَقِّقِيْنَ ، وَعلَى مُقْتَضَى حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَة :(**فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلاَ يَأْخُذْهَا)** [1] .

وكَقِصَّة أَسْرَى بَدْر، وَالإِذْنِ للْمُتخَلِّفين، وَلَا يَكُونُ أيضًا مَا يَعْتَقِدُهُ مِمَّا يُثْمِرُهُ اجتِهَادُهُ إِلَّا حَقَّاً وَصَحِيْحَاً.

هَذَا هُو الْحَقّ الَّذِي لَا يُلْتَفَتُ إِلى خِلَافِ مَنْ خَالَفَ فِيهِ مِمَّن أَجَازَ عَلَيْهِ الخَطَأَ فِي الإِجْتِهَادِ ، لَا عَلَى القَوْلِ بِتَصوِيْبِ المُجتَهِدينَ الَّذِي هُو الْحَقُّ وَالصَّوَابُ عِنْدَنَا ، وَلَا عَلَى القَوْلِ الآخَرَ بِأَنَّ الْحَقَّ فِي طَرَفٍ وَاحِدٍ لِعصْمَةِ النَبيِّ ﷺ مِن الخَطَأ فِي الاِجْتِهَادِ فِي الشَّرْعِيَّات؛ وَلِأَنَّ الْقَوْلَ فِي تَخْطِئَة المُجْتَهِدِين إِنَّمَا هُو بَعْدَ اسْتِقْرَارِ الشَّرْع ، وَنَظَرُ النَّبِيِّ ﷺ وَاجْتِهادِهِ إِنَّمَا هُو فِيمَا لَم يُنْزَل عَلَيْه فِيْهِ شَئ وَلَم يُشْرَع لَه قَبْلُ، هَذا فِيْمَا عَقَدَ عَلَيْه قَلْبه ﷺ [2] .

أمَّا مَا لَم يَعْقِد عَلَيْه قَلْبَهُ مِن أَمْرِ النَّوازِل الشَّرْعِيَّة [3] ، فَقَد كَانَ لَا يَعْلَم مِنْهَا أَوَّلَا إِلَّا مَا عَلَّمَه اللهُ شَيْئًا شَيْئًا حَتَّى اسْتَقَرّ عِلْم جُمْلَتِهَا عِنْدَه ؛ إِمَّا بِوَحْي مِن اللهِ ، أَو إِذْنٍ أَنْ يَشْرَع فِي ذَلِك، وَيَحْكُم بِمَا أَرَاه اللهُ.

وَقَد كَان يَنْتَظِرُ الْوَحْيَ فِي كَثِيرٍ مِنْهَا ، وَلكِنَّه لَم يَمُتْ حَتَّى اسْتَفْرَغَ عِلْم [4] جَمِيعِهَا عِنْدَه ﷺ ، وَتَقَرَّرَت مَعَارِفُهَا لَدَيْه عَلَى التَّحْقِيق ، وَرَفْع الشَّكِّ وَالرَّيْب وَانْتِفَاء الجَهْل .

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:١٨٠/٣،برقم: ٢٦٨٠،ومسلم:١٣٣٧/٣،برقم: ١٧١٣.

[2] **عقَدَ عَلَيْه قَلْبَه**:أي عَزمَ عليه واستَقرَّ لديه.

[3] **النَّوَازِل**:هي القضايا التي تحدث ، وتحتاج لبيان الحكم الشرعي فيها.

[4] **اسْتَفْرَغ**:استوفى واستجمع.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَبالجُمْلَة فَلَا يَصِحّ مِنْهُ الجَهْلُ بِشَئٍ مِنْ تَفَاصِيلِ الشَّرْعِ الَّذِي أُمِرَ بِالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ ؛ إذ لَا تَصِحُّ دَعْوَتُهُ إِلى مَا لا يَعْلَمُهُ.

وَأَمَّا مَا تَعَلَّق بَعقْدِه مِنْ مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ[1] ، وَخَلْقِ اللهِ، وَتَعْيِيْنِ أسْمَائِه الْحُسْنى وَآيَاتِه الْكُبْرَى ، وَأُمُورِ الآخِرَةِ ، وَأشْرَاطِ السَّاعَةِ ، وأحْوَالِ السُّعَدَاءِ وَالأشْقِيَاءِ ، وَعِلْمُ مَا كَانَ ، وَمَا يَكُونُ مِمَّا لَم يَعْلَمْهُ إلا بِوَحْيٍ ، فَعَلى مَا تَقَدَّم مِنْ أنَّهُ مَعْصُومٌ فِيْهِ، لَا يَأْخُذُه فِيمَا أُعْلِم مِنْه شَكٌّ وَلَا رَيْب ؛ بَل هُو فِيهِ عَلَى غَايَةِ اليَقِين.

لَكِنَّهُ لَا يُشْتَرَط لَه الْعِلْم بِجَمِيع تَفَاصِيل ذَلِك ، وَإِنْ كَان عِنْدَه من عِلْم ذَلِك مَا لَيس عِنْد جَمِيع الْبَشَر ؛ لِقَوْلِه ﷺ:(**وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**)[2] ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[السجدة:١٧].

وَقَوْلُه ﷺ: (**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ**)[3] .

وَقَوْل مُوسَى لِلخِضْر: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[الكهف:٦٦]، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[يوسف:٧٦] ، قَالَ زَيْدُ بن أَسْلَم وَغَيْرُه: حَتَّى يَنْتَهِي الْعِلْم إِلَى اللَّهِ ، وَهَذَا مَا لَا خَفَاءَ بِهِ إذ مَعْلُومَاتُه تَعَالَى لا يُحَاط بِهَا ، وَلَا مُنْتَهى لَهَا.

---

[1] **بَعقْدِه مِنْ مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ**:أي بجزم قلبه فيما بَصَّره الله جل وعلا به من العلم بحقيقة الأجرام العلوية.

[2] رواه البخاري في صحيحه:١١٨/٤،برقم: ٣٢٤٤ ،ومسلم:٢١٧٤/٤،برقم: ٢٨٢٤.

[3] **صحيح**،رواه أحمد في مسنده:٢٤٦/٦،برقم: ٣٧١٢ ،والبزار:٣٦٣/٥،برقم:١٩٩٤،وأبو يعلى:١٩٨/٩،برقم: ٥٢٩٧ ،والحاكم في المستدرك:٦٩٠/١،برقم: ١٨٧٧.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الْفَصْلُ الثَّالِثُ)

فِي إِجْمَاعِ الأُمَّةِ عَلَى عِصْمَةِ النَبِيِّ ﷺ مِنَ الشَّيْطَانِ

وَاعَلم أَنّ الْأُمَّة مُجْمِعَةٌ عَلَى عِصْمة النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَكِفَايَتِه مِنْه ؛ لَا فِي جِسمِه بِأنْوَاع الأذَى ، وَلَا عَلَى خَاطِرِه بِالْوَسَاوِس.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :(**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ** ، قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ ، قَالَ: **وَإِيَّايَ وَلَكِنَّ اللَّهَ تعالى أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ**) [1] .

وَقَد جَاءَت الآثار بِتَصَدّي الشَّيَاطِين لَه فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ رَغْبَةً فِي إِطفَاءِ نُوْرِهِ ، وَإِماتَةِ نَفْسِهِ ، وَإِدْخَالِ شُغْلٍ عَلَيْهِ ؛ إِذ يئِسُوا من إغْوَائِه فانْقَلبُوا خَاسِرِينَ؛ كَتَعَرُّضِه لَهُ فِي صَلَاتِه فَأخَذَه النَّبِيُّ ﷺ وَأسَرَه، فَفِي الصَّحَاحِ عَنْه ﷺ :(**إِنَّ الشَّيْطَانَ عَرَضَ لِي فَشَدَّ عَلَيَّ لِيَقْطَعَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ، فَأَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنْهُ، فَذَعَتُّهُ وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُوثِقَهُ إِلَى سَارِيَةٍ حَتَّى تُصْبِحُوا، فَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:** ﴿رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ [ص: ٣٥] ، **فَرَدَّهُ اللَّهُ خَاسِئًا**) [2] .

وَفِي حَدِيث أَبِي الدَّرْدَاء عَنْه ﷺ :(**إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ إِبْلِيسُ جَاءَنِي بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِي، وَالنَّبِيُّ ﷺ فِي الصَّلَاةِ**) ، وَذَكَرَ تَعوذَهُ بِاللَّهِ مِنْهُ ، وَلَعْنِهِ لَهُ

---

[1] رواه مسلم في صحيحه:٢١٦٧/٤،برقم: ٢٨١٤،والدارمي في سننه:١٧٩٨/٣،برقم: ٢٧٧٦، رُوِي: (**فَأسْلَم**) بِضَم المِيم أَي : فَأسْلَم أَنَا مِنْه وَصَحَّح بَعْضُهُم هَذِه الرِّوَايَة وَرَجَّحَهَا ، وَرُوِي: (**فَأسْلَم**) يعني القَرِين أنَّه انْتَقَل عَن حَال كُفْرِه إِلَى الإِسْلَام فَصَار لَا يَأْمُر إِلَّا بِخَيْر كَالمَلكِ، وَهُو ظَاهِر الْحَدِيث، وَرَوَاه بَعْضُهُم: (**فَاسْتَسْلَم**).

[2] رواه البخاري في صحيحه:١٦٢/٤،برقم: ٣٤٢٣،ومسلم:٣٨٤/١،برقم: ٥٤١،(**فَذَعَتُّهُ**):أي خنقته،ودفعته،(**خَاسِئًا**):ذليلاً صاغراً.

(**ثُمَّ أَرَدْتُ آخُذُهُ**) ، وَذَكَرَ نَحْوَهُ ؛ وَقَال:(**لأَصْبَحَ مُوثَقًا يَتَلاعَبُ بِهِ وِلْدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ**) [1].

ولَمَّا لَم يَقْدِر الشَّيْطَانُ عَلَى أَذَاهُ بِمُبَاشَرَتِه تَسَبَّب بالتَّوَسُطِ إِلَى عِدَاه ؛ كَقَضِيَتِهِ مَعَ قُرَيْشٍ فِي الإئْتِمَار بِقَتْل النَّبِيِّ ﷺ وَتَصوُّرِهِ فِي صُورَة الشَّيْخ النَّجْدِيِّ ، وَمَرَّة أخْرَى فِي غَزْوَة بَدْرٍ [2] فِي صُورَة سُرَاقَة بنُ مَالِكٍ .

وَهُو قَوْله: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[الأنفال:٤٨].

وَمَرَّة يُنْذِرُ بِشَأنِه عِنْد بَيْعَة العَقَبَةِ، وَكُلُّ هَذَا فَقَد كَفَاه الله أمْرَه وَعَصَمَه ضُرَّه وَشَرَّه ، وَقَد قَالَ ﷺ :(**كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعُنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبَيْهِ بِإِصْبَعِهِ حِينَ يُولَدُ، غَيْرَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ذَهَبَ يَطْعُنُ فَطَعَنَ فِي الحِجَابِ**) [3].

وَقَالَ ﷺ حِينَ لُدَّ فِي مَرَضِهِ ، وَقِيل لَه: خَشِيْنَا أَنْ يَكُونَ بِكَ ذَاتُ الجَنْبِ ، فَقَالَ : (**إِنَّهَا مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَلَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُسَلِّطَهُ عَلَيَّ**) [1].

---

[1] رواه مسلم في صحيحه: ٣٨٥/١،برقم: ٥٤٢،(**الشهاب**):الشعلة الساطعة من النار.

[2] **غزوة بدر الكبرى** (١٧/رمضان/٢هـ):وسميت بذلك نسبة إلى بئر بدر الذي يقع بين مكة والمدينة ، وتسمى أيضاً بمعركة الفرقان ، وقعت هذه المعركة بين المسلمين وقريش بقيادة أبو جهل عمرو بن هشام المخزومي ، وكان عدد المشركين ألف رجلٍ ،وعدد المسلمين ثلاثمئة وثلاثة عشر ، أوثلاثمئة وتسعة عشر ، وانتهت بهزيمة المشركين فقتل منهم سبعين ، وأُسِرَ سبعين ،وأما المسلمون فقتل منهم أربعة عشر رجلاً من المهاجرين ،وثمانية من الأنصار.

[3] رواه البخاري في صحيحه: ١٢٥/٤،برقم: ٣٢٨٦،ومسلم:١٨٣٨،برقم: ٢٣٦٦،(**يَطْعَنُ**) يضرب، (**الحِجَاب**) الجلدة التي فيها الجنين ، وتسمى المشيمة، وقيل: الحجاب : الثوب الذي يُلَفُّ فيه المولود.

http://mohhanoona.blogspot.com/

فَإن قِيل: فَمَا مَعْنَي قَوْلِه تَعَالَى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ؟ . فَقَد قَال بَعْضُ الْمُفَسّرِين إنها رَاجِعَةٌ إِلَى قَوْلِه: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[الأعراف:١٩٩]، ثُمَّ قَال: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ﴾؛ أي يَسْتَخِفَّنَّك غَضَبٌ يَحْمِلُكَ عَلَى تَرْكِ الإِعْرَاضِ عَنْهُمْ ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ ، وَقِيلَ : النَزْغُ هُنَا الْفَسَادُ كَمَا قَال: ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾[يوسف:١٠٠] ، وَقِيْلَ: ﴿يَنْزَغَنَّكَ﴾؛ يُغْرِيَنَّكَ ، ويُحرِكَنَّكَ ، وَالنَزْغُ أَدْنَى الْوَسْوَسَة ، فأمَرَه اللَّه تَعَالَى أنَّه مَتَى تَحَرَّك عَلَيْه غَضَبٌ عَلَى عَدُوِّهِ ، أَو رَامَ الشَّيْطَان من إغْرَائِه بِه ؛ أنْ يَسْتَعِيذَ مِنْه فَيُكْفَى أمْرُه ، وَيَكُونُ سَبَبُ تَمَامِ عِصْمَتِهِ إذ لَم يُسَلَّط عَلَيْه بِأكْثَرَ مِنَ التَّعَرُّض لَهُ ، وَلَم يُجْعَل لَهُ قُدْرَةً عَلَيْهِ.

كَذَلِك لَا يَصِحُّ أن يَتَصَوَّرَ لَه الشَّيْطَانُ فِي صُورَة المَلَك ، وَيُلَبِّسَ[٢] عَلَيْه لَا فِي أَوَّل الرّسَالة وَلَا بَعْدَهَا، وَالاعْتِمَاد فِي ذَلِك عَلَى دَلِيل المُعْجِزة ؛ بَل لَا يَشُكُّ النَّبِيُّ أَنّ مَا يَأتِيه مِن اللَّه المَلَك وَرَسُولُه حَقِيقَة ؛ إمَّا بِعِلْم ضَرُورِي يَخْلُقُه اللَّه لَه ، أَو بِبُرْهَان يُظْهِرُه لديه؛ لِتَتمَّ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا، لَا مُبَدّل لِكَلِمَاتِه.

فَإن قِيل: فَمَا مَعْنَي قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج:٥٢] ؟

---

[١] **صحيح**،رواه أحمد في مسنده:٣٦٦/٤٣،برقم: ٢٦٣٤٦،واسحاق بن راهويه:٥٧٧/٢،برقم: ١١٥١،(**لُدَّ**): أي جُعِلَ في جانب فمه دواء بغير اختياره،(**ذَاتُ الجَنْبِ**) :هو التهاب غلاف الرئة فيحدث منه سعال وحمى ونخس في الجنب يزداد عند التنفس.

[٢] **يلبس**:يخلط.

http://mohhanoona.blogspot.com/

فَاعلَمْ أَنّ لِلنَّاس فِي مَعْنَي هَذِه الآيَة أقاوِيلٌ ، مِنْهَا السَّهْل ، وَالْوَعْث[1] ، وَالسَّمِين ، والغَثّ[2]، وَأوْلى مَا يُقَال فِيهَا: مَا عَلَيْه الجُمْهُورُ مِنَ المُفسِّرِيْنَ: أَنَّ (**التَمَنِّي**) هَاهُنَا: التِّلاوَة ، وَ(**إِلْقَاءُ الشَّيْطَانِ فِيهَا**)؛ إِشْغَاله بِخَوَاطِرَ وَأذْكَارٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنيَا لِلتَّالِي حَتَّى يُدْخِل عَلَيْه الْوَهْم وَالنّسْيَان فِيمَا تَلاهُ ، أَو يُدْخِل غَيْرَ ذَلِك عَلَى أفهَامِ السَّامِعِين مِن التَّحْرِيْفِ ، وَسُوءِ التَّأوِيلِ مَا يُزِيلُه الله وَيَنْسَخُه وَيَكْشِف لَبْسَه وَيُحْكم آياتِه.

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّد مَكِّيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي قِصَّة أَيُّوبَ وَقَوْلُه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾[ص:٤١] ؛ أَنَّهُ لاَ يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَأَوَّلَ أَنّ الشَّيْطَانَ هُو الَّذِي أَمْرَضَهُ ، وَأَلْقَى الضُّرَّ فِي بَدَنِه ، ولا يَكُون ذَلِك إِلَّا بِفِعْل اللَّه وَأمْرِه؛ لِيَبْتَلِيَهُم وَيُثِيبهُم.

قَال مَكِّيٌّ: وَقِيل: إِنّ الَّذِي أَصَابَهُ الشَّيْطَانُ مَا وَسْوَسَ بِهِ إِلَى أَهلِهِ.

فَإِنْ قُلْت: فَمَا مَعْنَي قَوْلِه تَعَالَى عَن يُوشَعَ: ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكهف:٦٣] ، وَقَوْلُه عَن يُوسُفَ : ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾[يوسف:٤٢] ، وَقَوْل مُوسَى عليه السلام فِي وَكْزَتِه: ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾[القصص:١٥]،وقَوْل نَبِيَّنَا ﷺ حِين نَام عَن الصَّلَاة يَوْم الْوَادِي: (**إِنَّ هَذَا وَادٍ بِهِ شَيْطَانٌ**)[3] ؟.

فاعْلَم أَنّ هَذَا الْكَلَام قَد يَرِدُ فِي جَمِيعِ هَذا عَلَى مَوْرِدِ مُسْتَمِرٍّ كَلَام الْعَرَب[4] فِي وَصْفِهِم كُلَّ قَبْحٍ مِنْ شَخْصٍ أَو فَعْلٍ بالشَّيْطَانِ أَو فِعْلِه ؛ كَمَا قَال تَعَالَى:

---

[1] **الوَعث**:العسير الفهم.

[2] **الغَثّ**:الردئ الفاسد من كل شئ.

[3] **صحيح**،رواه مالك في الموطأ:٢/٢٠،برقم: ٣٦،ت:الأعظمي.

[4] **مَوْرِدِ مُسْتَمِرٍّ كَلَام الْعَرَب**:أي مجرى دأبهم ،ومطرد عادتهم.

http://mohhanoona.blogspot.com/

﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّيَاطِينِ ﴾[الصافات:٦٥] ، وَقَال ﷺ: **(فَلْيُقَاتِلْهُ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ)** [١] ، وَأَيضَاً فَإِنّ قَوْل يُوشَع لَا يَلْزَمُنَا الجواب عَنْه، إذ لَم يَثْبُت لَه فِي ذَلِك الوَقْت نُبُوَّةٌ مَعَ مُوسَى، قَال اللهُ تَعَالَى: ﴿ وإذ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ ﴾[الكهف:٦٠] وَالمَرْوِيُّ أنّه إنَّمَا نُبِئَ بَعْد مَوْتِ مُوسَى ، وَقِيل: قُبَيْل مَوْتِه، وقولُ مُوسَى كَان قَبْل نُبُوَّتِه بِدَلِيل الْقُرْآن ، وَقِصَّةُ يُوسُفَ قَد ذُكِرَ أنَّهَا كَانَت قَبْل نُبُوَّتِه.

وَقَد قَالَ المُفَسِّرُونَ فِي قوله: ﴿ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ﴾[يوسف:٤٢] ، قَوْلَيْن:

أحَدُهُمَا: أَنّ الَّذِي أنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّه أَحَدَ صَاحِبَيِّ السِّجْنِ ، وَرَبُّه المَلك: أَي أنْسَاه أَنّ يَذْكُر لِلْمَلِك شَأْنَ يُوسُفَ عليه السلام.

وَأَيضَاً ، فَإنّ مِثْل هَذَا مِنْ فِعْلِ الشَّيْطَان لَيْس فِيه تَسَلُّطٌ عَلَى يُوسُف ويُوشَع بِوَسَاوِسَ وَنَزْغٍ ؛ وَإِنَّمَا هُو بِشُغْلِ خَوَاطِرِهُمَا بِأُمُورٍ أُخَر ، وَتَذْكِيرِهما من أُمُورِهِمَا مَا يُنْسِيهِمَا مَا نَسِيَاهُ.

وَأَمَّا قَوْله ﷺ: **(إنَّ هَذَا وَادٍ بِهِ شَيْطَانٌ)** فَلَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ تَسَلُّطِهِ عَلَيْهِ ، وَلَا وَسْوَسَتِه لَه ؛ بَل إنّ كَان بِمُقْتَضى ظَاهِرِه فَقَد بَيَّنَ أمْر ذَلِك الشَّيْطَان بِقَوْلِه: **(إنَّ الشَّيْطَانَ أَتَى بِلالًا فَلَمْ يَزَلْ يُهَدِّئُهُ كَمَا يُهَدَّأُ الصَّبِيُّ حَتَّى نَامَ)** [٢] ، فَاعْلَم أَنَّ تَسَلُّطَ الشَّيْطَانِ فِي ذَلِك الْوَادِي إنَّمَا كَانَ عَلَى بِلالٍ الْمُوَكَّل بِكَلاءَة [٣] الْفَجْرِ، هَذَا إنْ جَعَلْنَا قَوْله: **(إنَّ هَذَا وَادٍ بِهِ شَيْطَانٌ)** تَنْبِيهًا عَلَى سَبَب النَّوْم عَنِ الصَّلَاة، وَأَمَّا إنّ جَعَلْنَاه تَنْبِيهًا عَلَى سَبَب الرَّحِيل عَن الْوَادِي وَعِلَّةٌ لِتَرْك الصَّلَاة بِه

---

[١] رواه البخاري في صحيحه: ١/١٠٧،برقم: ٥٠٩،ومسلم: ١/٣٦٢،برقم: ٥٠٥.

[٢] **صحيح**،رواه مالك في الموطأ: ٢/٢٠،برقم: ٣٦،ت:الأعظمي،(**يُهَدِّئُهُ**):يُسَكِّنُهُ،ويُنَوِّمُهُ..

[٣] **الكِلاَءَة**:الحفظ والحراسة،والمقصود به هنا:إيقاظهم لصلاة الفجر.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَهُو دَلِيل مَسَاق حَدِيث زَيْد بن أسْلَم[1]، فَلَا اعْتِرَاضَ بِه فِي هَذَا الْبَاب لِبَيَانِه ، وارتِفَاعِ إِشْكَالِهِ.

(الْفَصْلُ الرَّابِعُ)

صِدْقُ أَقْوَالِهِ ﷺ فِي جَمِيْعِ أَحوَالِهِ

وَأَمَّا أقْوَالُه ﷺ فَقَد قَامَت الدَّلائِل الْوَاضِحَةُ بصحَّة المُعْجِزَة عَلَى صِدْقِه ، وَأَجْمَعَت الْأُمَّة فِيمَا كَان طَرِيقُه البَلاغُ[2] أنَّه مَعْصُوم فِيه مِنَ الإِخبَارِ عَنْ شَيءٍ مِنْهَا بِخِلَاف مَا هُو بِه لَا قَصْدًا وَلَا عَمْدًا ، وَلَا سَهْوًا وَلَا غَلَطًا .

أَمَّا تَعمُّد الخُلْفُ[3] فِي ذَلِك فمنْتَفٍ بِدَلِيل المُعْجِزَةِ القائِمَة مَقَام قول اللهِ: صَدَقَ فِيمَا قَالَ ، اتّفَاقًا، وَبِإطْبَاق أَهْل المِلَّة إجْماعًا.

وَفِي حَدِيث عَبْد اللهِ بْنِ عَمْرٍو قُلْت: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَأَكْتُبُ كُلَّ مَا أَسْمَعُ مِنْكَ؟ قَال :**نَعَم**، قُلْتُ فِي الرِّضَى وَالْغَضَبَ؟ ، قَالَ: **نَعَمْ** ، **فَإِنِّي لا أَقُولُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَّا حَقًّا)**[4] .

وَلْنَزِدْ مَا أَشَرْنَا إِلَيْه من دَلِيل الْمُعْجِزَة عَلَيْه بَيَانًا ؛ فَنَقُول: إِذَا قامت الْمُعْجِزَة عَلَى صَدْقِه ، وَأنَّه لا يَقُول إِلَّا حَقًّا ، وَلا يُبَلِّغ عَنِ اللهِ إِلَّا صِدْقًا ، وَأَنَّ

[1] ومساق الحديث هو: عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، أَنَّهُ قَالَ: عَرَّسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً بِطَرِيقِ مَكَّةَ. وَوَكَّلَ بِلاَلاً أَنْ يُوقِظَهُمْ لِلصَّلاَةِ. فَرَقَدَ بِلاَلٌ وَرَقَدُوا. حَتَّى اسْتَيْقَظُوا وَقَدْ طَلَعَتْ عَلَيْهِمُ الشَّمْسُ، فَاسْتَيْقَظَ الْقَوْمُ، وَقَدْ فَزِعُوا. فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَرْكَبُوا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْ ذَلِكَ الْوَادِي، وَقَالَ: (**إِنَّ هَذَا وَادٍ بِهِ شَيْطَانٌ**)، فَرَكِبُوا حَتَّى خَرَجُوا مِنْ ذَلِكَ الْوَادِي. ثُمَّ أَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَنْزِلُوا، وَأَنْ يَتَوَضَّئُوا. وَأَمَرَ بِلاَلاً أَنْ يُنَادِيَ بِالصَّلاَةِ، أَوْ يُقِيمَ. فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاسِ.تقدم تخريجه.

[2] **البَلاغ**:التبليغُ عن ربِّهِ ما أوحيَ إليه.

[3] **الخُلْفُ**: الإخبار عن شئ بخلاف ما هو عليه.

[4] **صحيح**،رواه أبو داود في سننه:٣١٨/٣،برقم: ٣٦٤٦،والدارمي:٤٢٩/١،برقم: ٥٠١،وأحمد في مسنده:٤٠٦/١١،برقم: ٦٨٠٢ ،والحاكم في المستدرك:١٨٦/١،برقم: ٣٥٧.

http://mohhanoona.blogspot.com/

الْمُعْجِزَة قَائِمة مَقَام قَوْل اللَّه لَه: صَدَقْتَ فِيمَا تَذْكُره عني ، وَهُو يَقُول: ﴿ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[الأعراف:١٥٨]؛ لأَبَلِّغَكُم مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إليكم ، وَأُبَيِّنَ لَكُمْ مَا نُزِّلَ عَلَيْكُمْ، ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى ﴾[النجم:٣-٤] وَ ﴿ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾[النساء:١٧٠]، ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾[الحشر:٧].

فَلَا يَصِحُّ أَنْ يُوجَدَ مِنْهُ فِي هَذَا الْبَابِ خَبَرٌ بِخِلَافِ مُخْبَرِهِ عَلَى أَيِّ وَجْهٍ كَانَ، فَلَوْجَوَّزْنَا عَلَيْهِ الْغَلَطَ وَالسَّهْوَ لَمَا تَمَيَّزَ لَنَا مِنْ غَيْرِهِ ولاختَلَطَ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ، فَالْمُعْجِزَةُ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى تَصْدَيقِهِ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنْ غَيْرِ خُصُوصٍ ، فَتَنزِيْهِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ ذَلِك كُلَّه وَاجِبٌ بُرْهَانًا وَإِجْماعًا.

(الْفَصْلُ الْخَامِسُ)

دَفْعُ بَعْضِ الشُبُهَاتِ

وَقَد تَوَجَّهَت ههُنا لِبَعْض الطاعِنِينَ سُؤالات ؛ مِنْهَا:

مَا رُوِي مِنْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا قَرَأَ سُورَة ﴿ وَالنَّجْم ﴾ ، وَقَالَ: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخرَى ﴾[النجم:١٩-٢٠] ، قَالَ: **(تِلْك الغَرَانِيق العُلى وَإِنّ شَفَاعَتَهَا لَتُرْتَجى)**[١] ،وَيُرْوَى:**(تُرْتَضَى)**، وَفِي رِوَايَةٍ: **(إِن شَفَاعَتَهَا لَتُرْتَجَى، وإِنَّهَا لَمَع**

[١] وقصَّةُ الغرانيق كذب مفترى، لا أساس لها من الصحة كما ذكره غير واحدٍ،ولا عبرة بمن قوَّاها وأوَّلها كابن حجر في شرح الهمزية،وصحَّ من هذه القصة قراءة سورة النجم،وسجود المسلمين والكافرين،وليس فيها ذكر الغرانيق أصلاً،وروى قصة الغرانيق الطبراني في الكبير:٥٣/١٢،برقم: ١٢٤٥٠،والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة:٨٩/١٠،برقم:٨٤، والبزار في مسنده:٢٩٦/١١،برقم: ٥٠٩٦،وأشار أبو الفرج الجوزي في القُصَّاص والمُذكرين إلى أنه موضوع :٣١٢/١،والفَتَّني في تذكره الموضوعات:٨١/١،**(الغرانيق)**:الأصنام.

http://mohhanoona.blogspot.com/

الغَرَانِيق العُلى) ، وَفِي أُخْرَى: **(وَالغَرَانِقَة العُلَى تِلْك الشَّفَاعَة تُرْتَجى)**، فَلَمَّا خَتَمَ السُّورَة سَجَد ، وَسَجَد مَعَه الْمُسْلِمُون وَالكُفَّارُ لَمَّا سَمِعُوه أَثْنَى عَلَى آلِهتِهِم ، وَمَا وقَع فِي بَعْض الرِّوَايَاتِ أَنّ الشَّيْطَان أَلقَاهَا عَلَى لِسَانِه ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَان يَتَمَنَّى أَنّ لَو نَزَل عَلَيْه شئ يُقَارِب بَيْنَه وَبَيْن قَوْمِه.

وَفِي رِوَايَة أُخْرَى: **(أَنّ لا يَنْزِل عليه شئ يُنَفِّرُهُم عَنْه)** ، وَذَكَر هَذِه الْقِصَّة ، وَأَنّ جِبْرِيل عليه السلام جَاءَه فَعَرَضَ عَلَيْه السُّورَة، فَلَمّا بَلَغ الكلمتين ، قال له: مَا جئْتُك بِهاتَيْن، فَحَزِن لِذَلِك النَّبِيُّ ﷺ ، فأنْزل الله تَعالَى تَسْلِيَة لَه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[الحج:٥٢] ، وَقَوْلُه: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ، وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾[الإسراء:٧٣-٧٤]

وَمِنَ المَآخِذِ عَلَى هَذا الحَدِيْثِ: أَنّ هَذَا الحَدِيث لَم يُخَرِّجه أَحَدٌ من أَهْل الصّحَّة ، وَلَا رَوَاه ثِقَةٌ بِسَنَدٍ سَلِيمٍ مُتّصِل ؛ وَإِنَّمَا أُولِعَ به[1] وَبمِثْلِه الْمُفَسِّرُونَ وَالْمُؤَرِّخُون الْمُولَعُون بِكُلّ غَريبٍ ، الْمُتَلَقِّفُونَ مِنَ الصُّحُفِ كُلَّ صَحِيْحٍ وَسَقِيم.

وَمِن حُكِيَت هَذِه الحِكَايَة عَنْه مِن الْمُفَسِّرِينَ وَالتَّابِعِين لَم يُسْنِدْهَا أَحَدٌ مِنْهُم وَلَا رَفَعَهَا إِلَى صَاحِبٍ ، وَأَكْثَر الطُّرُق عَنْهُم فِيهَا ضَعِيفَة وَاهِيةٌ ، وَالمَرْفُوع فِيه حَدِيث شُعْبَة عَن أَبِي بِشْرٍ عَن سَعِيد بن جُبَيْر عَن ابن عَبَّاسٍ قَال: فِيمَا أَحْسِبُ الشَّكَ فِي الْحَدِيث : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَان بِمَكَّة وَذَكَر الْقِصَّةَ .

[1] أُولِعَ به: تَعلَّق به .

http://mohhanoona.blogspot.com/

قَال أَبُو بَكْرٍ أَحمَدُ بْنُ عَمْرِو الْبَزَّار:هَذَا الْحَدِيث لَا نَعْلَمُه يُرْوَى عَن النَّبِيِّ ﷺ بِإسْنَاد مُتَّصِلٍ يَجُوز ذِكْرُه إلَّا هَذَا وَلَم يُسْنِدْه عَن شُعْبَة إلَّا أُمَيَّةَ بْنَ خَالِدٍ وَغَيْرُه يُرْسِلُه عَن سَعِيد بن جُبَيْر ، وَإِنَّمَا يُعْرَف عَن الكَلْبِيِّ عَن أَبِي صَالِحٍ عَن ابْنِ عَبَّاسٍ .

فَقَد بَيْن لَك أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ الله أنَّه لَا يُعْرَف من طَرِيق يَجُوز ذِكْرُه سِوَى هَذَا. وَفِيه مِن الضَّعْف مَا نَبَّه عَلَيْه ، مَع وُقُوعِ الشَّكِّ فِيه كَمَا ذَكَرْنَاه الَّذِي لا يُوثَق بِه وَلَا حَقِيقَة مَعَه، وَأَمَّا حَدِيثُ الْكَلْبِيِّ فمِمَّا لَا تَجُوز الرِّوايَةُ عَنْهُ ، وَلَا ذِكْرُه لِقُوَّة ضَعْفِه وَكَذِبِه كَمَا أشَار إلَيْه الْبَزَّار رَحِمَه الله.

وَالَّذِي مِنْهُ فِي الصَّحِيْحِ[1] أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ وَالنَّجْمِ وَهُوَ بِمَكَّةَ فَسَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ، هَذَا تَوْهِينُهُ مِنْ طَرِيقِ النَّقْلِ.

فَأَمَّا من جِهة الْمَعْنَى ؛ فَقَد قَامَت الْحُجَّة وَأَجْمَعت الأُمَّة عَلَى عِصْمَتِه ﷺ وَنزَاهتِه عَن مِثْلِ هَذِهِ الرَّذِيْلَة[2] ؛ إمَّا من تَمَنِّيه أن يُنْزَل عَلَيْه مِثْل هَذَا مِنْ مَدْحِ آلِهةً غَيْرَ اللَّه ، وَهُو كُفْر ، أَو أن يَتَسَوَّر[3] عَلَيْه الشَّيْطَان ، وَيُشَبَّه عَلَيْه الْقُرْآن[4] حَتَّى يَجْعلَ فِيه مَا لَيْس مِنْه وَيَعْتقَدَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ مِن الْقُرْآن مَا لَيْس مِنْه حَتَّى يُنَبِّهه جِبْرِيلُ عليه السلام وَذَلِك كُلُّه مُمْتَنِع فِي حَقِّهِ ﷺ أَو يَقُول ذَلِك النَّبِيُّ ﷺ من قِبَل نَفْسِه عَمْدًا - وَذَلِك كُفْرٌ - أَو سَهْوًا وهو مَعْصُومٌ مِنْ هَذا كُلِّهِ .

وَقَد قَرَّرْنا بِالبَرَاهِين وَالإجْماع عِصْمَتَه ﷺ من جَرَيانِ الْكُفْرِ عَلَى قَلْبِه أَو لِسَانِه لَا عَمْدًا وَلَا سَهْوًا ، أَو أَنْ يَتَشَبَّه عَلَيْه مَا يُلْقِيه الْمَلَك مِمَّا يُلْقي الشَّيْطَانُ ، أَو يَكُون لِلشَّيْطَان عَلَيْه سَبِيلٌ ، أَو أَنْ يَتَقَوَّلَ عَلَى الله لَا عَمْدًا وَلَا سَهْوًا مَا

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:٢/٤١،برقم: ١٠٧١،والترمذي في سننه:٢/٤٦٤،برقم: ٥٧٥.

[2] **الرذيلة**:الخصلة الذميمة.

[3] **يَتَسَوَّر**:يتسلَّط.

[4] **يُشَبَّه عَلَيْه الْقُرْآن**:أي يختلط عنده ، ويلتبس القرآن بغيره.

http://mohhanoona.blogspot.com/

لم يُنْزَّلَ عَلَيْه وَقَد قَال اللَّه تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ، فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾[الحاقة:٤٤-٤٦] ، وقال تَعَالَى: ﴿ إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾[الإسراء:٧٥].

وَوَجْه ثان ؛ وَهُو اسْتِحَالة هَذِه الْقِصَّة نَظَرًا وَعُرْفًا ؛ وَذَلِك أَنّ هَذَا الْكَلَام لَو كَان كَمَا رُوِيَ لَكَانَ بَعِيْدَ الإِلْتِئَام ، مُتَنَاقِض الْأَقْسَام ، مُمْتَزِج المَدح بالذَمِّ ، مُتَخاذِل التَّأْلِيف وَالنَّظْم ، وَلَمَّا كَان النَّبِيُّ ﷺ وَلا مَنْ بِحَضْرَتِه مِن الْمُسْلِمِين وَصَنَادِيد المُشْرِكِين مِمَّن يَخْفى عَلَيْه ذَلِك ، وَهَذَا لَا يَخْفَى عَلَى أَدْنى مُتَأَمِّلٍ فَكَيْف بِمَن رَجَحَ حِلْمُه وَاتَّسَع فِي بَابِ الْبَيَان وَفَصِيح الْكَلَامِ عِلْمُه.

وَوَجْه ثالث ؛ أنَّه قَد عُلِمَ مِنْ عَادَةِ المُنَافِقِين ، وَمُعَانِدِي المُشْرِكِين ، وضَعَفَةِ الْقُلُوبِ ، وَالجَهَلَةِ مِن المُسْلِمِين نُفُورُهُم لأَوَّلِ وَهْلَةٍ، وَتَخْلِيط الْعَدُوّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ لِأَقَلّ فِتْنَة ، وَتَعْيِيرُهُم المُسْلِمِين وَالشَّمَاتَة بِهِم الْفَيْنَة بَعْد الْفَيْنَة ، وَارْتِدَاد مَنْ فِي قَلْبِه مَرَضٌ مِمَّن أَظْهَرَ الإِسلَامَ لأَدنى شُبْهَة ، وَلَم يَحْكِ أَحَدٌ فِي هَذِه الْقِصَّة شَيْئًا سِوَى هَذِه الرِّوَايَة الضَّعِيفَة الْأَصْلِ ، وَلَو كَان ذَلِك لَوَجَدَت قُرَيْش بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِين الصَّوْلَة[١] ، وَلأَقَامَت بِهَا الْيَهُود عَلَيْهِم الْحُجَّة ؛ كَمَا فَعَلُوا مُكَابَرَةً فِي قِصَّة الْإِسْرَاءِ حَتَّى كَانَت فِي ذَلِكَ لِبَعْضِ الضُّعَفَاءِ رِدَّة ، وَكَذَلِك مَا رُوِي فِي قِصَّة القضِيَّة[٢] وَلَا فِتْنَةٌ أَعْظَمُ مِنْ هَذِه البَلِيَّة لَو وُجِدَت ، وَلَا تَشْغِيبٌ[٣] للمُعَادِي حِينئذ أَشَدُّ مِنْ هَذِه الحَادِثَة لَو أَمْكَنَت ، فَمَا رُوِي عَن مُعَانِد

---

[١] **الصَّولة**:الإستطالة والقهر.

[٢] **القَضِيَّة**:أي صلح الحديبية.

[٣] **التَشْغِيب**:تهييجُ الفِتْنَة وَالشَّر.

http://mohhanoona.blogspot.com/

فِيهَا كَلِمةً ، وَلَا عَن مُسْلِم بِسَبَبِهَا بِنْت شَفَة[1] ، فَدَلّ عَلَى بُطْلِها واجْتثَاثِ أَصْلِهَا.
وَلَا شَكَّ فِي إدْخَال بَعْض شَيَاطِين الإنسِ أو الجِنِّ هَذَا الْحَدِيثَ عَلَى بَعْضِ مُغَفَّلي المُحَدِّثِيْنَ لِيُلَبِّسَ[2] بِه عَلَى ضُعَفاء الْمُسْلِمِين.

فإن قُلْت: فَمَا مَعْنَي مَا رُوِي: أَنّ عَبْد اللهِ بْنَ أَبِي سَرْحٍ كَانَ يَكْتُب لِرَسُول اللَّه ﷺ ، ثُمّ ارْتَدَّ مُشْرِكًا ، وَصَار إِلَى قُرَيْشٍ ، فَقَال لَهُم: إنّي كُنْت أُصرِّفُ مُحَمَّدًا حَيْث أُرِيد؛ كَان يُمْلِي عَلِيَّ (**عَزِيْزٌ حَكِيْم**) ، فَأَقُولُ: أَو (**عَلِيم حَكِيم**)؟ ، فَيَقُول: نَعم ، كُلٌّ صَوَاب[3].
وَفِي حَدِيث آخَر: فَيَقُول لَه النَّبِيُّ ﷺ :(**اكْتُبْ كَذَا**) ، فَيَقُولُ:(**أَكْتُبُ كَذَا**)،فَيَقُولُ: (**اكْتُبْ كَيْفَ شِئْتَ**) ، وَيَقُولُ: (**اكْتُبْ عَلِيمًا حَكِيمًا**) ، فَيَقُولُ: (**أَكْتُبْ سَمِيعًا بَصِيرًا**)؟ ، فَيَقُولُ لَهُ: اكْتُبْ كَيْفَ شِئْتَ.
وَفِي الصَّحِيحِ[4] :عَنْ أَنَسٍ ﷺ : أَنَّ نَصْرَانِيًّا كَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ بَعْدَمَا أَسْلَمَ ، ثُمَّ ارْتَدَّ ، وَكَانَ يَقُولُ: مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ إِلَّا مَا كَتَبْتُ لَهُ.
اعلَمْ ثَبّتَنَا اللَّه وَإِيّاكَ عَلَى الْحَقّ ، وَلَا جَعَل لِلشّيْطَان وَتَلْبِيسِه الْحَقّ بِالبَاطِل إِلَيْنَا سَبِيلًا ؛ أَنّ مِثْل هَذِهِ الحِكَايَةِ أَوّلاً لَا تُوقِع فِي قَلْب مُؤمِن رَيْبًا إذ هِي حِكَايَةٌ عَمَّن ارْتَدَّ وَكَفَرَ بِاللهِ ، وَنَحْن لَا نَقْبَل خَبَر المُسْلِمِ الْمُتَّهم فَكَيْفَ بِكَافِرٍ افْتَرَى هُوَ وَمِثْلُه عَلَى اللهِ وَرَسُولِهِ مَا هُو أَعْظَم من هَذَا؟!! .
وَالْعَجَبُ لِسَلِيمِ العَقْل يَشْغَلُ بِمِثَل هَذِه الحِكَايَة سِرَّه ، وَقَد صَدَرَت من عَدُوٍّ كَافِرٍ مُبْغِضٍ للدِّيْنِ مُفْتَرٍ عَلَى اللهِ وَرَسُولِه ، وَلَم يَرِد عَلَى أَحَدٍ مِنَ المُسْلِمِيْنَ

---

[1] **بِنْتُ شَفَة**:أي كلمة.

[2] **لِيُلَبِّسَ**:ليُخَلِّطَ.

[3] رواه أحمد في مسنده:٢٤٧/١٩،برقم: ١٢٢١٥،وأبو داود:٥٠٩/٣،برقم: ٢١٣٢.

[4] رواه البخاري في صحيحه:٢٠٢/٤،برقم: ٣٦١٧،ومسلم:٢١٤٥/٤،برقم: ٢٧٨١.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَلا ذَكَر أَحَد مِن الصَّحَابَة؛ أَنَّه شَاهَد مَا قَالَهُ وَافْتَرَاه عَلَى نَبِيِّ اللَّه ، وَإِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤمِنُون بِآيات اللَّه ، وَأُولئِك هُم الْكَاذِبون.

وَمَا وَقَعَ مِنْ ذِكْرِهَا فِي حَدِيث أَنَسٍ ﷺ وَظَاهِر حِكَايَتِهَا ، فَلَيْسَ فِيه مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّه شَاهَدَها ، وَلَعَلَّه حَكى مَا سَمِع ، وَقَد عَلَّل البَزَّارُ حَدِيثه ذَلِك ، وَقَال: رَوَاه ثَابِتٌ عَنْه وَلَم يُتَابَع عَلَيْه، وَرَوَاه حَمِيد عَن أَنَسٍ ، قَال: وَأَظُنُّ حُمَيدًا إنَّمَا سَمِعَه من ثابت.

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الفَضْلِ وَفَّقَه اللَّه: وَلِهَذا وَاللهُ أَعْلَم لَم يُخَرِّجْ أَهْلُ الصَّحِيحِ حَدِيثَ ثابتٍ وَلَا حُمَيْدٍ ، و الصَّحِيحُ حَدِيثِ عَبْد العَزِيزِ بن رُفَيعٍ عَن أَنَس ﷺ الَّذِي خَرَّجَه أَهْل الصِّحَّة وَذَكَرْنَاهُ، وَلَيْس فِيه عَن أَنَسٍ قَوْلُ شَيءٍ مِنْ ذَلِكَ مِن قبَلِ نَفْسِه إلَّا من حِكَايَتِه عَن المُرْتَدّ النّصْرَانيّ.

فَإِنْ قُلْت: فَمَا مَعْنَي قَوْلِه ﷺ فِي حَدِيث السَّهْو عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ﷺ يَقُولُ: **(صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلاةَ الْعَصْرِ ، فَسَلَّمَ فِي رَكْعَتَيْنِ ، فَقَامَ ذُو الْيَدَيْنِ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَقُصُرَتِ الصَّلاةُ أَمْ نَسِيتَ؟ ،فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ)**[1] ، وَفِي الرِّوَايَة الأخْرَى: **(مَا قَصَرْتُ الصَّلَاةَ وَمَا نَسِيتُ...)**[2] الْحَدِيث بِقِصَّتِه ؛ فأخْبَرَ بِنَفْي الحَالَتَيْن ، وَأَنَّهَا لَم تَكُن ، وَقَد كَان أَحَدَ ذَلِك كَمَا قَال ذُو اليَدَيْن: **(قَد كَانَ بَعضُ ذَلِكَ يَا رَسُول اللَّه)**.

قَال الْقَاضِي أَبُو الْفَضْل وَفَّقَه اللَّه: وَالَّذِي أَقُولُ وَيَظْهَرُ لِي أَنَّهُ أقْرَبُ مِنْ هَذِه الْوُجُوهِ كُلِّهَا: أَنَّ قَوْله لَم أنْسَ إنْكَارٌ لِلَّفْظ الذي نَفَاه عَن نَفْسِه ، وَأَنْكَرَه عَلَى غَيْرِه بِقَوْلِه: **(بِئْسَمَا لأَحَدِكُمْ أَنْ يَقُولَ نَسِيتُ آيَةَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنَّهُ نُسِّيَ)** [3] ،

---

[1] رواه البخاري في صحيحه: ١٠٣/١،برقم: ٤٨٢ ،ومسلم: ٤٠٤/١،برقم: ٥٧٣، واللفظ له.

[2] رواه البخاري في صحيحه: ١٠٣/١،برقم: ٤٨٢ ،ومسلم: ٤٠٣/١،برقم: ٥٧٣.

[3] رواه البخاري في صحيحه: ١٩٣/٦،برقم: ٥٠٣٢ ،ومسلم: ٥٤٤/١،برقم: ٧٩٠.

http://mohhanoona.blogspot.com/

فَلَمّا قَالَ لَه السَّائِل: أَقُصِرَتِ الصَّلَاةُ أَمْ نَسِيتَ؟ ، أَنْكَر قَصْرَهَا كَمَا كَانَ ، وَنِسْيَانُه هُوَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ ، وَأَنَّه إِنْ كَانَ جَرَى شَئٌ مِنْ ذَلِكَ فَقَد نُسِّيَ حَتَّى سَأَلَ غَيْرَهُ فَتَحَقَّقَ أَنَّهُ نُسِّيَ ،وَأُجْرِيَ عَلَيْه ذَلِك لِيَسُنَّ ؛ فَقَوْلُه عَلَى هَذَا :(**لَم أنسَ وَلَم تُقْصَر**) ، وَ(**كُلّ ذَلِك لَم يَكُن**) صِدْقٌ وَحَقٌ لَم تُقْصَر ، وَلَم يَنْس حَقِيقَة وَلَكِنَّه نُسِّيَ لِيَسُنَّ.

وَأَمَّا قِصَّةُ كَلِمَاتِ إِبْرَاهِيمَ الْمَذْكُورَةُ أنها كَذِباتُهُ الثَّلَاث[1] المَنْصُوصَةُ فِي الْقُرْآن مِنْهَا اثْنَتَان قَوْله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣] ، وَقَوْلُه لِلْمَلِك عَن زَوْجَتِه: إِنَّهَا أُخْتي!

فاعْلَم أكْرَمَكَ اللَّهُ أَنَّ هَذِهِ كُلَهَا خَارِجَةٌ عَنِ الكَذِبِ ؛ لَا فِي القَصْد ؛ وَلَا فِي غَيْرِه ، وَهِي دَاخِلَة فِي بَابِ المَعَارِيضِ[2] التي فِيهَا مَنْدُوحَةٌ عَن الكَذِب[3].

وَأَمَّا قَوْله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]،أي سَقِيمُ الْقَلْبِ بِمَا أُشَاهِدُهُ مِنْ كُفْرِكُمْ وَعِنَادِكُمْ، أو سَقِيمُ بِمَعنى سَأَسْقَمُ لأَنَّ كُلَّ مَخْلُوقٍ مُعَرَّضٌ لِذَلِكَ فَاعْتَذَرَ لِقَوْمِهِ مِنَ الْخُرُوجِ مَعَهُمْ إِلَى عِيدِهِمْ بِهَذَا.

وَأَمَّا قَوْله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣] ؛ فَإِنَّه عَلَّق خَبَرَه بِشَرْط نُطْقِه كَأَنَّهُ قَالَ : إنّ كَان يَنْطِق فَهُو فِعْلُه ، عَلَى طَرِيقِ التَّبْكِيت لِقَوْمِه ، وَهَذَا صِدْق أيْضًا وَلَا خُلْفَ فِيه.

وَأَمَّا قَوْله: إِنَّهَا أُخْتي ؛ فَقَد بَيَّنَ فِي الْحَدِيث ، وَقَال: (**فَإِنَّكِ أُخْتِي فِي الْإِسْلَام**) وَهُو صِدْقٌ ، والله تَعالَى يَقُول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحجرات:١٠].

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:١٤٠/٤،برقم: ٣٣٥٨،٣٣٥٧،ومسلم:١٨٤٠/٤،برقم: ٢٣٧١.

[2] **المَعَارِيضِ**:جمعُ مِعراض ، من التعريض: وهو أن يقول كلاما يفهم منه شيء، ويقصد به شيئاً آخر.

[3] **مَنْدُوحَة عَن الكَذِب**: سعة يستغني بها المسلم عن الاضطرار إلى الكذب.

http://mohhanoona.blogspot.com/

فَإِنْ قُلْتَ: فَهَذَا النَّبِيُّ ﷺ قَد سَمّاهَا كَذِبَاتٍ ، وَقَالَ: (**لَم يَكْذِب إبْرَاهِيم إلَّا ثَلَاث كَذِبَات**)، وَقَالَ فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَة: (**وَيذْكُر كَذِباتِه**)[1] ، فَمَعناه أنَّه لَم يَتَكَلَّم بِكَلَام صُورَتُه صُورَة الْكَذِب وإن كَان حَقًّا فِي الْبَاطِن إلّا هَذِه الكلام ولما كَان مَفْهُوم ظَاهِرهَا خِلَاف باطنِهَا أشْفَق إبْرَاهِيم عليه السلام بِمُؤاخَذَتِه بِهَا.

وَأَمَّا الْحَدِيث: (**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إذَا أَرَادَ غَزْوَةً وَرَّى بِغَيْرِهَا**)[2] ، فَلَيْس فِيه خُلْف فِي الْقَوْل إنَّمَا هُو سَتْر مَقْصِدِه ؛ لِئَلَّا يَأْخُذ عَدُوُّه حَذَرَهُ ، وَكَتَمَ وَجْهَ ذَهَابِه بِذِكْر السُّؤالِ عَن مَوْضِعٍ آخَرَ والْبَحْث عَن أَخْبَارِه وَالتَّعْرِيض بِذِكْرِه ، لَا أنَّه يَقُول: تَجَهَّزُوا إلَى غَزْوَةِ كَذَا ، أو وِجْهَتُنَا إلى موضع كذا خِلَاف مَقْصَدِه، فَهَذَا لَم يَكُن والأول لَيس فِيه خَبَر يَدْخُلُه الخُلْف.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا مَعْنَي قَوْل مُوسَى عليه السلام، وَقَد سُئِل:(**أَيُّ النَّاسِ أعْلَم؟** ، فَقَال: **أَنَا أَعلَمُ** ؛ **فَعَتِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ ذَلِكَ إذ لَم يَرُدَّ الْعِلْمَ إلَيْهِ**) الْحَدِيث[3] ؛ وَفِيه قَال: (**بَل عَبْد لَنَا بِمَجْمع الْبَحْرَين أعْلَم مِنْكَ**) ، وَهَذَا خَبَرٌ قَد أَنبأَ اللَّهُ أَنَّهُ لَيْسَ كَذَلِك؟.

فَاعلَم أَنَّهُ وَقَعَ فِي هَذَا الحَدِيْثِ مِنْ بَعْضِ طُرُقِهِ الصَّحِيحَة عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: هَل تَعْلَم أَحَدًا أعْلَم مِنْك؟ ، فَإِذَا كَانَ جَوابُهُ عَلَى عِلْمِه ، فَهُو خَبَرٌ حَقٌّ ، وَصِدْقٌ لَا خُلْفَ فِيْهِ ، وَلا شُبْهَة ؛ فَإِخبَارُهُ بِذَلِكَ كَانَ عَن اعتِقَادِهِ وَحِسبَانِهِ صِدْقاً لَا خُلْف فِيه.

---

[1] رواه البخاري في صحيحه: ١٤١/٤،برقم: ٣٣٦١،ومسلم:١٨٤/١،برقم: ١٩٤.

[2] رواه البخاري في صحيحه: ٤٨/٤،برقم: ٢٩٤٨،ومسلم:٢١٢٨/٤،برقم: ٢٧٦٩.

[3] رواه البخاري في صحيحه:٣٥/١،برقم: ١٢٢،ومسلم:١٨٧٤/٤،برقم: ٢٣٨٠.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الفَصْلُ السَّادِسُ)

عِصْمَةُ الأَنبِيَاءِ مِنَ الفَوَاحِشِ وَالكَبَائِرِ

وَأجمَعَ الْمُسْلِمُون عَلَى عِصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ مِن الْفَوَاحِشِ وَالْكَبَائِر الْمُوبِقاتِ ، وَمُسْتَنَد الْجُمْهُور فِي ذَلِك؛ الإجْماعُ الَّذِي ذَكَرَناه، وَكَذَلِك لَا خِلَافَ أَنَّهُم مَعْصُومُون من كِتْمَان الرِّسَالَة وَالتَّقْصِير فِي التَّبْلِيغ.

وَالْجُمْهُور قائلٌ بِأَنَّهُم مَعْصُومُون من ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ اللهِ ، مُعتَصِمُونَ باخْتِيَارِهِم وَكَسبِهِم.

وَأَمَّا الصَّغَائِرُ ؛ فَجَوَّزَهَا جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ وَغَيْرِهِم عَلَى الْأَنْبِيَاء ، وَهُو مَذْهبُ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيْرٍ الطَّبَرِيِّ وَغَيْرُه مِن الْفُقَهَاء وَالْمُحَدّثِين وَالْمُتَكَلّمِين، وَسنُورِدُ بَعْدَ هَذَا مَا احْتَجُّوا بِهِ.

وذَهَبَت طَائِفَةٌ أُخرَى إِلى الْوَقْف ، وَقَالُوا: الْعَقْل لَا يُحِيل وُقُوعَها مِنْهُم ، وَلَم يَأْتِ فِي الشّرْعِ قَاطِعٌ بِأَحَدِ الْوَجهَين.

وذَهَبَت طَائِفَة أُخْرَى مِن المُحَقّقِين مِن الْفُقَهَاء وَالْمُتَكَلِّمِين إِلَى عِصْمَتِهِم مِن الصَّغَائِر كعِصْمَتِهِم مِن الْكَبَائِر.

وَقَال بَعْضُ أئِمَّتنا: وَلَا يَجِب عَلَى الْقَوْلَيْن أن يَخْتَلِف أَنَّهُم مَعْصُومُونَ عَن تَكْرَارِ الصَّغَائِر وَكَثْرَتِها ؛ إذ يُلْحِقُهَا ذَلِك بالكَبَائِر ، وَلَا فِي صَغِيرة أدَّت إِلَى إزَالة الحِشْمَة ، وَأَسقَطَتِ المُرُوءَة ، وَأوْجَبَت الإزْرَاء وَالخَسَاسَة[1]؛ فَهَذَا أيْضًا مِمَّا يُعْصَم عَنْه الْأَنْبِيَاء إجْماعًا ؛ لِأَنّ مِثْل هَذَا يَحُطُّ مَنْصِبَ المُتَّسِمِ بِه وَيُزرِي بِصَاحِبِه وَيُنَفِّر القُلُوب عَنْه ، وَالْأَنْبِيَاء مُنَزَّهُون[2] عَن ذَلِك، بَل يَلْحَق بِهَذَا مَا كَانَ مِنْ قَبِيْل المُبَاحِ ؛ فَأَدّى إِلَى مِثْلُه لخُرُوجِه بِمَا أدَّى إِلَيْه عَن اسْمِ المُبَاح إِلَى الحَظْرِ.

---

[1] **الإزْرَاء وَالخَسَاسَة**:أي الحقارة والدناءة.

[2] **مُنَزَّهُونَ**:مُبَرَّؤون.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَقَد ذَهَب بَعْضُهُم إِلَى عِصْمَتِهِم من مُوَاقَعَة المَكْرُوه قَصْدًا.
وَقَد اسْتَدَلّ بَعْضُ الْأَئِمَّة عَلَى عِصْمَتِهِم مِنَ الصَّغَائِر بالمَصِيرِ إِلَى امتِثَالِ أَفعَالِهِم ، واتِّبَاع آثَارِهِم وسِيرَهِم مُطْلَقًا.
وَأَمَّا الْمُبَاحَات؛ فَجَائِز وُقُوعُهَا مِنهم ؛ إِذ لَيْس فِيهَا قَدْح بَل هِي مَأْذُون فِيهَا ، وَأَيْدِيهم كَأَيْدِي غَيْرِهِم مُسَلَّطَةٌ عَلَيْهَا إِلَّا أَنَّهُم بِمَا خُصُّوا بِه مِنْ رَفِيع المَنْزِلَة، وَشُرِحَت لَهُم صُدُورُهُم من أَنْوار الْمَعْرِفَة ، وَاصْطُفُوا بِه من تَعَلُّق بالهِمْ بالله وَالدَّار الآخِرَة لَا يَأْخُذُون مِن المُبَاحات إِلَّا الضَّرُورَات، مِمَّا يتقون بِه عَلَى سُلُوك طَرِيقِهِم ، وَصَلَاح دِينِهِم ، وَضَرُورَة دُنْيَاهُم ، وَمَا أُخِذ عَلَى هَذِهِ السَّبِيل التَحق طَاعَةً ، وَصَار قُرْبَةً ؛ كَمَا بَيَّنَا مِنْه أَوَّل الْكِتَاب طَرَفًا فِي خِصَال نَبِيِّنَا ﷺ ، فَبَان لَك عَظِيمَ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَى سَائِرِ أَنبِيَائِهِ عليهم السلام بِأَن جَعَل أَفْعَالَهُم قُرُبَاتٍ وَطَاعات بَعِيدَةً عَن وَجْه المُخَالَفَة، وَرَسْم المَعْصِيَة[1].

(الفَصْلُ السَّابِعُ)

عِصْمَةُ الأَنبِيَاءِ مِنَ المَعَاصِي قَبْلَ النُّبُوَّةِ

وَقَد اخْتُلِفَ فِي عِصْمَتِهِم من المَعَاصِي قبل النُّبُوَّة ؛ فَمَنَعَهَا قَوْمٌ ، وَجَوَّزَهَا آخَرُون .
وَالصَّحِيحُ إِنْ شَاءَ الله تَنْزِيهُهُم من كُلّ عَيْب ، وَعِصْمَتُهُم من كُلّ مَا يُوجِب الرَّيْب[2] ، فَكَيْف وَالْمَسْأَلَة تَصَوُّرُهَا كَالْمُمْتَنِع ؛ فَإِنّ الْمَعَاصِي وَالنَّوَاهِي إِنَّمَا تكون بَعْد تَقَرّر الشَّرْع.
وَقَد اخْتُلِف النَّاس فِي حَالِ نَبِيِّنَا ﷺ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْه هَل كَان مُتَّبعًا لِشَرْعٍ قَبْلَه أَم لَا؟

---

[1] **وَرَسْم المَعْصِيَة**: علامتها وأثرها.

[2] **الرَّيْب**: الظن،والشك،والتهمة.

http://mohhanoona.blogspot.com/

فَقَال جمَاعَةٌ: لَم يَكُنْ مُتَّبعاً لِشَئ ، وَهَذا قَوْلُ الجُمْهُور ؛ فَالْمَعَاصِي عَلَى هَذا الْقَوْل غَيْرُ مَوْجُودَة ، وَلا مُعْتَبَرَة فِي حَقِّهِ حِينَئذ ؛ إِذ الْأَحْكَام الشَّرْعِيَّة إِنَّمَا تَتَعَلَّقُ بِالأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي ، وَتَقَرُّر الشَّرِيعَة.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾[النحل:١٢٣] ، وقَوْلُه: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾[الشورى:١٣] ؛ فَمَحْمل هَذِه الآيَة عَلَى إِتبَاعِهِم فِي التَّوْحِيدِ كَقَوْلِه تَعالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[الأنعام:٩٠]

وَقد سَمَّى اللَّه تَعَالَى فِيهِم مَنْ لَم يُبْعَث ، وَلَم تَكُن لَه شَرِيعَة تَخُصَّه ؛ كَيُوسُف بن يَعْقُوبَ عَلَى قَوْلِ مَنْ يَقُولُ : إِنَّهُ لَيْسَ بِرَسُولٍ .
وَقَد سَمَّى اللَّه تَعَالَى جَمَاعَةً مِنْهُم فِي هَذِهِ الآيَة شَرَائِعُهُم مُخْتَلِفَة لَا يُمْكِن الجَمْع بَيْنَهَا؛ فَدَلَّ أَنّ المُرَاد مَا اجْتَمَعُوا عَلَيْه مِن التَّوْحِيد وَعِبَادَة اللَّه تَعَالَى.

(الفَصْلُ الثَّامِنُ)

السَّهْوِ وَالنِّسْيَانِ فِي الْأَفْعَالِ

وَأَمَّا مَا تَكُونُ المُخَالَفَة فِيه مِن الأعمال بِغَيْر قَصْدٍ وَتَعَمُّدٍ ؛ كالسَّهْوِ ، وَالنّسْيَانِ فِي الوَظَائِفِ الشَّرْعِيَّة مِمَّا تَقَرَرَ الشَّرْعُ بِعَدَم تَعَلُّقِ الخِطَابِ به وَتَرْكِ المُؤَاخَذَةِ عَلَيْهِ ؛ فأَحْوَال الْأَنْبِيَاء فِي تَرَك المُؤَاخَذَة بِه ، وَكَونه لَيْس بِمَعْصِيَة لَهُم مَع أُمَمِهم سواء ؛ **ثُمّ ذَلِك عَلَى نَوْعَيْن:**
١- مَا طَرِيقُه البَلَاغ وَتَقْرِير الشَّرْع ، وَتَعَلُّقِ الأحْكام ، وَتَعْلِيم الْأُمَّة بالفِعْلِ ، وَأَخْذُهُم باتِّبَاعِه فِيه .
٢- وَمَا هُو خَارِج عَن هَذا مِمَّا يَخْتَصُّ بِنَفْسِه.
أَمَّا الأَوّل ؛ فذهب الأَكْثَر مِن الفُقَهاء وَالمُتَكَلمِين إِلَى أَنَّ المُخَالَفَة فِي الأَفْعَال البَلاغِيَّة وَالأحْكَام الشَّرْعِيّة سَهْوًا وَعَن غَيْر قَصْد مِنْه جَائِزٌ عَلَيْه؛ كَمَا تَقَرَّرَ

http://mohhanoona.blogspot.com/

مِنْ أحَاديثِ السَّهْوِ فِي الصَّلاةِ ، وفَرَّقُوا بَيْن ذَلِك ، وَبَيْن الأقْوَال البَلاغِيَّة لِقِيَام الْمُعْجِزَة عَلَى الصِّدْقِ فِي القَوْل ، وَمُخَالَفَة ذَلِك تُنَاقِضُهَا .

وَأَمَّا السَّهْو فِي الأفْعَال فَغَيْرُ مُنَاقِضٍ لَهَا ، وَلَا قادِحٌ فِي النُّبُوَّة ؛ بَل غَلَطَاتُ الفِعْلِ وغَفلاتُ القَلْبِ مِنْ سِمَاتِ البَشَرِ كَمَا قَال ﷺ :(**إنما أنا بَشَرٌ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ فَإذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي**)[1] نَعَمْ ؛ بَلْ حَالَهُ النِّسْيَانُ ، وَالسَّهْو هُنَا فِي حَقِّهِ ﷺ سَبَبُ إِفَادَةِ عِلْمٍ ، وَتَقْرِيرِ شَرْعٍ ؛ وَهَذِه الحَالَةُ زِيَادَةٌ لَهُ فِي التبليغ ، وَتَمَامٌ عَلَيْهِ فِي النِّعْمَةِ ، بَعِيْدَةٌ عَن سِمَاتِ النَّقصِ ، وَأغراضِ الطَّعنِ ؛ فَإِنَّ القَائِلِينَ بِتَجويزِ ذَلِكَ يَشتَرِطُونَ أَنّ الرُّسُل لَا تُقَرُّ عَلَى السَّهوِ وَالغَلَط ؛ بَل يُنَبَّهُونَ عَلَيْه ، وَيُعَرَّفُونَ حُكمَهُ بِالفورِعَلَى قَوْل بَعْضُهُم وَهُو الصَّحِيْحُ.

وَأَمَّا مَا لَيْس طريقه الْبَلاَغُ[2] ، وَلَا بَيَانُ الأَحكَامِ مِن أَفعَالِهِ ﷺ ، وَمَا يَخْتَصُّ بِهِ مِنْ أُمُورِ دِينِهِ ، وَأَذكَارِ قَلبِهِ مِمَّا لَم يفعله لِيُتَّبَعَ فِيه ؛ فَالأَكثَرُ مِن طَبَقاتِ عُلَمَاءِ الْأُمَّة عَلَى جَوَازِ السَّهوِ وَالغَلَط عَلَيْه فِيهَا ، وَلُحُوقِ الفَترَاتِ ، وَالغَفَلاتِ بِقَلبِهِ ؛ وَذَلِك بِمَا كُلِّفَهُ مِن مُقَاسَاةِ الْخَلْقِ ،وَسِيَاسَاتِ الْأُمَّةِ ، وَمُعَانَاةِ الأَهلِ ، وَمُلاحَظَةِ الأَعدَاءِ ؛ وَلَكِن لَيْسَ عَلَى سَبِيْلِ التِّكرَارِ ، وَلَا الإتِصَال ؛ بَل عَلَى سَبِيْلِ النُّدُورِ؛ كَمَا قَال ﷺ :(**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي ، فَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ**)[3] ، وَلَيْس فِي هَذَا شَيٌ يَحُطُّ مِن رُتبَتِهِ ، وَيُنَاقِضُ مُعْجِزَتُه.

---

[1] رواه البخاري في صحيحه: ٨٩/١،برقم: ٤٠١،ومسلم: ٤٠٠/١،برقم: ٥٧٢.

[2] **الْبَلاَغُ**:أي تبليغ شرائع الإسلام.

[3] رواه مسلم في صحيحه: ٢٠٧٥/٤،برقم: ٢٧٠٢،وأبو داود في سننه: ٨٤/٢،برقم: ١٥١٥، (**لَيُغَانُ**):ما يتغشى القلب لفتوره عن الذكر أو الغفلة عنه.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الفَصْلُ التَّاسِعُ)

الْأَحَادِيثِ الْمَذْكُورِ فِيهَا السَّهْوُ مِنْهُ ﷺ

وَقَد قَدَّمْنَا فِي الْفُصُولِ قَبْلَ هَذَا ؛ مَا يَجُوز فِيه عَلَيْه السَّهْو ﷺ ، وَمَا يَمْتَنِع وَأَحَلْنَاه فِي الْأَخْبَار جُمْلَةً، وَفِي الأَقْوَال الدينية قَطْعًا، وَأجزْنَا وَقُوعَه فِي الْأَفْعَال الدّينِية عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي رَتَّبْنَاه ، وَأشَرْنَا إِلى مَا وَرَد فِي ذَلِك ، وَنَحْنُ نَبسُطُ القَوْلَ فِيهِ.

وَالصَّحِيْحُ مِن الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي سَهْوِه ﷺ فِي الصَّلَاة ثَلَاثَة أحاديث:

أَوَلُهَا : حَدِيْثُ ذِي الْيَدَيْن فِي السَّلَام مِن اثْنَتَيْن[1].

الثَّانِي: حَدِيثُ ابن بُحَيْنَةَ في القِيَامِ مِن اثنَتَيْن[2].

الثَّالِثُ: حَدِيثُ ابن مَسْعُود رضي الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى الظُّهْرَ خَمْسًا[3].

وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ مَبْنِيَّةٌ عَلَى السَّهْوِ فِي الْفِعْلِ الَّذِي قَرَّرْنَاهُ، وَحِكْمَةُ اللَّهِ فِيهِ لِيُسْتَنَّ بِهِ ؛ إِذِ الْبَلَاغُ بالْفِعْلِ أَجْلَى مِنْهُ بِالْقَوْلِ ، وَأَرْفَعُ لِلاحْتِمَالِ، وَشَرْطُهُ أَنَّهُ لَا يُقَرُّ عَلَى السَّهْوِ؛ بَلْ يُشْعَرُ بِهِ لِيَرْتَفِعَ الالْتِبَاسُ وَتَظْهَرُ فَائِدَةُ الْحِكْمَةِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ ، وَأَنَّ النِّسْيَانَ وَالسَّهْوَ فِي الْفِعْلِ فِي حَقِّهِ ﷺ غَيْرُ مُضَادٍّ لِلْمُعْجزَةِ ، وَلَا قَادِحٍ فِي التَّصْدِيقِ، وَقَدْ قَالَ ﷺ :(**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي**)[4] ، وَقَالَ:(**رَحِمَ اللَّهُ فُلانًا لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً كُنْتُ أُسْقِطُهُنَّ**)[5] ، وَيُرْوَى:(**أُنْسِيتُهُنَّ**).

---

[1] رواه البخاري في صحيحه: ١/١٠٣،برقم: ٤٨٢،ومسلم: ١/٤٠٤،برقم: ٥٧٣.

[2] رواه البخاري في صحيحه: ١/١٦٥،برقم: ٨٢٩،ومسلم: ١/٣٩٩،برقم: ٥٧٠،(**ابنُ بُحَينةَ**): هو عبد الله بن مالك، وأمهُ بُحَينةَ.

[3] رواه البخاري في صحيحه: ٢/٦٨،برقم: ١٢٢٦،ومسلم: ١/٤٠١،برقم: ٥٧٢.

[4] رواه البخاري في صحيحه: ١/٨٩،برقم: ٤٠١،ومسلم: ١/٤٠٠،برقم: ٥٧٢.

[5] رواه البخاري في صحيحه: ٦/١٩٤،برقم: ٥٠٣٨،ومسلم: ١/٥٤٣،برقم: ٧٨٨.

http://mohhanoona.blogspot.com/

فَإنّ قُلْتَ: فَمَا تقول في نَوْمِهِ ﷺ عَن الصَّلَاة يَوْم الْوادِي ، وَقَد قَال: (**إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي**) [1]؟

فاعْلَمْ أن للعلماء عَنْ ذَلِكَ أَجْوِبَةٌ مِنْهَا:

١ - أَنّ الْمُرَاد بأن هَذَا حُكْم قَلْبه عِنْد نَوْمِه ، وَعَيْنَيْه فِي غَالِبِ الْأَوْقات ، وَقَد يَنْدر مِنْه غَيْر ذَلِك ، كَمَا يَنْدُر من غَيْرِه خِلافَ عَادَتِهِ ، وَيُصَحِّح هَذَا التَّأْوِيل قَوْله ﷺ فِي الْحَدِيث نَفْسِه (**إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ أَرْوَاحَنَا**) [2] ، وَقَول بِلَالٍ فِيه: مَا أُلْقِيَت عَلِيَّ نومَةٌ مِثْلهَا قَطّ ، وَلَكِن مِثْلُ هَذَا إِنَّمَا يَكُون مِنْه لأَمرٍ يُرِيدُه اللَّه مِنْ إِثْبَاتِ حُكْمٍ ، وَتَأْسِيسِ سُنَّةٍ ، وإظْهَارِ شَرْعٍ.

٢ - الثاني: أَنّ قَلْبَه لَا يَسْتَغْرِقُه النَّوْم حَتَّى يَكُون مِنْه الحَدَث فِيْهِ؛ لَمّا رُوِي أنَّه كَانَ يَنَام حَتَّى يَنْفُخ ، وَحَتَّى يُسْمَع غطِيطُه ثُمّ يُصَلّي ، وَلَا يَتَوَضَّأ [3].

وَحَدِيثُ ابن عَبَّاس المَذْكُور فِيه وُضُوءُه عِنْد قِيامه مِن النَّوْم [4] ؛ فِيه نَوْمُه مَع أهْله ، فَلَا يُمْكِنُ الاحْتِجَاج بِه عَلَى وُضُوئِه بمُجَرَّد النَّوْمِ؛ إِذ لَعَلَّ ذَلِك لِمُلامَسَةِ الْأَهْلِ ، أَو لِحَدَثٍ آخرَ ، فَكَيفَ وَفِي آخِر الْحَدِيث نفسه: ثُمَّ نَامَ حَتَّى سَمِعْت غَطِيطَه ، ثُمّ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَصَلّى وَلَم يَتَوَضَّأ؟.

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:٥٣/٢،برقم: ١١٤٧،ومسلم:٥٠٩/١،برقم: ٧٣٨.

[2] **صحيح**،رواه مالك في الموطأ:٢٠/٢،برقم: ٣٦،ت:الأعظمي،(**يُهَدِّئُهُ**):يُسَكِّنُهُ،ويُنَوِّمُهُ.

[3] رواه البخاري في صحيحه:٣٩/١،برقم: ١٣٨،ومسلم:٥٢٥/١،برقم: ٧٦٣،

(**غَطِيْطَهُ**):الغَطِيط:هو الصوت الخارج مع نفس النائم.

[4] رواه البخاري في صحيحه:٦٩/٨،برقم: ٦٣١٦،ومسلم:٥٢٥/١،برقم: ٧٦٣،وهو فقرة من حديث ابن عباس وبياته عند خالته ميمونة.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الفَصْلُ العَاشِرُ)

فِي الرَّدِّ عَلَى مَنْ أَجَازَ عَلَيْهِم الصَّغَائِرَ

اعْلَم أن الْمُجَوِّزِينَ لِلصَّغَائِر عَلَى الأَنْبِيَاءِ مِن الْفُقَهَاء وَالْمُحَدِّثِين وَمِن شَايَعَهُم[1] عَلَى ذَلِك مِن الْمُتَكَلِّمِين احْتَجُّوا عَلَى ذَلِك بِظَوَاهِرَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيث ، إِنْ الْتَزَمُوا ظَوَاهِرَهَا أَفْضَت بِهِم[2] إِلَى تَجْوِيزِ الْكَبَائِر ، وَخَرْقِ الإِجْمَاعِ ، وَمَا لَا يَقُول بِه مُسْلِمٌ ، فَكَيْفَ وَكُلُّ مَا احْتَجُّوا بِه مِمَّا اخْتَلَف الْمُفَسِّرُونَ فِي مَعْنَاه ، وَتَقَابَلَت[3] الاحْتِمَالاتُ فِي مُقْتَضَاه ، وَجَاءَتْ أَقَاوِيْلُ فِيهَا لِلسَّلَف بِخِلَاف مَا الْتَزَمُوه من ذَلِك ؟!! .

فَإِذَا لَم يَكُن مَذْهَبُهُم إجْمَاعَاً ، وَكَانَ الخِلَافُ فِيمَا احْتَجُّوا بِه قَدِيمًا ، وَقَامَتِ الدِّلَالَةُ عَلَى خَطَأِ قَوْلِهِم ، وَصِحَّة غَيْرِه وَجَبَ تَرْكُه ، وَالمَصِيرُ إِلَى مَا صَحّ.

وَهَا نَحْنُ نَأْخُذ فِي النَّظَرِ فِيهَا إِنْ شَاءَ اللَّه، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى لِنَبِيّنا ﷺ :

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[الفتح:٢] ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[محمد:١٩] ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾[الشرح:٢-٣] ، وَقَوْلُهُ: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾[التوبة:٤٣] ، وَقَوْلُهُ: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[التوبة:٦٨] ، وَقَوْلُهُ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ، أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾[عبس:١-٢]، وَمَا قَصَّ من قِصَصِ غَيْرِه مِن الأَنْبِيَاء ؛ كَقَوْلِه: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾[طه:١٢١] ، وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الأعراف:١٩٠] ، وَقَوْلُه: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ

[1] **شَايَعَهُم**:تابعهم.

[2] **أفْضَت بهم**:أدت بهم.

[3] **تَقَابَلَت**:تعارضت.

http://mohhanoona.blogspot.com/

لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[الأعراف:٢٣] ، وَقَوْلُه عَن يُونُس :﴿ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[الأنبياء:٨٧] ، وَمَا ذَكَرَه من قِصَّة دَاوُد، وَقَوْلُه : ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ، فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص:٢٤-٢٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ﴾[يوسف:٢٤] ، وَمَا قَصَّ مِنْ قِصَّتِهِ مَعَ إِخوَتِهِ، وَقَوْلُه عَن مُوسَى: ﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ، قَالَ: هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾[القصص:١٥] .

وقول النبي ﷺ فِي دُعَائِه:(**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ**)[١] ، وَنَحْوَهُ من أدْعِيَتِه ﷺ ، وَذَكَر الْأَنْبِيَاء فِي المَوْقِف ذُنُوبَهُم فِي حَدِيث الشَّفَاعَة[٢]، وَقَوْلُه: (**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، فَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ**)[٣] ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه عنه: (**إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**)[٤] .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى عَنْ نُوحٍ: ﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[هود:٤٧]، وَقَدْ قَالَ اللَّه لَه: ﴿ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾[هود:٣٧] ، وَقَال عَن إِبْرَاهِيم: ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾[الشعراء:٨٢] ، وَقَوْلُه عَن مُوسَى:﴿ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾[الأعراف:١٤٣] ، وَقَوْلُه: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ [ص:٣٤] ... إِلَى مَا أَشْبَه هَذِه الظَّوَاهِر.

---

[١] رواه مسلم في صحيحه:٥٣٤/١،برقم: ٧٧١،وأبو داود في سننه:٢٠١/١،برقم: ٧٦٠.

[٢] رواه البخاري في صحيحه:١٣٤/٤،برقم: ٣٣٤٠،ومسلم:١٨٤/١،برقم: ١٩٤.

[٣] رواه مسلم في صحيحه:٢٠٧٥/٤،برقم: ٢٧٠٢،وأبو داود في سننه:٨٤/٢،برقم: ١٥١٥، (**ليُغَانُ**):ما يتغشى القلب لفتوره عن الذكر أو الغفلة عنه.

[٤] رواه البخاري في صحيحه:٦٧/٨،برقم: ٦٣٠٧،والترمذي في سننه:٣٨٣/٥،برقم: ٣٢٥٩.

http://mohhanoona.blogspot.com/

فأمَّا احْتِجَاجُهم بِقَولِهِ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[الفتح:٢]...؟
فَهَذَا قَد اخْتُلِف فِيه الْمُفَسِّرُون :
فَقِيل: المُرَاد مَا كَانَ قَبْلَ النُّبُوَّة وَبَعْدَهَا.
وَقِيل: المُرَاد مَا وَقَع لَك من ذَنْبٍ ، وَمَا لَم يَقَع؛ أعْلَمَه أنَّه مغفُورٌ لَه.
وَقِيل: المُتَقَدّم مَا كَانَ قَبْل النُّبُوَّة ، وَالمُتأخّر عِصْمتُك بَعْدَهَا.
وَقِيل: المُرَاد بِذَلِك أمَّتَه ﷺ .
وَقِيل:المُرَاد مَا كَان عَن سَهو وَغفْلَة وَتَأوِيل،حَكاه الطَّبَرِيُّ،واخْتَارَه الْقُشَيْرِيُّ.
وَبِمِثْلِه وَالَّذِي قَبْلَه يُتَأوّل قَوْله: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[محمد:١٩]

قَال مَكِّيٌّ: مُخَاطَبَة النَّبِيِّ ﷺ ههُنَا هي مُخَاطَبَةٌ لأمَّتَه.

وَقِيل: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا أُمِرَ أَنْ يَقُولَ : ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾[الأحقاف:٩] سُرَّ بِذَلِك الكُفَّارُ ، فَأَنْزَل اللَّه تَعَالَى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾[الفتح:٢]، وَبِمَآلِ الْمُؤْمِنين فِي الآية الْأُخْرَى بَعْدَهَا ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الفتح:٥]، قَالَهُ ابنُ عَبَّاس ؛ فَمَقْصِد الآيَة أَنَّكَ مَغْفُورٌ لَكَ غَيْرَ مُؤَاخَذٍ بِذَنْب أَنّ لَو كَان.

وَأَمَّا قَوْله: ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح:٢-٣] .
فَقِيل: مَا سَلَف من ذَنْبك قَبْل النُّبُوَّة ،وَقِيل: المُرَاد بِذَلِك مَا أَثقَلَ ظَهرَهُ مِنْ أَعبَاءِ الرِّسَالَةِ حَتَّى بَلَّغهَا .

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَأَمَّا قَوْله: ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ﴾[التوبة:٤٣]؛ فَأَمْرٌ لَم يَتَقَدَّم للنبي ﷺ فِيه مِن اللَّه تَعَالَى نَهْي فَيُعَدّ مَعصِيَةً ، وَلَا عَدَّه اللَّه تَعَالَى عَلَيْه مَعْصِيَة؛ بَل لَم يَعُدَّه أَهْل الْعِلْم مُعَاتَبَة، وَغَلَّطُوا من ذَهَب إلى ذَلِك.

قَال إِبْرَاهِيْمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الأَزْدِيِّ نِفْطَوِيْه: وَقَد حَاشَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ ؛ بَل كَان مُخَيَّرًا فِي أَمْرَيْن .

قَالُوا: وَقَد كَانَ لَهُ أَن يَفْعَلَ مَا شَاء فِيمَا لَم يُنْزَل عَلَيْه فِيه وَحْي؛ فَكَيْفَ وَقَدْ قَالَ الله تعالى: ﴿ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾[النور:٦٢] ؟!!، فَلَمَّا أَذِنَ لَهُمْ أَعْلَمَهُ اللَّهُ بِمَا لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ مِنْ سِرِّهِمْ؛ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يأذن لَقَعَدُوا ، وَأَنَّهُ لَا حَرَجَ عَلَيْهِ فِيمَا فَعَلَ.

وَلَيْس ﴿ عَفَا ﴾ ههُنَا بِمَعْنَي غَفَرَ ؛ بَل كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :(**عَفَا اللَّهُ لَكُمْ عَنْ صَدَقَةِ الْخَيْلِ وَالرَّقِيقِ**)[1] ، وَلم تَجِب عَلَيْهِم قَطّ ؛ أَي لَم يُلْزِمْكُم ذَلِك ، وَمَعْنَي: ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ ﴾ أَي لَم يُلْزِمكَ ذَنباً.

وَأَمَّا قَوْلُه فِي أُسَارَى بَدرٍ: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ، لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[الأنفال:٦٧-٦٨] .

فَلَيْسَ فِيهِ أَيضاً إِلزَامُ ذَنْبٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ ؛ بَل فِيه بَيَانُ مَا خُصَّ به ، وَفُضِّلَ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ ؛ فَكَأنه قَالَ : مَا كَان هَذَا لِنبيٍّ غيرِكَ ؛ كَمَا قَالَ ﷺ :(**أُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِنَبِيٍّ قَبْلِي**)[2] .

---

[1] **صحيح**،رواه أبو داود في سننه:١٠١/٢،برقم١٥٧٤ ،والترمذي:٧/٣،برقم: ٦٢٠ ،وابن ماجه:٥٧٠/١،برقم: ١٧٩٠ ،والدارمي:١٠١٣/٢،برقم: ١٦٦٩.

[2] رواه البخاري في صحيحه :٧٤/١،برقم: ٣٣٥ ، ومسلم:٣٧٠/١،برقم: ٥٢١ .

http://mohhanoona.blogspot.com/

فَإنْ قِيل: فَمَا مَعْنَي قَوْله تَعَالَى: ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[الأنفال:٦٧] ؟

قِيْلَ مَعنَى: الْخِطَابُ لِمَنْ أَرَادَ ذَلِك مِنْهُم ،وَتَجَّردَ غَرَضُهُ لِغرَض الدُّنْيَا وَحدَه ، وَالاسْتِكْثَارِ مِنْهَا ، وَلَيْس المُرَادُ بِهَذَا النَّبِيُّ ﷺ وَلَا عِلْيَةَ أَصْحَابِه.

وَأَمَّا قَوْله: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ، أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾[عبس:١-٢]؟

فَلَيْس فِيه إِثْبَات ذَنْب لَه ﷺ ؛ بَل إِعْلَام الله أَنّ ذَلِك المُتَصَدّي لَه مِمَّن لَا يَتَزَكَّى وَأَنَّ الصَّوَابَ وَالأوْلَى كَانَ- لَو كُشِف لَكَ حَالُ الرَّجُلَيْن- الإِقْبَالُ عَلَى الأعْمَى ، وَفِعْلُ النَّبِيِّ ﷺ لَمَا فَعَل ، وَتَصَدِّيْهِ لِذاكَ الكَافِر كَانَ طَاعَةً للهِ ، وَتَبْلِيغًا عَنْه ، وَاسْتِئْلَافًا لَه كَمَا شَرَعَه الله لَه لَا مَعْصِيَةً ، وَمُخَالَفَة لَه.

وَأَمَّا قِصَّة آدم عَلَيْه السَّلَام وَقَوْلُه تَعَالَى: ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا ﴾[طه:١٢١] بَعْدَ قَولِهِ : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[البقرة:٣٥] ، وَقَولِهِ: ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ ﴾[الأعراف:٢١] ، وَتَصْرِيحُه عَلَيْه بالمَعْصِيَة بِقَوْلِه تَعَالَى : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾[طه:١٢١] ؛ أَي جَهِلَ ، وَقِيلَ: أَخْطَأ ؛ فإنّ الله تَعَالَى قَد أَخْبَرَ بِعُذْرِهِ بِقَولِهِ: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾[طه:١١٥] .

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ زَيْدٍ : نَسِيَ عَدَاوَة إِبْلِيس لَهُ ، وَمَا عَهِد الله إِلَيْه من ذَلِك بِقَوْلِه: ﴿ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾[طه:١١٧] ، قِيل: نَسِي ذَلِك بِمَا أَظْهَر لَهمَا.

وَقَال ابن عَبَّاس: إِنَّمَا سُمّي الْإِنْسَان إِنْسانًا ؛ لِأَنَّه عُهِدَ إِلَيْه فَنَسِي ، وَقِيل: لَم يَقْصِد الْمُخَالَفَة اسْتِحْلالًا لَهَا ، وَلكِنَّهُمَا اغْتَرَّا بِحَلِف إِبْلِيس لهما: ﴿ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ

http://mohhanoona.blogspot.com/

النَّاصِحِينَ ﴾[الأعراف:٢١] ، تَوَهَّمَا أَنّ أَحَدًا لَا يَحْلِف بالله حَانِثًاً ؛ فَلِذَلِك قَالَ :
﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾[طه:١١٥] أَي قَصْدًا لِلْمُخَالفَة.

وَأَمَّا قِصَّة يُونُسَ ، فَقَد مَضَى الْكَلَام عَلَى بَعْضهَا آنِفاً ، وَليسَ فِي قِصَّة يُونُسَ نَصٌّ عَلَى ذَنبٍ، وإِنَّمَا فِيهَا أَبَقَ ، وَذَهَبَ مُغَاضِبًا ، وَقَد تَكَلَّمْنَا عَلَيْه .

وَأَمَّا قَوْلُه: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾[الصافات:١٤٠] ، قَالَ الْمُفَسِّرُون: تَبَاعَدَ، وَأَمَّا قَوْله: ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[الأنبياء:٨٧] ، فَالظُّلْمُ: وَضعُ الشَّئِ فِي غَيْرِ مَوضِعِهِ ، فَهَذَا اعتِرَافٌ مِنه عِنْد بَعْضُهُم بِذَنْبِه ، فإِمَّا أَنّ يَكُون لِخُرُوجِه عَن قَومِه بِغَيْر إِذْن رَبِّه، أَو لِضَعْفِه عَمَّا حُمِّلَهُ ، أَو لِدُعَائِه بِالْعَذَابِ عَلَى قَومِهِ، وَقَد دَعَا نُوحٌ بِهَلَاكِ قَوْمِه فَلَم يُؤاخَذ.

وَأَمَّا قِصَّة دَاوُدَ ﷺ ، فَلَا يَجِب أن يُلْتَفَت إِلَى مَا سَطَّرَه فِيه الإِخْبَارِيُّون مِنْ أَهْل الكِتَاب الَّذِين بَدّلُوا وغَيَّرُوا ، وَنَقَلَه بَعْض الْمُفَسِّرِين ، وَلَم يَنُصَّ اللَّهُ عَلَى شَئٍ مِنْ ذَلِك ، وَلَا وَرَد فِي حَدِيثٌ صَحِيْحٌ.

وَالَّذِي نَصَّ اللَّه عَلَيْه قَوْله: ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ، فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾[ص:٢٤-٢٥]؛ فَمَعنَى فَتَنَّاهُ : أَخبَرنَاهُ، وأَوَّاب: قَالَ قَتَادَة: مُطِيعٌ، وَهَذَا التَّفْسِير أَوْلَى.

وَأَمَّا قِصَّة يُوسُف وَإِخْوَتِه ، فَلَيْس عَلَى يُوسُف مِنْهَا تَعَقُّبٌ ، وَأَمَّا إِخْوَتُه فَلَم تَثْبُت نُبُوَّتُهم فَيلْزَم الْكَلَام عَلَى أَفْعَالِهِم ، وَذِكْرُ الأَسْبَاطِ وَعَدِّهِم فِي القُرآنِ عِنْد ذِكر الأَنبِيَاءِ.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَأَمَّا قَوْل اللَّهُ تَعَالَى فِيه: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾[يوسف:٢٤] ، فَعَلَى مَذْهَب كثير من الفقهاء والمحدثين: أنَّ هَمَّ النَّفْسِ لَا يُؤَاخُذ بِهِ ، وَلَيس سَيِّئَةً ؛ لِقَوْلِه ﷺ عَن رَبِّهِ :(إذ هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً)[١] ،فَلَا مَعْصِيَة فِي هَمِّهِ إذاً .

وَأمَّا عَلَى مَذْهَب المُحَقّقِين مِن الفُقَهَاء وَالْمُتكلّمِين ، فَإِنَّ الْهَمّ إِذَا وُطِّنَتْ عَلَيْه النَّفْس سَيِّئَةٌ ، وَأَمَّا مَا لَم تُوطَّن عَلَيْه النَّفْس من هُمُومِهَا وَخَوَاطِرِهَا ، فَهُو الْمَعْفُوّ عَنهُ ، وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ ، فَيَكُون إِن شَاءَ اللَّه هَمُّ يُوسُفَ مِنْ هَذَا .

وَيَكُون قَوْله: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[يوسف:٥٣] ؛ أَي مَا أُبَرِّئُهَا من هَذَا الهَمّ ، أَو يَكُون ذَلِك مِنْه عَلَى طَرِيقِ التّوَاضُعِ ، وَقَد قَال اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَن المَرأَةِ : ﴿وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾[يوسف:٣٢] ، وَقَال تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ [يوسف:٢٤] ، وَقَال تَعَالَى: ﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[يوسف:٢٣] .

وَأَمَّا خَبَرُ مُوسَى عليه السلام مَع قَتِيلِهِ الَّذِي وَكَزَه وَقَد نَصَّ اللَّه تَعَالَى أنَّه من عَدُوّه ، وَقِيل: كَان مِن القِبْط الَّذِين عَلَى دِين فِرْعَوْن،وَقَالَ قَتَادَة: وَكَزَه بالعَصَا ، وَلَم يَتَعَمَّد قَتْلَه ؛ فَعَلَى هَذَا لَا مَعْصِيَة فِي ذَلِك.

وَقَوْلُه: ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾[القصص:١٥] ، وَقَوْلُه : ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾[القصص:١٦] ،قَال ابن جُرَيج: قَال ذَلِك من أجل أنَّه لَا يَنْبَغِي لِنَبِيّ أن يَقْتُل حَتَّى يُؤْمَر.

[١] رواه البخاري في صحيحه :١٠٣/٨، برقم: ٦٤٩١ ، ومسلم:١١٨/١،برقم: ١٣١ .

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَكَذَلِك مَا رُوِي فِي الْخَبَر الصَّحِيح من أَنّ مَلَك الْمَوْت جاءَهُ فَلَطَم عَيْنَه ، فَفَقَأَهَا ...الْحَدِيث[1]، لَيْس فِيه مَا يُحْكَم عَلَى مُوسَى ﷺ بالتَّعَدِّي وَفِعْل مَا لَا يَجِب؛ إِذ هُو ظَاهِرُ الأَمْر بَيْن الْوَجْه ، جَائِزُ الفِعْلِ ؛ لأَنَّ مُوسَى دَفَعَ عَن نَفْسِه مَنْ أَتَاهُ لإِتْلافِهَا ، وَقَد تُصُوِّر لَه فِي صُورَةِ آدَمِي ، وَلَا يُمْكِن أنَّه عَلِم حِينَئذ أنَّه مُلْك المَوْت ، فَدَافَعَهُ عَن نَفْسِه مُدَافَعَةً أَدَّت إِلَى ذَهَابِ عَيْن تِلْك الصُّورَة التِي تَصَوَّر لَهُ فِيهَا المَلك امْتِحَانًا مِن الله ، فَلَمَّا جاءَه بَعْدُ ، وَأعْلَمَه الله تَعَالَى أنَّه رَسُولُه إِلَيْه اسْتَسْلَم.

وَأَمَّا قِصَّة سُلَيْمَان ، وَمَا حَكى فِيهَا أَهْل التَّفَاسِير مِنْ ذَنْبِه ، وَقَوْلُه: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ [ص:٣٤] ؛ فَمَعْنَاه ابْتَلَيْنَاه ؛ وابْتِلاؤُه مَا حُكِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:

(لأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ أَوْ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ كُلُّهُنَّ يَأْتِين بِفَارِس يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: قُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَلَمْ يَقُلْ، فَلَم تَحمِل مِنْهُنَّ إِلَّا وَاحِدَةٌ جَاءَت بِشقّ رَجُلٍ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(وَالّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ)**[2].

وإن سُئِلَ: لِمَ لَمْ يَقُل سُلَيمَان فِي الْقِصَّة المَذْكُورَة إن شَاء اللَّه؟ ؛ فَعَنْه أَجْوبَةٌ: **أَحَدُهَا**: مَا رُوِي فِي الْحَدِيث الصَّحِيح[3]: أنَّه نَسي أن يَقُولَهَا،وَذَلِك ليفذ مُرَادَ اللَّهِ ، **وَالثَّانِي** : أَنَّهُ لَم يَسْمَع صَاحِبَه ، وَشُغْل عَنْه.

---

[1] رواه البخاري في صحيحه :٩٠/٢،برقم: ١٣٣٩ ، ومسلم:١٨٤٣/٤،برقم: ٢٣٧٢، **(فلطم)**:ضرب، **(عينه)**:عين ملك الموت، **(ففقأها)**:شقَّها فخرج ما فيها.

[2] رواه البخاري في صحيحه:٢٢/٤،برقم: ٢٨١٩ ،ومسلم:١٢٧٥/٣،برقم: ١٦٥٤، **(لأطوفنَّ)**:لأجامعنَّ.

[3] رواه البخاري في صحيحه:٣٩/٤،برقم: ٥٢٤٢ ،ولفظه: قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ بِمِائَةِ امْرَأَةٍ، تَلِدُ كُلُّ امْرَأَةٍ غُلاَمًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ المَلَكُ: قُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَلَمْ يَقُلْ وَنَسِيَ ، فَأَطَافَ بِهِنَّ، وَلَمْ تَلِدْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةٌ نِصْفَ إِنْسَانٍ...الحديث.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَقَوْلُه: ﴿ وَهَبْ لِي مُلْكًا لا ينبغي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾[ص:٣٥] ، لَم يَفْعَل هَذَا سُلَيْمَانُ غِيْرَةً عَلَى الدُّنْيَا ، وَلا نَفَاسَةً بِهَا ، وَلَكِن أَرَاد أن يَكُون لَه مِن اللهِ فَضِيلَةٌ ، وَخَاصَّةٌ يَخْتَصُّ بِهَا ؛ كاخْتِصَاصِ غَيْرِهِ مِنْ أنْبيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِه بِخَوَاصَّ مِنْه، وَقِيل: لِيَكُون دَليلًا وَحُجَّة عَلَى نُبُوَّتِهِ ؛كَإِلانَةِ الحَدِيد لأبِيهِ ، وَإِحْيَاء المَوْتَى لِعِيسَى ، وَاخْتِصَاص مُحَمَّد ﷺ بِالشَّفَاعَة ونحو هَذَا.

وَأَمَّا قِصَّة نُوح عليه السلام مع ابنهِ ؛ فَبيَّن اللَّهُ لَهُ أنَّه لَيْسَ مِنْ أَهلِهِ الَّذِين وَعدَهُ بِنَجاتِهِم لِكُفْرِه ، وَعَمَلِه الَّذِي هُو غَيْر صَالِحٍ ، وَقَد أعْلَمَه أنَّهُ مُغْرِقُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ، وَنَهَاهُ عَنْ مُخَاطَبَتِه فِيهِم ، فَوُخِذَ بِهَذا التَّأوِيل ، وَعُتبَ عَلَيْه ، وَأشْفَق هُو من إقْدامِهِ عَلَى رَبَّه لِسُؤَالِه مَا لَم يُؤْذَن لَهُ فِي السُّؤَالِ فِيْهِ ، وَكَانَ نُوحٌ فِيمَا حَكَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ النَّقَّاشِ لَا يَعْلَمُ بِكُفْرِ ابْنِهِ ، وَقِيل: فِي الآيَة غَيْرُ هَذَا. وَكُلُّ هَذَا لَا يَقْضِي عَلَى نُوحٍ بِمَعْصِيَةٍ سِوَى مَا ذَكَرْنَاهُ من تَأْوِيلِه ، وَإِقدامِه بالسُّؤَال فِيمَن لم يُؤْذَن لَهُ فِيهِ ، وَلَا نُهِي عَنْه.

وَمَا رُوِي فِي الصَّحِيحِ مِنْ أَنَّ نَبِيًّا قَرَصَتْه نَمْلَةٌ ، فَحَرَّقَ قَرْيَةَ النَّمْل فَأَوْحى اللَّه إليْه: (**إِنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ**)[1] ، فَلَيْسَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ هَذَا الَّذِي أَتَى مَعْصَيةٌ ؛ بَلْ فَعَلَ مَا رَآهُ مَصْلَحَةً وَصَوَابًا بِقَتْلِ مَنْ يُؤْذِي جِنْسُهُ ، وَيَمْنَعُ المنْفَعَةَ بِمَا أَبَاحَ اللَّهُ .

وَلَيْس فِيمَا أوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ مَا يُوجِب عَلَيْه مَعْصِيَة؛ بَل نَدَبَه إِلَى احْتِمَال الصَّبْر ، وَتَرْك التَّشَفي كَمَا قَالَ تَعالَى: ﴿ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾[النحل:١٢٦] ، وَلَم

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:٦٢/٤،برقم: ٣٠١٩،ومسلم:١٧٥٩/٤،برقم: ٢٢٤١.

رواه البخاري في صحيحه:٥٠/٢،برقم: ١١٣٠،ومسلم:٢١٧١/٤،برقم: ٢٨١٩، (**تَرِم**) تنتفخ، (**شَكُوراً**) أي : أبالغ في شكر الله تعالى على غفرانه لي.

http://mohhanoona.blogspot.com/

يأْتِ فِي كُلِّ هَذَا أمْرًا نُهِي عَنْه ، فَيُعَصَّى بِهِ ، وَلا نَصَّ فِيْمَا أَوْحَى اللَّه إليْه بِذَلِك ، وَلَا بالتَّوْبَةِ والاسْتِغْفَار مِنْه ، واللهُ أعلَمْ.

(الفَصْلُ الحَادِي عَشَر)

حَالَةُ الأَنبِيَاءِ فِي خَوفِهِم وَاستِغْفَارِهِم

إنَّ كَثْرَةَ اسْتِغْفَارِ النَّبِيِّ ﷺ وَتَوبَتِه وَغَيْرُه مِن الْأَنْبِيَاء عَلَى وَجْهِ مُلازَمَةِ الخُضُوعِ وَالْعُبُودِيَّةِ ، والإعْتِرافِ بِالتَّقْصِيرِ شُكْرًا للهِ عَلَى نِعَمْهِ ؛ كَمَا قَالَ ﷺ وَقَد أَمِنَ مِنَ المُؤَاخَذَة بِمَا تقدم وَمَا تَأخَّر:(**أَفَلَا أكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**) [1] ، وَقَال (**إنِّي أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَعْلَمُكُمْ بِمَا أَتَّقِي**) [2] ، قَالَ الحَارِثُ بْنُ أسَدٍ: خَوْف الْمَلَائِكَة وَالْأَنْبِيَاء خَوْفُ إعْظَامٍ وَتَعَبُّدٍ للهِ ؛ لأَنَّهُمْ آمِنُونَ.

وَقِيلَ: فَعَلُوا ذَلِك لِيُقْتَدَى بِهِم ، وَتَسْتَنَّ بِهِمْ أُمَمُهُم؛ كَمَا قَال ﷺ :(**لَو تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**) [3] ، وَأَيْضًا ؛ فَإنَّ فِي التَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ مَعْنَي آخَرَ لَطِيْفاً أشارَ إلَيْه بَعْض الْعُلَمَاء ؛ وَهُو استِدعَاءُ مَحَبَّةِ اللَّهِ ، قَال اللَّه تَعَالَى: ﴿ إن الله يحب التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[البقرة:٢٢٢] ؛ فَإحْدَاث الرُّسُل وَالأَنبِيَاءَ الاسْتِغْفَار وَالتَّوْبَة ، وَالإِنَابَةَ ، وَالأَوْبَة فِي كُلّ حِين اسْتِدْعَاءٌ لِمَحَبَّةِ اللَّه ، وَالاسْتِغْفَارُ فِيهِ مَعْنَي التَّوْبَة، وَقَد قَال اللَّه لِنَبِيه ﷺ بَعْدَ أَنْ غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنبِهِ ، وَمَا تَأَخَّرَ: ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة:١١٧] ، وَقَال تَعَالَى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾[النصر:٣].

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:٢/٥٠،برقم: ١١٣٠،ومسلم:٢١٧١/٤،برقم: ٢٨١٩.

[2] رواه البخاري في صحيحه:٢/٧،برقم: ٥٠٦٣، عن أنسٍ مرفوعاً.

[3] رواه البخاري في صحيحه:٣٤/٢،برقم: ١٠٤٤،ومسلم:٦١٨/٢،برقم: ٩٠١، (**لو تَعْلَمُونَ ما أَعْلَمُ**) من عظمة الله تعالى ، وشدة عقابه ، وانتقامه من أهل المعاصي ، وما أعلم من أحوال يوم القيامة.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الفَصْلُ الثَّانِي عَشَر)

فَوائِدَ القَوْلِ بِعِصْمَةِ الأنبِيَاءِ

قَد استَبَانَ لَكَ أيُّهَا النَاظِرُ ! بِمَا قَرَّرْنَاهُ مَا هُو الْحَقُّ مِنْ عِصْمَتِهِ ﷺ عَن الجَهلِ بِاللهِ ، وَصِفَاتِهِ ، أَو كَونِهِ عَلَى حَالَةٍ تُنَافِي الْعِلْمِ بِشَئِ مِن ذَلِكَ كُلِّهِ جُمْلَةً ، بَعْدَ النُّبُوَّة عقلًا وَإِجْمَاعًا ، وَقَبلَهَا سَمَاعًا وَنَقْلًا ، وَلَا بِشَئٍ مِمَّا قَرَّرْنَاهُ مِن أُمُورِ الشَّرْعِ وَأَدَّاهُ عَنْ رَبِّه مِن الْوَحْي قَطْعًا وعقْلًا وشَرْعًا .

وَعِصْمَتِه عَن الكَذِب وَخُلْف القَوْل - مُنْذ نَبَّأه الله وأَرْسَلَه- قَصْدًا أَو غَيْرَ قَصْدٍ ، وَاسْتِحَالَة ذَلِك عَلَيْه شَرْعًا وَإِجْمَاعًا وَنظَرًا وَبُرْهانًا ، وتَنْزيهه عَنْه قَبْل النُّبُوَّة قَطْعًا ،وَتَنْزِيهه عَن الكَبَائِر إِجْمَاعًا ، وَعَن الصَّغَائِر تَحْقِيقًا ، وَعَن اسْتِدَامَةِ السَّهْو وَالغَفْلَة ، وَاسْتِمْرَارِ الغَلَطِ وَالنّسْيَان عَلَيْه فِيمَا شَرَعَهُ لِلْأُمَّةِ ، وَعَصْمَتِه فِي كُلِّ حَالاتِهِ مِنْ رِضاً وَغضَب ، وَجِدٍّ وَمَزْح ؛ فَيَجِبُ عَلَيْك أَنّ تَتَلقَّاه باليَمِين ، وَتَشُدّ عَلَيْه يَدَ الضَّنِيْنِ[1] ، وَتقْدِرَ هَذِه الفُصُول حَقّ قَدْرِهَا ، وَتَعْلَمَ عَظِيمَ فَائِدَتِهَا وَخَطَرِهَا ؛ فَإِنّ من يَجْهَلُ مَا يَجب لِلنَّبِيِّ ﷺ أَو يَجُوزُ أَو يَسْتَحِيلُ عَلَيْه ، وَلَا يَعْرِفُ صُوَر أَحْكَامِه لَا يَأْمن أَنْ يَعْتَقِدَ فِي بَعْضِهَا خِلَافَ مَا هِي عَلَيْه ، وَلَا يُنَزِّهُه عَمَّا لَا يَجب أَنْ يُضَافَ إِلَيْه ، فَيَهْلِك مِن حَيْث لَا يَدْرِي، وَيَسْقُط فِي هُوَّةِ[2] الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِن النَّارِ ؛ إِذْ ظَنُّ البَاطِلِ بِهِ ؛وَاعْتِقَادِ مَا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ يُحلُّ بِصَاحِبِهِ دَارَ البَوَارِ ؛ وَلِهَذَا مَا احْتَاطَ ﷺ عَلَى الرَّجُلَيْن اللَّذَين رَأَيَاهُ لَيْلًا وَهُو مُعْتَكِفٌ فِي المَسْجِدِ مَع صَفِيَّةَ ؛ فَقَالَ لَهُمَا: **(إِنَّهَا صَفِيَّة)** ، ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: **(إِنَّ الشَيْطَانَ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا فَتَهْلِكَا)** [3] .

---

[1] **الضَّنِيْنِ**:البخيل وزناً ومعنىً.

[2] **الهُوَّة**:الحفرة البعيدة القعر.

[3] رواه البخاري في صحيحه:٤٩/٣،برقم: ٢٠٣٥،ومسلم:١٧١٢،برقم: ٢١٧٥.

http://mohhanoona.blogspot.com/

هَذِهِ أكْرَمَكَ اللَّهُ إِحْدَى فَوائِدِ مَا تَكَلَّمْنا عَلَيْه فِي هَذِهِ الفُصُول ، وَلعَلَّ جَاهِلًا لَا يَعْلَم بِجَهْلِه إذَا سَمِع شَيْئًا مِنْهَا يَرَى أَنّ الْكَلَام فِيهَا جُمْلَة من فُضُول الْعِلْم ، وَأَنّ السُّكُوتَ أوْلَى ، وَقَد اسْتَبَانَ لَكَ أَنَّه مُتَعَيَّنٌ لِلْفَائِدَة التي ذَكَرْنَاهَا .

وَفَائِدَةٌ ثَانِيَةٌ يُضْطرُّ إِلَيْهَا فِي أُصُول الْفِقْهِ ، وَيُبْتَنى عَلَيْهَا مَسَائِل لا تَنْعَدُّ مِن الْفِقْه ، وَيُتَخَلَّصُ بِهَا مِنْ تَشْغِيبِ مُخْتَلِفِي الفُقَهَاءِ فِي عِدَّةٍ مِنْهَا ؛ وَهِي الحكمُ فِي أَقْوَالِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَفعَالِهِ ، وَهُو بَابٌ عَظِيْمٌ ، وَأَصْلٌ كَبِير مِن أُصُولِ الفِقْه ، وَلَا بُدَّ مِن بنَائِهِ عَلَى صِدقِ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَخبَارِهِ وَبَلاغِهِ ، وَأنَّه لَا يَجُوزُ عَلَيْه السَّهْوُ فِيهِ ، وَعِصمَتِهِ مِن المُخَالَفَة فِي أَفْعَالِهِ عَمْدًا ، وَبِحَسَبِ اختِلَافِهِم فِي وُقُوعِ الصَّغَائِر وَقَعَ خِلَافٌ فِي امتِثَالِ الفِعل ، بَسْطُ بَيَانِه فِي كُتُب ذَلِك الْعِلْم فَلَا نُطَوّل بِه.

وَفَائِدَة ثَالِثَة يَحتَاجُ إِليهَا الحَاكِمُ وَالمُفتِي ؛ فِيْمَن أَضَافَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا مِنْ هَذِه الأُمُور ، وَوَصَفَهُ بِهَا ؛ فَمَنْ لَم يَعْرِف مَا يَجُوزُ ، وَمَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ ، وَمَا وَقَع الإجمَاع فِيه وَالخِلاف، كَيْف يُصَمِّمُ فِي الفُتيَا فِي ذَلِك؟ ، وَمِن أَيْن يَدرِي هَل مَا قَالَهُ فِيهِ نَقْصٌ أَو مَدْحٌ ؟ ؛ فَإِمَّا أَن يَجتَرِئَ عَلَى سَفْكِ دَمِ مُسْلِم حَرَام ، أَو يُسْقِطَ حَقًّاً ، وَيُضَيِّعَ حُرْمَةَ النَّبِيِّ ﷺ!!.

(الفَصْلُ الثَّالث عَشَر)

عِصْمَةُ المَلائِكَةِ عليهم السلام

وَالصَّوَابُ عِصْمَةُ جَمِيْعِهِم ، وَتَنْزِيهِ نِصَابِهِم الرَّفِيْع عَن جَمِيْعِ مَا يَحُطُّ مِن رُتبَتِهِم وَمَنْزِلَتِهِم عَن جَلِيْلِ مِقْدَارِهِم ؛ لِقَولِه تَعَالَى: ﴿لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[التحريم:٦] ، وَبِقَولِهِ: ﴿وَمَا مِنَّا إِلا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾[الصافات:١٦٤-١٦٦] ، وَبِقَولِهِ: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ

http://mohhanoona.blogspot.com/

عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[الأنبياء:١٩-٢٠] ، وَبِقَولِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾[الأعراف:٢٠٦] ، وبقوله: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[عبس:١٦] ، و﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[الواقعة:٧٩] .

وأمَّا مَا جَاءَ فِي قِصَّةِ هَارُوتَ وَمَارُوت ، وَمَا ذَكَر فِيْهَا أَهلُ الْأَخْبَارِ ، وَنَقَلَةِ الْمُفَسِّرِينَ ، وَمَا رُوِيَ عَن عَلِيٍّ ، وَابْن عَبَّاسٍ فِي خَبَرِهِمَا ، وابْتلائِهِمَا، فَاعلَم أكْرَمَك اللَّه أَنَّ هَذِه الأَخْبَار لَم يُرْوَ مِنْهَا شَئٌ لَا سَقِيمٍ ، وَلَا صَحِيحٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَيْس هُو شَيْئًا يُؤْخَذ بِقِيَاسٍ.
وَالَّذِي مِنْه فِي الْقُرْآن اخْتَلَف الْمُفَسِّرُونَ فِي مَعْنَاهُ ، وهذه الْأَخْبَارُ مِن كُتُبِ اليَهُود وَافْتِرَائِهِم ، كَمَا نَصَّه اللَّه أَوَّلَ الآياتِ مِن افْتِرَائِهِم بِذَلِك عَلَى سُلَيْمَانَ وتَكْفِيرِهِم إِيَّاه، وَقَد انْطَوَت الْقِصَّة عَلَى شُنَعٍ[1] عَظِيمَةٍ .

وأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنّ اللَّهَ تَعَالَى امْتَحَنَ النَّاسَ بِالْمَلَكَيْنِ ؛ لِتَعْلِيمِ السِّحْرِ وَتَبيينِه ، وَأَنَّ عَمَلَهُ كُفْرٌ، فَمَن تَعَلَّمَه كَفَرَ، وَمِن تَرَكَه آمَن.

قَال اللَّه تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[البقرة:١٠٢] ، وَتَعلِيْمُهمَا للنَّاسِ كَانَ تَعْلِيمَ إِنْذَارٍ ؛ أَي يَقُولان لِمَن جَاء يَطْلُب تَعَلُّمَه : لَا تَفْعَلُوا كَذَا ؛ فَإِنَّهُ يُفَرِّقُ بَيْن الْمَرْءِ وَزَوْجِه ، وَلَا تَتَحَيَّلُوا[2] بِكَذَا فَإِنَّه سِحْرٌ ، فَلَا تَكْفُرُوا ؛ فَعَلَى هَذَا فِعْل الْمَلَكَيْنِ طَاعَةٌ ، وَتَصرُّفُهُمَا فِيمَا أُمِرَا بِه لَيْس بِمَعْصِيَة ، وَهِي لِغَيْرِهِمَا فِتْنَة.

[1] **شُنَعٍ**: قبائح.
[2] **تَتَحَيَّلُوا** :أي لا تباشروا حِيَلَ السَّحَرَة من التمويه ، والنفث في العقد، ونحوه.

http://mohhanoona.blogspot.com/

البَابُ الثَّانِي: فِيْمَا يَخُصُّهُم الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، وَيَطْرَأُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَوَارِضِ الْبَشَرِيَّةِ ، وَفِيْهِ تِسْعَةَ فُصُول.

(الْفَصْلُ الْأَوَّلُ)

حَالَةُ الْأَنْبِيَاءِ بِالنِّسْبَةِ لِلْعَوَارِضِ الْبَشَرِيَّةِ

قَد قَدَّمْنَا أَنَّهُ ﷺ وَسَائِر الْأَنْبِيَاء وَالرُّسُل مِن البشر ، وَأَنَّ جِسْمَهُ وَظَاهِرَهُ خَالِصٌ لِلبَشَرِ يَجُوزُ عَلَيْهِ مِنَ الآفَاتِ وَالتَغْيِيرَاتِ وَالآلاَمِ وَالأَسقَامِ وَتَجَرُّعِ كَأسِ الحِمَامِ مَا يَجُوزُ عَلَى البَشَرِ .

وَهَذَا كُلُّهُ لَيْسَ بِنَقِيْصَةٍ فِيه ؛ لِأَنَّ الشَّئَ إِنَّمَا يُسَمَّى نَاقِصًا بِالإِضَافَةِ إِلَى مَا هُو أَتَمُّ مِنْه ، وَأَكمَلُ مِنْ نَوعِهِ .

وَقَد كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَهْلِ هَذِه الدَّار: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف:٢٥] ، وَخَلَقَ جَمِيع البَشَرِ بِمَدرَجَةِ الغِيرَةُ[1]؛ فَقَد مَرِضَ ﷺ وَاشتَكَى[2] ، وَأَصَابَهُ الحَرُّ وَالقَرُّ[3] ، وَأَدرَكَهُ الجُوعُ وَالعَطَشُ ، وَلَحِقَهُ الغَضَبُ وَالضَجَر ، وَنَالَهُ الإِعيَاءُ[4] وَالتَعَبُ ، وَمَسَّهُ الضَعْفُ وَالكِبَرُ ، وَسَقَطَ فَجُحِشَ شِقُّهُ[5] ،وَشَجَّهُ الكُفَّارُ ، وَكَسَروا رُبَاعِيَتَهُ[6] ، وَسُقِيَ السُّمَّ ، وَسُحِرَ ، وَتَدَاوَى وَاحتَجَمَ ،ثُمَّ قَضَى نَحبَهُ فَتُوفِّيَ ﷺ وَلَحِقَ بِالرَّفِيْقِ الأَعلَى ، وَتَخَلَّصَ مِن دَارِ الإِمْتِحَان

---

[1] **بِمَدرَجَةِ:** المذهب والمسلك. **الغِيرَةُ:** الأمر المتعسر،وهي ما يصيبه من الأحداث والأحوال.

[2] **اشتكى:** مرض.

[3] **القَرُّ:** البرد.

[4] **الإعياء:** التعب.

[5] **جُحِشَ:** خُدش.

[6] **الرُبَاعِيَة:** السِّن بين الثنيَّة والناب، وهي أربع رباعيات في الفك العلوي ، ورباعيتان في الفك السفلي.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَالبَلْوَى ، وَهَذِه سِمَات البَشَر الّتِي لَا مَحِيصَ عَنْهَا ، وَأَصَابَ غَيْرَه مِن الْأَنْبِيَاء مَا هُو أَعْظَم مِنْه ؛ فَقُتِّلُوا قَتْلًا ، وَرُمُوا في النَّارِ ، وَنُشِرُوا بالْمَنَاشِير ، وَمِنْهُم مَنْ وَقَاهُ اللَّه ذَلِك فِي بَعْض الأَوْقَات ، وَمِنْهُم من عَصَمَهُ اللهُ كَمَا عَصَمَ نَبِيَّنَا مِنَ النَّاس ؛ فَلَئِنْ لَم يَكْفِ نَبِيَّنَا رَبُّهُ يَدَ ابنُ قَمِئَة[1] يَوْم أُحُد ، وَلَا حَجَبَهُ عَن عُيُون عِدَاه عِنْد دَعْوَتِه أَهْل الطَّائِف ؛ فَلَقَد أَخَذ عَلَى عُيونِ قُرَيْشٍ عِنْد خُرُوجِه إِلَى ثَوْرٍ ، وَأَمْسَكَ عَنْه سَيْف غَوْرَث[2] ، وَحَجَر أَبِي جَهْل[3] ، وَفَرَس سُرَاقَة[4] ، وَلَئِن لَم يَقِهِ من سِحْرِ ابْنِ الأَعْصَمِ[5] ؛ فَلَقَد وَقَاهُ مَا هُو أَعْظَم من سُمِّ

---

[1] **ابن قمئة** :هو عبد الله بن قمئة الليثي الكناني ، وهو الذي هاجم النبيَّ ﷺ يوم أحد فتصدت له أم عمارة فضربها بالسيف على عاتقها ، وتقدم مصعب بن عمير ليصدَّ هجومه فقطع ابن قمئة يده اليمنى ثم اليسرى ثم قتله ، وكان يظنه النبي ﷺ لشبهه به ،فرجع لمكة وهو يقول: لقد قتلت محمداً ، وهو الذي أصاب أنف النبي ﷺ ، وكان معه عبد الله بن شهاب الذي شجَّ وجه النبي ﷺ ،وعتبة بن أبي وقاص الذي كسر رباعية النبي ﷺ وجرح شفته السفلى.

[2] **غورث**: هو ابن الحارث جاء يوماً ورسول الله ﷺ جالسٌ وسيفه في حجره ، فطلب من النبي ﷺ أن يعطيه سيفه لينظر إليه ،فلما أخذ السيف أراد أن يهم بالنبي ﷺ ليقتله ، فخذله الله تعالى ولم يستطع ذلك ، ولما قال للنبي ﷺ : ألا تخافني وفي يدي السيف؟ ،قال له النبي ﷺ :(**لا ، يمنعني الله منك**) .

[3] **حجر أبو جهل** :وهو عمرو بن هشام أمسك بحجرٍ ليضرب به رأس النبي ﷺ وهو ساجد ، فيبست يده على الحجر فلم يستطع أن يتركه ، ورجع خائباً خاسراً.

[4] **فرس سراقة**:وهو سراقة بن مالك المدلجي الكناني أراد أن يلحق بالنبي ﷺ عند هجرته إلى المدينة لينال جائزة قريش،فلما أدرك النبي ﷺ دعا عليه فساخت أقدام فرسه في الرمال فلم يستطع فرسه الحركة ، فطلب من النبي ﷺ أن يدعو له بالنجاة ووعده بأن يكف عن ملاحقته.

[5] **سحر ابن الأعصم**: وهو لبيد بن الأعصم اليهودي وكان من بني زريق ، وكان يُخَيَّلُ إلى النبي ﷺ أنه يفعل الشئ وما فعله ، أو أنه يأتي إحدى زوجاته وفي الحقيقة أنه لم يأتها.

اليَهُودِيَّة[1] ، وَهَكَذَا سَائِرُ أنْبِيَائِه مُبْتَلىً وَمُعَافى ، وَذَلِك من تَمَامِ حِكْمَتِه ؛ لِيُظْهِرَ شَرَفَهُم فِي هَذِه المَقَامَاتِ ، وَيُبَيِّن أمْرَهُم وَيُتِمّ كَلِمَتَه فِيهِم ، وَلِيُحَقِّق بامْتِحَانِهِم بَشَرِيَّتَهُم ، وَيَرْتَفِعَ الالْتِبَاسُ عَن أَهْل الضَّعْفِ فِيهِم ؛ لِئَلَّا يَضِلُّوا بِمَا يَظْهَرُ مِن العَجَائِبِ عَلَى أَيدِيْهِم كَضَلَالِ النَّصَارَي بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، وَلِيَكُون فِي مِحَنِهِم تَسْلِيَةً لِأُمَمِهِم ، وَوُفُوراً لأُجُورِهِم عِنْد رَبِّهِمْ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحسَنَ إلَيْهِم.

قَال بَعْض المُحَقِّقِين: وَهَذِهِ الطَّوَارِئُ وَالتَّغْيِيرَات المَذْكُورَة إِنَّمَا تَخْتَصُّ بأجْسَامِهِم الْبَشَرِيَّة المَقصُودُ بِهَا مُقَاومَةُ البَشَرِ ، وَمُعَانَاة بَنِي آدَم لِمُشَاكَلة الجِنْس ، وَأَمَّا بوَاطِنُهُم فَمُنَزَّهَةٌ غالبًا عَن ذَلِكَ ، مَعْصُومَةٌ مِنْهُ ، مُتَعَلِّقَةٌ بِالمَلأِ الأعْلَى وَالْمَلَائِكَة؛ لأخْذِهَا عَنْهُم وَتَلَقِّيهَا الوَحْي مِنْهُم .

وَقدْ قَالَ ﷺ :(**إنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي**)[2] ،وَقَالَ:(**إنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُم ، إنِّي أَبِيْتُ يُطعِمُنِي رَبِّي وَيُسقِيْنِي**)[3] ، فَأَخْبَر أَنَّ سِرَّه وَباطِنَهُ وَرُوحَهُ خِلَافَ جِسْمِهِ وَظَاهِره ، وَأَنَّ الآفاتِ التِي تَحُلُّ ظَاهِرَهُ مِن ضَعْفٍ ، وَجُوعٍ ، وَسَهَرٍ ، وَنَومٍ لَا يَحِلُّ مِنْهَا شَئٌ بَاطِنَهُ بِخِلَافِ غَيْرِه مِن البَشَرِ فِي حُكْمِ البَاطِنِ ؛ لِأَنَّ غَيْرَهُ إِذَا نَامَ اسْتَغْرَقَ النَّوْم جِسْمَه وَقَلْبَه ، وَهُو ﷺ فِي نَوْمِه حَاضِرُ القَلْبِ كَمَا هُو فِي يَقْظَتِه ، وَكَذَلِكَ غَيْرُهُ إِذَا جَاعَ ضَعُفَ لِذَلِكَ جِسْمُه ، وَخَارَت قُوَّتُه فَبطَلَت بِالْكُلِّيَّة جُمْلَتُه ، وَهُو ﷺ قد أَخْبَرَ أنَّهُ لَا يَعْتَرِيه ذَلِك ، وَأنَّه بِخِلَافِهِم لِقَوْلِه :(**إنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُم ، إنِّي أَبِيْتُ يُطعِمُنِي رَبِّي وَيُسقِيْنِي**) .

---

[1] **سم اليهودية** : هي زينب بنت الحارث اليهودية وهي امرأة سلام بن مشكم أهدت للنبي ﷺ شاةً مسمومةً ليأكلها ، وأكثرت السم في الذراع ؛ لأن النبي ﷺ يحب الذراع ، وكان معه الصحابي الجليل بشر بن البراء بن معرور الذي مات بالسم ، فقتل النبي ﷺ تلك اليهودية.

[2] رواه البخاري في صحيحه:٥٣/٢،برقم:١١٤٧،ومسلم:٥٠٩/١،برقم: ٧٣٨.

[3] رواه البخاري في صحيحه:٣٧/٣،برقم: ١٩٦٤،ومسلم:٧٧٦/٢،برقم: ١١٠٥.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَكَذَلِك أقُولُ : إنَّهُ فِي هَذِه الأَحْوَالِ كُلِّهَا مِنْ وَصَبٍ ، وَمَرَضٍ ، وَسِحْرٍ ، وَغضَبٍ لَم يَجْرِعَلَى بَاطِنِه مَا يُخلُّ بِهِ ، وَلَا فَاضَ مِنْه عَلَى لِسَانِه وَجَوارِحِه مَا لَا يَلِيق بِه كَمَا يَعْتَرِي غَيْرُه مِن البَشَرِ مِمَّا نَأْخُذ بَعْدُ فِي بَيَانِه.

(الْفَصْلُ الثَّانِي)

حَالَتُهُمْ بِالنِّسْبَةِ لِلسِّحْرِ

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: سُحِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى إِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ فَعَلَ الشَّئَ وَمَا فَعَلَهُ ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَأْتِي النِّسَاءَ وَلَا يَأْتِيهِنَّ...الْحَدِيث[1].

وَإِذَا كَانَ هَذَا مِن الْتِبَاسِ الأمْر عَلَى المَسْحُورِ فَكَيْفَ حَالُ النَّبِيِّ ﷺ فِي ذَلِكَ ، وَكَيْفَ جَازَ عَلَيْه وَهُو مَعْصُوم؟

فَاعلَم وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإيَّاك أَنّ هَذَا الْحَدِيثَ صَحِيْحٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْه ، وَقَد طَعَنَت فِيهِ المُلْحِدَةُ ، وَتَذَرَّعَتْ بِهِ ؛ لِسُخْف عُقُولِهَا ، وتَلْبِيسِهَا عَلَى أمْثَالهَا إِلَى التَّشْكِيْكِ فِي الشَّرْع ، وَقَد نَزَّه اللَّه الشَّرْعَ وَالنَّبِيَّ ﷺ عَمَّا يُدْخِلُ فِي أمْرِهِ لَبسًا ، وَإِنَّمَا السِّحْرُ مَرَضٌ مِنَ الأمْرَاضِ ، وَعَارِضٌ مِن العِلَلِ يَجُوز عَلَيْه كأنْواعِ الأمْرَاض مِمَّا لَا يُنكَر ، وَلَا يَقْدَحُ فِي نُبُوَّتِه.

وَأَمَّا مَا وَرَد أنَّه كَانَ يُخَيَّل إليْه أنَّه فَعَل الشئَ وَلَا يَفْعَلُه ؛ فَلَيْسَ فِي هَذَا مَا يُدْخل عَلَيْه دَاخِلَةً[2] فِي شَئٍ من تَبْلِيغِه أَو شَرِيعَتِه ، أو يَقْدَحُ فِي صِدْقِه ؛ لِقِيام الدّلِيلِ وَالإجْمَاعِ عَلَى عِصْمَتِه من هَذَا ، وَإِنَّمَا هَذَا فِيمَا يَجُوزُ طُرُوُّهُ عَلَيْه فِي أَمْرِ دُنْيَاه التِي لَم يُبْعَث بِسَبَبِها ، وَلَا فُضِّلَ من أَجْلِهَا ، وَهُو فِيهَا عُرْضَةٌ للآفَاتِ كَسَائِرِ البَشَرِ ، فَغَيْرُ بَعِيْد أَنْ يُخَيَّلَ إِلَيْهِ مِنَ أُمُورِهَا مَا لَا حقيقة لَه ، ثُمَّ

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:١٢٢/٤،برقم: ٣٢٦٨،ومسلم:١٧١٩/٤،برقم: ٢١٨٩.

[2] **داخلة**:نقيصة،وعيب،وفساد.

http://mohhanoona.blogspot.com/

يَنْجَلِي عَنْه، وَقَدِ اسْتَبَانَ لَكَ أَنَّ السِّحْرَ إِنَّمَا تَسَلَّطَ عَلَى ظَاهِرِهِ وَجوَارِحِهِ لَا عَلَى قَلْبِهِ وَاعْتِقَادِهِ وَعَقْلِه ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا أَثَّرَ فِي بَصَرَه ، وَحَبَسَه عَن وَطْءِ نِسَائِه وَطَعَامِه ، وَأَضْعَفَ جِسْمَه وأَمْرَضَهُ.

(الفَصْلُ الثَّالِثُ)

أَحوَالُهُ فِي أُمُورِ الدُّنـيَا

وأمَّا أحْوَالُه فِي أُمُورِ الدُّنيَا ، فَقَد يَعْتَقِد الشئَ عَلَى وَجْهٍ وَيْظَهر خِلافُه ، أَو يَكُونُ مِنْه عَلَى شَكٍّ أَو ظَنٍّ بخلاف أُمُور الشَّرْع.

فعن رَافِعِ بنُ خَدِيجٍ قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَهُمْ يُأَبِّرُونَ النَّخْلَ ، فَقَالَ: **(مَا تَصْنَعُونَ؟)**، قَالُوا: كُنَّا نَصْنَعُهُ، قَالَ: **(لَعَلَّكُمْ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ خَيْرًا)** فَتَرَكُوهُ فَنَفَضَتْ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: **(إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ إِذَا أمرتكم بشئ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بشئ من رأى فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ)**[1] ، وَفِي رِوَايَةِ أَنَسٍ :**(أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ)**[2]، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ:**(إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ)** [3]، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قِصَّةِ الْخَرْصِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :**(إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ فَمَا حَدَّثْتُكُمْ عَنِ اللَّهِ فَهُوَ حَقٌّ ، وَمَا قُلْتُ فِيهِ مِنْ قِبَلِ نَفْسِي فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أخطئ وَأُصِيبُ)** [4].

وَكَمَا رُوِيَ عَنْهُ ﷺ لَمَّا نَزَلَ بِأَدنَى مِيَاهِ بَدْرٍ قَالَ لَهُ الحُبَابُ بنُ المُنْذِرِ: أَهَذَا مَنْزِلٌ أَنْزَلَكَهُ اللَّهُ لَيْسَ لَنَا أَنّ نتقدمه ، أَم هُوَ الرَّأْيُ وَالحَرْبُ وَالمَكِيْدَة؟،

---

[1] رواه مسلم في صحيحه:١٨٣٥/٤،برقم: ٢٣٦٢ ، وابن حبان:٢٠٢/١،برقم: ٢٣، **(يُأَبِّرُونَ النَّخْلَ)**: يُلَقِّحُونه.

[2] رواه مسلم في صحيحه:١٨٣٦/٤،برقم: ٢٣٦٣.

[3] رواه مسلم في صحيحه:١٨٣٥/٤،برقم: ٢٣٦١.

[4] **صحيح**،رواه البزار في مسنده:٤٢/١١،برقم: ٤٧٢٦،**(الْخَرْصِ)**:تقدير ما على الشجر من الثمر.

http://mohhanoona.blogspot.com/

قَال:(**لَا ، بَل هُو الرَّأي والْحَرْب والمَكِيْدَة**) ، قَالَ: فَإنَّهُ لَيس بِمَنْزِلٍ، انْهَضْ حَتَّى نَأْتِيَ أدْنَى مَاءٍ مِنَ القَومِ ، فَنَنْزِلَهُ ، ثُمَّ نُغَوِّرُ مَا وَرَاءَهُ مِنَ الْقُلَبِ ، فَنَشْرَبَ وَلَا يَشْرَبُونَ، فَقَال:(**أشَرْتَ بالرَّأْيِ**) ، وَفَعَلَ مَا قَالَهُ[1].

وَقَدْ قَالَ اللَّه تَعَالَى لَه ﷺ : ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[آل عمران:١٥٩] وَأَرَادَ مُصَالَحَةَ بَعْضَ عَدُوِهِ عَلَى ثُلُثِ تَمْرِ الْمَدِينَةِ ، فَاستَشَارَ الْأَنْصَار ، فَلَمَّا أَخبَرُوهُ بِرَأيِهِم رَجَعَ عَنْه ،وَمِثْلُ هَذَا وَأَشبَاهِهِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا التِي لَا مَدْخَلَ فِيهَا لِعِلْمِ دِيَانَةٍ ، وَلَا اعتِقَادِهَا ، وَلَا تَعلِيْمِهَا يَجُوزُ عَلَيْه فِيهَا مَا ذكرناه، إذ لَيْس فِي هَذَا كُلِّهِ نَقِيْصَةٌ وَلَا مَحَطَّةٌ ؛ وَإِنَّمَا هِي أُمُورٌ اعتِيَادِيَّة يَعرِفُهَا مَنْ جَرَّبَهَا، وَلَكِن هَذَا إِنَّمَا يَكُون فِي بَعْضِ الأُمُورِ ، وَيَجُوزُ فِي النَّادِرِ ، وَفِيمَا سَبِيْلُهُ التَّدقِيقُ فِي حِرَاسَةِ الدُّنْيَا واستِثْمَارِهَا ، لَا فِي الكَثِيْرِ المُؤْذِنِ بِالبَلَهِ وَالغَفْلَةِ.

(الْفَصْلُ الرَّابِعُ)

أَحْكَامُ الْبَشَرِ الْجَارِيَةُ عَلَى يَدَيْهِ

وَأَمَّا مَا يَعْتَقِدُهُ فِي أُمُورِ أَحكَامِ البَشَرِ الجَارِيَةِ عَلَى يَدَيه ، وَقَضَايَاهُم ، وَمَعْرِفَةِ المُحِقِّ مِنَ المُبْطِلِ ، وَعِلْمِ المُصْلِحِ مِنَ المُفْسِدِ ، فَبِهَذِهِ السَّبِيل ؛ لِقَوْلِه ﷺ :(**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضُكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مِمَّا أسمع،فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ بشئ فَلَا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ**)[2].

---

[1] انظر البداية والنهاية لابن كثير:٨٠/٥،ط:هجر ،والكامل في التاريخ لابن عَدِّي:١٧/٢، وتاريخ الطبري:٤٤٠/٢ ،وتاريخ الإسلام للذهبي:١٨/٢ ،ط:التوفيقية.(**بدر**):اسم بئر،وهو الآن بلدة كبيرة عامرة،تبعد حوالي ١٥٠٠ كيلو متر عن المدينة،(**نغوِّرُ**):أي ندفن ونطم، (**القُلَب**):جمعُ قليب،وهي البئر التي لم تطوَ ،وإنما هي حفرةٌ قُلِبَ ترابها فسميت قليباً.

[2] رواه البخاري في صحيحه:١٨٠/٣،برقم: ٢٦٨٠ ،ومسلم:١٣٣٧/٣،برقم: ١٧١٣.

وَفِي رِوَايَة الزُّهْرِيّ عَن عُرْوَة:(**فَلَعَلَّ بَعْضُكُمْ أَنْ يَكُونَ أَبْلَغَ مِنْ بَعْضٍ فَأَحْسَبُ أَنَّهُ صَادِقٌ ، فَأَقْضِيَ لَهُ**) [1].

ويُجْري أحْكَامَه ﷺ عَلَى الظَّاهِرِ وَمُوجَب غَلبَاتِ الظَّنِّ بِشِهَادَة الشَّاهِد وَيَمينِ الحَالِفِ ، وَمُراعَاةِ الأشْبَهِ ، وَمَعْرِفَةِ العِفَاصِ وَالْوِكَاءِ [2] مَع مُقْتَضَى حِكْمَة اللَّه فِي ذَلِك ؛ فَإِنَّهُ تَعَالَى لَو شَاءَ لأَطْلَعَهُ عَلَى سَرَائِرِ عِبَادِهِ ، وَمُخَبّآتِ ضَمَائر أُمَّتِه ، فَتَولَّى الحُكْم بَيْنَهُم بِمُجَرَّد يَقِينِه وَعِلْمِه دون حَاجَة إِلَى اعْتِرَافٍ ، أَو بَيِّنَةٍ ، أَو يَمِينٍ ، أَو شُبْهَةٍ ، وَلَكِن لَمَّا أمَرَ اللَّه أمَّتَه بِاتِبَاعِهِ ، وَالإِقْتِدَاءِ بِهِ فِي أفْعَالِه ، وَأحْوَالِه ، وَقَضَايَاه ، وَسِيَرِه أَجْرَى اللَّه تَعَالَى أحْكامَه عَلَى ظَوَاهِرِهِم التي يَسْتَوي فِيها هُوَ ، وَغَيْرُه مِن الْبَشَر لِيَتِمَّ اقْتَداءُ أمَّتَهِ بِهِ.

(الفَصْلُ الخَامِسُ)

أَخْبَارُهُ الدُّنيَوِيَّةِ

وَأَمَّا أَقوَالُهُ الدُّنيَوِيَّةِ مِنْ أَخبَارِهِ عَنْ أَحوَالِهِ ،وَأَحوَالِ غَيْرِهِ ، وَمَا يَفْعَلُه ،أَو فَعَلَهُ ؛ فَقَد قَدَّمنَا أَنَّ الخُلْفَ فِيهَا مُمْتَنِعٌ عَلَيْه فِي كُلِّ حَالٍ ،وَعَلَى أَيِّ وَجْهٍ مِنْ عَمْدٍ،أَو سَهْو،أَو صِحَّةٍ،أَو مَرَضٍ،أَو رَضِى،أَو غَضَب ،وَأَنَّهُ مَعْصُومٌ مِنْه ﷺ. هَذَا فِيمَا طَرِيقُهُ الخَبَرُ المَحضُ مِمَّا يَدخُلُه الصِّدقُ ، وَالكَذِبُ ، فَأَمَّا المَعَارِيضُ المُوهِمُ ظَاهِرَهَا خِلَافَ بَاطِنِهَا فَجَائِزٌ وُرُودُهَا مِنْه فِي الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، لَا سِيَّمَا لِقَصْدِ المَصْلَحَةِ ؛ كَتَوْرِيَته عَن وَجْه مَغَازِيه [3] لِئَلَا يأْخُذ العَدُوُّ حذَرَه.

وَكَمَا رُوِيَ مِنْ مُمَازَحِتِه وَدُعَابَتِه لِبَسْط أمَّتَه ،وَتَطبِيْبِ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ صَحَابَتِه ،وتأْكِيدًا فِي تَحَبُّبِهِم وَمَسَرَّة نُفُوسِهِم؛ كَقَوْلِه: (**لأَحْمِلَنَّكَ عَلَى ابْنِ**

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:٣/١٣١،برقم: ٢٤٥٨،ومسلم:٣/١٣٣٧،برقم: ١٧١٣.

[2] **العِفَاصِ**:هو الوعاء من جلدٍ أو خرقة، **وَالْوِكَاءِ**:الخيط الذي تربط فيه الصرَّة أو الكيس.

[3] رواه البخاري في صحيحه: ٤/٤٨،برقم: ٢٩٤٨،ومسلم:٤/٢١٢٨،برقم: ٢٧٦٩.

http://mohhanoona.blogspot.com/

النَّاقَةِ) [1] ،وَقَوْلُهُ لِلْمَرْأَةِ الَّتِي سَأَلَتْهُ عَنْ زَوْجِهَا: **(أَهُوَ الَّذِي بِعَيْنِهِ بَيَاضٌ)** [2]؟
وَهَذَا كُلُّه صِدْقٌ ؛ لِأَنَّ كُلَّ جَمَلٍ ابنُ نَاقَةٍ ، وَكُلَّ إنْسَانٍ بِعَيْنِهِ بَيَاضٌ.
وَقد قَال ﷺ :**(إِنِّي لأَمْزَحُ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا)** [3] ، هَذَا كُلُّه فِيمَا بابُه الخَبَر.

فَأَمَّا مَا بَابُه غَيْرُ الخَبَرِ مِمَّا صُورَتُه صُورَةُ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ فِي الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّة ، فَلَا يَصِحُّ مِنْه أيْضًا ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ أَنْ يَأْمُرَ أَحَدَاً بِشَئٍ أَو يَنْهي أحدًا عَنْ شئ وَهُو يُبْطِنُ خِلَافَهُ ، وَقَد قَال ﷺ :**(مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الأَعْيُنِ)** [4] ، فَكَيْفَ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ قَلْبٍ؟ .

فَإِنْ قُلْتَ فَمَا مَعْنَي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي قِصَّةِ زَيْدٍ : ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾[الأحزاب:٣٧]؟

---

[1] **صحيح**، رواه أبو داود في سننه:٣٠٠/٤،برقم: ٤٩٩٨،والترمذي:٣٥٧/٤،برقم: ١٩٩١.

[2] عزاه زين الدين العراقي في كتابه المغني عن حمل الأسفار:١٠١٩/١ إلى الزبير بن بكار في كتابه الفكاهة والمزاح ،وابن أبي الدنيا من حديث عبيدة بن سهم الفهري مع اختلاف،وعزاه السيوطي في المناهل: ٢٣٣/١ لابن أبي الدنيا من حديث عبد الله بن سهم الفهري.

[3] **صحيح**،رواه الترمذي في سننه:٣٥٧/٤،برقم: ١٩٩٠،والبخاري في الأدب: ١٠٢/١،برقم: ٢٦٥،وأحمد في مسنده:٣٣٩/١٤،برقم: ٨٧٢٣.

[4] **صحيح**،رواه أبو داود:٥٩/٣،برقم: ٢٦٨٣،والحاكم في المستدرك:٤٧/٣،برقم: ٤٣٦٠، والبزار في مسنده:٣٥٠/٣،برقم:١١٥١،(**خائنة الأعين**): أي يضمر في نفسه ما لا يظهر ، فإذا كفَّ لسانه وَأَوْمَأَ بعينه فقد خان.

http://mohhanoona.blogspot.com/

فاعْلَم أَكْرَمَكَ الله ، وَلَا تَسْتَرِب[1] فِي تَنْزِيه النَّبِيِّ ﷺ عَن هَذَا الظَّاهِر ، وَأَنْ يَأْمُرَ زَيْدًا بإمْسَاكِهَا ، وَهُو يُحبّ تَطْلِيقَه إيَّاهَا كَمَا ذُكِرَ عَن جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ .

وَأَصَحُّ مَا فِي هَذَا مَا حَكَاه أَهْلُ التَّفْسِيرِعَن عَلِيِّ بنُ حُسَيْن: أَنّ اللَّهَ تَعَالَى كَان أَعْلَم نَبِيَّه أَنَّ زَيْنَبَ سَتَكُونُ مِنْ أزوَاجِهِ ، فَلَمَّا شَكَاهَا إِلَيْهِ زَيْدٌ قَالَ لَهُ :

﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ﴾ [الأحزاب:٣٧] وَأَخْفَى مِنْه فِي نَفْسِه مَا أَعلَمَهُ الله بِهِ مِنْ أَنَّهُ يَتَزَوجُهَا بِمَا اللهُ مُبْدِيهِ وَمُظْهِرُه بِتَمَام التَّزْوِيج و،طَلَاق زَيْدٍ لَهَا.

وَلَيْس مَعْنَي الخشية هُنَا الخَوْف ؛ وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ الاستِحْيَاء ؛ أَي يَسْتَحيِي مِنْهُم أَنْ يَقُولُوا تَزَوَّجَ زَوْجَة ابنِهِ ،وَأَنّ خشيته ﷺ مِن النَّاسِ كَانَت مِنْ إرجَافِ المُنَافِقِيْنَ وَاليَهُود وَتَشْغِيْبِهِم عَلَى الْمُسْلِمِين بِقَوْلِهم: تَزَوَّجَ زَوْجَة ابنه بَعْدَ نَهْيِهِ عَن نِكَاحِ حَلَائِلِ الأَبنَاءِ، فَعتَبَه الله عَلَى هَذَا ونَزَّهَه عَن الإلْتِفَات إِلَيْهِم.

(الْفَصْلُ السَّادِسُ)

حَدِيثُ الْوَصِيَّةِ

فَإِنّ قُلْت: مَا مَعْنَي الْحَدِيث فِي وَصِيَّتِه ﷺ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ قَال : لَمَّا احْتُضِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَفِي الْبَيْتِ رِجَالٌ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :(**هَلُمُّوا أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ**) ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ غَلَبَهُ الْوَجَعُ ... الْحَدِيثَ[2] ، وَفِي رِوَايَةٍ : (**آئْتُونِي أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَبَدًا**) ، فَتَنَازَعُوا فَقَالُوا: مَالَهُ أَهَجَرَ: اسْتَفْهِمُوهُ، فَقَالَ:(**دَعُونِي،فَإِنَّ الَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ**)[3]

---

[1] **لَا تَسْتَرِب**:لا تشك.

[2] رواه البخاري في صحيحه:٩/٦،برقم: ٤٤٣٢،ومسلم:١٢٥٩/٣،برقم: ١٦٣٧.

[3] رواه البخاري في صحيحه:٩٩/٤،برقم: ٣١٦٨،ومسلم:١٢٥٧/٣،برقم: ١٦٣٧.

http://mohhanoona.blogspot.com/

، وَفِي بَعْضِ طُرُقِهِ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَهْجُرُ[1] ، وَفِي رِوَايَة : هَجَرَ[2] ، ويُرْوى: أَهُجْرٌ ، وَيُرْوَى: أَهَجْرًا، وَفِيه : فَقَال عُمَرُ: إنَّ النَّبِيّ ﷺ قَدِ اشْتَدَّ بِهِ الوَجَعُ وَعِنْدَنَا كِتَابُ اللَّهِ حَسْبُنَا ، وَكَثُرَ اللَّغَطُ ، فَقَالَ: **(قُومُوا عَنَّي)**[3] ، وَفِي رِوَايَةٍ : وَاخْتَلَفَ أَهْلُ البَيْتِ وَاخْتَصَمُوا ، فَمِنْهُم مَنْ يَقُولُ: قَرِّبوا يَكْتُب لَكُم رَسُول اللَّه ﷺ كِتَابًا ، وَمِنْهُم من يَقُول مَا قَالَ عُمَر[4].

قَال أئِمَّتُنَا فِي هَذَا الْحَدِيث: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَيْرُ مَعْصُومٍ مِنَ الأمْرَاضِ ، وَمَا يَكُونُ مِنْ عَوارِضِهَا من شِدة وَجَعٍ ،وَغَشْيٍ ، وَنَحْوه مِمَّا يَطْرَأ عَلَى جِسْمِه ، مَعْصُومٌ أَنْ يَكُونَ مِنْه مِنَ القَوْلِ أَثْنَاء ذَلِك مَا يَطْعَنُ فِي مُعْجِزَتِه ، وَيُؤَدِي إِلى فَسَادٍ فِي شَرِيعَتِه مِنْ هَذَيَانٍ ، أَو اخْتِلالٍ فِي الكَلَام.

وَعَلَى هَذَا لَا يَصِحُّ ظَاهِر رِوَايَةِ مَنْ رَوَى فِي الحَدِيثِ:**(هَجَرَ)**؛ إِذ مَعْنَاهُ هَذَى ، يُقَالُ : هَجر هُجْرًا إِذَا هَذَى، وَأَهْجَرَ هُجْرَاً إِذَا أَفْحَشَ؛ وَأَهَجرْ تَعْدِيَةُ هَجر، وَإِنَّمَا الأَصَحُّ وَالأَوْلَى **(أَهَجَرَ)**؟ عَلَى طَرِيق الإِنْكَارِ عَلَى مَنْ قَالَ: لا يَكْتُبْ ، هَكَذَا رِوايَتُنَا فِيهِ فِي صَحِيْحِ الْبُخَارِيِّ مِنْ رِوَايَة جَمِيْعِ الرُّوَاة فِي حَدِيث الزُّهْرِيِّ المُتَقَدّم، وَفِي حَدِيث مُحَمَّد بن سَلَام عَن ابن عُيَيْنَة ، وَكَذَا ضبَطَه الأَصِيلِيُّ بِخَطِّهِ فِي كِتَابه وَغَيْرُه من هذه الطُّرُق ، وكذا رَوَيْنَاه عَن مُسْلِمٍ فِي حَدِيث سُفْيَانَ وَعَن غَيْرِه ، وَقَد تُحْمَلُ عَلَيْهِ رِوَايَةُ مَنْ رَوَاه **(هَجَرَ)** عَلَى حَذْفِ أَلْفِ الاستِفْهَامِ ، وَالتَّقْدِير: أَهَجَرَ؟ ، أَو أَنْ يُحْمَلَ قَوْلُ القَائِلِ: هَجَرَ ، أَو أَهْجَرَ دَهْشَةً مِنْ قَائِلِ ذَلِكَ ، وَحيْرَةً لِعَظِيْمِ مَا شَاهَدَ مِنْ حَالِ الرَّسُول ﷺ وَشِدَّةِ وَجَعِهِ

[1] رواه مسلم في صحيحه:١٢٥٩/٣،برقم: ١٦٣٧.

[2] رواه البخاري في صحيحه:٦٩/٤،برقم: ٣٠٥٣.

[3] رواه البخاري في صحيحه:٢٤/١،برقم: ١١٤، **(اللغط)**: الجَلَبة ، وَالصَّيَاح ، وأصوات مبهمة لا تفهم.

[4] رواه البخاري في صحيحه:١١١/٩،برقم: ٧٣٦٦،ومسلم:١٢٥٩/٣،برقم: ١٦٣٧.

http://mohhanoona.blogspot.com/

، وَالمَقَامِ الَّذِي اخْتُلِف فِيه عَلَيْه ، وَالأَمْرِ الَّذِي هَمَّ بِالكِتَابِ فِيهِ حَتَّى لَم يَضْبِط هَذا القَائِلُ لَفْظَهُ ، وَأجرَى الهَجْرَ مَجْرَى شِدَّةِ الوَجَعِ ، لَا أنَّه اعتَقَدَ أَنَّهُ يَجُوزُ عَلَيْهِ الهَجْرُ كَمَا حَمَلَهُم الإِشفَاقُ عَلَى حِرَاسَتِهِ ، والله يَقُول: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[المائدة:٦٧] ، وَنَحْو هَذَا.

وَأَمَّا عَلَى رِوَايَة:(أَهُجْراً)؟ ، وَهِي رِوَايَة أَبِي إِسْحَاق إِبْرَاهِيْمَ بْنِ أَحْمَدَ المُسْتَمْلِي فِي الصَّحِيحِ فِي حَدِيْثِ ابن جُبَيْرٍ عَن ابنِ عَبَّاسٍ مِنْ رِوَايَة قُتَيْبَة ؛ فَقَد يَكُون هَذَا رَاجعًا إِلَى المُخْتَلِفِين عِنْدَه ﷺ ، ومُخَاطَبَةً لَهُم من بَعْضُهُم ؛ أَيّ جِئْتُم بِاختِلَافِكُم عَلَى رَسُول الله ﷺ وَبَيْن يَدَيْه هُجْرًا وَمُنْكَرَاً مِنَ القَوْلِ، و**الهُجْر** بِضَمّ الْهَاء: الفُحْش فِي المَنْطِق.

(الفَصْلُ السَّابِعُ)

دِرَاسَةُ أَحَادِيثَ أُخْرَى

فَإِنْ قِيل: فَمَا وَجْهُ حَدِيثِه أيْضًا الّذي رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (**اللَّهُمَّ إِنَّمَا مُحَمَّدٌ بَشَرٌ يَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ وَإِنِّي قَدِ اتَّخَذْتُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ آذَيْتُهُ أَوْ سَبَبْتُهُ أَوْ جَلَدْتُهُ فَاجْعَلْهَا لَهُ كَفَّارَةً وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)[1] ، وَفِي رِوَايَة:(**فَأَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عليه دَعْوَةً**)[2]، وَفِي رِوَايَة:(**لَيْس لَهَا بِأَهْلٍ**)[3] ، وَفِي رِوَايَة:(**فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبَبْتُهُ أَوْ لَعَنْتُهُ أَوْ جَلَدْتُهُ فَاجْعَلْهَا لَهُ زَكَاةً وَصَلَاةً وَرَحْمَةً**)[4] .

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:٧/٨،برقم: ٦٣٦١،ومسلم:٢٠٠٨/٤، برقم:٢٦٠١، واللفظ لمسلم.

[2] رواه مسلم في صحيحه:٢٠٠٩/٤،برقم: ٢٦٠٣.

[3] رواه مسلم في صحيحه:٢٠٠٩/٤،برقم: ٢٦٠٣.

[4] رواه مسلم في صحيحه:٢٠٠٧/٤،برقم: ٢٦٠١.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وكيف يَصحُّ أَن يَلْعَنَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ اللَّعْن ، وَيَسُبُّ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ السَّب ، وَيَجْلِدَ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ الْجَلْد ، أَو يَفْعَل مِثْل ذَلِك عِنْد الْغَضَب وَهُو مَعْصُومٌ من هَذَا كُلِّه؟

فَاعْلَم شَرَح اللَّه صَدْرَك أَنَّ قَوْله ﷺ أولًا:(**لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ**) ؛ أَي عِنْدَك يَا رَبّ فِي بَاطِن أَمْرِه ، فَإِنّ حُكْمَه ﷺ عَلَى الظَّاهِرِ كَمَا قَالَ،وَلِلْحِكْمَة الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فَحَكَمَ ﷺ بِجَلْدِه ، أَو أَدّبَه بِسَبّه،ولَعْنِه بِمَا اقْتَضَاه عِنْدَه حَالِ ظَاهِرِهِ ، ثُمَّ دَعَا لَهُ ﷺ لِشَفَقَتِه عَلَى أمَّتَه ، وَرَأْفَتِه وَرَحْمَتِه بِالْمُؤْمِنين الَّتِي وَصَفَه اللَّه بِهَا ، وَحَذَرِه أَن يَتَقَبَّلَ اللَّهُ فِيمَنْ دَعَا عَلَيْهِ دَعْوَتَه أَن يَجْعَلَ دُعَاءَه وَفِعْلَه لَهُ رَحمَةً ، وَهُو مَعْنَى قَوْلِه (**لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ**) ، لَا أَنَّه ﷺ يَحْمِلُه الغَضَب وَيَسْتَفِزُّه الضَّجَر لِأَن يَفْعَل مِثْل هَذَا بِمَن لَا يَسْتَحِقُّه من مُسْلِمٍ، وَهَذَا مَعْنًى صَحِيْحٌ.

وَلَا يُفْهَم من قَوْلِه:(**أَغْضَب كَمَا يَغْضَب الْبَشَر**)[1] أَنَّ الغَضَبَ حَمَلَهُ عَلَى مَا لَا يَجِبُ ؛ بَل يَجُوز أَنْ يَكُونَ المُرَادُ بِهَذَا أَنَّ الغَضَبَ للهِ حَمَلَهُ عَلَى مُعَاقَبَتِه بِلَعْنِه أَو سَبِّه ،وَقَد يُحْمَلُ عَلَى أنه خَرَج مَخْرَج الإِشْفَاق وَتَعْلِيم أُمَّتَه الخَوْف ، وَالْحَذَر من تَعَدِّي حُدُود اللَّه ، وَقَد يُحْمَل مَا وَرَد من دُعَائِه هُنَا ومن دَعَوَاتِه عَلَى غَيْر وَاحِد فِي غَيْر مَوْطِن عَلَى غَيْر الْعَقْدِ وَالْقَصْدِ ؛ بَل بما جَرَت بِه عَادَة الْعَرَب وَلَيْس الْمُرَاد بِهَا الإِجَابَة ؛ كَقَوْلِه:(**تَرِبَتْ يَمِينُكَ**)[2]، (**وَلا أَشْبَعَ اللَّهُ بَطْنَكَ**)[3]، و(**عَقْرَى حَلْقَى**)[4] وَغَيْرِهَا من دَعَوَاتِه.

---

[1] رواه مسلم في صحيحه:٢٠٠٩/٤،برقم: ٢٦٠٣،وابن حبان:٢٧١/١٥،برقم: ٦٠٠٥.

[2] رواه مسلم في صحيحه:٢٥٠/١،برقم: ٣١٠، وغيره.

[3] رواه مسلم في صحيحه:٢٠١٠/٤،برقم: ٢٦٠٤،وقالها النبي ﷺ لمعاوية بن أبي سفيان لمَّا دعاهُ ، وكان يأكل فلم يجب ،فدعا عليه رسول الله ﷺ .

[4] رواه البخاري في صحيحه:١٤١/٢،برقم: ١٥٦١،ومسلم:١٢٢١/٢،برقم: ١٩٥٨،(**عقرى**): أي عقرها الله ،وأصابها بِعَقْرٍ في جسدها،و(**حلقى**):يعني أصابها وجع في حلقها خاصة،قاله النبي ﷺ لصفية رضي الله عنها .

وَقَد وَرَد فِي صِفَتِه فِي غَيْر حَدِيث أَنَّه ﷺ لَم يَكُن فَحَاشًا، وَقَال أَنَس: لَم يَكُن سَبَّابًا وَلَا فَاحِشًا وَلَا لَعَّانًا ، وَكَانَ يَقُولُ لأَحَدِنَا عِنْد المَعْتَبَة:(**مَا لَه؟، تَرِبَ جَبِينُه**) [١] ، فَيَكُون حَمْل الْحَدِيث عَلَى هَذَا الْمَعْنَى ، ثُمّ أشفَق ﷺ من مُوَافَقَةِ أمْثَالِهَا إجَابَةً ، فَعَاهَدَ رَبَّه كَمَا قَال فِي الْحَدِيث أَنّ يَجْعَل ذَلِك لِلْمَقُول لَهُ زَكاةً وَرَحْمَةً وَقُرْبَة.

وَقَد يَكُونُ ذَلِكَ إشفَاقًا عَلَى المَدعُوِّ عَلَيْه ، وتأنيسًا لَهُ ؛ لئلَا يَلْحَقَه مِن استِشْعَار الْخَوْف والحَذَر من لَعْنِ النَّبِيِّ ﷺ وَتَقَبُّل دُعَائِهِ ما يَحْمِلُه عَلَى اليَأْس والقُنُوط.

وَقَد يَكُون ذَلِك سُؤَالًا مِنْه لِرَبِّه لِمَنْ جَلَدَه أَو سَبَّه عَلَى حَقّ وبِوَجْهٍ صَحِيْحٍ أَن يَجْعَل ذَلِك لَه كَفَّارَة لَمّا أصَابَه وَتَمْحِيَة لَمّا اجْتَرَم وأن تَكُون عُقُوبَتُه لَه فِي الدُّنْيَا سَبَب العَفْو وَالغُفْرَان كَمَا جاء فِي الْحَدِيث الآخَر (**وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا ، فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ**) [٢] .

فَإنْ قُلْتَ: فَمَا مَعْنَي حَدِيثِ الزُّبَيْر وقول النَّبِيّ ﷺ لَه حِينَ تَخَاصُمِهِ مَع الْأَنْصَارِيِّ فِي شِرَاجِ الحَرَّة:(**اسْقِ يَا زُبَيْرُ حَتَّى يَبْلُغَ الْكَعْبَيْنِ**) ، فَقَال له الْأَنْصَارِيُّ : أَنْ كَانَ يا رسول الله ابْنَ عَمَّتِكَ؟ ، فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمّ قَال: (**اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ احْبِسْ حَتَّى يَبْلُغَ الجُدُر**). الْحَدِيث [٣] ؟

---

[١] رواه البخاري في صحيحه:١٣/٨،برقم: ٦٠٣١ ،(**المَعتَبَة**): العتاب واللوم،(**مَا لَهُ ؟**): ما شأنه ، وما الذي أصابه،(**تَرِبَ جَبِيْنُهُ**): أصابه التراب ولصق به ، وهي كلمة تقولها العرب ولا تقصد معناها،وقيل: معناها الدعاء له بالطاعة والصلاة.

[٢] رواه البخاري في صحيحه: ١٢/١،برقم: ١٨،ومسلم:١٣٣٣/٣،برقم: ١٧٠٩، (**أصاب من ذلك شيئاً**): وقع في مخالفة كالزنى والسرقة ونحو ذلك،(**فعوقب**): نفذت عليه عقوبته من حَدٍّ أو غيره. (**ستره الله**): لم يصل أمره إلى القضاء.

[٣] رواه البخاري في صحيحه:١١١/٣،برقم: ٢٣٥٩،ومسلم:١٨٢٩/٤،برقم: ٢٣٥٧،(**شِرَاجَ**): جمع شَرْج ، وهو مسيل الماء من المرتفع إلى السهل،(**الحَرَّة**): الأرض الصلبة الغليظة ذات الحجارة السوداء ، وفي المدينة حرتان ، (**أَنْ كَانَ ابنَ عَمَّتِكَ**) قال ذلك عند الغضب ، وكان زلة منه رضي الله عنه،(**يَبْلَغَ**):يصل،(**الجُدُرَ**):الحواجز التي تحبس الماء ، والمعنى حتى تبلغ تمام الشرب.

فَالجَوَابُ : أَنَّ النَّبِيّ ﷺ مُنَزَّهٌ أَنْ يَقَعَ بِنَفْسِ مُسْلِمٍ مِنْه فِي هَذِه الْقِصَّة أمْرٌ يُرِيبُ ، وَلَكِنَّهُ ﷺ نَدَبَ الزُّبَيْر أوَّلاً إِلَى الاقْتِصَارِ عَلَى بَعْض حَقَّه عَلَى طَرِيْقِ التَّوَسُّط وَالصُّلْح ، فَلَمّا لَم يَرْضَ بِذَلِك الآخَر ، وَلَجَّ[1] ، وَقَال مَا لَا يَجِب اسْتَوْفَى النَّبِيُّ ﷺ لِلزُّبَيْرِ حَقَّهُ ؛ وَلِهَذَا تَرْجَم الْبُخَارِيّ عَلَى هَذَا الْحَدِيث: **"باب إذَا أشَار الْإِمَام بِالصُّلْح فأبى حَكَم عَلَيْه بِالْحُكْمِ البَيِّنِ"**: وَذَكَر فِي آخِرِ الْحَدِيث: فاسْتَوْعى رَسُول اللَّه ﷺ حِينَئِذ للزُّبَيْر حَقّه[2].

وَقَد جَعَل الْمُسْلِمُون هَذَا الْحَدِيث أصْلًا فِي قَضِيَّتِه، وَفِيه الاقْتِدَاء بِه ﷺ فِي كُلِّ مَا فَعَلَه فِي حَالِ غَضَبه وَرِضَاه ، وَأنَّه وَإِن نَهَى أَن يَقْضِيَ الْقَاضِي وَهُو غَضْبَان ، فَإِنَّه فِي حُكْمِه فِي حَالِ الغَضَبِ وَالرِّضى سَوَاء ؛ لِكَوْنِه فِيهَا مَعْصُومًا، وَغَضَبُ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذَا إِنَّمَا كَانَ لله تَعَالَى لَا لِنَفْسِه كَمَا جاء فِي الْحَدِيث الصَّحِيح[3].

(الفَصْلُ الثَّامِن)

أَفعَالُهُ الدُّنيَوِيَّة

وَأَمَّا أَفعَالُهُ ﷺ الدُّنْيَوِيَّةُ ، فَحُكْمُهُ فِيهَا مَنْ تَوَقِّي المَعَاصِي وَالْمَكْرُوهَات مَا قَدّمْنَاه ، وَمِن جَوَازِ السَّهْو وَالغَلَطِ فِي بَعْضِهَا مَا ذَكَرْنَاه ، وَكُلُّهُ غَيْرُ قَادِحٍ فِي النُّبُوَّة ؛ بَل إنَّ هَذَا فِيهَا عَلَى النُّدُورِ إذ عَامَّةُ أَفعَالِهِ عَلَى السَّداد وَالصَّوَاب ، بَل أكْثَرُهَا أَو كُلُّهَا جَارَية مَجْرَى الْعِبَادات والْقُرَبِ عَلَى مَا بَيّنَا ؛ إذ كَان ﷺ لَا

---

[1] **لجَّ** : تَمادى في الخصومة.

[2] انظر صحيح البخاري:١٨٧/٣،برقم: ٢٧٠٨.

[3] رواه البخاري في صحيحه:١٦٠/٨،برقم: ٦٧٨٦،ومسلم:١٨١٣/٤،برقم: ٢٣٢٧ بمعناه، وأبو داود في سننه:٢٥٠/٤،برقم: ٤٧٨٥.

http://mohhanoona.blogspot.com/

يَأخُذ مِنْهَا لِنَفْسِه إلَّا ضَرُورَتَه ، وَمَا يُقِيم رَمقَ[1] جِسْمِه ، وَفِيه مَصْلَحَة ذَاتِه الَّتِي بِهَا يَعْبُد رَبَّه وَيُقِيم شَرِيعَتَه وَيَسُوسُ أُمَّتَه ، وَمَا كَان فِيمَا بَيْنَه وَبَيْن النَّاس من ذَلِك فَبَيْنَ مَعْرُوفٍ يَصْنَعُهُ أَو بِرٍّ يُوسِعُهُ ، أَو كَلامٍ حَسَنٍ يَقُولُهُ ، أَو يَسْمَعهُ ، أَو تَألُّفِ شَارِدٍ ، أَو قَهْرِ مُعَانِدٍ، أَو مُدَارَاةِ حَاسِدٍ ، وَكُلُّ هَذَا لاحِقٌ بِصَالِح أعْمَالِه ، مُنْتَظِم فِي زَاكِي وَظَائف عِبَادَاته ، وَقَد كَان يُخَالف فِي أفْعَاله الدُّنْيَوِيَّة بِحسَب اخْتِلَاف الأحْوَال ، ويُعِدُّ للأمُور أشْبَاهَهَا ، فَيَرْكَبُ فِي تَصرُّفِه لَمَّا قَرُب الْحِمَار ، وَفِي أسْفَارِهِ البَعِيْدةِ الرَّاحِلَة ، وَيرْكَب الْبَغْلَةَ فِي مَعَارِك الْحَرْب دَلِيلًا عَلَى الثَّبات ، وَيرْكَب الْخَيْل وَيُعِدُّهَا لِيَوْم الْفَزَع وَإِجَابَة الصَّارِخِ ، وَكَذَلِك فِي لِبَاسِهِ وَسَائِر أحْوَاله بِحَسَبِ اعْتِبَار مَصَالِحِه وَمَصَالح أمَّتِه ، وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ الْفعْلَ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا مُسَاعَدَةً لأمَّتِهِ ، وَسِيَاسَةً وَكَرَاهِيَةً لِخَلافِهَا ، وَإِن كَانَ قَد يَرَى غَيْرَه خيرًا مِنْه ، كَمَا يَتْرُك الْفَعْلَ لِهَذَا ، وَقَد يَرَى فَعْلَه خَيْرًا مِنْه ، وَقَد يَفْعَل هَذَا فِي الأُمُورِ الدِّينِيَّةِ مِمَّا لَه الْخِيرَة فِي أَحَد وَجْهَيْه ؛ كَخُروجِهِ مِنَ الْمَدِينَة لأُحُدٍ ، وَكَان مَذْهَبُه التَّحَصُن بِهَا.

وَتَرْكِه قَتْل المُنَافِقِين وَهُو عَلَى يَقِين من أمْرِهِم مُؤَالَفَة لِغَيْرِهِم ، ورِعَايَةً لِلْمُؤمِنين من قَرَابَتِهِم ، وَكَرَاهَةً لِأَنّ يَقُول النَّاس : إنّ مُحَمَّدًا يَقْتُل أصْحَابَه كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ[2].

وتَرْكِهِ بِنَاءَ الكَعْبَة عَلَى قَوَاعِد إبْرَاهِيم مُرَاعَاةً لِقُلُوب قُرَيْش ، وَتَعْظِيمهم لتَغَيُّرِهَا ، وَحَذَرًا من نَفَارِ قُلُوبِهِم لِذَلِكَ وَتَحْرِيكِ مُتَقَدِّمِ عَدَاوَتِهِم للدِّينِ وَأَهلِهِ ،

---

[1] الرَّمَق: آخر النَفَس ،و بقية الروح،ومن الأخطاء الشائعة قولهم: ليس عنده ما يسد الرمق، والصواب:ليس عنده ما يمسك رمقه؛ لأنه يموت إذا سُدَّ رمقه.

[2] رواه البخاري في صحيحه:١٥٤/٦،برقم: ٤٩٠٥،ومسلم:١٩٩٨/٤،برقم: ٢٥٨٤.

http://mohhanoona.blogspot.com/

فَقَالَ لِعَائِشَةَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ:(**لَوْلَا حِدْثَانُ قَوْمِكِ بِالْكُفْرِ لَأَتْمَمْتُ الْبَيْتَ عَلَى قَوَاعِدَ إِبْرَاهِيمَ)**[١] .

وَيَفْعَلُ الفِعْلَ ثُمَّ يَترُكُهُ لِكَونِ غَيْرِهِ خَيرًا مِنْه ؛ كَانتِقَالِهِ مِن أَدنَى مِيَاهِ بَدْرٍ إِلَى أَقرَبِهَا لِلعَدوِّ مِن قُرَيش[٢] ، وَكَقَولِهِ: (**لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا سُقْتُ الهَدْي)** [٣] ، وَيَبْسِطُ وَجهَهُ لِلعَدُوِّ و لِلكَافِرِ رَجَاءَ استِئْلَافِهِ[٤] ، وَيَصْبِرُ للجَاهِلِ ، وَيَقُولُ: (**إِنَّ مِنْ شَرِّارِ النَّاسِ مَنِ اتَّقَاهُ النَّاسُ لِشَرِّ)** [٥] ، وَيَبْذُلَ لَهُ الرّغائِب[٦] لِيُحَبَّب إِلَيْه شَرِيعَتَه وَدِيْنِ رَبِّه ، وَيَتَوَلَّى فِي مَنْزِلِه مَا يَتَوَلَّى الخَادِمُ مِن مِهْنَتِه، وَيَتَسَمَّتُ فِي مُلاءَتِه[٧] حَتَّى لَا يَبْدُو مِنْهُ شَئ مِنْ أَطرَافِهِ ، وَحَتَّى كَأَنَّ عَلَى رُؤُسِ جُلسَائِه الطَّيْر ، وَيَتَحَدَّثُ مَع جُلِسَائِه بِحَدِيثِ أَوّلِهِم ، وَيَتَعَجَّبُ مِمَّا يَتَعَجّبُون مِنْه ، وَيَضْحَك مِمَّا يَضْحكُون مِنْه ، وَقَد وسع النَّاس بِشْرُه

---

[١]رواه البخاري في صحيحه:١٤٦/٢،برقم: ١٥٨٥،ومسلم:٩٦٨/٢،برقم: ١٣٣٣،(**حَدَثان قَومُكِ بِكُفرٍ)**: قرب عهدهم بالجاهلية، وأن الإسلام لم يتمكن بعد من قلوبهم.

[٢]انظر سيرة ابن هشام:٦٢٠/١،ط:الحلبي ،وطبقات ابن سعد:٥٦٧/٣، ط:صادر،وتاريخ الطبري:٢٤٠/٢،وقال الألباني:ضعيفٌ على شهرته في كتب المغازي ،انظر السلسلة الضعيفة:٤٥١/٧،برقم: ٣٤٤٨.

[٣]رواه البخاري في صحيحه:٨٣/٩،برقم: ٧٢٢٩،ومسلم:٨٩٧/٢،برقم: ١٢١١، (**لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ)**: لو علمت في أول الحال ما علمت آخراً من جواز العمرة في أشهر الحج، (**مَا سُقْتُ الهَدْي)** ما أتيت بالهدي الذي يمنعني من التحلل حتى يبلغ محله.

[٤]**رَجَاءَ استِئْلَافِهِ**:طمعاً في إسلامه وألفته،وحذراً من نفرته.

[٥]رواه البخاري في صحيحه:١٣/٨،برقم: ٦٠٣٢،ومسلم:٢٠٠٢/٤،برقم: ٢٥٩١.

[٦]**الرّغائِب**:العطايا الكثيرة.

[٧]**يَتَسَمَّتُ فِي مُلاءَتِه**:يتخذ هيئة حسنة عند اجتماعه بالناس.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَعَدْلُه ، لَا يَسْتَفِزُّه الغَضَب ، وَلَا يُقَصِّرُ عَن الْحَقّ ، وَلَا يُبْطن عَلَى جُلسَائِه يَقُول: (**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الأَعْيُنِ**)[1] .

فَإِن قُلْتَ: فَمَا مَعْنَي قَوْلِه لِعَائِشَة رضي الله عنها فِي الدَّاخِلِ عَلَيْه (**بِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ**) ، فَلَمَّا دَخَلَ أَلانَ لَهُ القَوْل ، وَضَحِك مَعَه، فَلَمّا خَرَج سَأَلْتُهُ عَن ذَلِكَ قَال: (**إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنِ اتَّقَاهُ النَّاسُ لِشَرِّهِ**)[2] ؟ ، وَكَيْفَ جَازَ أَن يُظْهِرَ لَهُ خِلَافَ مَا يُبْطِن ، وَيَقُول فِي ظَهْرِه مَا قَالَ؟

فالجَوَاب أَنَّ فِعْلَه ﷺ كَانَ اسْتِئْلَافًا لِمِثْلِهِ ، وَتَطيِيباً لِنَفْسِه ؛ لِيتَمَكَّنَ إِيمَانُهُ ، وَيَدْخُل فِي الْإِسْلَام بِسَبَبِه أَتْبَاعُه ، وَيَرَاه مِثْلُهُ فَيَنْجذِب بِذَلِك إِلَى الْإِسْلَام، وَمِثْلُ هَذَا عَلَى هَذَا الوَجْه قَد خَرَج من حَدِّ مُدارَاةِ الدُّنْيَا إِلى السِّيَاسَة الدِّينِيَّةِ ، وَقَد كَانَ يَسْتَأْلِفُهُم بأَمْوَالِ اللَّه العَرِيضَة فَكَيْف بالكَلِمَة اللّيِّنة ؟!!

قَالَ صَفْوَان[3]: لَقَد أَعْطَانِي وَهُو أبغض الْخَلْقِ إِلَيَّ ، فَمَا زَالَ يُعْطِيْنِي حَتَّى صَارَ أَحَبَّ الخَلْقِ إِلَيَّ[4].

قَوْلُهُ فِيهِ:(**بِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ**) هُو غَيْر غِيْبَةٍ ؛ بَل هُو تعريفُ مَا عَلِمَهُ مِنْه لِمَن لَم يَعْلَم ؛ لِيُحذَرَ حَالُهُ ، وَيُحتَرَزُ مِنْه، وَلَا يُوثَقُ بِجَانِبِهِ كُلَّ الثِّقَةِ ، لاَ سِيَّمَا وَكَانَ مُطَاعًا مَتْبُوعًا ،وَمِثْلُ هَذَا إِذَا كَانَ لِضَرورَةٍ ، وَدَفْعِ مَضَرَّةٍ لَم يَكُن بِغيبَةٍ بَل كَانَ جَائزًا بَل واجبًا فِي بَعْضِ الأَحيَانِ ؛ كَعَادَةِ المُحَدِّثِيْنَ فِي تَجْرِيحِ الرُّوَاة ، وَالمُزَكِّيْنَ فِي الشُّهُودِ.

---

[1] **صحيح**،رواه أبو داود:٥٩/٣،برقم: ٢٦٨٣،والحاكم في المستدرك:٤٧/٣،برقم: ٤٣٦٠، والبزار في مسنده:٣٥٠/٣،برقم:١١٥١،(**خائنة الأعين**): أي يضمر في نفسه ما لا يظهر ، فإذا كفَّ لسانه وَأَوْمَأَ بعينه فقد خان.

[2] رواه البخاري في صحيحه:١٣/٨،برقم: ٦٠٣٢،ومسلم:٢٠٠٢/٤،برقم: ٢٥٩١.

[3] هو صفوان بن أمية بن خلف ،صحابيٌّ من المؤلفة قلوبهم،مات في أوائل خلافة معاوية.

[4] رواه مسلم في صحيحه:١٨٠٦/٤،برقم: ٢٣١٣.

http://mohhanoona.blogspot.com/

فَإِن قِيلَ: فَمَا مَعْنَي المُعْضِل[1] الوَارِدِ فِي حَدِيثِ بَرِيرَة مِنْ قَوْلِهِ ﷺ لِعَائِشَة ، وَقَد أخْبَرَتْه أَنّ موَالِي بَرِيرَة أَبَوْا بَيْعَهَا إِلّا أَنْ يكون لَهُم الْوَلَاءُ ، فَقَالَ لَهَا ﷺ : **(اشْتَرِيهَا وَاشْتَرِطِي لَهُمُ الْوَلَاءَ)** فَفَعَلَتْ، ثُمَّ قَامَ خَطِيبًا فَقَالَ: **(مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، كُلُّ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَهُوَ بَاطِلٌ)**[2]، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَدْ أَمَرَهَا بِالشَّرْطِ لَهُمْ ، وَعَلَيْهِ بَاعُوا ، وَلَوْلَاهُ - وَاللهُ أَعْلَم- لَمَّا بَاعُوهَا مِنْ عَائِشَةَ كَمَا لَم يَبِيْعُوهَا قَبْلُ حَتَّى شَرَطُوا ذَلِكَ عَلَيْهَا ، ثُمّ أبطله ﷺ وَهُوَ قَصَدْ حَرَّمَ الغُشّ وَالخَدِيْعَة؟

فَاعْلَم أَكرَمَكَ اللَّهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مُنَزَّهٌ عَمَّا يَقَعُ فِي بَالِ الجَاهِلِ مِنْ هَذَا ، وَلِتَنْزِيهِ النَّبِيِّ ﷺ عَن ذلك فَقَد أَنْكَرَ قَوْمٌ هَذِهِ الزِّيَادَة وَهِي قَوْلِه:**(اشْتَرِطِي لَهُمُ الْوَلَاءَ)** إذ لَيْسَتْ فِي أَكْثَرِ طُرُقِ الْحَدِيثِ ، وَمَع ثَبَاتِها فَلَا اعْتِرَاضَ بِهَا ؛ إِذ يقع **(لَهُم)** بِمَعْنَي **(عَلَيْهِم)** ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾[الرعد:٢٤] ، وَقَالَ: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[الإسراء:٧] ؛ فَعَلَى هَذَا اشتَرِطِي عَلَيْهِم الوَلَاءَ لَكِ ، وَيَكُونُ قِيَامُ النَّبِيِّ ﷺ ووَعْظِهِ لِمَا سَلَفَ لَهُم مِنْ شَرْطِ الوَلَاءِ لِأَنفُسِهِم قَبْلَ ذَلِك.

فَإِنّ قِيلَ : فَمَا مَعْنَي فعل يُوسُفَ عليه السلام بأخِيهِ إِذ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِهِ ، وَأَخْذِهُ بِاسْمِ سَرِقَتِهَا ، وَمَا جَرَى عَلَى إِخْوتِه فِي ذَلِكَ ، وَقَوْلُه: ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ [يوسف:٧٠]، وَلَم يَسْرِقُوا؟

فَاعْلَم أكْرَمَكَ اللَّهُ أَنّ الآيَة تَدُلُّ عَلَى أَنّ فِعْلَ يُوسُفَ كَانَ مِنْ أَمْرِ اللهِ لِقَولِهِ تَعَالَى :﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[يوسف:٧٦] ، فَإِذَا كَان كَذَلِك فَلَا اعْتِرَاضَ بِهِ، كَان فِيه مَا فِيه، وأَيْضًا فَإِنّ يُوسُفَ كَانَ أَعْلَمَ أَخَاهُ: ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ

---

[1] **المُعْضِل** : المشكل الذي لا يُهتدى لوجهه.

[2] رواه البخاري في صحيحه:٧٣/٣،برقم: ٢١٦٨،ومسلم:١١٤١/٢،برقم: ١٥٠٤.

http://mohhanoona.blogspot.com/

فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[يوسف:٦٩] ، فَكَانَ مَا جَرَى عَلَيْهِ بَعْدَ هَذَا مِنْ وَفْقِه وَرَغبَتِهِ ، وَعَلَى يَقِيْنٍ مِنْ عُقْبَى الخَيْرِ لَهُ بِهِ ، وَإِزَاحَةِ السُّوءِ وَالمَضَرَّة عَنْه بِذَلِك، وَأَمَّا قَوْله: ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾[يوسف:٧٠] ، فَلَيْسَ من قَوْلِ يُوسُفَ فَيَلْزَمُ عَلَيْه جَوَابٌ يَحِلُّ شُبْهَه،وَلَا يَلْزَمُ أَنْ نُقَوِّلَ الْأَنْبِيَاءَ مَا لَم يَأْتِ أَنَّهُم قَالُوهُ حَتَّى يُطْلَبَ الخَلَاصُ مِنْهُ ، وَلَا يَلْزَمُ الإِعْتِذَارُ عَن زَلَّاتِ غَيْرِهِم.

(الفَصْلُ التَّاسِعُ)

حِكْمَةُ المَرَضِ والإِبتِلَاءِ لَهُمْ

فَإِن قِيْلَ : فَمَا الحِكْمَةُ فِي إِجْرَاء الأَمْرَاضِ وَشِدّتِهَا عَلَيْه ، وَعَلَى غَيْرِه مِن الْأَنْبِيَاء عَلَى جميعهم السَّلَام؟ ، وَمَا الْوَجْه فِيمَا ابْتَلاهُم اللّه بِه مِن الْبَلَاء وَامْتِحَانِهِم بِمَا امتُحِنُوا بِهِ ؛ كَأَيُّوبَ ، وَيَعْقُوبَ ، وَدَانْيَال ، وَيَحْيَى ، وزَكَرِيَّا ، وَعِيسَى ، وإِبْرَاهِيم ، وَيُوسُف ، وَغَيْرِهِم صلوات اللّه عَلَيْهِم، وَهُمْ خِيَرتُه مِنْ خَلْقِه وَأحِبّاؤُه وَأصْفِيَاؤُه؟ .

فاعْلَم وفَّقَنَا اللّه وَإِيَّاكَ أَنّ أفْعَالَ اللّه تَعَالَى كُلُّهَا عَدْلٌ ، وَكَلِمَاتِه جَمِيْعُهَا صِدْقٌ ، لَا مُبَدّل لِكَلِمَاتِه ، يَبْتَلي عِبَادَه كَمَا قَال لَهُم: ﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[يونس:١٤] ، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[الملك:٢] ، ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنوا مِنْكُم﴾[آل عمران:١٤٠] ، ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾[آل عمران:١٤٢]، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[محمد:٣١]

فامْتِحَانُهُ إِيَّاهُم بِضُرُوبِ الْمِحَنِ زِيَادَةٌ فِي مَكانَتِهِم ، وَرِفْعَةٌ فِي دَرَجَاتِهِم ، وَأَسْبَاب لاسْتِخْرَاجِ حَالاتِ الصَّبْرِ ، وَالرّضَى ، وَالشُّكر، وَالتّسْلِيم ، وَالتّوكُّل ، والتّفْوِيض ، وَالدُّعَاء ، وَالتّضَرُّع مِنْهُم ، وَتَأْكِيدٌ لِبَصَائِرِهِم فِي رَحْمَة الْمُمْتَحَنِيْن ، وَالشَّفَقَةُ عَلَى الْمُسْلِمِين ، وَتَذْكِرَةً لِغَيْرِهِم ، وَمَوْعِظَةً لسَوَاهُم ؛

http://mohhanoona.blogspot.com/

لِيَتأسَّوْا فِي الْبَلَاء بِهِم ، وَيَتَسَلَّوْا[١] فِي الْمِحَنِ بِمَا جَرَى عَلَيْهِم ، وَيَقْتَدُوا بهم فِي الصَّبْرِ ،وَمَحْوٌ لِهَنَّاتٍ فَرطَت مِنْهُم ، أَو غَفَلَاتٍ سَلَفَت لَهُم ؛ لِيَلْقَوا اللَّهَ طَيِّبْينَ مُهَذَّبين ، وَلِيَكُونَ أجْرُهُم أكْمَلَ ، وَثَوَابُهُم أَوْفَرَ وَأجْزَل.

عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ:(**الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**)[٢] .

وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ، وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ، فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٦-١٤٨] .

وَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ : (**مَا يَزَالُ الْبَلاءُ بِالْمُؤْمِنِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**)[٣]، وَعَنْ أَنسٍ ، عَنْهُ ﷺ (**إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)[٤] .

وَأَمَّا عَنْ شِدَّةِ المَرَضِ وَالوَجَعِ بِالنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَتِ عَائِشَةُ : مَا رَأَيْتُ الوَجَعَ عَلَى أَحَدٍ أشَدَّ مِنْهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ[٥] ، وَعَن عَبْد اللَّه: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي مَرَضِهِ

---

[١] **يَتَسَلَّوْا**:أي يكون لهم سَلوةٌ تذهبُ حزنهم.

[٢] **صحيح**،رواه الترمذي في سننه:٦٠١/٤،برقم: ٢٣٩٨،وابن ماجه:١٣٣٤/٢،برقم: ٤٠٢٣، والدارمي:١٨٣١/٣،برقم: ٢٨٢٥،وأحمد:٧٨/٣،برقم: ١٤٨١ .

[٣] **صحيح**،رواه الترمذي في سننه:٦٠٢/٤،برقم: ٢٣٩٩،وأحمد في مسنده:٢٤٨/١٣،برقم: ٧٨٥٩.

[٤] **صحيح**،رواه الترمذي في سننه:٦٠١/٤،برقم: ٢٣٩٦،والحاكم في المستدرك:٦٥١/٤،برقم: ٨٧٩٩.

[٥] رواه البخاري في صحيحه:١١٥/٧،برقم: ٥٦٤٦،ومسلم:١٩٩٠/٤،برقم: ٢٥٧٠.

http://mohhanoona.blogspot.com/

يُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا ، فَقُلْتُ: إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، قَالَ:(**أَجَلْ إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلانِ مِنْكُمْ**) قُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ الأَجْرُ مَرَّتَيْنِ، قَالَ: (**أَجَلْ ذَلِكَ كَذَلِكَ**) [1] وَعَنْ أَنَسٍ ، عَنْهُ ﷺ :(**إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ ، وَإِنَّ اللهَ أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَى ، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ**) [2].

وَقَدْ قَالَ الْمُفَسِّرُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾[النساء:١٢٣] ، أَنَّ الْمُسْلِمَ يُجْزَى بِمَصَائِبَ الدُّنْيَا فَتَكُونُ لَهُ كَفَّارَةً، وَرُوِيَ هَذَا عَنْ عَائِشَةَ وَأُبَيِّ ، ومُجَاهِد، وَعَن أَبِي هُرَيْرَة ، عَنه ﷺ :(**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ**) [3] ، وَقَال فِي رِوَايَةِ عَائِشَةَ:(**مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا يُكَفِّرُ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ حَتَّى الشَّوْكَةَ يُشَاكُهَا**) [4] ، وَقَال فِي رِوَايَة أَبِي سَعِيد:(**مَا يُصِيب الْمُؤْمِنَ من نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ ، وَلَا حُزْنٍ ، وَلَا أَذًى ، وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةَ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ الله بها من خَطَايَاهُ**) [5] ، وَفِي حَدِيث ابن مَسْعُود :(**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى إِلَّا حَاتَّ اللَّهُ عَنْهُ خَطَايَاهُ كَمَا يُحَتُّ وَرَقُ الشَّجَرِ**) [6].

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:١١٨/٧،برقم: ٥٦٦٠،ومسلم:١٩٩١/٤،برقم: ٢٥٧١، (**الوَعْكُ**): ألم الحُمَّى .

[2] **صحيح**،رواه الترمذي في سننه:٦٠١/٤،برقم: ٢٣٩٦،وابن ماجه:١٣٣٨/٢،برقم: ٤٠٣١.

[3] رواه البخاري في صحيحه:١١٥/٧،برقم: ٥٦٤٥،(**يُصِبْ مِنْهُ**): يبتله بالمصائب ليطهره من الذنوب في الدنيا ، فيلقى الله تعالى نقياً.

[4] رواه البخاري في صحيحه:١١٤/٧،برقم: ٥٦٤٠،ومسلم:١٩٩٢/٤،برقم: ٢٥٧٢، (**يكفر الله بها عنه**):محي بسببها من ذنوبه، (**يشاكها**):يصاب بها جسده.

[5] رواه البخاري في صحيحه:١١٤/٧،برقم: ٥٦٤١،ومسلم:١٩٩٢/٤،برقم: ٢٥٧٣،(**نَصَبٌ**) : تعب، (**وَصَبٌ**): مرض، (**هَمٌّ**): كراهة وقوع السوء به ، (**حُزْنٌ**): أسى على ما حصل له من مكروه في الماضي، (**أَذَى**): من تعدي غيره عليه، (**غَمٌّ**): ما يضيق القلب والنفس، (**خَطَايَاهُ**): ذنوبه.

[6] رواه البخاري في صحيحه:١١٥/٧،برقم: ٥٦٤٧،ومسلم:١٩٩١/٤،برقم: ٢٥٧١، (**حَاتَّ**): أسقط ونثر.

http://mohhanoona.blogspot.com/

القِسْمُ الرَّابِعُ

فِي تعَرُّفِ وُجُوهِ الْأَحْكَامِ فِيمَنْ تنقَّصَهُ أَوْ سَبَّهُ عَلَيْهِ الصّلاة والسّلام

فِي ثَلاثَةُ أَبْوَابٍ وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ فَصْلاً ، وَبَابٌ ثَالِثٌ يَبْحَثُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِاللهِ وَالرُّسُلِ وَالمَلائِكَةِ وَالآلِ.

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الفَضْلِ وَفَّقَهُ الله: قَد تقدَّمَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ مَا يَجِبُ مِنَ الحُقُوقِ للنَّبِيِّ ﷺ ، وَمَا يَتَعَيَّن لَهُ مِن بِرٍّ ، وَتَوْقِير، وَتَعْظِيم ، وَإكْرَام ، وَبحَسَب هَذَا حَرَّم اللَّه تَعَالَى أذاه فِي كِتَابِه ، وَأجْمَعَت الْأُمَّةُ عَلَى قَتْلِ مُتَنَقِّصِه مِن الْمُسْلِمِين ، وَسَابّه .

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾[الأحزاب:٥٧] ، وَقَالَ: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[التوبة:٦١] ، وَقَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾[الأحزاب:٥٣] ، وقَالَ تَعَالَى فِي تَحْرِيْمِ التَّعْرِيضِ لَهُ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[البقرة:١٠٤]

وَذَلِك أنّ الْيَهُود كَانُوا يَقُولُونَ: رَاعِنَا يَا مُحَمَّد ؛ أَي أرْعِنَا سَمْعَك وَاسْمَع مِنَّا، وَيُعَرِّضُونَ بِالكَلِمَةِ يُرِيْدُونَ الرُّعُونَةَ[1] ، فَنَهَى اللَّهُ الْمُؤْمنين عَن التّشَبُّه بِهِم وَقَطَعَ الذَّرِيعَةَ[2] بِنَهْي الْمُؤْمِنين عَنْهَا ؛ لِئَلَّا يَتَوَصَّلَ بِهَا الْكافِر وَالْمُنَافِق إِلَى سَبِّهِ وَالاسْتِهْزَاء بِه.

[1] **الرُّعونَة**:الحَماقة ،وخفة العقل.

[2] **الذَّريعة**:الوسيلة الموصلة لأمرٍ غير محمود.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَهَذَا هُو ﷺ قَد نَهى عَنِ التَّكَنِّي بِكُنْيَتِهِ فقَال:(**سَمُّوا بِاسْمِي وَلَا تُكَنُّوا بِكُنْيَتِي)** [1] صَيَانَةً لِنَفْسِه ، وَحِمَايَةً عَن أذَاه ؛ إِذ كَانَ ﷺ اسْتَجَابَ لِرَجُلٍ نَادَى يَا أَبَا الْقَاسِم، فقَالَ: لَم أَعْنِكَ، إِنَّمَا دَعَوْتُ هَذَا، فَنَهى حِينَئِذ عَن التَّكَنّي بِكُنْيَتِه ؛ لِئَلَّا يَتَأذَّى بإِجَابَةِ دَعْوَةِ غَيْرِه لِمَن لَم يَدْعُه ، وَيَجِدُ بِذَلِكَ المُنَافِقُونَ وَالمُسْتَهزِؤُنَ ذَرِيعَةً إِلَى أذَاهُ وَالإزْرَاء بِه فَيُنَادُونَه فَإِذَا الْتَفَت قَالُوا: إِنَّمَا أرَدْنَا هَذَا لِسِوَاه تَعْنِيتًا لَه وَاسْتِخْفَافًا بِحَقِّه عَلَى عادَة المُجَّان وَالْمُسْتَهْزِئِين.

وَمَا ذَكَرْنَاه هُو مَذْهَب الجُمْهُور ، وَالصَّوَابُ إِنّ شَاء اللهُ أَنّ ذَلِك عَلَى طَرِيْقِ تَعْظِيْمِهِ وَتَوقِيْرِهِ ، وَعَلَى سَبِيْلِ النَدْبِ وَالإستِحْبَابِ ، لَا عَلَى التحريمِ ؛ وَلِذَلِك لَم يَنْهَ عَنِ اسْمِهِ؛ لِأَنَّه قَد كَانَ اللَّهُ مَنَعَ مِنْ نِدَائِهِ بِه بِقَوْلِه: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً﴾[النور:٦٣] وَإِنَّمَا كَان الْمُسْلِمُون يَدْعُونَه: يَا رَسُول اللَّهِ! ، يَا نَبِيّ اللهِ! ،وَقَد يَدْعُونَه بِكُنْيَتِه أَبَا الْقَاسِم بَعْضُهُم فِي بَعْض الأحْوَال.

[1] رواه البخاري في صحيحه:٤٢/٨،برقم: ٦١٨٧،ومسلم:١٦٨٢/٣،برقم: ٢١٣٣.

الْبَابُ الْأَوَّلُ: فِي بَيَانِ مَا هُوَ فِي حَقِّهِ ﷺ سَبٌّ أَوْ نقص مِنْ تَعْرِيضٍ أَوْ نَصٍّ[١] وَفِيهِ عَشَرَةُ فُصُولٍ

(الْفَصْلُ الْأَوَّلُ)

الْحُكْمُ الشَّرْعِيُّ فِيمَنْ سَبَّ النَّبِيَّ ﷺ أَوْ تَنَقَّصَهُ.

اعْلَم وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ أَنَّ جَمِيعَ مَنْ سَبَّ النَّبِيَّ ﷺ أَو عَابَه ، أَو أَلْحَقَ بِهِ نَقْصًا فِي نَفْسِه ، أَو نَسَبِهِ ، أَو دِينِهِ ، أَو خَصْلَة من خِصَالِه - أَو عَرَّضَ بِه ، أو شَبَّهَه بِشَيْءٍ عَلَى طَرِيْقِ السَّبِّ لَهُ ، أَو الأِزْرَاءِ عَلَيْه[٢] ، أو التَّصْغِيرِ لِشَأْنِه ، أو الْغَضِّ مِنْهُ ، وَالْعَيْبِ لَهُ ؛ فَهُو سَابٌّ لَهُ ، وَالْحُكْم فِيْهِ حُكْمُ السَّابِّ ؛ يقْتَلُ كَمَا نُبَيّنُه ، وَلَا نَسْتَثْنِي فَصْلًا من فُصُولِ هَذَا الْبَاب عَلَى هَذَا المَقْصَدِ ، وَلَا نَمْتَرِي[٣] فِيهِ تَصْرِيحاً كَانَ ، أَو تَلْوِيْحاً .

وَكَذَلِك مَنْ لَعَنَهُ ، أَو دَعَا عَلَيْه ، أَو تَمَنَّى مَضَرَّةً لَهُ ، أَو نَسَبَ إِلَيْهِ مَا لا يَلِيْقُ بِمَنصِبِهِ عَلَى طَرِيْقِ الذَّم ، أَو العَيبُ فِي جِهَتِهِ العَزِيزَة بسُخْفٍ مِنَ الْكَلَامِ ، وَهُجْرٌ[٤] ، وَمُنْكَرٌ مِن الْقَوْل وَزُور ، أَو عَيَّرَهُ بِشَيْءٍ مِمَّا جَرَى مِن الْبَلَاء والْمِحْنَة عَلَيْه ، أَو غَمَصَه[٥] بِبَعْض الْعَوارِضِ الْبَشَرِيّة[٦] الْجَائِزَةُ ، وَالْمَعْهُودَة لَدَيْه ، وَهَذَا كُلُّه إِجْمَاعٌ مِن الْعُلَمَاء ، وَأئِمَّة الْفَتْوَى مِنْ لَدُنِ الصَّحَابَة رِضْوَان اللَّه عَلَيْهِم إِلَى هَلُمَّ جَرًّا[٧] .

---

[١] **التعريض:**خلاف التصريح، و**النصُّ:** هو التصريح.

[٢] **الإزراءُ عَلَيْهِ:**عيبه.

[٣] **نَمْتَرِي:**نشك.

[٤] **الهُجْر:**القبيح من القول.

[٥] **غَمَصَه:** عابه.

[٦] **العَوارِضُ البَشَرِيّة:** هي الآفات التي تعتري البَشر.

[٧] **هَلُمَّ جَرًّا:**تعبيرٌ يُقالُ لاستدامة الأمر واتصاله.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بنُ المُنْذر:أجْمَعَ عوامُّ أَهْلِ العِلْمِ عَلَى أَنَّ مَنْ سَبَّ النَّبِيَّ ﷺ يُقْتَلُ وَمِمَّن قَال ذَلِك : مَالِك بن أَنَس و، َاللَّيْثُ بْنُ سَعدٍ، وَأَحْمَد ، وَاسحَاق ، وَهُو مَذْهَب الشَّافِعِيِّ.

قَال الْقَاضِي أَبُو الْفَضْل: وَهُو مُقْتَضَى قَوْل أَبِي بَكْر الصِّدِّيق ﷺ وَلَا تُقْبَل تَوْبَتُه عِنْد هَؤُلَاء، وَبِمِثْلِه قَالَ أَبُو حَنِيْفَةَ وَأَصحَابُهُ ، والثَّوْرِيُّ ، وَأَهْل الكُوفَةِ ، وَالْأَوزَاعِيُّ فِي الْمُسْلِمِين ؛ لكِنَّهُم قَالُوا: هِي رِدَّةٌ، وَرَوَى مِثْلَه الْوَلِيد بن مُسْلِم عَن مَالِكٍ ، وحَكَى الطَّبَرِيّ مِثْلُه عَن أَبِي حَنِيْفَةَ وَأَصحَابَهُ فِيْمَن تَنَقَّصَه ﷺ أَو بَرِئَ مِنْه أَو كَذَّبَه.

وَقَال سُحْنُون فيمن سَبَّه: ذَلِك رِدَّةٌ كَالزَّنْدَقَة ، وَعَلَى هَذَا وَقَع الخِلَاف فِي استِتَابَتِهِ وَتَكْفِيرِه ، وهل قَتْلُه حَدٌ أَو كُفْرٌ؟ كَمَا سَنُبَيِّنُه فِي الْبَاب الثَّانِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَلَا نَعْلَم خِلَافًا فِي اسْتِبَاحَه دَمِه بَيْن عُلَمَاءِ الأمْصَار وَسَلَف الْأُمَّة ، وَقَد ذَكَر غَيْرُ وَاحِدٍ الإجْمَاعَ عَلَى قَتْلِه وَتَكْفِيرِه ، وَأَشَارَ بَعْضُ الظَّاهِرِيَّة ، وَهُو أَبُو مُحَمَّد عَلِيّ بن أَحْمَد الفارسيِّ إِلَى الخِلَاف فِي تَكْفِير المُسْتَخِفِّ بِهِ ،

وَالْمَعْرُوفُ مَا قَدَّمْنَاه ، قَال مُحَمَّد بن سُحْنُون: أجْمَعَ الْعُلَمَاء أَنّ شَاتِم النَّبِيِّ ﷺ الْمُتَنَقِّص لَهُ كَافِرٌ وَالْوَعِيدُ جَارٍ عَلَيْه بِعَذَاب اللَّهِ لَه ، وَحُكْمُه عِنْدَ الأُمَّةِ القَتْلُ ، وَمَنْ شَكَّ فِي كُفْرِهِ ، وَعَذَابِه كَفَر.

وحُكْم من غَمَصَه أَو عَيَّرَهُ بِرِعَايَةِ الغَنَمِ ، أَو السَّهْو ، أَو النَّسْيَان ، أَو السِّحْر ، أَو مَا أصَابَه من جُرْح ، أَو هَزِيمَة لِبَعْض جُيُوشِه ، أَو أَذىً مِن عَدُوِّهِ ، أَو شِدَّةٍ مِنْ زَمَنِهِ ، أَو بِالمَيْلِ إِلَى نِسَائِهِ ، فَحُكْمُ هَذَا كُلُّه لِمَن قصد بِه نَقْصَهُ القَتْلُ.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الفَصْلُ الثَّانِي)

الْحُجَّةِ فِي إِيجَابِ قَتْلِ مَنْ سَبَّهُ أَوْ عابه ﷺ

فَمِن الْقُرْآنِ لَعْنَةُ اللهِ تَعَالَى لِمُؤْذِيه فِي الدُّنْيَا والآخِرَة ، وقِرَانُه تَعَالَى أذاه بِأذاه ، وَلا خِلَاف فِي قَتْل من سَبَّ اللَّهَ ، وَأَنّ اللَّعْنَ إِنَّمَا يَسْتَوْجبهُ مَنْ هُوَ كَافِرٌ ، وَحُكْمُ الكَافِرَ الْقَتْلُ ، فَقَالَ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾[الأحزاب:٥٧] ، وَقَال فِي قاتِلِ الْمُؤْمِن مِثْلَ ذَلِك ؛ فَمَن لَعْنَتِه فِي الدُّنْيَا القَتْلُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ﴾ [الأحزاب:٦٠-٦١] وَقَال فِي المحَارِبين ، وَذِكْر عُقُوبَتِهِم: ﴿ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[المائدة:٣٣] ، وَقَد يَقَعُ القَتْلُ بِمَعْنَى اللَّعْن قَال: ﴿ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴾[الذاريات:١٠] و ﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[المنافقون:٤]؛ أَي لَعَنَهُم الله

وَلِأَنّه فَرَّقَ بَيْن أَذاهُمَا وأذى الْمُؤْمِنين ، وَفِي أذى الْمُؤْمِنين مَا دُون القَتْل مِن الضَّرْبِ ، وَالنَّكَالِ ، فَكَانَ حُكْم مُؤذِي الله ونَبِيِّه أَشَدّ من ذَلِك وَهُو الْقَتْل.

وَقَال اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[النساء:٦٥]، فَسَلَبَ اسْم الْإِيمَانِ عَمَّن وجَد فِي صَدْرِه حَرَجًا من قَضَائِه وَلَم يُسَلِّم لَه ، وَمن تَنَقَّصَه فَقَد نَاقَضَ هَذَا ، وَقَال اللَّهُ تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات:٢] ، وَلَا يُحْبطُ العَمَلَ إِلّا الْكُفْر ، وَالْكافِر يُقْتَل ، وَقَال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ) ثُمّ قَال (حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[المجادلة:٨] ، وَقَال تَعَالَى: ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ

http://mohhanoona.blogspot.com/

أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾، ثُمّ قَالَ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[التوبة:٦١] وَقَال تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ، لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[التوبة:٦٥-٦٦] قَال أَهْلُ التَّفْسِير: كَفَرْتُم بِقَوْلِكُم فِي رَسُول الله ﷺ.

وَأَمَّا الإجْمَاعُ فَقَد ذَكَرْنَاه ، وَأَمَّا الآثارُ ، وَفِي الْحَدِيث الصَّحِيح أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَتْلِ كَعْبِ بن الأشْرَفِ ، وَقَوْلُه: **(مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ فَإِنَّهُ يُؤْذِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ)**[1]؟، وَوَجَّهَ إِلَيْهِ مَنْ قَتَلَهُ غِيلَةً دُونَ دَعْوَة ، بِخِلَافِ غَيْرِه مِن المُشْرِكِيْنَ ، وَعَلَّلَ قَتْلَهُ بِأَذَاهُ لَهُ ، فَدَلَّ أَنَّ قَتْلَهُ إِيَّاهُ لِغَيْرِ الإِشْرَاكِ ؛ بَل للأَذَى ، وَكَذَلِك قَتَلَ أَبَا رَافِعٍ ، قَالَ البَرَاءُ : وَكَانَ يُؤذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَيُعِيْنُ عَلَيْهِ[2] ، وَكَذَلِك أَمْرُهُ يَوْمَ الْفَتْحِ بِقَتْلِ ابْنِ خَطَلٍ وَجَارِيَتَيْه[3] اللَّتَيْنِ كانتا تُغَنِّيَانِ بِسَبِّهِ ﷺ ، وَرُوِي أيضًا أَنّ امْرَأَةً كَانَتْ تَسُبُّه ﷺ فَقَالَ : **(مَنْ يَكْفِينِي عَدُوَّتِي؟)**[4] ، فَخَرَجَ إِلَيْهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَقَتَلَهَا .

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:١٤٢/٣،برقم: ٢٥١٠،ومسلم:١٤٢٥/٣،برقم: ١٨٠١،(**كعب بن الأشرف**):من شعراء اليهود ،وكان يهجو النبيّ ﷺ ،وكان يحرِّض القبائل على المسلمين ويؤذيهم ، قتل سنة ٣هـ.

[2] رواه البخاري في صحيحه:٩١/٥،برقم: ٤٠٣٩، و(**أبو رافع**): هو اليهودي عبد الله بن أبي الحقيق ،وقيل سلاَّم بن أبي الحقيق.

[3] رواه البخاري في صحيحه:١٤٨/٥،برقم: ٤٢٨٦،ومسلم:٩٨٩/٢،برقم: ١٣٥٧،و(**ابن خطل**): مختلف في اسمه ،فقيل:عبد الله ،وقيل:عبد العزى ،وقيل:غالب،وسبب قتله أنه اسلم ثمَّ ارتد ، وكانت له جاريتان تغنيان بهجوِ المسلمين.،والمراد بـ(**الفتح**) :فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة.

[4] **صحيح**، رواه عبد الرزاق في مصنفه:٣٠٧/٥، برقم: ٩٧٠٥،وأبو نُعيم في معرفة الصحابة :٣١٢٦/٦ ،برقم: ٧٢٧٩ .

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَعَن ابنِ عَبَّاسٍ أنَّ أَعمَى كَانَت لهُ أمُّ وَلَدٍ تَسُبُّ النَّبِيَّ ﷺ فيزجُرُهَا فَلاَ تَنْزَجِرُ ،فَلَمَّا كَانَت ذَاتَ لَيْلَةٍ جَعلَتْ تَقَعُ فِي النَّبِيِّ ﷺ وَتَشْتُمَهُ ،فقَتَلَهَا ، وَأَعلَمَ بِذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَهدَرَ دَمَهَا[1].

(الفَصْلُ الثَّالِثُ)

أَسبابُ عفْوِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ بَعْضِ مَنْ آذَاهُ

فَإِن قُلْتَ: فَلَمَ لَمْ يَقْتُل النَّبِيُّ ﷺ اليَهُودِيَّ الَّذِي قَالَ لَهُ : السَّامُ عَلَيْكُم[2] ،وَهَذَا دُعَاءٌ عَلَيْهِ ، وَلَا قَتَلَ الآخَرَ الَّذِي قَالَ لَه: إنَّ هَذِه لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيْدَ بِهَا وجْهُ الله ، وَقَد تَأَذَّى النَّبِيُّ ﷺ من ذَلِك ، وَقَالَ :(**قَد أُوذِي مُوسَى بِأَكْثَر من هَذَا فَصَبَر**)[3] ، وَلَا قَتَلَ المُنَافِقِين الَّذِين كَانُوا يُؤْذُونه فِي أَكْثَر الأَحْيَان؟.

فَاعْلَم وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ أَوَّلَ الْإِسْلَام يَسْتَأْلِفُ عَلَيْهِ النَّاسَ ، وَيَمِيلُ قُلُوبَهُم إلَيْه ، وَيُحَبِّبُ إِلَيْهِم الْإِيمَان وَيُزَيِّنُه فِي قُلُوبِهِم ، وَيُدَارِيهُم ، وَيَقُول لأَصحَابِهِ :(**إنَّمَا بُعِثْتُم مُيَسَرِين وَلَم تُبْعَثُوا مُنَفِّرِين**)[4] ، وَيَقُول:

---

[1] **صحيح**،رواه أبو داود في سننه:١٢٩/٤،برقم: ٤٣٦١،والنسائي:١٠١/٧،برقم: ٤٠٧٠، والحاكم في المستدرك:٣٩٤/٤،برقم: ٨٠٤٤،والطبراني في الكبير:٣٥١/١١،برقم: ١١٩٨٤، (**أمُّ وَلَد**): جارية ،(**فَأهدرَ دَمَها**):أي أبطله ،فلا قِصاصَ ولا دية.

[2] رواه البخاري في صحيحه:١٢/٨،برقم: ٦٠٢٤،ومسلم:١٧٠٦/٤،برقم: ٢١٦٥، (**السَّام**):معناه الموت.

[3] رواه البخاري في صحيحه:٩٥/٤،برقم: ٣١٥٠،ومسلم:٧٣٩/٢،برقم: ١٠٦٢، والرجل الذي قال ذلك هو مِعْتَب بنُ قُشَيْر ، وهو من المنافقين.

[4] رواه البخاري في صحيحه:٣٠/٨،برقم: ٦١٢٨،ولفظه:(**وَلَم تُبْعَثُوا مُعَسِّرِيْنَ**).

http://mohhanoona.blogspot.com/

(**يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَسَكِّنُوا وَلَا تُنَفِّرُوا**)[١] ، وَيَقُول:(**لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**)[٢] ، وَكَان ﷺ يُدَارِي الكُفّارَ وَالْمُنَافِقِينَ ، وَيُجْمل صُحْبَتَهُم ، وَيُغْضِي عَلَيهِم[٣] ، وَيَحْتَمِل من أذَاهُم ، وَيَصْبِرُ عَلَى جَفَائِهِم مَا لَا يَجُوز لَنَا الْيَوْمَ الصَّبْرُ لَهُم عَلَيْه ، وَكَانَ يُرْفِقُهُم[٤] بالْعَطَاءِ وَالإحْسَان ، وَبِذَلِكَ أَمَرَه الله تَعَالَى بِقَولِه: ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[المائدة:١٣] ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾[فصلت:٣٤] ، وَذَلِك لِحَاجَةِ النَّاس لِلتَّأَلُّفِ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ ، وَجَمْع الْكَلِمَة عَلَيْه ؛ فَلَمَّا اسْتَقَرَّ ، وَأظْهَرَه اللهُ عَلَى الدِّيْنِ كُلِّهِ قَتَل مَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ ، واشْتَهَر أمْرُه ؛ كَفِعْلِه بابن خَطَل[٥] ، وَمِن عَهِدَ بِقَتْلِه يَوْمَ الْفَتْحِ[٦]، وَمِن أمْكَنَه قَتْلُه غِيلَةً مِنْ يَهُودٍ وَغَيْرِهِم ، أَو غَلَبَةً مِمَّن لَم يُنْظِمْه قَبْل سِلْك صُحْبَتِه

---

[١] رواه البخاري في صحيحه:٣٠/٨، برقم: ٦١٢٥،ومسلم:١٣٥٩/٣، برقم: ١٧٣٤، (**يسروا**) وهو الأخذ بالأيسر والأسهل لينشط الناس في العمل،(**سكنوا**) من التسكين ضد التحريك والمراد إدخال الطمأنينة والهدوء على النفس، فلا تثيروا الخلافات.

[٢] رواه البخاري في صحيحه:١٥٤/٦،برقم: ٤٩٠٥،ومسلم:١٩٩٨/٤،برقم: ٢٥٨٤.

[٣] **يُغْضِي عَلَيهِم**:يخفي عليهم ذنبهم.

[٤] **يُرْفِقُهُم**:ينفعهم ويصلهم.

[٥] **ابن خطل**:وهو عبد العزى بن خطل التميمي،وكان يهجو النبي ﷺ وأصحابه ، وكانت له جاريتان تغنيان بسب النبي ﷺ ،فأمر النبي ﷺ بقتله ، فقتله أبو برزة.

[٦] **يوم الفتح**: أي فتح مكة (٢٠/رمضان/٨هـ) وسبب هذه المعركة أن قريشاً نقضت الصلح بينها وبين المسلمين ، ودخل النبي ﷺ سلماً بلا قتال ومعه جيشٌ قوامه عشرة آلاف رجل ، فأسلم أهل مكة .

http://mohhanoona.blogspot.com/

، والإنخِرَاط فِي جُمْلة مُظْهِري الإيمَان بِه مِمَّن كَان يُؤْذِيه؛ كَابْن الأشْرَف[1] ، وَأَبِي رَافِعٍ[2] ، والنَّضرِ، وعُقْبَةَ[3] .

وَكَذَلِك نَذَرَ دَمَ جَمَاعَةٍ سِوَاهُم كَـ : كَعْبِ بنُ زُهَيْرٍ ، وابن الزِّبْعَرِي[4] وَغَيْرِهِمَا مِمَّن آذَاه حَتَّى أَلْقَوْا بأيْدِيهِم ولَقُوه مُسْلِمِينَ ، وَبوَاطِنُ المُنَافِقِيْنَ مُسْتَتِرَةٌ ، وَحُكْمُه ﷺ عَلَى الظَّاهِرِ ، وأَكْثَر تِلْك الكَلِمَاتِ إِنَّمَا كَانَ يَقُولُهَا القَائِلُ مِنْهُم خُفْيَةً ، وَمَع أَمْثَالِه ، وَيَحْلِفُونَ عَلَيْهَا إِذَا نُمِيَت[5] ، وَيُنْكِرُونَهَا ، وَ ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة:٧٤] .

وَكَانَ مَع هَذَا يَطْمَعُ فِي فَيْئَتِهِم[6] وَرُجُوعِهِم إِلَى الْإِسْلَام وَتَوْبَتِهِم ، فَيَصْبِرُ ﷺ عَلَى هَنَاتِهِم[7] وَجَفْوَتِهِم ؛ كَمَا صَبَرَ أُولُوا العَزْمِ مِن الرُّسُلِ حَتَّى فَاءَ كَثِيْرٌ مِنْهُم بَاطِنًا كَمَا فَاءَ ظَاهِرًا ، وَأَخلَصَ سِرَّاً كَمَا أَظْهَرَ جَهْرَاً ، وَنَفَعَ اللَّهُ بَعْدُ بِكَثِيْرٍ مِنْهُم ، وَقَامَ مِنْهُم لِلدِّيْنِ وُزَرَاءَ ، وَأَعوَانَ ،وَحُمَاة ، وَأَنصَار ؛ كَمَا جَاءَت بِه الْأَخْبَار.

---

[1] **ابن الأشرف:** هو كعب بن الأشرف ، وكان من أشد الناس تحريضاً على رسول الله ﷺ ، بعث إليه النبي ﷺ محمد بن مسلمة ونفر من بني عبد الأشهل فقتلوه.

[2] **أبو رافع** : هو سلام بن أبي الحقيق اليهودي ،وكان فيمن حزَّب الأحزاب على رسول الله ﷺ ، قتله عبد الله بن انيس ومن معه في حصنه بخيبر.

[3] **النضر** :هو ابن الحارث ،وَ**عقبة:** هو ابن أبي معيط قتلهما النبي ﷺ لما كان راجعاً من بدر ،وكانوا من الأسارى فقتلهم ولم يقتل غيرهم.

[4] هو عَبد اللهِ بنُ الزِّبْعَرِي ،شاعر قريش في الجاهلية ، كان شديداً على المسلمين ، ولمَّا فتحت مكة هرب إلى نجران ، ثم عاد إلى مكة فأسلم واعتذر ،وتوفي سنة ١٥هـ.

[5] **نمِيَت:** نُقِلَت.

[6] **فَيْئَتِهِم:** توبتهم ورجوعهم إلى الحق.

[7] **هَنَاتِهِم:** قبائحهم ،وفسادهم ،وشرهم.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الْفَصْلُ الرَّابِعُ)

حُكْمُ مَنْ فَعلَ ذَلِكَ دُونَ قَصْدٍ أَو اعتِقَادٍ

قَالَ الْقَاضِي: تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي قَتْل القاصِد لِسَبّه وَالإِزْرَاء به ، وَغَمْصِه بأيِّ وَجْه كَانَ مِنْ مُمْكِنٍ ، أَو مُحَالٍ ؛ فَهَذَا وَجْه بَيِّنٌ لَا إِشْكَال فِيه.

وَالْوَجْهُ الثَّانِي لَاحِقٌ بِه فِي الْبَيَان وَالْجَلَاء ، وَهُو أَن يَكُونَ الْقَائِلُ لَمَّا قَالَ فِي جِهَتِه ﷺ غَيْرُ قَاصِدٍ لِلسَّبِّ وَالْإِزْرَاءِ ، وَلَا مُعْتَقِدٌ لَهُ ؛ وَلَكِنَّهُ تَكَلَّم فِي جِهَتِه ﷺ بِكَلِمَة الْكُفْر مِنْ لَعْنِه ، أَو سَبِّه ، أَو تَكذيبِه ، أَو إِضَافَة مَا لَا يَجُوز عَلَيْه ، أَو نَفْي مَا يَجِبُ لَه مِمَّا هُو فِي حَقِّه ﷺ نَقِيصَة مِثْلُ: أَنّ يَنْسِبَ إِلَيْه إِتْيَانَ كَبِيرَةٍ ، أَو مُداهَنَةٍ فِي تَبْلِيْغ الرِّسَالَةِ ، أَو فِي حُكْمٍ بَيْنَ النَّاسِ ، أَو يَغُضُّ مِنْ مَرْتَبَتِهِ ، أَو شَرَفِ نَسَبَهِ ، أَو وُفُورِ عِلْمِه ، أَو زُهْدِهِ ، أَو يُكَذِّبُ بِمَا اشْتَهَر مِنْ أُمُورٍ أَخْبَرَ بِهَا ﷺ وتَوَاتَرَ الْخَبَرُ بِهَا عَن قصْدٍ لِرَدِّ خَبَرِهِ ، أَو يَأْتِي بِسَفَهٍ مِن الْقَوْلِ ، أَو قَبِيحٍ مِنَ الْكَلَامِ ، وَنَوْعٍ مِنَ السَّبِّ فِي جِهَتِه ، وَإِن ظَهَر بِدَلِيل حَالِه أَنَّه لَم يَتَعَمَّد ذَمَّهُ ، وَلَم يَقْصِد سَبَّه ؛ إِمَّا لِجَهَالَةٍ حَمَلَتْهُ عَلَى مَا قالهُ ، أَو لِضَجرٍ ، أَو سُكْرٍ اضْطَرَّهُ إِلَيْهِ ، أَو قِلَّةُ مُرَاقَبَةٍ وَضَبْطٍ لِلِسَانِه ، وَعَجْرَفَةٍ[١] ، وَتَهَوُّرٍ[٢] فِي كَلَامِه ؛ فَحُكْمُ هَذَا الْوَجْه حُكْمُ الْوَجْهِ الأَوَّلِ: الْقَتْل دُوْنَ تَلَعْثُمٍ[٣] ؛ إِذ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ فِي الْكُفْرِ بِالْجَهَالَة ، وَلَا بِدَعوَى زَلَلِ اللِّسانِ[٤] ، وَلَا بِشَيْءٍ مِمَّا ذَكَرنَاهُ ؛ إِذَا كَانَ عَقْلُهُ فِي فِطْرَتِهِ سَلِيْمًا إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالإِيمَانِ.

وَأَيْضًا ، فَإِنَّهُ حَدٌّ لَا يُسْقِطُهُ السُّكْرُ؛ كَالْقَذْفِ ، وَالْقَتْلِ ، وَسَائِرِ الْحُدُودِ؛لِأَنَّهُ أَدْخَلَهُ عَلَى نَفْسِهِ ؛وَلِأَنَّ مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ زَوَالِ عَقْلِهِ بِهَا، وَإِتْيَانِ

---

[١] **العَجْرَفَة**:هي الجفوة في الكلام.

[٢] و**التَهَوُّر**: هو الوقوع في أمر مع عدم معرفة العاقبة.

[٣] **دون تعلثم**:دون توقف في الحكم عليه.

[٤] **زَلَلِ اللِّسَان**:خَطَئِه.

http://mohhanoona.blogspot.com/

مَا يُنْكَرُ مِنْهُ ؛ فَهُوَ كَالْعَامِدِ لِمَا يَكُونُ بِسَبَبِهِ، وَعَلَى هَذَا أَلْزَمْنَاهُ الطَّلَاقَ وَالْعِتَاقَ ، وَالْقِصَاصَ، وَالْحُدُودَ.

وَلَا يُعْتَرَضُ عَلَى هَذَا بِحَدِيثِ حَمْزَةَ ، وَقَوْلِهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ: **(وَهَلْ أَنْتُمْ إِلَّا عَبِيدٌ لِأَبِي)** [1] ، قَالَ: فَعَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ ثَمِلٌ [2] فَانْصَرَفَ؛ لِأَنّ الخَمْر كَانَت حِينَئِذ غَيْر مُحَرّمة فَلَم يَكُن فِي جِنَايَاتها إِثْمٌ ، وَكَانَ حُكْمُ مَا يَحْدُث عَنْهَا مَعْفُوا عَنه كَمَا يَحْدُث مِن النّوم وَشُرْب الدّوَاء الْمَأْمُون.

(الفَصْلُ الخَامِسُ)

حَقِيْقَةُ قَائِلِ ذَلِكَ: هَل هُوَ كَافِرٌ أَو مُرتَدٌّ؟

الْوَجْه الثالثُ: أَنّ يَقْصِدَ إِلَى تَكْذِيبه فِيمَا قَالَهُ ، أَو أَتَى بِهِ ، أَو وُجُودَه ، أَو يَكْفُر أَو يَنْفِيَ نُبُوّتَهُ أَو رِسَالَتَه، انْتَقَلَ بِقَوْلِه ذَلِك إِلى دِينٍ آخَرَ غَيْرمِلّتِه أم لَا ، فَهَذَا كَافِرٌ بِإِجْمَاع يَجِبُ قَتْلُه ، ثُمَّ يُنْظَرُ ، فَإِنْ كَانَ مُصرِّحًا بِذَلِك كَانَ حُكْمُه أشْبَه بِحُكْم الْمُرْتَد ، وَقوِيَ الخِلَافُ فِي اسْتِتَابتِه ، وَعَلَى القَوْل الآخَر لَا تُسْقِطُ القَتْلَ عَنْهُ تَوْبَتُه لِحَقِّ النَّبِيِّ ﷺ إِن كَانَ ذَكَرَهُ بِنقِيصَة فِيمَا قَالَهُ مِنْ كَذِبٍ أَو غَيْرِه ، وَإِن كَانَ مُسْتَتِرَاً بِذَلِك ؛ فَحُكْمُه حُكْم الزِّنْدِيق لَا تُسْقِط قَتْلَهُ التّوْبَةُ عِنْدَنا.

(الفَصْلُ السَّادِسُ)

الحُكْمُ فِيمَا لَو كَانَ الكَلَامُ يَحْتَمِلُ السَّبَّ وَغَيْرَهُ

الْوَجْه الرابع: أَن يَأْتِي مِن الْكَلَام بِمُجْمَلٍ ، وَيَلْفُظَ مِنَ القَوْلِ بِمُشْكَلٍ يُمْكِنُ حَمْلُهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَو غَيْرِه ، أَو يُتَرَدَّدُ فِي المُرَادِ بِه مِنْ سَلَامَتِه مِن الْمَكْرُوهِ ، أَو شَرِّهِ ، فَهَهُنَا مُتَرَدَّدُ النَظَرِ ، وَحَيْرَةُ الْعِبَرِ ، وَمَظِنَّةُ اخْتِلَافِ المُجْتَهِدِين ،

---

[1] رواه البخاري في صحيحه:٧٨/٤،برقم: ٣٠٩١،ومسلم:١٥٦٨/٣،برقم: ١٩٧٩.

[2] **ثَمِلٌ**:أي نشوانٌ من شدَّةِ السُّكرِ.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَوَقفَةُ اسْتِبْرَاءِ المُقَلِّدِينَ ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ [الأنفال:٤٢]، فَمِنْهُم مَن غَلَّبَ حُرْمَةَ النَّبِيِّ ﷺ وَحَمَى حِمَى عِرْضِه فَجَسَر[1] عَلَى الْقَتْل، وَمِنْهُم من عَظَّم حُرْمَةَ الدَّمِ ، وَدَرَأ الحَدَّ بالشّبْهَة لاحْتِمَالِ القَوْل.

وَحُكِيَ عَنْ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي زَيْدٍ رحمه الله فِيمَنْ قَالَ: لَعَنَ اللَّهُ الْعَرَبَ، وَلَعَنَ اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَعَنَ اللَّهُ بَنِي آدَمَ، وَذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يُرِدِ الْأَنْبِيَاءَ، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ الظَّالِمِينَ مِنْهُمْ، أَنَّ عَلَيْهِ الْأَدَبَ بِقَدْرِ اجْتِهَادِ السُّلْطَانِ، وَكَذَلِكَ أَفْتَى فِيمَنْ قَالَ: لَعَنَ اللَّهُ مَنْ حَرَّمَ الْمُسْكِرَ، وَقَالَ: لَمْ أَعْلَمْ مَنْ حَرَّمَهُ.

(الْفَصْلُ السَّابِعُ)

حُكْمُ مَنْ وَصَفَ نَفْسَهُ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ الأَنبِيَاءِ رَفْعاً لِشَأْنِهِ أَو استِصْغَاراً لِشَأْنِهِم صَلَوَاتُ اللّهِ عَلَيْهِم

الْوَجْهُ الخَامِسُ: أَن لَا يَقْصِدَ نَقْصًا ، وَلَا يَذْكُرَ عَيْبًا وَلَا سَبًّا، لَكِنَّهُ يَنْزَعُ[2] بِذِكْر بَعْض أوْصَافِه ، أَو يَسْتَشْهِد بِبَعْض أَحْوَالِه ﷺ الْجَائِزَةِ عَلَيْه فِي الدُّنْيَا عَلَى طَرِيقِ ضَرْبِ المَثَلِ وَالحُجَّةِ لِنَفْسِهِ ، أَو لِغَيْرِهِ ، أَو عَلَى التَّشَبُّهِ بِهِ ، أَو عِنْد هَضِيْمَةٍ نَالَتْهُ[3] ، أَو غَضَاضَةٍ[4] لَحِقَتْهُ ، لَيْسَ عَلَى طَرِيْقِ التَّأَسِّي وَطَرِيْقِ التَّحْقِيقِ ؛ بَل عَلَى مَقْصِدِ التَّرْفِيع لِنَفْسِهِ ، أَو لِغَيْرِهِ ، أَو عَلَى سَبِيل التَّمْثِيلِ وَعَدَمِ التَّوْقِير لِنَبِيِّه ﷺ ، أَو قَصَدَ الْهَزْلَ ، وَالتَّنْذِير[5] بِقَوْلِهِ ، كَقَوْلِ القَائِلِ: إِن قِيلَ فِيَّ السُّوءَ فَقَد قِيلَ فِي النَّبِيِّ ، أَو إِن كُذِّبْتُ فَقَد كُذِّبَ الْأَنْبِيَاءُ ، أَو إِن

---

[1] **حَمَى حِمَى عِرْضِه**:أي صان عرضه الشريف،**فَجَسَر**:أي أقدم.

[2] **يَنْزَعُ**: يميل ويلمح.

[3] **هَضِيْمَةٍ نَالَتْه**: نقيصة عظيمة.

[4] **غَضَاضَة**: الذل ، والمنقصة ، والعيب.

[5] **التَّنْذِير**:التكلم بما فيه عيب وتشهير.

http://mohhanoona.blogspot.com/

أَذْنَبْتُ فَقَد أذْنَبُوا ، أَو أَنَا أسْلَمُ مِنْ أَلْسِنَةِ النَّاسِ وَلَم يَسْلَم مِنْهَا أنبيَاءُ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ، أَو قَد صَبَرْتُ كَمَا صَبَر أُولُو العَزْمِ ، أَو كَصَبْر أَيُّوبَ، وَنَحْو ذَلِكَ.

وَالْحُكْم فِي أمْثَالِ هَذَا مَا بَسَطْنَاه فِي طَرِيق الْفُتْيَا على هَذَا المَنْهج مَا جَاءَت بِه فُتْيَا إمام مَذْهِبنَا مَالِك بن أنس ﷺ وَأَصحَابِهِ فِي "النَّوَادِرِ"[1] مِنْ رِوَايَةِ ابنُ أَبِي مَرْيَم فِي رَجُلٍ عَيَّرَ رَجُلًا بالْفَقْر ، فَقَالَ: تُعَيِّرُنِي بِالْفَقْرِ ، وَقَد رَعَى النَّبِيُّ ﷺ الغَنَمَ ، فَقَالَ مَالِكٌ : قَد عَرَّضَ بِذِكْرِ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَيْرِ مَوْضِعهِ ، أَرَى أَنّ يُؤَدَّبَ ، قَالَ: وَلَا يَنْبَغِي لِأَهلِ الذُّنُوبِ إِذَا عُوتِبُوا أَنّ يَقُولُوا: قَد أخْطَأَتْ الْأَنْبِيَاءُ قبْلَنَا.

وَقَال أَبُو الْحَسَن مُوسَى بْنُ عِيْسَى القَابِسي فِي شَابٍّ مَعْرُوفٍ بِالْخَيْرِ ، قَالَ لِرَجُلٍ شَيْئًا ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُل: اسْكُتْ ، فَإِنَّكَ أُمِّيٌّ ، فَقَالَ الشَابُّ: أَلْيسَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أُمِّيًّا فَشُنِّعَ عَلَيْه مَقَالُه ، وَكَفَّرَهُ النَّاسُ ، وَأشْفَقَ الشَّابُّ مِمَّا قَالَ ، وَأظْهَر النّدَمَ عَلَيْه ، فَقَال أَبُو الْحَسَن أَمَّا إطْلَاق الْكُفْر عَلَيْهِ فَخَطَأ ؛ لَكِنَّهُ مُخْطِئٌ فِي استِشْهَادِهِ بَصِفَة النَّبِيِّ ﷺ ، وَكَوْنُ النَّبِيَّ أُمِّيَاً آيَةٌ لَهُ ، وَكَوْنُ هَذَا أُمِّيَاً نَقِيصَةٌ فِيهِ وَجَهَالَةٌ ، وَمِن جَهَالَتِهِ احْتِجَاجُه بِصِفَة النَّبِيِّ ﷺ لَكِنَّهُ إِذَا اسْتَغْفَرَ ، وَتَابَ ، وَاعْتَرَفَ ، وَلَجَأ إِلَى اللَّهِ فَيُتْرَكُ ؛ لِأَنّ قَوْله لَا يَنْتَهِي إِلَى حَدِّ الْقَتْلِ ، وَمَا طَرِيقُه الأَدَبُ فَطَوْعُ فَاعِلِه بِالنَدمِ عَلَيْهِ يُوْجِبُ الكَفَّ عَنْه ، ولو قَصَد ذَمَّه لقُتِل.

[1] **النَودار**:كتاب في فقه الإمام مالك ،صنَّفه الإمام عبد الله بن أبي زيد القيراوني ،وهو مخطوط.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الفَصْلُ الثَّامِنُ)

حُكْمُ النَّاقِلِ وَالحَاكِي لِهَذَا الْكَلَامِ عَنْ غَيْرِهِ

الْوَجْه السادس: أَن يَقُول القائل ذَلِكَ حَاكِيَاً عَنْ غَيْره وَآثِرًا[١] لَه عَن سِوَاه ، فَهَذَا يُنْظَر فِي صُورَة حِكَايَتِه ، وَقرِينَة مَقَالَتِه ، وَيَخْتَلفُ الحُكْمَ بِاختِلَافِ ذَلِك عَلَى أربعة وُجُوه: الْوُجُوب، وَالنّدْب، والكَرَاهَة، والتّحْرِيم .

فَإِن كَانَ أخْبَر بِه عَلَى وَجْه الشّهَادَةِ ، وَالتّعْرِيفِ بِقَائِلِهِ ، وَالإِنكَارِ ، وَالإِعلِامِ بِقَوْلِهِ ، والتّنْفِيرَ مِنْهُ ، والتّجْرِيحَ لَه ، فَهَذَا مِمَّا يَنْبَغِي امْتِثَالُه ، وَيُحْمَدُ فَاعِلُهُ وَكَذَلِكَ إِن حَكَاُه فِي كِتَابٍ ، أَو فِي مَجْلِسٍ عَلَى طَرِيْقِ الرَّدِ لَهُ ، والنَّقْضِ عَلَى قَائِلِه ، والفُتْيَا بِمَا يَلْزَمُه ، وَهَذَا منه مَا يَجِبُ ، وَمِنْه مَا يُسْتَحَبُّ ، بحسَب حَالَاتِ الحَاكِي لِذَلِك ، وَالمَحْكِيِّ عَنْه.

فَإِن كَانَ القَائِلُ لِذَلِك مِمَّن تَصَدّى لأن يُؤْخذ عَنْه الْعِلْم ، أو رِوايَةُ الحَدِيْثِ وَجَب عَلَى سَامِعِه الإشَادَةُ بِمَا سُمع مِنْه ، وَالتّنْفِيرُ للنَّاس عَنْه ، وَالشَّهَادَةَ عَلَيْه بِمَا قاله.

وَأَمَّا الإِبَاحَةُ لِحكَايَةِ قَوْلِهِ لِغَيْرِ هَذَيْنِ المَقْصِدَين ، فلا أَرَى لَهَا مَدْخَلًا فِي هَذَا الْبَاب ؛ فَلَيْسَ التَّفَكُّهُ بِعِرْضِ رَسُول اللَّه ﷺ وَالتَّمَضْمُضُ بِسُوءِ ذِكْرِهِ لِأَحَدٍ لَا ذاكرًا ، وَلَا آثِراً لِغَيْرِ غَرَضٍ شَرْعِيٍّ مُبَاح.

وَأَمَّا ذِكْرُهَا عَلَى غَيْرِ هَذَا مِنْ حِكَايَةِ سَبِّهِ ، وَالإِزرَاءِ بِمَنْصِبِهِ عَلَى وَجْهِ الحِكَايَاتِ ، وَالأَسمَارِ ، وَالطُّرَفِ ، وَأَحَادِيْثِ النَّاسِ ، وَمَقَالَاتِهِم فِي الغَثِّ وَالسَّمِيْن ، وَمَضَاحِكِ المُجَّانِ ، وَنَوَادِرِ السُّخَفَاءِ ، وَالخَوْضُ فِي قِيلٍ وَقال وَمَالا يُعْنِي ، فَكُلُّ هَذَا مَمْنُوعٌ.

---

[١] آثِرًا: ناقلاً، أو حاكياً عبارة غيره.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الفَصْلُ التَّاسِعُ)

ذِكْرُ الْحَالَاتِ الَّتِي تَجُوزُ عَلَيْهِ ﷺ عَلَى طَرِيْقِ التَّعلِيْمِ

الْوَجْه السابع: أَن يُذْكَرَ مَا يَجُوزُ عَلَى النَّبِيّ ﷺ ، أَو يُخْتَلَفُ فِي جَوَازِهِ عَلَيْه ، وَمَا يَطْرَأُ مِنَ الأُمورِ البَشَرِيَّةِ بِه ، وَيُمْكِنُ إِضَافَتَهَا إِلَيْهِ ، أَو يُذْكَرَ مَا امتُحِنَ بِهِ ، وَصَبَرَ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَلَى شِدَّتِهِ مِنْ مُقَاسَاةِ أَعدائِهِ ، وَأَذَاهُمْ لَهُ ، وَمَعْرِفَةِ ابتِدَاءِ حَالِهِ ، وَسِيْرَتِهِ ، وَمَا لَقِيَهُ مِنْ بُؤْسِ زَمَنِهِ ، وَمَرَّ عَلَيْهِ مِنْ مُعَايَاةِ عِيْشَتِهِ كُلُّ ذَلِكَ عَلَى طَرِيْقِ الرِّوَايَةِ ، وَمُذَاكَرَةِ الْعِلْم ، وَمَعْرِفَةِ مَا صَحَّتْ مِنْهُ العِصْمَةُ لِلأَنبِيَاءِ ، وَمَا يَجُوزُ عَلَيْهِم ، فَهَذَا فَنٌّ خَارِجٌ عَن هَذِه الفُنُونِ السِّتَة إِذ لَيْسَ فِيهِ غَمْصٌ ، وَلَا نَقْصٌ ، وَلَا إِزرَاءٌ ، وَلَا استِخْفَافٌ لَا فِي ظَاهِرِ اللَّفْظِ ، وَلَا فِي مَقْصِدِ اللَّافِظِ.

(الْفَصْلُ الْعَاشِرُ)

الْأَدَبُ اللَّازِمُ عِنْدَ ذِكْرِ أَخْبَارِهِ ﷺ

وَمِمَّا يَجِبُ عَلَى الْمُتَكَلِّمِ فِيمَا يَجُوزُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَمَا لَا يَجُوزُ، وَالذَّاكِرُ مِنْ حَالَاتِهِ مَا قَدَّمْنَاهُ فِي الْفَصْلِ قَبْلَ هَذَا عَلَى طَرِيقِ الْمُذَاكَرَةِ وَالتَّعْلِيمِ ، أَنْ يَلْتَزِمَ فِي كَلَامِهِ عِنْدَ ذِكْرِهِ ﷺ وَذِكْرِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ الْوَاجِبِ مِنْ تَوْقِيرِهِ وَتَعْظِيمِهِ، وَيُرَاقِبُ حَالَ لِسَانِهِ وَلَا يُهْمِلُهُ وَتَظْهَرُ عَلَيْهِ عَلَامَاتُ الْأَدَبِ عِنْدَ ذِكْرِهِ، فَإِذَا ذَكَرَ مَا قَاسَاهُ مِنَ الشَّدَائِدِ ظَهَرَ عَلَيْهِ الْإِشْفَاقُ ، وَالِارْتِمَاضُ[1] ، وَالْغَيْظُ عَلَى عَدُوِّهِ، وَمَوَدَّةُ الْفِدَاءِ لِلنَّبِيِّ ﷺ لَوْ قَدَرَ عَلَيْهِ، وَالنُّصْرَةُ لَهُ لَوْ أَمْكَنَتْهُ.

---

[1] **الِارْتِمَاضُ:** الحزن والقلق والشِّدة.

الْبَابُ الثَّانِي: فِي حُكْمِ سَابِّهِ وَشَانِئِهِ وَمُتَنَقِّصِهِ وَمُؤْذِيْهِ وَعُقُوبَتُهُ وَذِكْر اسْتِتَابَتِهِ وورَاثَتِهِ ، وَفِيْهِ خَمْسَةُ فُصُولٍ.

(الفَصْلُ الأَوَّلُ)

الأَقوَالُ وَالآرَاءُ فِي حُكْمِ مَنْ سَبَّ النَّبِيَّ ﷺ أَو تَنَقَّصَهُ

قَد قَدَّمْنَا مَا هُو سَبٌّ وَأذَىً فِي حَقّهِ ﷺ ، وَذَكَرْنَا إِجْمَاعَ الْعُلَمَاءِ عَلَى قَتْلِ فاعِلِ ذَلِك وَقَائِلِه، وَتَخْيِيرُ الْإِمَامِ فِي قَتْلِه ، أَو صَلْبِه عَلَى مَا ذَكَرْنَاه ، وَقَرَّرْنَا الْحُجَج عَلَيْهِ ، وَبَعْدُ ؛ فاعْلَم أَنّ مشْهُورَ مَذْهَب مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ ، وقَوْلُ السَّلَفِ وجُمهُور الْعُلَمَاء قَتْلُه حَدًّا لَا كُفْرًا ، إِن أَظْهَرَ التَّوْبَة مِنْه، وَسَوَاءٌ كَانَت تَوْبَتُه مِنْ هَذَا بَعْدَ القُدْرَةِ عَلَيْه وَالشَّهادَة عَلَى قَوْلِهِ ، أَو جَاءَ تائِبًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ حَدٌّ وَجَبَ ، لَا تُسْقطُه التَّوْبَةُ كَسَائِرِ الْحُدُودِ، وَأَمَّا مَا بَيْنَه وَبَيْن اللَّهِ فَتَوْبَتُه تَنْفَعُه.

(الْفَصْلُ الثَّانِي)

حُكْمُ الْمُرْتَدِّ إِذَا تَابَ

وَذَهَبَ جُمْهُورُ أَهْلِ الْعِلْم إِلَى أَنَّ المُرْتَدَّ يُسْتَتَابُ، وَحَكَى ابنُ القَصَّارِ أَنَّه إجْمَاعٌ مِنَ الصَّحَابَةِ عَلَى تَصوِيْبِ قَوْلِ عُمَرَ فِي الاسْتِتابَة ، وَلَم يُنْكِرْهُ وَاحِدٌ مِنْهُم ، وَهُو قَوْل عُثْمَان ، وَعَلِيّ ، وَابْن مَسْعُود ، وَبِهِ قَالَ عَطَاءُ بنُ أَبِي رَبَاح ، والنَّخَعِيُّ ، وَالثَّورِيُّ ، وَمَالِكٌ وأصحابُه ، والأَوزَاعِيُّ ، والشَّافِعِيُّ ، وَأَحْمَدُ ، وَاسحَاق ، وَأَصحَابُ الرَّأْيِ .

وَأَمَّا مُدَّتُها ؛ فَمَذْهَب الجُمْهُور ، وَرُوي عَن عُمَر أَنَّه يُسْتَتاب ثَلَاثَة أَيَّام يُحْبَسُ فِيهَا ، وَقَد اخْتُلِفَ فِيه عَن عُمَرَ ، وَهُو أَحَدُ قَوْلَي الشَّافِعِيّ ، وقول أَحْمَد واسحَاقَ ، واسْتَحْسَنَه مَالِكٌ ، وَقَال: لَا يَأْتِي الاسْتِظْهَار [1] إلَّا بِخَيْر.

واخْتُلِف عَلَى هَذَا هَل يُهَدَّدُ ، أَو يُشَدَّدُ عَلَيْه أَيَّامَ الإِسْتِتابَة ؛ لِيَتُوب أم لَا؟ فَقَالَ مَالِكٌ مَا عَلِمْت فِي الاسْتِتِابَة تَجْويعًا ، وَلَا تَعطيشًا ، وَيُؤْتى مِن الطَّعَام بِمَا لَا يَضُرَّه ، وَقَال أصْبَغ يُخَوَّفُ أَيَّامَ الإِستِتَابَةِ بِالقَتْلِ وَيُعْرَضُ عَلَيْه الْإِسْلَام ، قَالَ ابنُ وَهْبٍ عَن مَالِكٍ يُسْتَتَابُ أَبَداً كُلَّمَا رَجَعَ ، وَهُو قَوْلُ الشَّافِعِيُّ ، وَأَحْمَد ، وَقَالَهُ ابنُ الْقَاسِمِ ، وَقَالَ إِسْحَاق: يُقْتَل فِي الرَّابِعَةِ ، وَقَالَ أَصْحَابُ الرَّأْي إِنْ لَمْ يَتُبْ فِي الرَّابِعَة قُتِلَ دُونَ اسْتِتَابة ، وَإِنْ تَابَ ضُرِبَ ضَرْبًا وَجِيعًا ، وَلَم يَخْرُج مِنَ السَّجْنِ حَتَّى يَظْهَرَ عَلَيْه خُشُوعُ التَّوْبَةِ.

قَالَ ابنُ المُنْذِرِ : وَلَا نَعْلَمُ أَحَداً أَوْجَبَ عَلَى المُرْتَدِّ فِي المَرَّة الأُوْلَى أَدَبًا إِذَا رَجَعَ ، وَهُو عَلَى مَذْهَب مَالِك ، وَالشَّافِعِيِّ ، وَالكُوْفِيِّ.

(الفَصْلُ الثَّالِثُ)

حُكْمُ الذِمِّي فِي ذَلِكَ

هَذَا حُكْمُ المُسْلِمِ ؛ فَأَمَّا الذِّمِّيُّ إِذَا صَرَّحَ بِسَبِّه ، أَو عَرَّضَ ، أَو اسْتَخَفَّ بِقَدْرِه ، أَو وَصَفَهُ بِغَيْرِ الوَجْهِ الَّذِي كَفَرَ بِهِ ، فَلَا خِلَاف عِنْدَنَا فِي قَتْلِهِ إِن لَم يُسْلم ؛ لأَنَّنا لَم نُعطِهِ الذِّمَّة ، أَو العَهْد عَلَى هَذَا ، وَهُوَ قَوْلُ عَامَّةِ الْعُلَمَاءِ إِلَّا أَبَا حَنِيْفَةَ ، والثَّوْرِيُّ ، وأتْباعَهُما مِنْ أَهْلِ الكُوفَةِ ، فَإِنَّهُم قَالُوا: لَا يُقْتَل ؛ لِأَنَّ مَا هُو عَلَيْه مِن الشِّرْكِ أَعْظَمُ ، وَلَكِن يُؤدَّبُ ، وَيُعَزَّرُ [2] .

---

[1] **الإستظهار**:الإحتياط بالتثبت والتأخير،حتى يظهر الأولى.

[2] **التعزير**:هو تأديب بما لا يبلغ الحدَّ الشَّرعي.

http://mohhanoona.blogspot.com/

واسْتَدَلَّ بَعْضُ شُيُوخِنَا عَلَى قَتْلِه بِقَوْلِه تَعَالَى: ﴿ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾[التوبة: ١٢].

وَيُسْتَدَلّ أيْضًا عَلَيْه بِقَتْل النَّبيِّ ﷺ لابنِ الأَشْرَفِ وأشْباهِهِ ، ولأنَّا لَم نُعاهِدْهُم ، وَلَم نُعْطِهِم الذِّمَّة عَلَى هَذَا ، وَلَا يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَفْعَلَ ذَلِكَ مَعَهُم ، فَإِذَا أتَوْا مَا لَم يُعْطَوْا عَلَيْه العَهْد وَلَا الذِّمَّة ، فَقَد نَقَضُوا ذِمَّتَهُم وَصَارُوا كُفَّارًا أَهْلَ حَرْبٍ ، يُقْتَلُون لِكُفْرِهِم ، وأيضًا ، فَإِنَّ ذِمَّتَهُم لَا تُسْقِطُ حُدُودَ الْإِسْلَام عَنْهُم مِنَ القَطْعِ فِي سَرِقَة أمْوالِهِم ، وَالقَتْلُ لِمَن قَتَلُوهُ مِنْهُم ، وَإِن كَانَ ذَلِك حَلَالًا عِنْدَهُم ، فَكَذلِكَ سَبُّهُم لِّلنَّبيِّ ﷺ يُقْتَلُونَ بِه.

قَالَ مُحَمَّد ابن سُحْنُون : فَإِنْ قِيلَ : لَم قَتَلْتَه فِي سَبِّ النَّبيِّ ﷺ ، وَمِن دِينِه سَبُّهُ وَتَكْذِيْبُهُ ؟

قِيْلَ: لأنَّا لَم نُعْطِهِم العَهْدَ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَا عَلَى قَتْلِنَا وأخْذ أموالِنَا ؛ فَإِذَا قَتَل وَاحِدًا مِنَّا قَتَلْنَاهُ ، وَإِن كَانَ مِنْ دِيْنِهِ استِحْلَالَهُ ، فَكَذَلِكَ إِظْهَارُهُ لِسَبِّ نَبِيِّنَا ﷺ ، وَكَمَا لَم يُحَصِّنِ الْإِسْلَامُ مَنْ سَبَّه مِن القَتْلِ ؛ كَذَلِكَ لَا تُحَصّنُه الذِّمَّة.

(الفَصْلُ الرَّابِعُ)

فِي مِيراثِ مَنْ قُتِلَ فِي سَبِّ النَّبِيِّ ﷺ وَغُسْلِهِ وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ

اخْتُلِف العُلَمَاءُ فِي مِيْرَاثِ مَنْ قُتِل بِسَبِّ النَّبِيِّ ﷺ ، فقد رَوَى أَصْبَغ عَن ابن الْقَاسِم فِي كِتَابِ ابنُ حَبِيْبٍ فِيمَن كَذَّبَ بِرَسُول الله ﷺ ، أَو أعْلَنَ دِينًا مِمَّا يُفَارِق بِه الْإِسْلَام ، أَنَّ مِيْرَاثَهُ لِلْمُسْلِمِينَ، وَقَالَ بقول مَالِكٍ: إِنَّ مِيْرَاثَ المُرْتَد لِلْمُسْلِمِين وَلَا تَرِثُه وَرَثَتُه ، رَبِيعَةَ ، وَالشَّافِعِيّ ، وَأَبُو ثَوْرٍ ، وَابْن أَبِي لَيْلَى، وَاخْتُلِفَ فِيْهِ عَن أَحْمَد .

وَقَالَ عَلِيٌّ بن أَبِي طَالِب ، وَابْن مَسْعُود ، وابْن المُسَيَّبِ ، وَالحَسَنْ ، وَالشَّعْبِي ، وَعُمَر بْنُ عَبْدِ العَزِيْزِ ، وَالحَكَمُ ، وَالأَوزَاعِيُّ ، واللَّيْثُ ، وَإِسحَاق ، وَأَبُو

http://mohhanoona.blogspot.com/

حنيفة: يَرِثُه وَرَثتُه مِن الْمُسْلِمِين ، وَقِيل: ذَلِك فِيمَا كَسِبَهُ قَبْلَ ارْتِدادِه ، وَمَا كَسِبَهُ فِي الإِرتِدَادِ فَلِلْمُسْلِمِين.

وَسُئِلَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الكَاتِبِ عَن النصْرَانِيِّ يَسُبُّ النَّبِيّ ﷺ فَيُقْتَلُ : هَل يَرِثُه أَهْلُ دِينِهِ ، أَمِ الْمُسْلِمُون؟ ، فَأَجَاب أَنَّهُ لِلْمُسْلِمِين ، لَيْسَ عَلَى جِهَةِ الْمِيْرَاثِ ؛ لِأَنَّه لَا تَوارُثَ بَيْن أَهْل مِلَّتَيْن ، وَلَكِن لِأَنَّه مِنْ فَيئِهِم ؛ لِنَقْضِهِ العَهْد ، هَذَا مَعْنَي قَوْلِه واخْتِصارُه.

الْبَابُ الثَّالِثُ – فِي حُكْمِ مَنْ سَبَّ اللَّهَ تَعَالَى وَمَلَائِكَتَهُ وَأَنبِيَاءَه وَكُتُبَهُ وَآلَ النَّبِيِّ ﷺ وَأزوَاجَهُ وَصَحْبَهُ ، وَفِيْهِ عَشْرَةُ فُصُولٍ.

(الفَصْلُ الأَوَّلُ) حكم سابّ الله تعالى وحكم استتابته

وحُكْم المُرْتَد أن يُسْتَتَاب عَلَى مَشْهُور مَذاهِب أَكْثَر الْعُلمَاء وَهُو مَذْهَب مَالِك وأصحابه عَلَى ما بَيَّنَاه.

(الْفَصْلُ الثَّانِي)

حُكْمُ إِضَافَةِ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ تَعَالَى عَنْ طَرِيْقِ الإِجْتِهَادِ وَالخَطَأ

أَمَّا مَنْ أَضَافَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَا لَا يَلِيقُ بِهِ ، لَيْس عَلَى طريق السَّبِّ ، وَلَا الرِّدَّةِ وَقَصْد الكُفْرِ ، وَلَكِن عَلَى طَرِيقِ التَّأْوِيلِ وَالإِجْتِهَادِ وَالخَطَأ المُفْضِي إِلَى الْهَوَى ، وَالبِدعَة مِنْ تَشْبِيْهٍ ، أَو نَعْتٍ بِجَارِحَةٍ ، أَو نَفْيُ صِفَةِ كَمَالٍ ، فَهَذَا مِمَّا اخْتَلَفَ السَّلَفُ وَالْخَلَفُ فِي تَكْفِيرِ قَائِلِه ومُعْتَقِدِه.

وَأَكْثَرُ أَقْوَالِ السَّلَفِ تَكْفِيْرُهُم ، وَمِمَّنْ قَالَ بِه : اللَّيْثُ ، وَابْنُ عُيَيْنَةَ ، وَابْنُ لَهِيْعَةَ ، رُوِىَ عَنْهُم ذَلِكَ فِيمَن قَالَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ ، وَقَالَهُ ابْنُ المُبَارَكِ وَالأَوْدِي ، وَوَكِيْع، وَحَفْصُ بْنُ غِيْاثٍ ، وَأَبُو إِسْحَاق الفَزَارِي ، وَعَلِيُّ بْنُ عَاصِم فِي آخَرِيْنَ ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِ أَكْثَرِ الْمُحَدِّثِينَ ، وَالْفُقَهَاءِ ، وَالْمُتَكَلِّمِينَ فِيهِم ، وَفِى

http://mohhanoona.blogspot.com/

الخَوَارِجِ ، وَالقَدَرِيَّةِ ، وَأَهْلِ الأَهوَاءِ المُضِلَّةِ ، وَأَصحَابِ البِدَعِ المُتَأَوِلِيْنَ ، وَهُو قَوْلُ أَحْمَد بْنُ حَنْبَل ، وَكَذَلِك قَالُوا فِي الوَاقِفَةِ[1] ، وَالشَّاكَّةِ[2] فِي هَذِه الأُصُولِ.

وَمِمَّن رُوِي عَنْه مَعْنَي القَوْلِ الآخَرِ بِتَرْكِ تَكْفِيْرِهِم عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب ، وَابْن عُمَرَ ، وَالحَسَنُ الْبَصْرِيِّ ، وَهُوَ رَأْيُ جَمَاعَةٍ مِن الفُقَهَاءِ النُّظَّارِ[3] ، وَالمُتَكَلِّمِيْنَ ، وَاحتَجُّوا بِتَوْرِيْثِ الصَّحَابَةِ ، وَالتَّابِعِيْنَ وَرَثَةَ أَهْلِ حَرُورَاء[4] ، وَمَنْ عُرِفَ بِالقَدَرِ مِمَّن مَاتَ مِنْهُم ، وَدَفْنِهِم فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ ، وَجَرْي أَحكَامِ الْإِسْلَامِ عَلَيْهِم.

(الفَصْلُ الثَّالِثُ)

فِي تَحْقِيقِ الْقَوْلِ فِي إِكْفَارِ الْمُتَأَوِّلِينَ[5]

قَدْ ذَكَرْنَا مَذَاهِبَ السَّلَفِ فِي إِكفَارِ أَصحَابِ الْبِدَعِ وَالْأَهْوَاءِ الْمُتَأَوِّلِينَ مِمَّنْ قَالَ قَوْلًا يُؤَدِّيهِ مَسَاقُهُ إِلَى كُفْرٍ، وَعَلَى اخْتِلَافِهِمْ اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ وَالْمُتَكَلِّمُونَ فِي ذَلِكَ ، فَمِنْهُمْ مَنْ صَوَّبَ التَّكْفِيرَ الَّذِي قَالَ بِهِ الْجُمْهُورُ مِنَ السَّلَفِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَبَاهُ ،وَلَمْ يَرَ إِخْرَاجَهُمْ مِنْ سَوَادِ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ الْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ، وَقَالُوا: هُمْ فُسَّاقٌ عُصَاةٌ ضُلَّالٌ، وَنُوَرِّثُهُم مِنَ المُسْلِمِيْنَ وَنَحْكُمُ لَهُم بِأَحكَامِهِم.

---

[1] **الواقِفَة**:قوم توقفوا في اتباع أهل البدعة وأهل السنة ، لجهلهم أو لتعارض الأدلة عندهم ، فلم يقولوا القرآن مخلوق،أو غير مخلوق.

[2] **الشَّاكَّة**: هم المترددة ، الذين شكُّوا في القرآن هل هو مخلوق أم غير مخلوق.

[3] **النُّظَّار**: هم أصحاب المعرفة والنظر بالأدلة،والقادرين على المناظرة.

[4] **أهل حروراء**:منطقة بالقرب من الكوفة ، يسكنها الخوارج الذين خالفوا عليّاً ،وإليها نُسبوا.

[5] **المتأولين**: هم أصحاب الأهواء الذين حرَّفوا النصوص وأوَّلوها بما يوافق مذهبهم وعقيدتهم.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الْفَصْلُ الرَّابِعُ)

فِي بَيَانِ مَا هُوَ مِنَ الْمَقَالَاتِ كُفْرٌ

وَمَا يُتَوَقَّفُ أَوْ يُخْتَلَفُ فِيهِ ، وَمَا لَيْسَ بِكُفْرٍ

اعْلَم أَنّ تحْقيق هَذَا الْفَصْل ، وَكَشْف اللّبْس فِيهِ مَوْرِدُه الشَّرْع ، وَلَا مجَال لِلْعَقْل فِيه ، وَالفَصْلُ البَيّنُ فِي هَذَا أَنَّ كُلَّ مَقَالَةٍ صَرَّحَتْ بِنَفْي الرُّبُوبِيّةِ ، أَو الْوَحْدَانِيّة ، أَو عِبَادة أَحَدٍ غَيْر اللَّهِ ، أَو مَعَ اللَّهِ فهي كُفْرٌ ؛ كَمَقَالَةِ الدَّهْرِيَّةِ[١] ، وَسَائِر فِرَق أَصْحَابِ الاثْنَيْنِ[٢] مِن الدَّيْصَانِيّة[٣] ، وَالمَانَوِيّة[٤] وأشْبَاهِهِم مِن الصّابِئِين[٥] ، وَالنَّصَارَى ، وَالمَجُوسِ[٦] ،وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا بِعِبَادَةِ الأَوْثَانِ ، أَو الْمَلَائِكَةِ ، أَو الشَّيَطَانِ ، أَو الشَّمْس ، أَو النُّجُوم ،أَو النَّار ، أَو أَحَدٍ غَيْر اللَّهِ من مُشْركي الْعَرَبِ ، وَأَهْلِ الهِنْدِ ، وَالصِّيْنِ ، والسُّودَانِ[٧] ، وَغَيْرِهِم مِمَّن لَا يَرْجِعُ إِلَى كِتَابٍ ، وَكَذَلِكَ القَرَامِطَةُ[٨] ، وَأَصْحَاب الحُلُولِ[٩] ، والتّنَاسُخِ[١] مِن الباطِنِيَّةِ[٢] ، وَالطَّيَّارَةِ[٣] مِنَ الرَّوَافِضِ .

---

[١] **الدَّهْرِيَّةِ:** هم الملاحدة ، لا يؤمنون بالآخرة ،ويقولون ببقاء الدهر.

[٢] **أَصْحَابُ الاثْنَيْنِ:** هم الذين يزعمون أن النور والظلمة أزليان.

[٣] **الدَّيْصَانِيّة** :نسبة إلى رجل مجوسي اسمه دَيْصَان ، ويقولون بخالقين هما:النور ، والظلمة.

[٤] **المَانَوِيِّة:**نسبة إلى رجل اسمه مَانِي القائل بأن العالم ينقسم إلى قسمين:نور ، وظالمة.

[٥] **الصّابِئِين:**قومٌ يعبدون الكواكب،ويزعمون أنهم على ملَّةِ نوح ،وقبلتهم مهب الشمال عند منتصف النهار.

[٦] **المَجُوسِ:**عبدة النار.

[٧] **السُّودَانِ:** هم طائفة من الناس ،سود البشرة.

[٨] **القَرَامِطَةُ:** فرقة من غلاة الشِّيْعَة نشأت بالعراق واتسع سلطانها بالحجاز وَكَانَ من أهم أغراضها طلب الْمُسَاوَاة .

[٩] **أَصْحَاب الحُلُولِ:**القائلون أن الله عزَّ وجلَّ يحلُّ في الأشياء.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَكَذَلِكَ مِن اعْتَرَفَ بِإلاهيَّةِ اللهِ وَوَحْدانِيِّتِه وَلَكِنَّهُ اعْتَقَدَ أنَّهُ غَيْرُ حَيٍّ ، أَو غَيْرُ قَدِيْمٍ ، وَأَنَّهُ مُحْدَثٌ ، أَو مُصَوَّرٌ ، أَو ادَّعَى لَهُ وَلَدًا ، أَو صَاحَبَةً ، أَو وَالِدًا ، أو مُتَوَلِّدٌ مِنْ شَئ ، أَو كَائِنٌ عَنْه ، أَو أَنَّ مَعَهُ فِي الأَزَلِ شَيْئًا قديمًا غَيْرَهُ ، أَو أَنَّ ثَمَّ صَانِعًا للعَالَمِ سِوَاهُ ، أَو مُدَبِّرًا غَيْرَهُ ، فَذَلِك كُلُّه كُفْر بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ ؛ كَقَوْلِ الإلهِيِّينَ مِنَ الْفَلاسِفَةِ[٤] ، وَالمُنَجِّمِينَ[٥] ، وَالطَّبَائِعِيِّين[٦] ، وَكَذَلِك مَن ادَّعَى مُجَالسَةَ اللَّه ، وَالْعُرُوج إلَيْه ، وَمُكَالَمَتَه ، أَو حُلُولَه فِي أَحَدِ الأشْخَاصِ؛ كَقَولِ بَعْضِ المُتَصوّفَة[٧] ، وَالبَاطِنِيَّةِ النَصَارَى ، وَالقَرَامِطَةِ.

وَكَذَلِك نَقْطَعُ عَلَى كُفْرِ مَنْ قَالَ بِقِدَمِ العَالَمِ ، أَو بَقَائِهِ ، أَو شَكَّ فِي ذَلِكَ عَلَى مَذْهَبِ بَعْضِ الفَلاسِفَةِ ، وَالدَهْرِيَّةِ ، أَو قَالَ بِتَنَاسُخِ الأَرْوَاحِ وَانتِقَالِها أَبَدَ الآبَادِ فِي الأَشْخَاصِ ، وَتعْذِيْبِهَا ، أَو تَنَعُّمِهَا فِيهَا بِحَسْبِ زَكَائِهَا[٨] وَخُبْثِهَا .

وَكَذَلِك مَنِ اعْتَرَفَ بِالإِلهِيَّةِ وَالوَحْدَانِيَّةِ ، وَلَكِنَّهُ جَحَدَ النُّبُوَّةَ مِنْ أَصْلِهَا عُمُومًا ، أَو نُبُوَّةَ نَبِيِّنَا ﷺ خُصُوصًا ، أَو أَحَدٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ الَّذِين نَصَّ اللَّهُ عَلَيْهِم بَعْدَ عِلْمِه بِذَلِكَ فَهُوَ كَافِرٌ بِلَا رَيْبٍ ؛ كالبَرَاهِمَة[٩] ، ومُعْظَم اليَهُود ، والأَرُوسِيَّةِ[١]

---

[١] **التَّنَاسُخِ**: تناسخ الأرواح : هي عقيدة مؤداها أن روح الميت تنتقل إلى حيوان أعلى أو أقل منزلة ؛ لتنعم أو تعذَّب، جزاءاً على سلوكٍ صاحبها الذي مات،وأصحاب هذا المعتقد لا يؤمنون بالبعث.

[٢] **الباطِنِيَّةِ**:فرقة من الشيعة تعتقد أن للشريعة ظاهراً وباطناً ، وتُمْعِنُ في التأويل.

[٣] **الطَّيَّارَة**:فرقة من غلاة الشيعة ، نسبوا لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطَيَّار.

[٤] **الإِلَـهِيُّونَ مِنَ الْفَلاسِفَةِ**: هم الذين تكلموا في ذات الله وصفاته من عقولهم ،فتاهوا وضلوا.

[٥] **المُنَجِّمِينَ**: هم القائلين بتأثير الكواكب في حوادث الحياة.

[٦] **الطَّبَائِعِيِّين**: هم القائلين بتأثير الطبيعة في حوادث الحياة.

[٧] **المُتَصوّفَة**:قومٌ ينتسبون إلى الزهد والورع ،ولا تخلو طريقتهم من الضلال والبدع.

[٨] **زَكَائِهَا**:طهارتها وصلاحها.

[٩] **البَرَاهِمَة**: هم من ينتسبون للديانة البرهمانية،وهم قوم ينكرون النبوات والبعث ، ويحرمون لحوم الحيوانات.

http://mohhanoona.blogspot.com/

مِن النَّصَارَي ، وَالغُرَابيَّةِ[2] مِنَ الرَّوَافِضِ الزَّاعِمِيْنَ أَنَّ عليًّا كَانَ المَبْعُوثَ إِليْه جِبْرِيلُ ، وَكالْمُعَطِّلَةِ[3] ، وَالقَرَامِطَةُ ، وَالإسمَاعِيْلِيَّةِ[4] ، وَالعَنْبَرِيَّةِ مِنَ الرَّافِضَةِ ، وَإِن كَان بَعْضُ هَؤُلَاء قَد أشْرَكُوا فِي كُفرٍ آخَرَ مَع مَنْ قَبْلَهُم .

وَكَذَلِك من دَانَ بِالوحْدَانِيَّةِ وَصِحَّةِ النُّبُوَّةِ وَنُبُوَّةِ نَبِيِّنَا ﷺ ، وَلَكِن جوّز عَلَى الْأَنْبِيَاءِ الكَذِبَ فِيمَا أَتَوْا بِهِ ، ادَّعَى فِي ذَلِكَ المَصْلَحَةَ بِزعْمِهِ ، أَو لَمْ يُذِعْهَا فَهُوَ كَافِرٌ بِإِجْمَاعٍ ؛ كَالمُتَفَلْسِفِيْنَ ، وَبَعْض البَاطِنِيَّةِ ، وَالرَّوَافِضُ وَغُلَاةُ المُتَصَوِّفَةِ ، وَأَصحَابُ الإِبَاحَةِ[5] ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ زَعَمُوا أَنَّ ظَوَاهِرَ الشَّرْعِ ، وَأَكْثَرَ مَا جَاءَت بِه الرُّسُل مِن الْأَخْبَارِ عَمَّا كَانَ وَيَكُونُ مِنْ أُمُورِ الآخِرَة والحَشْر، وَالْقِيَامَة، والْجَنَّةِ، وَالنَّار لَيْس مِنْهَا شَئٌ عَلَى مقْتَضَى لَفْظِهَا وَمَفْهُومِ خِطَابِهَا ؛ وَإِنَّمَا خَاطَبُوا بِهَا الخَلْقَ عَلَى جِهَة المَصْلَحَةِ لَهُم ، إِذ لَم يُمْكِنُهُم التَّصْرِيْحُ لِقُصُورِ أَفْهَامِهِم ، فَمَضْمُونُ مَقَالَاتِهِم إِبطَالُ الشَّرَائِعِ ، وَتَعْطِيْلُ الأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي ، وَتَكْذِيْبِ الرُّسُلِ ، وَالإرتِيَابُ فِيمَا أَتَوْا بِهِ.

وَكَذَلِكَ مَنْ أَضَافَ إِلَى نَبِيِّنَا ﷺ تَعَمُّدَ الكَذِبِ فِيمَا بَلَّغَهُ وَأَخْبَرَ بِهِ ، أَو شَكَّ فِي صِدْقِهِ ، أَو سَبَّهُ ، أَو قَالَ: إِنَّهُ لَم يُبَلِّغْ ، أَو استَخَفَّ بِهِ ، أَو بِأَحَدٍ مِن الْأَنْبِيَاءِ ، أَو أَزْرَى عَلَيْهِم[6] ، أَو آذَاهُم ، أَو قَتَل نَبِيًّا ، أَو حَارَبَهُ ، فَهُوَ كَافِرٌ بِإِجْمَاعٍ.

---

[1] **الأرُوسِيَّة**:فرقة مسيحية تقول بعبودية المسيح لله جل جلاله ، وتؤمن بالله عز وجل رباً وإلهاً ، وبعيسى نبياً ورسولاً.

[2] **الغُرَابِيَّةِ**:فرقة من فرق الشيعة تقول أن جبريل نزل بالرسالة من عند الله لعلي فأخطأ وأعطاها لمحمد ؛لأن محمداً يشبه علياً كما يشبه الغراب الغراب.

[3] **المعطلة**: هم الذين عطلوا الله سبحانه من صفاته ،فنفوا عنه جميع الصفات.

[4] **الإسماعيلية**:فرقة من الشيعة الباطنية تنسب إلى اسماعيل بن جعفر الصادق، وتقول بإمامة إسماعيل بعد أبيه جعفر ،خلافاً للإثنا عشرية التي تقول بإمامة أخيه موسى الكاظم بن جعفر الصادق.

[5] **أَصحَابُ الإِبَاحَةِ**: هم الذين اسباحوا المحرمات.

[6] **أَزْرَى عَلَيْهِم**:عابهم وانتقص قدرهم.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَكَذَلِكَ نُكَفِّرُ مَنْ ذَهَبَ مَذْهَبَ بَعْضِ القُدَمَاءِ فِي أَنَّ فِي كُلِّ جِنْسٍ مِنَ الحَيَوَانِ نَذِيْراً ، وَنَبِيّاً مِنَ القِرَدَةِ، وَالخَنَازِيْرِ ، وَالدَوَابِّ ، وَالدُّوْدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَيَحْتَجُّ بِقَوْلِه تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أُمَّةٍ إِلا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[فاطر:٢٤] ؛ إِذْ ذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى أَن يُوصَفَ أَنْبِيَاءُ هَذِهِ الأَجْنَاسِ بِصِفَاتِهِم المَذْمُوْمَة ، وَفِيْهِ مِنَ الإِزْرَاءِ عَلَى هَذَا المَنْصَبِ المُنِيف ، مَع مَا فِيه مِنْ إِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى خِلَافِهِ ، وَتَكْذِيبِ قَائِلِهِ.

وَكَذَلِكَ نُكَفِّرُ مَن اعْتَرَفَ مِنَ الْأُصُولِ الصَّحِيحَةِ بِمَا تَقَدَّمَ وَنُبُوَّة نبينا ﷺ ، وَلَكِن قَالَ: كَانَ أَسْوَدَ ، أَو مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَلْتَحِي[1] ، أَو لَيْسَ الَّذِي كَانَ بِمَكَّةَ وَالحِجَازَ ، أَو لَيْس بِقُرَشِيٍّ ؛ لِأَنَّ وَصْفَهُ بِغَيْرِ صِفَاتِهِ المَعْلُومَة نَفْيٌ لَهُ وَتَكْذِيْبٌ بِهِ.

وَكَذَلِك مَنْ ادَّعَى نُبُوَّةَ أَحَدٍ مَعَ نَبِيِّنَا ﷺ أَو بَعْدَهُ ؛ كَالعِيْسَوِيَّةِ[2] مِنَ اليَهُودِ القَائِلِيْنَ بِتَخْصِيْصِ رِسَالَتِهِ إِلَى الْعَرَبِ ، وَكَالْخَرْمِيَّةِ[3] القَائِلِيْنَ بِتَوَاتُرِ الرُّسُلِ ، وَكَأَكْثَرِ الرَّافِضَةِ القَائِلِيْنَ بِمُشَارَكَةِ عَلِيٍّ فِي الرِّسَالَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَبَعْدَه ، فَكَذَلِكَ كُلُّ إِمَامٍ عِنْدَ هَؤُلَاءِ يَقُوْمُ مَقَامَهُ فِي النُّبُوَّةِ وَالحُجَّةِ ، وَكَالْبَزِيغيّة[4] ، وَالبَيَانِيَّة[5]

---

[1] **قَبْلَ أَنْ يَلْتَحِي**:قبل أن تنبت لحيته.

[2] **العِيْسَوِيَّة**:نسبة إلى أبي عيسى: اسْحَاق بْنُ يَعْقُوبَ اليَهُوْدِيُّ الأصبهانيُّ، الذي زعم أنه نَبِيّ ، وكان في زمن المنصور.

[3] **الْخَرْمِيَّةِ**:هم اتباع بابك الخرمي الذي ظهر أيام العباسيين يريد اقامة الملة المجوسية ،وصلب زمن المعتصم ،و كان يقول بتناسخ الأرواح.

[4] **الْبَزِيغيّة**:طائفة من غلاة الشيعة ،وهم اصحاب بزيغ بن موسى ، ويزعمون أن جعفر بن محمد هو الله .

[5] **البَيَانِيِّة**: فرقة شيعية تنسب إلى بيان بن سمعان ، يقوقون بأن روح الله حلت في عليٍّ ثم في ابنه محمد بن الحنفية ثم في ابنه هاشم ثم في بيان .

http://mohhanoona.blogspot.com/

مِنْهُم القَائِلِينَ بِنُبُوَّةِ بزيغ ، وَبَيَان ، وَأشْبَاهِ هَؤلَاء[1] ، أَو مَنِ ادَّعَى النُّبُوَّةَ لِنَفْسِه أَو جَوَّزَ اكْتِسَابَهَا والبُلُوغ بِصَفَاء القَلْبِ إِلى مَرْتَبَتِهَا؛ كالفَلَاسِفَةِ ، وَغُلاةُ المُتَصَوِّفَة .

وَكَذَلِك مَن ادَّعَى مِنْهُم أَنَّهُ يُوْحَى إِلَيْهِ ، وَإِنْ لَم يدَّعِ النُّبُوَّةَ ، أَو أنَّه يَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ وَيَدْخُل الْجَنَّةَ وَيأْكُل من ثِمَارِهَا وَيُعَانِقُ الْحُورَ العِيْن ، فَهؤلاءِ كُلُّهُم كُفَّارٌ مُكَذِّبُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ ؛ لِأَنَّهُ أخْبَرَ ﷺ أنَّه خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ،وَلا نَبِيَّ بَعْدَه ، وأخْبَرَ عَنِ الله تَعَالَى أنَّهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وأنَّه أُرْسِلَ كَافَّةً لِلنَّاسِ ، وَأَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى حَمْل هَذَا الْكَلَامِ عَلَى ظاهِرِهِ ، وَأنّ مَفْهُومَه المُرَادُ بِه دُون تَأْوِيلٍ ، وَلَا تَخْصِيْصٍ ، فَلَا شَكَّ فِي كُفْرِ هَؤلَاءِ الطَّوَائِفِ كُلِّهَا قَطْعًا إِجْمَاعًا ، وَسَمْعَاً ، وَكَذلِكَ وَقَعَ الإِجْمَاعُ عَلَى تَكْفِيرِ كُلِّ مَنْ دَافَعَ نَصَّ الكِتَاب[2] ، أَو خَصَّ حَدِيْثاً مُجْمَعاً عَلَى نَقْلِه ، مَقْطُوعًا بِه ، مُجمَعًا عَلَى حَمْلِه عَلَى ظَاهِره ؛ كَتَكْفِيرِ الخَوَارِجِ بِإبْطَالِ الرَّجْمِ ، وَلِهَذَا نُكَفِّرُ مَنْ لَمْ يُكَفِّر مَنْ دَان بِغَيْرِ مِلَّةِ الْمُسْلِمِين مِن المِلَل ، أَو وَقَفَ فِيهِم ، أَو شَكَّ ، أَو صَحَّحَ مَذْهَبَهُم ، وَإِنْ أَظْهَرَ مَع ذَلِك الْإِسْلَامَ وَاعْتَقَدَه ، واعْتَقَد إِبْطَالَ كُلِّ مَذْهَبٍ سِوَاهُ فَهُوَ كَافِرٌ بِإِظْهَارِهِ مَا أَظْهَرَ مِنْ خِلَافِ ذَلِكَ .

وَكَذَلِك نَقْطَعُ بِتَكْفِيرِ كُلِّ قَائِلٍ قَالَ قَوْلًا يُتَوصَّلُ بِهِ إِلَى تَضْلِيلِ الْأُمَّةِ ، وتَكْفِير جَمِيْعِ الصَّحَابَةِ ؛ كَقَوْل الكُمَيْلِيّة[3] مِن الرافِضَةِ بِتَكْفِيرِ جَمِيع الْأُمَّة بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ إذا لَم تُقَدِّمْ عَلِيًّا ، وَكَفَّرَتْ عَلِيّاً إِذ لَم يَتَقَدَّم وَيطْلُب حَقَّهُ فِي التَّقْدِيم ، فَهؤلَاءِ

---

[1] **وَأشْبَاهِ هَؤُلَاء**؛ كالقاديانية اتباع مرزا غلام أحمد الهندي القادياني الهالك سنة ١٩٠٨ م ،وهذه الطائفة كالبابيَّة والبهائيَّة خارجةٌ عن ملة الإسلام.

[2] **دَافَعَ نَصَّ الكِتَاب**: أي منع ونازع فيما جاء صريحاً في القرآن ،كبعضِ جهلة المتصوفة.

[3] **الكُمَيْلِيّة**:فرقة من غلاة الشيعة ،تقول بتناسخ الأرواح ،والحلول،وهم أصحاب أبي كامل،وأكفروا جميع الصحابة بتركها بيعة عليّ رضي الله عنه،وطعن في عليّ بتركه طلب حقه.

http://mohhanoona.blogspot.com/

قَد كَفَرُوا مِنْ وُجُوهٍ ؛ لِأَنَّهُم أبْطَلُوا الشَّرِيعَةَ بِأَسْرِهَا إِذْ قَد انْقَطَعَ نَقْلُهَا ونَقْل الْقُرْآن ؛ إِذ نَاقِلُوهُ كَفَرَةٌ عَلَى زَعْمِهِم ، وَإِلَى هَذَا والله أَعْلَم أَشَارَ مَالِكٌ فِي أَحَدِ قَوْلَيْهِ بِقَتْلِ مَنْ كَفَّرَ الصَّحَابَةَ ، ثُمَّ كَفرُوا مِنْ وَجْهٍ آخَرَ بِسَبِّهِم النَّبِيَّ ﷺ عَلَى مُقْتَضَى قَوْلِهِم وَزَعْمِهِم أنَّهُ عَهِدَ إِلَى عَلِيٍّ رضي الله عنه وَهُو يَعْلَمُ أنَّه يَكْفُر بَعْدَهُ عَلَى قَوْلِهِم- لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِم- وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى رَسُولِه وآلِه .

وَكَذَلِك نُكَفِّرُ بِكُلِّ فِعْلٍ أجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ لَا يَصْدُرُ إِلَّا مِنْ كَافِرٍ ، وَإِن كَانَ صَاحِبُهُ مُصَرِّحًا بِالْإِسْلَام مَع فِعْلِه ذَلِكَ الفِعْل ؛ كَالسُّجُود لِلصَّنْمِ ، وللشَّمْسِ وَالقَمَرِ ، وَالصَّلِيبِ ، وَالنَّارِ ، وَالسَّعْيَ إِلَى الكَنَائِسِ[1] ، وَالبِيَعِ[2] مَع أَهْلِهَا ، وَالتزَيِّيْ بِزِيِّهم: مِنْ شَدِّ الزَّنَانِيْرِ[3] ، وَفَحْصِ الرُؤُسِ[4] ، فَقَد أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ أَنّ هَذَا لَا يُوْجَدُ إِلَّا مِنْ كَافِرٍ ، وَأَنّ هَذِهِ الأَفْعَالَ عَلامَةٌ عَلَى الكُفْرِ ، وَإِن صَرَّحَ فَاعِلُهَا بِالْإِسْلَامِ .

وَكَذَلِكَ أجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى تَكْفِيرِ كُلِّ مَنْ اسْتَحَلَّ القَتْلَ ، أَو شُرْبَ الخَمْرِ ، أَو الزِّنَا مِمَّا حَرّم الله بَعْدَ عِلْمِه بِتَحْرِيمِهِ ؛ كَأَصْحَابِ الإِبَاحَةِ مِن القَرَامِطَةِ ، وَبَعْضُ غُلاةِ المُتَصَوِّفَةِ .

وَكَذَلِك نَقْطَعُ بِتَكْفِيرِ كُلِّ مَنْ كَذَّبَ وَأنْكَرَ قَاعِدَةً مِنْ قَوَاعِدِ الشَّرْعِ ، وَمَا عُرِفَ يَقِينًا بالنّقْلِ الْمُتَواتِرِ مِنْ فِعْلِ الرَّسُولِ ﷺ ، وَوَقَع الإِجْمَاعُ الْمُتَّصِلُ عَلَيْهِ ؛ كَمَنْ أنْكَرَ وُجُوبَ الصَّلَوَاتِ الخَمْس ، وعَدَد رَكَعاتِها وسَجَداتِها ، وَيَقُولُ: إِنَّمَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْنَا فِي كِتابِهِ الصَّلَاةَ عَلَى الْجُمْلَةِ ، وَكَوْنُها خَمْسًا وَعَلَى هَذِه الصِّفَاتِ وَالشُّرُوطِ لَا أعْلَمُه ؛ إِذْ لَم يَرِد فِيه فِي الْقُرْآنِ نَصٌّ جَلِيٌّ ، وَالخَبَرُ بِهِ عَن الرَّسُولِ ﷺ خَبَرُ وَاحِدٍ .

---

[1] **الكَنَائِس**:معابد اليهود.

[2] **البِيَع**:جمع بِيْعَة ،وهي معابد النصارى.

[3] **الزَّنَانِيْر**:جمعُ زُنَّار؛وهو ما يشُدُّه النَصْرانِيُّ عَلَى وسطه.

[4] **فَحْصِ الرُؤُس**:حلقُ أوساطها ،وتفعله شَمَامِسَةُ النَّصَارَى.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَكَذَلِكَ أُجْمِعَ عَلَى تَكْفِيرِ مَنْ قَالَ مِنَ الْخَوَارِجِ: إِنَّ الصَّلَاةَ طَرَفَي النَّهَارِ ، وَعَلَى تَكْفِيرِ البَاطِنِيَّةِ فِي قَوْلِهِم: إِنَّ الفَرَائِضَ أَسْمَاءُ رِجَالٍ أُمِرُوا بِوِلَايَتِهِم ، والخَبَائِثُ وَالْمَحَارِمُ أَسْمَاءُ رِجَالٍ أُمِرُوا بِالبَرَاءَةِ مِنْهُم ، وَقَوْلُ بَعْضِ المُتَصَوِّفَةِ : إِنَّ العِبَادَةَ وَطُولَ المُجَاهَدَةِ إِذَا صَفَّتْ نُفُوسُهُم أَفْضَتْ بِهِم إِلَى إِسْقَاطِهَا وَإِبَاحَةِ كُلِّ شَيْءٍ لَهُم ، ورَفْعِ عُهَدِ الشَّرائِع عَنْهُم .

وَكَذَلِكَ إِنْ أَنْكَرَ مُنْكِرٌ مَكَّةَ ،أَو البَيْتَ[1] ، أَو الْمَسْجِدَ الْحَرَامِ ، أَو صِفَةَ الحَجِّ ، أَو قَالَ : الحَجُّ وَاجِبٌ فِي الْقُرْآنِ ، وَاسْتِقْبَالُ القِبْلَةِ كَذَلِك ، وَلَكِن كَوْنُهُ عَلَى هَذِهِ الهَيْئَةِ المُتَعارَفَة ، وَأَنَّ تِلْكَ البُقْعَةَ هِي مَكَّةَ وَالبَيْتَ وَالْمَسْجِدَ الْحَرامِ لَا أَدْرِي هَل هِي تِلْكَ ، أَو غَيْرِهَا؟ وَلَعَلَّ النَّاقِلِينَ أَنَّ النَّبِيّ ﷺ فَسَّرَهَا بِهَذِه التَّفَاسِيْرِ غَلِطُوا وَوَهِمُوا ، فَهَذَا وَمِثْلُه لَا مِرْيَةَ فِي تَكْفِيرِهِ إِنْ كَانَ مِمَّن يُظَنّ بِهِ عِلْمُ ذَلِكَ ، وَمِمَّنْ خَالَطَ الْمُسْلِمِينَ ، وَامْتَدّت صُحْبَتُه لَهُم ، إِلَّا أَن يَكُونَ حَدِيثَ عَهْدٍ بِإِسْلَامٍ ، فَيُقَالُ لَهُ: سَبِيْلُكَ أَنْ تَسْأَلَ عَن هَذَا الَّذِي لَم تَعْلَمْه بَعْدُ كَافَّةَ الْمُسْلِمِينَ ، فَلَا تَجِدُ بَيْنَهُم خِلافًا كَافَّةً عَن كافَّةٍ إِلَى مُعَاصِرِي الرَّسُول ﷺ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورُ كَمَا قِيلَ لَكَ ، وَأَنَّ تِلْكَ البُقْعَةَ هِي مَكَّةُ ، وَالبَيْتُ الَّذِي فِيهَا هُو الكَعْبَةُ ، وَالقِبْلَةَ الَّتِي صَلَّى لَهَا الرَّسُول ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ وَحَجُّوا إِلَيْهَا وطَافُوا بها ، وَأَنّ تِلْكَ الأَفْعَالَ هِي صِفَاتُ عِبَادَةِ الْحَجِّ ، وَالمُرَادُ بِهِ ، وَهِي الَّتِي فَعَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ ، وَأَنَّ صِفَاتِ الصّلَوَاتِ المَذْكُورَة هِي الَّتِي فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ ، وَشَرَحَ مُرَاد اللَّهِ بِذَلِكَ ، وَأَبَانَ حُدُودَهَا ، فَيَقَعُ لَكَ العِلْمُ كَمَا وَقَع لَهُم ، وَلَا تَرْتابَ بِذَلِكَ بَعْدُ ، وَالمُرْتَابُ فِي ذَلِكَ ، وَالمُنْكِرُ بَعْدَ البَحْثِ وَصُحْبَتِهِ الْمُسْلِمِينَ كَافِرٌ بِاتفَاقٍ ، وَلَا يُعْذَرُ بِقَوْلِهِ : لَا أَدْرِي ، وَلَا يُصَدَّقُ فِيه؛ بَلْ ظَاهِرُهُ التَّسَتُّرُ عَن التَّكْذِيْبِ ؛ إِذ لَا يُمْكِنُ أَنَّه لَا يَدْرِي ، وَأَيْضًا فَإِنَّه إِذَا جَوَّزَ عَلَى جَمِيْعِ الْأُمَّةِ الوَهْمَ وَالغَلَطَ فِيمَا نَقَلُوهُ مِنْ ذَلِكَ وَأَجمَعُوا أَنَّهُ قَوْلُ الرَّسُولِ وَفِعْلِهِ

[1] البَيْتَ:الكعبة المشرفة.

وَتَفْسِيْرُ مُرَادِ اللَّهِ بِهِ ، أَدْخَلَ الاستِرَابَةَ[1] فِي جَمِيْعِ الشَّرِيْعَةِ ؛ إِذ هُمُ النَّاقِلُونَ لَهَا وَلِلقُرْآنِ ، وَانْحَلَّتْ عُرَى الدِّينِ كَرَّةً ، وَمَن قالَ: هَذَا كَافِرٌ ، وَكَذَلِكَ مَنْ أَنْكَرَ الْقُرْآنَ ، أَو حَرْفَاً مِنْهُ ، أَو غَيَّرَ شَيْئًا مِنْه ، أَو زَادَ فِيْهِ ؛ كَفِعْلِ البَاطِنِيَّةِ وَالإِسمَاعِيْلِيَّةِ ، أَو زَعَمَ أَنَّهُ لَيْسَ بِحُجَّةٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، أَو لَيْسَ فِيْهِ حُجَّةٌ ، وَلَا مُعْجِزَةٌ ؛ كَقَوْلِ هِشَامِ بْنِ عَمْرٍو الفُوْطِيِّ القَدَرِيِّ، وَمُعَمَّر بْنُ عَبَّادٍ البَصرِيِّ: إِنَّهُ لَا يَدُلُّ عَلَى اللَّهِ ، وَلَا حُجَّةَ فِيْهَا لِرَسُوْلِهِ ، وَلَا يَدُلُّ عَلَى ثَوَابٍ ، وَلَا عِقَابٍ ، وَلَا حُكْمٍ ، وَلَا مَحَالَةَ فِي كُفْرِهِمَا بِذَلِكَ القَوْلِ ، وَكَذَلِك نُكَفرهُما بِإِنْكَارِهِمَا أَنْ يَكُونَ فِي سائِرِ مُعْجِزَاتِ النَّبِيِّ ﷺ حُجَّةٌ لَه، أَو فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ دَليلٌ عَلَى اللهِ لِمُخَالَفَتِهِمُ الإِجْمَاعَ ، وَالنَّقْلَ المُتَوَاتِرَ عَن النَّبِيِّ ﷺ بِاحْتِجَاجِه بِهَذَا كُلِّهِ ، وَتَصْرِيحِ الْقُرْآنِ به .

وَكَذَلِك مَنْ أَنْكَرَ شَيْئًا مِمَّا نَصَّ فِيهِ الْقُرْآنُ بَعْدَ عِلْمِهِ أَنَّهُ مِنَ الْقُرْآنِ الَّذِي فِي أَيْدِي النَّاسِ ، وَمَصَاحِفَ المُسْلِمِيْن ، وَلَمْ يَكُنْ جَاهِلاً بِهِ ، وَلَا قَرِيْبَ عَهْدٍ بِالْإِسْلَام ، وَاحْتَجَّ لِإِنْكَارِهِ ؛ إِمَّا بِأَنَّهُ لَمْ يُصْبِحِ النَّقْل عِنْدَه ، وَلَا بَلَغَه الْعِلْمُ بِهِ ، أَو لِتَجْوِيز الْوَهْم عَلَى نَاقِلِهِ فَنُكَفِّرَهُ بِالطَّرِيْقَيْنِ المُتَقَدِّمَيْنِ ؛ لِأَنَّهُ مُكَذِّبٌ لِلقُرْآنِ مُكَذِّبٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ لَكِنَّهُ تَسَتَّرَ بِدَعْوَاهُ .

وَكَذَلِكَ مَنْ أَنْكَرَ الْجَنَّةَ ، أَو النَّارَ ، أَو البَعْثَ ، أَو الحِسَابَ ، أَو القِيَامَة ، فَهُوَ كَافِرٌ بِإِجْمَاعٍ ؛ لِلنصِّ عَلَيْهِ ، وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ عَلَى صِحَّة نَقْلِهِ مُتَوَاتِرًا .

وَكَذَلِك من اعْتَرَفَ بِذَلِكَ ، وَلَكِنَّهُ قَالَ: إِنَّ المُرَادَ بِالجَنَّةِ ، وَالنَّارِ ، وَالحَشْرِ ، وَالنَشْرِ ، وَالثَوابِ ، وَالعِقَابِ مَعْنَىً غَيْرُ ظَاهِرِهِ ، وَأَنَّهَا لَذَّاتٌ رَوْحَانِيَّة ، وَمَعَانٍ بَاطِنَةٍ ؛ كَقَوْلِ النَّصارَى ، وَالفَلَاسِفَةِ ، وَالبَاطِنِيَّةِ ، وَبَعْضُ المُتَصَوِّفَةِ ، وَزَعَمَ أَنَّ مَعْنَى الْقِيَامَةِ المُوْتُ ، أَو فَنَاءٌ مَحْضٌ ، وَانْتِقَاضُ هَيْئَةِ الأَفْلَاكِ ، وَتَحْلِيْلُ العَالَمِ ؛ كَقَوْلِ بَعْضِ الفَلَاسِفَةِ .

[1] **الاستِرَابَةَ**:الشك والشبهة.

http://mohhanoona.blogspot.com/

وَكَذَلِكَ نَقْطَعُ بِتَكْفِيْرِ غُلَاةِ الرَّافِضَةِ فِي قَوْلِهِم: إِنَّ الْأَئِمَّةَ أَفْضَلُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، فَأَمَّا مَنْ أَنْكَرَ مَا عُرِفَ بِالتَّوَاتُرِ مِنَ الْأَخْبَارِ ، وَالسِّيَرِ ، وَالبِلَادِ الَّتِي لَا يَرْجِعُ إِلَى إِبْطَالِ شَرِيعةٍ ، وَلَا يُفْضِي إِلَى إِنْكَارِ قَاعِدَةٍ مِنَ الدِّيْنِ ؛ كَإِنْكَارِ غَزْوَةِ تَبُوك ، أَو مُؤْتَة ، أَو وُجُودِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، أَو قَتْلَ عُثْمَانَ ، أَو خِلَافَةُ عَلِيٍّ مِمَّا عُلِمَ بِالنَقْلِ ضَرُوْرَةً ، وَلَيْسَ فِي إِنْكَارِ وَجَحْدِ شَرِيْعَةٍ ، فَلَا سَبِيلَ إِلى تَكْفِيره بِجحْدِ ذَلِكَ، وَإِنْكَارُ وُقُوع الْعِلْم لَهُ إِذ لَيْسَ فِي ذَلِك أَكْثَرَ مِن المُبَاهَتَةِ[1] ؛ كإِنْكَارِ هِشَامٍ الفُوْطِيِّ ، وَعَبَّادٍ الصَّيْرَمِيِّ وَقْعَة الجَمَلِ[2] ، ومُحَارَبَةَ عَلِيٍّ مَنْ خَالَفَهُ ، فَأَمَّا إِنْ ضَعَّفَ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ تُهمَةِ النَّاقِلِيْنَ وَوَهْمِ الْمُسْلِمِينَ أَجْمَع ، فَنُكَفِّرَهُ بِذَلِكَ لِسَرَيَانِهِ إِلَى إِبطَالِ الشَّرِيْعَةِ ، فَأَمَّا مَنْ أَنْكَرَ الإِجْمَاعَ المُجَرَّدَ الَّذِي لَيْسَ طَرِيْقُهُ النَّقْلُ المُتَوَاتِرُ عَنِ الشَّارِعِ ، فَأَكْثَرُ المُتَكَلِّمِيْنَ ، وَمِنَ الفُقَهَاءِ وَالنُّظَّارِ فِي هَذَا

الْبَابِ قَالُوا بِتَكْفِيْرِ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الإِجْمَاعَ الصَّحِيْحَ الجَامِعَ لِشُرُوطِ الإِجْمَاعِ المُتَّفَقِ عَلَيْه عُمُوْمًا ، وَحُجَّتُهُم قَوْله تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[النساء:١١٥]

وَقَوْلُه ﷺ :**(مَنْ خَالَفَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ)**[3] ، وَأَمَّا مَنْ نَفَى صِفَةً مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى الذَّاتِيَّةَ ، أَو جَحَدَهَا مُسْتَبْصِرًا فِي ذَلِك كَقَوْلِهِ: لَيْس بِعَالِمٍ ، وَلَا قَادِرٍ ، وَلَا مُرِيْدٍ ، وَلَا مُتَكَلِّمٍ ، وَشِبْهِ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ الكَمَالِ الْوَاجِبَةِ لَه تَعَالَى ، فَقَد نَصَّ أَئِمَّتُنَا عَلَى الإِجْمَاعِ عَلَى كُفْر مَنْ نَفَى عَنْه تَعَالَى الوَصْفَ بِهَا وَأَعْرَاهُ عَنْهَا.

---

[1] **المباهتة**:الكذب والإفتراء والمعاندة.

[2] **وَقْعَة الجَمَل**:كانت بالبصرة سنة ٣٦ هـ ،بين عليٍّ ومن معه من جهة ،وبين طلحةَ والزبير وعائشة ومن معهم من جهة أخرى.

[3] **صحيح**،رواه أحمد في مسنده:٢٩٠/٤،برقم: ٢٤٨٧،وابن أبي عاصم في السنة:٥٠٢/٢ ، برقم: ١٠٥٣،وله شواهد في الصحيحين وغيرهما.

http://mohhanoona.blogspot.com/

(الْفَصْلُ الْخَامِسُ)

حُكْمُ الذِّمِّيِّ إِذَا سَبَّ اللَّهَ تَعَالَى

وَقَالَ مَالِكٌ فِي كِتَابِ ابْنِ حَبِيْبٍ وَالْمَبْسُوطَةِ، وَابْن الْقَاسِمِ فِي الْمَبْسُوطِ ، وَكِتَابُ مُحَمَّدٍ ، وَابْنُ سُحْنُونٍ: مَنْ شَتَمَ اللَّهَ مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي كَفَرَ بِهِ قُتِلَ وَلَم يُسْتَتَب، قَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ : إِلَّا أَنْ يُسْلِمَ ، قَالَ فِي المَبْسُوطَةِ: طَوْعًا.

قَال أَصْبَغُ: لِأَنَّ الْوَجْه الَّذِي بِهِ كَفَرُوا هُوَ دِينُهُم ، وَعَلَيْهِ عُوهِدُوا مِنْ دَعْوَى الصَاحِبَةِ وَالشَّرِيْكِ وَالْوَلَدِ ، وَأَمَّا غَيْرُ هَذَا مِنَ الفِرْيَةِ وَالشَّتْمِ فَلَم يُعاهَدُوا عَلَيْهِ فَهُو نَقْضٌ لِلْعَهْدِ.

وَقَالَ المَخْزُومِيُّ فِي المَبْسُوطَة ، وَمُحَمَّد بْنُ مَسْلَمَةَ ، وَابْن أَبِي حَازِمٍ: لَا يُقْتَلُ حَتَّى يُسْتَتَابَ، مُسْلِمًا كَانَ أَو كافِرًا ، فَإِنْ تَابَ ، وَإِلَّا قُتِل.

(الْفَصْلُ السَّادِسُ)

حُكْمُ ادِّعَاءِ الْإِلَهِيَّةِ أَوِ الْكَذِبِ والبُهْتَانِ عَلَى اللَّهِ

فَأَمَّا مُفْتَرِي الكَذِبَ عَلَيْه تبارَكَ وَتَعَالَى بِادِّعَاءِ الإِلهِيَّةِ ، أَو الرِّسَالَةِ ، أَو النَّافِي أَنْ يَكُونَ اللَّهُ خَالِقَهُ أَو رَبَّهُ ، أَو قَالَ : لَيْسَ لِي رَبٌّ ، أَو الْمُتَكَلِّمُ بِمَا لَا يُعْقَلُ مِنْ ذَلِكَ فِي سُكْرِه ، أَو غَمْرَةِ[١] جُنُونِهِ ، فَلَا خِلَافَ فِي كُفْرِ قائِلِ ذَلِكَ وَمُدَّعِيْهِ مَع سَلامَةِ عَقْلِهِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ ، لَكِنَّهُ تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ عَلَى الْمَشْهُورِ ، وَتَنْفَعُه إنابَتُه، وتُنْجِيهِ مِنَ القَتْلِ فَيْئَتُهُ[٢] ، لَكِنَّهُ لَا يَسْلَمُ مِنْ عَظِيْمِ النَّكَالِ[٣] ، وَلَا يُرَفَّهُ[٤] عَن شَدِيْدِ

---

[١] **غمرة**:شدة.

[٢] **فَيْئَتُهُ**:توبته ورجوعه إلى الحق.

[٣] **عَظِيْمِ النَّكَالِ**:العقوبة الرادعة.

[٤] **لَا يُرَفَّهُ**: لا يزال عنه التعب والضيق.

http://mohhanoona.blogspot.com/

الْعِقَابِ ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ زجْرًا لِمِثْلِهِ عَن قَوْلِه ، وَله عَن العَوْدَةِ لِكُفْرِهِ ، أَو جَهْلِه إِلَّا مَنْ تَكَرَّرَ مِنْه ذَلِكَ ، وَعُرِفَ اسْتِهانَتُه بِمَا أَتَى بِهِ ، فَهُو دَلِيلٌ عَلَى سُوْءِ طَوِيَّتِه[1] ، وَكَذِبِ تَوْبَتِه ، وَصَارَ كالزِّنْدِيقِ الَّذِي لَا نَأمَنُ باطِنَهُ ، وَلَا نَقْبَلُ رُجُوعَهُ ، وحُكْمُ السَّكْرانِ فِي ذَلِكَ حُكْمُ الصَّاحِي.

وَأَمَّا الْمَجْنُونُ وَالْمَعْتُوهُ[2] ، فَمَا عُلِمَ أَنَّهُ قَالَ مِنْ ذَلِكَ فِي حَالِ غَمْرَتِه[3] ، وذَهَابِ مَيْزِهِ[4] ، فَلَا نَظَرَ فِيهِ ، وَلَكِن يُؤَدَّبُ عَلَى ذَلِكَ ؛ لِيَنْزَجِرَ عَنْه ، كَمَا يُؤَدَّبُ عَلَى قَبَائِحِ الأَفْعَالِ ، وَيُوَالَى أَدَبُهُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يَنْكَفَّ عَنْهَا ، كَمَا تُؤَدَّبُ البَهِيْمَةُ عَلَى سُوْءِ الْخُلُقِ حَتَّى تُرَاضَ[5].

وَقَد أَحْرَقَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب ﷺ مَن ادَّعَى لَهُ الإِلَهِيَّةَ ، وَقَد قَتَل عَبْدُ المَلِكِ بْنَ مَرْوَانٍ الحَارِثَ المُتَنَبِّي[6] ، وَصَلَبَهُ ، وفَعَلَ ذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْخُلَفَاءِ ، وَالمُلُوكِ بِأشْبَاهِهِم ، وَأَجْمَعَ عُلَمَاءُ وَقْتِهِم عَلَى صَوَابِ فِعْلِهِم ، والمُخَالِفُ فِي ذَلِكَ من كُفْرِهِم كَافِرٌ ، وَأَجْمَعَ فُقَهَاء بَغْدَادَ أَيَّامَ المُقْتَدِرِ مِن المَالِكِيَّةِ ، وَقَاضِي قُضَاتِهَا أَبُو عُمَرَ[7] الْمَالِكِيِّ عَلَى قَتْلِ الْحَلَّاجِ[8] وَصَلْبِه لِدَعْوَاهُ الإِلَهِيَّةَ ، وَالقَوْلُ بالحُلُولِ ، وَقَوْلُه: - أَنَا الْحَقُّ - مَع تمسُّكِهِ فِي الظَّاهِرِ بالشَّرِيعَةِ ، وَلَم يَقْبَلُوا

---

[1] **سُوْءِ طَوِيَّتِهِ**:فساد قلبه ونيته.

[2] **الْمَعْتُوهُ**: هو ناقص العقل من غير مسِّ جُنُونٍ.

[3] **غَمْرَتِه**:ذهاب عقله.

[4] **مَيْزِهِ**:تمييزه وادراكه.

[5] **تُرَاضَ**:تذلل وتنقاد ويستقيم طبعها.

[6] هو **الحَارِثَ بن سعيد** ،وقيل:ابن عبد الرحمن المُتَنَبِّي الكذاب، من أهل دمشق ، ادَّعى النبوة ويسمى أتباعه بالحارثية،صلبه وقتله عبد الملك سنة ٦٩ هـ.

[7] محمد بن يوسف البغدادي المالكي.

[8] هو الحسين بن منصور الفارسي الصوفي.

http://mohhanoona.blogspot.com/

تَوْبَتَه ، وَكَذَلِكَ حَكَمُوا فِي ابْنِ أَبِي العَزَاقِرِ[1] وَكَانَ عَلَى نَحْوِ مَذْهَبِ الحَلَّاجِ بَعْدَ هَذَا أَيَّامَ الرَّاضِي بالله[2].

(الفَصْلُ السَّابِعُ)

حُكْمُ مَنْ تَعَرَّضَ بِسَاقِطِ قَوْلِهِ وَسَخِيْفِ لَفْظِهِ لِجَلَالِ رَبِّهِ دُونَ قَصْدٍ

وَأَمَّا مَنْ تَكَلَّمَ مِنْ سَقْطِ الْقَوْلِ وَسُخْفِ اللَّفْظِ مِمَّنْ لَمْ يَضْبِطْ كَلَامَهُ ، وَأَهْمَلَ لِسَانَهُ بِمَا يَقْتَضِي الاِسْتِخْفَافَ بِعَظَمَةِ رَبِّهِ، وَجَلَالَةِ مَوْلَاهُ ، أَوْ تَمَثَّلَ فِي بَعْضِ الْأَشْيَاءِ بِبَعْضِ مَا عَظَّمَ اللَّهُ مِنْ مَلَكُوتِهِ، أَوْ نَزَعَ مِنَ الْكَلَامِ لِمَخْلُوقٍ بِمَا لَا يَلِيقُ إِلَّا فِي حَقِّ خَالِقِهِ غَيْرَ قَاصِدٍ لِلْكُفْرِ وَالاِسْتِخْفَافِ ، وَلَا عَامِدٍ لِلْإِلْحَادِ ، فَإِنْ تَكَرَّرَ هَذَا مِنْهُ، وَعُرِفَ بِهِ دَلَّ عَلَى تَلَاعُبِهِ بِدِينِهِ، وَاسْتِخْفَافِهِ بِحُرْمَةِ رَبِّهِ، وَجَهْلِهِ بِعَظِيمِ عِزَّتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ وَهَذَا كُفْرٌ لَامِرْيَةَ فِيهِ.

وَأَمَّا مَنْ صَدَرَتْ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ الهَنَةَ[3] الوَاحِدَة، وَالفَلْتَةُ الشَّارِدَة[4] مَا لَمْ يَكُنْ تَنَقُّصًا وَإِزْرَاءً فَيُعَاقَبُ عَلَيْهَا، وَيُؤَدَّبُ بِقَدْرِ مُقْتَضَاهَا، وَشُنْعَةِ مَعْنَاهَا، وَصُورَةِ حَالِ قَائِلِهَا، وَشَرْحِ سَبَبِهَا وَمُقَارِنِهَا.

(الْفَصْلُ الثَّامِنُ)

حُكْمُ سَبِّ بَقِيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ.

وَحُكْمُ مَنْ سَبَّ سَائِرَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَلَائِكَتَه ، واسْتَخَفَّ بِهِم ، أَو كَذَّبَهُم فِيمَا أَتَضوْا بِهِ ، أَو أَنْكَرَهُم وَجَحَدَهُم ، حُكْمُ نَبِيِّنَا ﷺ عَلَى مَسَاقِ مَا قَدَّمْنَاه.

---

[1] هو أبو جعفر محمد بن علي الشلمغاني.

[2] هو الخليفة العباسي محمد بن جعفر.

[3] **الهَنَةَ**:الخصلة من الشر.

[4] **الفَلْتَةُ الشَّارِدَةَ**:الهفوة غير المقصودة.

http://mohhanoona.blogspot.com/

قَال اللَّه تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ، أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾[النساء:١٥٠-١٥١] ، وَقَال تَعَالَى: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[البقرة:١٣٦] ، وقال: ﴿ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾[البقرة:٢٨٥]

قَالَ مَالِكٌ فِي كِتَابِ ابْنِ حَبِيْب ، وَمُحَمَّد ، وَقَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ ، وَابْن الماجشُون، وَابْنُ عَبْد الْحَكَم ، وأصْبَغ ، وسُحْنُون ؛ فِيمَن شَتَم الْأَنْبِيَاءَ ، أَو أَحَدَاً مِنْهُم ، أَو تَنَقَّصَه قُتِلَ وَلَم يُسْتَتَب ، وَمَنْ سَبَّهُم من أَهْل الذِّمَّة قُتِل إِلَّا أَنْ يُسْلِم.

(الفَصْلُ التَّاسِع)

الحُكْم بِالنِّسْبَةِ للقُرْآنِ

واعْلَم أَنَّ مِن اسْتَخَفَّ بِالْقُرْآنِ ، أَو الْمُصْحَفِ ، أَو بِشَيْءٍ مِنْهُ ، أَو سَبَّهُمَا ، أَو جَحَدَهُ ، أَو حَرْفًا مِنْه ، أَو آيَةً ، أَو كَذَّبَ بِه ، أَو بِشَيْءٍ مِنْهُ ، أَو كَذَّبَ بِشَيْءٍ مِمَّا صُرِّحَ بِه فِيهِ مِنْ حُكْمٍ ، أَو خَبَرٍ ، أَو أَثْبَتَ مَا نَفاه أَو نَفَى مَا أَثْبَتَه عَلَى عِلْم مِنْه بِذَلِكَ ، أَو شَكَّ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ كَافِرٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِإِجْمَاعٍ .

قَال اللَّه تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[فصلت:٤٢]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: (**الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ**

http://mohhanoona.blogspot.com/

كفر)[1] تُؤَوَّلُ بِمَعْنَى الشَّكِّ ، وَبِمَعْنَى الْجِدَالِ ، وَكَذَلِكَ إِنْ جَحَدَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَكُتُبَ اللَّهِ المُنَزَّلَةِ ، أَو كَفَرَ بِهَا ، أَو لَعَنَهَا ، أَو سَبَّهَا ، أَو اسْتَخَفَّ بِهَا فَهُو كَافِرٌ .

وَقَد أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ الْقُرْآنَ الْمَتْلُوَّ فِي جَمِيعِ أَقْطَارِ الأَرْضِ الْمَكْتُوبُ فِي الْمُصْحَفِ بِأَيْدِي الْمُسْلِمِينَ مِمَّا جَمَعَهُ الدَّفَّتَانِ[2] مِنْ أَوَّلِ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة:١] - إِلَى آخِرِ - ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[الناس:١] أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ وَوَحْيُه المُنَزَّل عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّد ﷺ ، وَأَنَّ جَمِيعَ مَا فِيْهِ حَقٌّ ، وَأَنَّ مَنْ نَقَصَ مِنْه حَرْفًا قَاصِدًا لِذَلِك ، أَو بَدَّلَهُ بِحَرْفٍ آخَرَ مَكَانَه ، أَو زَادَ فِيْهِ حَرْفًا مِمَّا لَم يَشْتَمِل عَلَيْه المُصْحَفُ الَّذِي وَقَعَ الإِجْمَاعُ عَلَيْهِ ، وأُجْمِعَ عَلَى أَنَّه لَيْس مِن الْقُرْآن عَامِدًا لِكُلِّ هَذَا أَنَّهُ كَافِرٌ.

وَلِهَذَا رَأَى مَالِكٌ قَتْلَ مَنْ سَبَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها بِالْفِرْيَةِ ؛ لأَنَّهُ خَالَفَ الْقُرْآنَ ، وَمَن خَالَفَ الْقُرْآنَ قُتِلَ ؛ لأَنَّهُ كَذَّبَ بِمَا فِيه، وَأَمَّا مَنْ لَعَنَ الْمُصْحَفَ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ.

(الْفَصْلُ الْعَاشِرُ)

الْحُكْمُ فِي سَبِّ آلِ الْبَيْتِ والأزواج والأصحاب

وَسَبُّ آلِ بَيْتِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَأَصْحَابِه ﷺ وَتَنقُّصُهُم حَرَامٌ مَلْعُونٌ فاعِلُه ،فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنُ مُغَفَّلٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :(**اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي، لا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ**

[1] **صحيح**،رواه أبو داود في سننه:١٩٩/٤،برقم: ٤٦٠٣،وأحمد في مسنده:٢٨٨/١٥،برقم: ٩٤٧٩،والنسائي في الكبرى:٢٨٩/٧،برقم: ٨٠٣٩.

[2] **الدَّفَّتَانِ**:تثنية دفَّة، وهي جانب الشئ أو صفحته.

http://mohhanoona.blogspot.com/

يَأْخُذَهُ)[1] ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فَمَنْ سَبَّهُمْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ والمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا)**[2] .

وَقَد أَعْلَمَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ سَبَّهُم وَأَذَاهُم يُؤْذِيه ، وَأَذَى النَّبِيَّ ﷺ حَرَامٌ ، فَقَالَ:**(لَا تُؤْذُونِي فِي أَصْحَابِي ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي)**[3] ، وَقَال:**(لا تُؤْذُونِي فِي عَائِشَةَ)**[4] ، وَقَالَ فِي فَاطِمَة:**(بَضْعةٌ مِنِّي يُؤْذِينِي مَا آذَاهَا)**[5].

وَقَد اخْتَلَفَ الْعُلماءُ فِي هَذَا ؛ فَمَشْهُورُ مَذْهَبِ مَالِكٍ فِي ذَلِكَ الاجْتِهَادَ ، وَالأَدَبَ الْمُوجِعَ ، قَالَ مَالِكٌ رحمه الله : مَنْ شَتَمَ النَّبِيَّ ﷺ قُتِلَ ، وَمَن شَتَم أَصْحَابَه أُدِّبَ ، فَإِن قَالَ : كَانُوا عَلَى ضَلالٍ وَكُفْرٍ قُتِلَ.

وَرُوِيَ عَن مَالِكٍ : مَنْ سَبَّ أَبَا بَكْرٍ جُلِدَ ، وَمَنْ سَبَّ عَائِشَةَ قُتِلَ، قِيلَ لَهُ: لِمَ؟ قَال : مَنْ رَمَاهَا فَقَد خَالَفَ الْقُرْآنَ .

وَقَالَ ابْنُ شَعْبَانَ عَنْهُ : لِأَنَّ اللَّه يَقُول: ﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[النور:١٦] ، فَمَن عَادَ لِمِثْلِهِ فَقَد كَفَرَ.

---

[1] **حسن**،رواه الترمذي في سننه:٦٩٦/٥،برقم: ٣٨٦٢ ، وأحمد في مسنده:٣٥٧/٢٧،برقم: ١٦٨٠٣، (**الغَرَض**): الهدف، أي لا تجعلوهم هدفاً ترمونه بأفواهكم ، (**يوشك**): أي أسرع وقارب.

[2] **صحيح**،رواه الحاكم في المستدرك:٧٣٢/٢،برقم: ٦٦٥٦، والطبراني في الأوسط:١٤٤/١، برقم: ٤٥٦ ،وأبو نعيم في معرفة الصحابة:١٧٤٥/٣،برقم: ٤٤٢٤، (**صرفاً**): توبةً ،وقيل: نافلةً ،و (**عدلاً**):الفدية ،وقيل:الفريضة.

[3] رواه الضياء المقدسي في المنتقى:٣٦٠/١،برقم:٧٦٢،وابن عساكر في تاريخه:٨٣/٢١ ، ويشهد له الحديث السابق.

[4] رواه البخاري في صحيحه:١٥٦/٣،برقم: ٢٥٨١ ،ومسلم:١٨٩١/٤،برقم: ٢٤٤٢.

[5] رواه البخاري في صحيحه:٢١/٥،برقم: ٣٧١٤ ،ومسلم:١٩٠٢/٤،برقم: ٢٤٤٩، (**بِضْعَةٌ**): قطعة.

http://mohhanoona.blogspot.com/

قَالَ مَالِك مِن انْتَقَصَ أحدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَيْسَ لَه فِي هَذَا الفَئِ حَقٌّ ، قَد قَسَمَ اللهُ الفَئَ فِي ثَلَاثَةِ أَصْنافٍ ، فَقَالَ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر:٨] ، ثُمَّ قَالَ : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩] ،وَهَؤُلاءِ هُمُ الأَنْصَارُ ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠]، فَمَنْ تَنَقَّصَهُم فَلَا حَقَّ لَهُ فِي فَئِ الْمُسْلِمِين.

قَالَ القَاضِي أَبُو الفَضْلِ: ونَحْمَدُه تَعَالَى عَلَى مَا هَدَى إِلَيْه مِنْ جَمْعِهِ وَأَلْهَمْ ، وَفَتَحَ البَصِيرَةَ لِدَرْكِ حَقَائِقِ مَا أَوْدَعْنَاه وَفَهَّمْ ، وَنَسْتَعِيذُهُ جَلَّ اسْمُهُ مِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَع ، وَعِلْمٍ لَا يَنْفَعْ ، وَعَمَلٍ لَا يُرْفَعْ ، فَهُوَ الْجَوَادُ الَّذِي لَا يُخَيِّبُ مَنْ أَمَّلَهُ ، وَلَا يَنْتَصِرُ مَنْ خَذَلَهُ ، وَلَا يَرُدُّ دَعْوَةَ القَاصِدِينَ ، وَلَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ، وَهُو حَسْبُنا وَنِعْم الْوَكِيلِ ، وَصَلاتُه عَلَى سَيِّدنا وَنبيِّنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّين ، وَعَلَى آلِهِ ، وَصَحْبِه أجْمَعِينَ ، وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْن، تَمَّ الجُزْءُ الثَّانِي مِنْ كِتَابِ الشِّفَا، وَبِهِ تَمَّ الكِتَابُ.

http://mohhanoona.blogspot.com/

فهرس الموضوعات

المقدمة.......... ٢

ترجمة المؤلف.......... ٣

القسم الأول:تعظيم العلي الأعلى لقدر النبي ﷺ قولاً وفعلاً،وفيه أربعة أبواب.......... ٦

الباب الأول:في ثناء الله تعالى عليه وإظهاره عظيم قدره لديه،وفيه (١٠) فصول.......... ٧

الفصل الأول- ما جاء في مدح النبي ﷺ والثناء عليه.......... ٧

الفصل الثاني- في وصفه تعالى له ﷺ بالشهادة.......... ١٠

الفصل الثالث-فيما ورد من خطابه إياه مورد الملاطفة والمبرة.......... ١١

الفصل الرابع- في قسمه تعالى بعظيم قدره.......... ١٣

الفصل الخامس- في قسمه تعالى له ليحقق مكانه عنده.......... ١٤

الفصل السادس- فيما ورد من قوله تعالى في جهته عليه السلام مورد الشفقة والإكرام..... ١٧

الفصل السابع- فيما أخبر به تعالى من عظيم قدره وشريف منزلته.......... ١٧

الفصل الثامن- في إعلام الله خلقه بصلواته عليه وولاييته له ورفع العذاب بسببه.......... ١٨

الفصل التاسع- فيما تضمنته سور الفتح من كراماته ﷺ.......... ١٨

الفصل العاشر- فيما أظهره الله من كرامته عليه ومكانته عنده.......... ١٩

الباب الثاني:في تكميل الله تعالى له المحاسن خَلقاً وخُلُقاً وفيه (٢٥) فصلاً.......... ٢٠

الفصل الأول- في اجتماع خصال الكمال والجمال في نبينا محمد ﷺ.......... ٢٠

الفصل الثاني- صفاته الخلقية.......... ٢٣

الفصل الثالث-نظافته ﷺ ، وطيب ريحه وعرقه ودمه.......... ٢٤

الفصل الرابع- وفور عقله وذكاء لبه وفصاحة لسانه ﷺ.......... ٢٥

الفصل الخامس- فصاحة لسانه وبلاغته ﷺ.......... ٢٦

http://mohhanoona.blogspot.com/

الفصل السادس- شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه ﷺ ٢٧
الفصل السابع- فيما كان التمدح والكمال بقلته ٢٨
الفصل الثامن- فيما كان التمدح والكمال بكثرته..٢٩
الفصل التاسع- فيما تختلف الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه..٣٠
الفصل العاشر- الأخلاق الحميدة..٣١
الفصل الحادي عشر-في نباهة عقله ﷺ..٣٢
الفصل الثاني عشر- في الحلم والإحتمال والعفو..٣٣
الفصل الثالث عشر- الجود والكرم والسخاء والسماحة..٣٥
الفصل الرابع عشر-الشجاعة والنجدة..٣٦
الفصل الخامس عشر-الحياء والإغضاء..٣٧
الفصل السادس عشر-حسن العشرة والأدب،وبسط الخلق..٣٨
الفصل السابع عشر-الشفقة والرحمة..٤٠
الفصل الثامن عشر-الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم..٤١
الفصل التاسع عشر- تواضعه ﷺ..٤١
الفصل العشرون-عدله وامانته وعفته وصدق لهجته ﷺ..٤٤
الفصل الحادي والعشرون-وقاره وصمته ومرؤته ﷺ..٤٥
الفصل الثاني والعشرون-زهده في الدنيا ﷺ..٤٦
الفصل الثالث والعشرون- خوفه ﷺ من ربه جل وعلا ،وطاعته له، وشدة عبادته..........٤٧
الفصل الرابع والعشرون-صفات الأنبياء والرسل..٤٩
الفصل الخامس والعشرون-حديث الحسن عن أبي هالة في جمع الشمائلِ..٥٤
الباب الثالث: فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره ﷺ عند الله جل وعلا ، وفيه (١٥) فصلاً..٥٩

http://mohhanoona.blogspot.com/

الفصل الأول- مكانته ﷺ..٥٩
الفصل الثاني- كرامة الإسراء..٦١
الفصل الثالث- حقيقة الإسراء..٦٤
الفصل الرابع-في إبطال حجج من قال إنها نوم ٦٤
الفصل الخامس-رؤيته ﷺ لربه جل وعلا..٦٥
الفصل السادس- مناجاته لله سبحانه وتعالى....... ....٦٧
الفصل السابع- الدنو والقرب..٦٧
الفصل الثامن- في ذكر تفضيله في القيامة بخصوص الكرامة..............................٦٩
الفصل التاسع- في تفضيله بالمحبة والخلة..٧٠
الفصل العاشر- في تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود....................................٧٣
الفصل الحادي عشر- في تفضيله بالجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة.....٧٤
الفصل الثاني عشر- الأحاديث الواردة في النهي عن تفضيله..............................٧٥
الفصل الثالث عشر- في أسمائه ﷺ وما تضمنته من فضيلته................................٧٧
الفصل الرابع عشر-في تشريف الله تعالى له بما سماه به من اسمائه.........................٨١
الفصل الخامس عشر-استدرك في صفات الخالق والمخلوق..................................٨٥
الباب الرابع:فيما أظهره الله على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات ، وفيه (٢٣) فصلاً..٨٦
الفصل الأول- بين النبوة والرسالة..٨٧
الفصل الثاني- معنى المعجزات..٨٧
الفصل الثالث- في إعجاز القرآن..٨٩
الفصل الرابع- التحدي والتعجيز في قضايا أعلمَ أنهم لا يفعلونها ٩٢
الفصل الخامس-روعته في السمع وهيبته في القلوب......................................٩٣

http://mohhanoona.blogspot.com/

الفصل السادس- بقاؤه على الزمن ٩٤

الفصل السابع- وجوه أخرى للإعجاز ٩٥

الفصل الثامن- في انشقاق القمر وحبس الشمس................................... ٩٧

الفصل التاسع- في نبع الماء من بين أصابعه وتكثير الماء............................ ٩٧

الفصل العاشر- تفجير الماء ببركته ٩٨

الفصل الحادي عشر- تكثير الطعام... ٩٨

الفصل الثاني عشر- في كلام الشجرة له وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دعوته............. ١٠٠

الفصل الثالث عشر- حنين الجذع له ﷺ ١٠٠

الفصل الرابع عشر- معجزاته في سائر الجمادات.. ١٠١

الفصل الخامس عشر- في الآيات في ضروب الحيوانات ١٠٢

الفصل السادس عشر- في إبراء المرضى وذوي العاهات ١٠٣

الفصل السابع عشر- في إجابة دعائه ﷺ ١٠٣

الفصل الثامن عشر- في كراماته وبركاته وانقلاب الأعيان له فيما لمسه أو باشره........ ١٠٦

الفصل التاسع عشر- فيما اطلع عليه من الغيوب ١٠٧

الفصل العشرون-في عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته من أذاهم ١٠٨

الفصل الحادي والعشرون- معارفه وعلومه ﷺ.. ١٠٩

الفصل الثاني والعشرون- أنباؤه مع الملائكة والجن ١١٠

الفصل الثالث والعشرون- ما حدث عند مولده ﷺ.. ١١١

خاتمة وتذييل.. ١١٣

القسم الثاني:فيما يجب على الأنام من حقوقه ﷺ ،وفيه أربعة أبواب.......................... ١١٩

الباب الأول:في فرض الإيمان به ووجوب طاعته واتباع سنته،وفيه (٥) فصول......... ١١٩

الفصل الأول- فرض الإيمان به ﷺ ١١٩

http://mohhanoona.blogspot.com/

الفصل الثاني- في وجوب طاعته ﷺ ١٢١

الفصل الثالث-في وجوب اتباعه وامتثال أمره والإقتداء به.......................... ١٢٣

الفصل الرابع- فيما ورد عن السلف والائمة من اتباع سنته والإقتداء به.................. ١٢٥

الفصل الخامس-حظر مخالفة أمره ﷺ ١٢٧

الباب الثاني:في لزوم محبته ﷺ ، وفيه (٦) فصول........................ ١٢٨

الفصل الأول-وجوب محبته ﷺ ١٢٨

الفصل الثاني- في ثواب محبته ﷺ ١٣٠

الفصل الثالث- فيما روي عن السلف من محبتهم للنبي ﷺ ١٣٠

الفصل الرابع- علامة محبته ﷺ.. ١٣٢

الفصل الخامس- في معنى محبة النبي ﷺ وحقيقتها........................ ١٣٥

الفصل السادس- في وجوب مناصحته ﷺ ١٣٨

الباب الثاني:في تعظيم أمره ووجوب توقيره وبره ﷺ، وفيه (٦) فصول.............. ١٣٨

الفصل الأول-وجوب توقيره وبره ﷺ.. ١٣٨

الفصل الثاني- في عادة الصحابة في تعظيمه ﷺ وتوقيره وإجلاله........................ ١٣٩

الفصل الثالث- في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث رسول الله ﷺ..................... ١٤٠

الفصل الرابع- في توقيره ﷺ وبر آله وذريته وأمهات المؤمنين........................ ١٤٢

الفصل الخامس- في توقير أصحابه ﷺ وبرهم ١٤٤

الفصل السادس- من إعظامه وإكباره ﷺ ١٤٦

الباب الثالث: في حكم الصلاة والسلام عليه ،وفرض ذلك وفضيلته وفيه (١٠) فصول..١٤٧

الفصل الأول- معنى الصلاة والسلام عليه ﷺ.. ١٤٧

الفصل الثاني- حكم الصلاة على النبي ﷺ ١٤٨

الفصل الثالث- المواطن التي يستحب فيها الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ............ ١٥٠

http://mohhanoona.blogspot.com/

الفصل الرابع-في كيفية الصلاة والسلام عليه ﷺ ١٥٢
الفصل الخامس- فضيلة الصلاة والسلام على النبي ﷺ.................................. ١٥٣
الفصل السادس- في ذم من لم يصلّ على النبي ﷺ.................................... ١٥٤
الفصل السابع- في تخصيصه بتبليغ الصلاة والسلام عليه ﷺ............................. ١٥٧
الفصل الثامن- في الصلاة على غير الأنبياء عليهم السلام................................ ١٥٧
الفصل التاسع- في حكم زيارة قبره وكيفيه الصلاة والسلام عليه ﷺ...................... ١٥٨
الفصل العاشر- آداب دخول المسجد النبوي الشريف،وفضل مكة والمدينة................ ١٥٩
القسم الثالث:فيما يختص بالأمور الدينية،والكلام في عصمة نبينا وسائر الأنبياء عليهم السلام ، وفيه بابان.. ١٦٢
الباب الأول:في عصمة نبينا ﷺ وسائر الأنبياء ،وفيه (١٣) فصول........................ ١٦٢
الفصل الأول- عصمة النبي ﷺ قبل النبوة من الجهل بالله عزوجل وبصفاته ١٦٢
الفصل الثاني- معرفة الأنبياء بأمور الدنيا والدين ١٦٦
الفصل الثالث- في إجماع الأمةعلى عصمة النبي ﷺ من الشيطان......................... ١٦٩
الفصل الرابع- صدق أقوله ﷺ في جميع أحواله.. ١٧٤
الفصل الخامس- دفع بعض الشبهات ١٧٥
الفصل السادس- عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر..................................... ١٨٣
الفصل السابع- عصمة الأنبياء من المعاصي قبل النبوة..................................... ١٨٤
الفصل الثامن- السهو والنسيان في الأفعال.. ١٨٥
الفصل التاسع- الأحاديث المذكورة في سهوه ﷺ ١٨٧
الفصل العاشر- الرد على من أجاز عليهم الصغائر.. ١٨٩
الفصل الحادي عشر- حالة الأنبياء في خوفهم واستغفارهم ١٩٨
الفصل الثاني عشر- فوائد القول بعصمة الأنبياء... ١٩٩

http://mohhanoona.blogspot.com/

الفصل الثالث عشر- عصمة الملائكة عليهم السلام.. ٢٠٠

الباب الثاني:فيما يخصهم من الأمور الدنيوية ويطرأ عليهم في العوارض البشرية ، وفيه (٩) فصول...٢٠٢

الفصل الأول- حالة الأنبياء بالنسبة للعوارض البشرية.......................................٢٠٢

الفصل الثاني- حالتهم بالنسبة للسحر...٢٠٥

الفصل الثالث- أحواله في أمور الدنيا..٢٠٦

الفصل الرابع- أحكام البشر الجارية على يديه...٢٠٧

الفصل الخامس- أخباره الدنيوية ﷺ ٢٠٨

الفصل السادس- حديث الوصية ٢١٠

الفصل السابع- دراسة أحاديث أخرى ٢١٢

الفصل الثامن- أفعاله الدنيوية..٢١٥

الفصل التاسع- حكمة المرض والإبتلاء لهم ٢٢٠

القسم الرابع: في تصرف وجوه الأحكام فيمن سبه أو تنقصه عليه الصلاة والسلام ، وفيه ثلاثة أبواب ٢٢٣

الباب الأول:في بيان ما هو في حقه سب أو نقص ،وفيه (١٠) فصول....................٢٢٥

الفصل الأول- الحكم الشرعي فيمن سب النبي ﷺ أو تنقصه.................................٢٢٥

الفصل الثاني- الحجة في إيجاب قتل من سبه أو عابه ٢٢٧

الفصل الثالث- أسباب عفو النبي ﷺ عن بعض من آذاه ٢٢٩

الفصل الرابع- حكم من فعل ذلك دون قصد أو اعتقاد..٢٣٢

الفصل الخامس- حقيقة قائل ذلك هل هو كافر أم مرتد ٢٣٣

الفصل السادس- الحكم فيما إذا كان الكلام يحتمل السب وغيره..............................٢٣٣

http://mohhanoona.blogspot.com/

الفصل السابع- حكم من وصف نفسه بصفة من صفات الأنبياء رفعة لشأنه واستصغاراً لشأنهم عليهم السلام.. ٢٣٤
الفصل الثامن- حكم الناقل والحاكي لهذا الكلام عن غيره........................... ٢٣٦
الفصل التاسع- ذكر الحالات التي تجوز عليه ﷺ على طريق التعليم ٢٣٧
الفصل العاشر- الأدب اللازم عند ذكر أخباره ﷺ....................................... ٢٣٧
الباب الثاني: في حكم سابِّه ومتنقص ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته ووراثته ، وفيه (٤) فصول.. ٢٣٨
الفصل الأول- الأقوال والآراء في حكم من سبَّ النبي ﷺ أو تنقصه.......................... ٢٣٨
الفصل الثاني- حكم المرتد إذا تاب.. ٢٣٨
الفصل الثالث- حكم الذمي في ذلك.. ٢٣٩
الفصل الرابع- في ميراث من قُتِلَ بِسَبِّ النبيِّ ﷺ ،وغسله والصلاة عليه.................. ٢٤٠
الباب الثالث: في حكم من سَبَّ الله تعالى وملائكته وكتبه وأنبياءه وآل بيت النبي ﷺ وأزواجه وأصحابه ، وفيه (١٠) فصول.. ٢٤١
الفصل الأول- حكم من سب الله تعالى وحكم استتابته...................................... ٢٤١
الفصل الثاني- حكم إضافة ما لا يليق به تعالى على طريق الإجتهاد والخطأ............ ٢٤١
الفصل الثالث- في تحقيق القول في إكفار المتأولين.. ٢٤٢
الفصل الرابع- في بيان ما هو من المقالات كفرٌ ، وما يتوقف أو يختلف فيه ، وما ليس بكفرٍ.. ٢٤٣
الفصل الخامس- حكم الذمي إذا سبَّ الله تعالى.. ٢٥٢
الفصل السادس- حكم إدِّعاء الإلهية أو الكذب والبهتان على الله............................ ٢٥٢
الفصل السابع- حكم من تعرض بساقط قوله وسخيف لفظه لجلال ربه دون قصد........ ٢٥٤
الفصل الثامن- حكم سب بقية الأنبياء والملائكة...................................... ٢٥٤

http://mohhanoona.blogspot.com/

الفصل التاسع- الحكم بالنسبة للقرآن.. ٢٥٥
الفصل العاشر- الحكم في سب آل البيت والأزواج والأصحاب............................ ٢٥٦
فهرس الموضوعات.. ٢٥٩

http://mohhanoona.blogspot.com/